

أَعْلَافُ أُنْدَلُسِيَّة
إِسْبِيلِيَّة (٤)

سِلْسِلَةُ مُؤَلَّفَاتِ الْإِمَامِ
أَبِي بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ (٤)

سَلَجُ الْمَرْتَدِّ فِي سَبِيلِ الدِّينِ

لَا سِتَارَةَ، الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ فِي الْمَقَامَاتِ وَالْحَالَاتِ
الدِّنِيَّةِ وَالْدُنْيَوِيَّةِ بِالْأَحْلَاءِ الْعَقْلِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ، الْقُرْآنِيَّةِ وَالسُّنِّيَّةِ
وَهُوَ الْقِسْمُ الرَّابِعُ مِنْ مَجْلُومِ الْقُرْآنِ فِي التَّذْكِيرِ

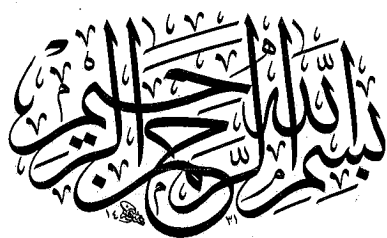
إِمْلَاء

إِمَامِ الْأَئِمَّةِ وَزَيْنِ الْمِلَّةِ الْفَقِيهِ الْحَافِظِ النَّظَّارِ
أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَرَبِيِّ الْمَعَاوِيِ الْإِسْبِيلِيِّ
الْمُتَوَفَّى ٥٤٣ هـ

ضَبَطَ نَصَّهُ وَحَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَوَقَّفَ ثَقُولَهُ
الدَّكْتُورُ عَبْدُ اللَّهِ التَّوْرَاتِي

السَّفَرُ الثَّانِي

دَارُ الْكِتَابِ وَالْعِلْمِ



اسْتَطْرَآدُ: وَهُوَ الْبَابُ الثَّانِي مِنْ الْكِتَابِ

وهذه المقامات للعباد فيها أسماء وصفات، يتجلى^(١) كل واحد منهم فيها، ويتسمى باعتقاده وفعله، ويتجلى^(٢) في نعوتها، كثير عددها، بعيد أمدها، بها يتعرف، وعليها يحكم، وإلى مقتضاها يصير^(٣) آخرًا، حسب ما تفسر في «المقامات».

[١/٦٢]



(١) في (ص) و(د): يتجلى.

(٢) في (ص): يتجلى.

(٣) في (د): يسير.

الاسم الأول: العالم

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رحمته الله: هذا أول أسمائه وأولها به، فإن الله خلقه حيًا مُدْرِكًا، وأخرجه من بطن أمه كما قال: «لا يعلم شيئًا»، ثم علّمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيمًا.

وقد أرادت المُلْحِدَةُ أن تجعل العلم معنى مجهولًا أو خفيًا، فسألت عنه سؤال الباحث عن حقيقته ليُغمضوه، حتى إذا شككوا الخلق في العلم لم يَبْقَ لهم بعده ما يتعلّقون به ولا ينظرون فيه، وسأورتهم ^(١) على ذلك القَدْرِيَّةَ لموافقتهم لهم في قَصْدِ إضلال الخلق والتلبّيس على العباد، وساعدتهم طائفةُ علمائنا المتكلمين ^(٢)؛ على المجادلة في ذلك والتبيين له، فأدخلوا الاسم في سوق الخلاف، ومن أين يزول الإشكال إذا ^(٣) زهقوا به عن درجات البيان ^(٤)؟

ولسنا احتاج العلم إلى بيانٍ ودليل، وتطرّقت إليه أسئلةٌ تقتضي أجوبةً؛ ليذهب الحقُّ، وليُعدَمَنَّ البيانُ، فلا تلتفتوا إلى

(١) في (د): ساوتهم.

(٢) في (ص): المتكلمون.

(٣) قوله: «المتكلمين على المجادلة في ذلك والتبيين له، فأدخلوا الاسم في سوق الخلاف، ومن أين يزول الإشكال إذا» سقط من (د).

(٤) ينظر: العواصم من القواصم: (ص ٢٩)، والأوسط لأبي المظفر: (١/١٦/أ).

مقاتلهم لَيْتًا، وَيَكْفِيكُمْ^(١) فِي بَيَانِ الْعِلْمِ عِلْمُكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ، وَيَكْفِيكُمْ فِي شَرْفِهِ أَمْرَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ صِفَةُ الرَّبِّ الَّتِي يَنْشَأُ عَنْهَا كُلُّ فِعْلٍ.

والثاني: أَنَّهُ مُقَدِّمَةٌ لِكُلِّ مَعْنَى دُنْيَوِي وَأُخْرَوِي، وَمِنْ خَلَا عَنْهُ هَلَكٌ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ فَنَاتَتْهُ وَتَشَعَّبَتْ عَلَيْهِ، وَمِنْ فَاتَتْهُ فِي مَعَانِي آخِرَتِهِ كَفَرَ وَلَمْ يَعْلَمْ، وَعَصَى وَلَمْ يَشْعُرْ.

قال الفقراء: «مَا عَصِيَ اللَّهُ بِأَعْظَمَ مِنَ الْجَهْلِ، وَالْجَهْلُ بِالْجَهْلِ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ»^(٢).

وَفِي مِثْلِهِ أَتَقَنَّ بَعْضُ حُكَمَاءِ النَّظْمِ فَقَالَ^(٣):

إِذَا لَمْ تَكُنْ تَذَرِي وَلَمْ تَكُنْ بِالذِّي يُسَائِلُ مَنْ يَذَرِي فَكَيْفَ إِذَا تَذَرِي
وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنَّكَ لَا تَذَرِي وَأَنَّكَ لَا تَذَرِي بِأَنَّكَ لَا تَذَرِي
جَهْلْتَ وَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّكَ جَاهِلٌ فَكُنْ هَكَذَا أَرْضًا يَطَاكَ الَّذِي يَذَرِي^(٤)

وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ قَوْمًا بِالْعِلْمِ دُونَ قَوْمٍ، وَأَمَرَ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنْ يَسْأَلَ مَنْ عِلِمَ، وَالْعِلْمُ الْمَطْلُوبُ هُوَ الْمَذْكُورُ فِي كِتَابِ اللَّهِ.

وَأَصْلُهُ: الْعِلْمُ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَسُنَّتِهِ وَأَحْكَامِهِ وَشَرَائِعِهِ، وَهُوَ مُبَيَّنٌ لَكُمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ، مُقَدِّمَةٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(١) فِي (د): يَكْفِيهِمْ.

(٢) قُوتُ الْقُلُوبِ: (١٣٦٠/٣)، وَالْإِحْيَاءُ لِأَبِي حَامِدٍ: (ص ١٧٣٨).

(٣) الْأَبْيَاتُ مِنَ الطَّوِيلِ، وَهِيَ لِأَبِي الْقَاسِمِ الْأَمْدِيِّ، فِي أَدَبِ الدُّنْيَا وَالْدِينِ لِلْمَاوَرِدِيِّ: (ص ٧٦)، وَزَادَ فِيهَا بَيْتًا آخَرَ، وَرَتَّبَهَا تَرْتِيبًا آخَرَ.

(٤) سَقَطَ الْبَيْتُ الْأَخِيرُ مِنْ (ص).

الاسم الثاني: العاقل

اعلموا - معشر المريدين - أنهم كما فعلوا في العلم كذلك فعلوا في العقل، وعقدوا فيه وفي العلم عبارات يكثر عددها، وتتبعوها بالاعتراض، ونقحوها بزعمهم ولقحوها، فخلطوها ولطخوها، وتخطوها وتركوها وراءهم، وهم يطلبونها أمامهم؛ جهلاً أو هزلاً^(١).
والعقل هو العلم بعينه لغة^(٢).

وقد غلِط فيه سيبويه من النحويّة، والقاضي أبو بكر من المتكلمين^(٣).

(١) ينظر: نكت المحصول: (ق ٢/أ).

(٢) في الأوسط لأبي المظفر (١/ق ١٦/أ): «وأما العقل فهو العلم؛ هذا أصله في اللغة؛ لأنهم يقولون: عقلت الشيء، وعلمته، وفهمته، يُقيّمون بعض هذه الألفاظ مقام بعض، وكذلك يقولون: هذا كلام مفهوم معقول معلوم، لا يفرقون بينهما، والمرجع إلى اللغة فيه وفي أمثاله، وإذا تقرّر أن العقل هو العلم على الإطلاق؛ فكل من له مقدار من العلم فله ذلك المقدار من العقل، تختلف قلة العقل وكثرته بقلة العلم وكثرته».

(٣) عرّف القاضي أبو بكر الباقلاني العقل بقوله: «لا أقول: إن العقل غير العلوم، ولا كل العلوم، بل هو بعض العلوم الضرورية، وهو العلم بأن الموجود لا يخلو من أن يكون لوجوده أول، أو لا أول لوجوده، وأن الجسم الواحد لا يجوز أن يكون في مكانين في حالة واحدة، وأن الموجود لا يجوز أن يكون معدوماً في =

فَأَمَّا سَبِيؤُهُ فَلَا لَعَا لَعَثَرْتُهُ .

وَأَمَّا الْقَاضِي فَقَدْ وَهَمَ فِي أَنْ سَاعِدَهُمْ وَجَعَلَ الْعَقْلَ وَضَعًا اصْطِلَاحِيًّا
فِي غَيْرِ الْمَوْضِعِ الْعَرَبِيِّ^(١) ، وَلَيْسَ يُحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ فِي تَعَلُّمِ الْخَبَرِ ، وَلَا
فِي / تَعَلُّمِ النَّظَرِ ، وَقَدْ جَادَلْنَا الدَّهْرَ كُلَّهُ وَرَأَيْنَا الْمُجَادِلِينَ وَمَا احْتَجْنَا إِلَى
شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .

وَأَمَّا سَبِيؤُهُ فَإِنَّهُ اقْتَفَى مَعَ الْخَلِيلِ آثَارَ الْفَلَّاسِفَةِ فِي اصْطِلَاحِهِمْ^(٢) .

وَهَذَا الْاصْطِلَاحُ وَإِنْ كَانَ الْقَاضِي قَدْ احْتَاجَ إِلَيْهِ بَزْعِمِهِ فِي الْجِدَالِ ،
فَسَبِيؤُهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي اللُّغَةِ ؛ فَإِنَّ الْعَرَبِيَّةَ لَا تَنْبَنِي عَلَى اصْطِلَاحِ
الْفَلَّاسِفَةِ ، وَلَا يَجِدُ سَبِيؤُهُ وَلَا الْخَلِيلُ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَبَدًا فَرَقًا بَيْنَ عَرَفْتُ زَيْدًا
قَائِمًا ، وَعَلِمْتُ زَيْدًا قَائِمًا ؛ فِي الْمَعْنَى وَلَا فِي الْإِعْرَابِ أَبَدًا .
أَمَّا إِنْ الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدُوهُ^(٣) صَحِيحٌ ، وَتَعَيَّنَتِ الْعِبَارَةُ لَهُ مِنَ اللُّغَةِ
بَاطِلٌ قَطْعًا ، وَانْتِهَاجٌ لِحُرْمَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَخُرُوجٌ عَنْ سِيرَةِ السَّلَفِ .
وَالْعِلْمُ فِي لِسَانِ الْمُحَقِّقِينَ هُوَ الْحَشِيَّةُ ، وَاسْتَرَوْا صِفَتَهُ .

= حالة واحدة ، وأن المتحرك عن المكان لا يجوز أن يكون ساكنًا فيه في حالة
واحدة ، وما جرى هذا المجرى من كون الذات حيَّةً ميتةً ، وغير ذلك من
الأوصاف المتضادة » ، الأوسط لأبي المظفر : (١/١٧ق/أ) .

(١) فِي (د) وَ(ص) وَ(ز) : اصْطِلَاحِيًّا غَيْرِ الْمَوْضِعِ الْعَرَبِيِّ .

(٢) قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي تَعْرِيفِ أَرِسْطُو طَالِيَسَ لِلْعَقْلِ - : « إِنَّهُ تَصَوُّرَاتٌ وَمَعَانٍ تَحْصُلُ
لِلنَّفْسِ بِأَصْلِ الْفِطْرَةِ ، وَالْعِلْمُ يَحْصُلُ بِالْاِكْتِسَابِ ، فَتَلَقَّاهُ الْخَلِيلُ مِنْهُ ، وَقَالَ : إِنْ
الْعِلْمُ مَعْرِفَتَانِ مَجْتَمِعَتَانِ ، فَعَرَفْتُ زَيْدًا قَائِمًا ؛ حَالُ لَزِيدٍ ، وَعَلِمْتُ زَيْدًا قَائِمًا ؛
مَفْعُولٌ ثَانٍ لَعَلِمْتُ » ، الْعَوَاصِمُ مِنَ الْقَوَاصِمِ : (ص ١٥٩ - ١٦٠) .

(٣) فِي (د) وَ(ص) وَ(ز) : قَصْدُهُ .

قال ابن مسعود: «ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو الخشية»^(١).
 وسترون صفتَه ؛ مُفَرَّقَةً^(٢) على الأسماء إن شاء الله.



(١) الزهد للإمام أحمد: (ص ١٩٨)، وروضة العقلاء لابن حبان: (ص ٣٨).
 (٢) في (د) و(س): مقدمة.

الاسم الثالث: الإنسان

وهو الآدمي، معلوم عقلاً، معلوم لغةً، معلوم شريعةً، فأدخلوها في سوقِ الخلاف، ونادوا عليه في سوقٍ من يقول، ورثبوا فيه أقوالاً؛ كلها اقتداءً بتليس^(١) المُلحدة، حتى يدْخُلَ الشكُّ على الناس في أنفسهم.

فقد ذَكَرَ الأستاذ^(٢) أبو المظفر^(٣) شاهفور^(٤) أن أعرابياً دخل مسجد البصرة، وسمعَ قومًا من المتكلمين يتجادلون في الإنسان، ويتَّحِلُّ كُلُّ واحدٍ منهم قولاً غير الآخر، ويَشْرَعُ بِحُجَّةٍ على نَحْوِهِ، فقام عنهم وخرج على باب المسجد وهو يُنْشِدُ^(٥):

(١) في (س): تلبس.

(٢) في (س): الشيخ.

(٣) الإمام المتكلم النظار، شاهفور بن طاهر بن محمد، أبو المظفر الإسفراييني، صَهْرُ أبي منصور البغدادي، وتلميذ أبي إسحاق الإسفراييني، له التفسير الكبير بالفارسية، وسمّاه: «تاج التراجع»، طبع قديماً، وله «الأوسط في الاعتقاد»، في ثلاثة أسفار، منه نسخة في خزانة خاصة، عرّفت بها في تقديمي للمتوسط في الاعتقاد: (ص ٣٧-٤٢)، وله غير هذه المؤلفات، توفي عام ٤٧١ هـ بطُوس، ترجمته في: المنتخب من تاريخ نيسابور: (ق ٧٣/أ)، وتبين كذب المفتري: (ص ٢٧٦)، وسير النبلاء: (٤٠١/١٨)، وطبقات الشافعية: (١١/٥).

(٤) في (س) و(د): شاهبور.

(٥) البيت من الرَّجَزِ، وهو من شواهد الكتب النحوية، قال البغدادي في الخزانة (٢٣٨/٥): «وهذا البيت لم أقف له على أثر».

إِنْ كُنْتُ أَذْرِي فَعَلَيْ بَدَنِهِ مِنْ كَثْرَةِ التَّخْلِيصِ فِي مَنْ أَنَّهُ^(١)

وقد صنّف القاضي أبو بكر كتاب «الإنسان»، وكان في غنى عنه، وما لمن سأل عنه طَبُّ إِلَّا أَنْ يُغَلَّ في المَارِسْتَانِ، ويُعَانَى حتى يستريح أو يموت.

قال الإمام الحافظ رحمته الله^(٢): وهذا كله حَيْلٌ منهم، ودَوْرَانٌ حول الرُّوح، فإنهم رأوا الإنسان حَيًّا إنسانًا بها، فإذا زَهَقَتْ عنه صار مَوَاتًا، فجعلوها بعضهم الإنسان، وطَفِقَ يَتَرَدَّدُ حولها، ويطلب تعليق الإشْكَالِ بها، وليس يتعلّق بها أبدًا، فإنَّ تلك محجوبةٌ تحت أَسْتَارِ الغَيْبِ، لا سَبِيلَ لأحد إلى معرفتها^(٣).

وكشَفَ الله الحقيقة له كأنَّها العِيَانُ فقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِرٌ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٤ - ٥].

وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] الآية.

(١) أخبره بهذه الحكاية شيخه أبو سعد الزنجاني الشهيد، العواصم: (ص ٢٧).

(٢) في (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٣) العواصم: (ص ٢٨).

فخاطب من يفهم بما يفهم، ولم يجعلوا فيه إشكالاً، ولا افتعلوا فيه مقالاً، ولا ردّدوه في الإشكالِ احتيالاً واختيالاً، فلا يُوجِبُ لهم إلّا سلاسل^(١) وأغلالاً.

وهذا الإنسان والآدمي^(٢) معلومٌ، تختلف عليه الأحكام، ويرتبط به الابتلاء والامتحان، فهو معلوم ضرورة.



(١) في (س): سلاسلًا.

(٢) في (ص): الآدمي.

الاسم الرَّابِعُ: المؤمن /

واسمَعُوا - مَعَشَرَ الْمُؤْمِنِينَ - وَعُوا، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ يَزُوي حَاجِبَهُ، وَيَقْطُبُ عُرَّتَهُ، وَيُسَوِّدُ عُرَّتَهُ؛ حَتَّى تَبْلُغُوا آخِرَ كَلَامِي، وَتُحِيطُوا بِمَرَامِي، فَإِنِّي عَلَى سِيرَةِ السَّلَفِ سَلَكْتُ، وَبِأَقْوَالِهَا نَطَقْتُ، وَالْحَقُّ أَرَدْتُ، وَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَأَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَوَّلْتُ، وَمِنَ الْعَرَبِيَّةِ اقْتَنَصْتُ، وَمَا خَرَجَ عَنْ هَذِهِ الْمَسَالِكِ يَجِبُ طَرَحُهُ.

وهذا الاسم هو أوَّلُ الأسماء وأولَّها.

وقد قال الشيخ أبو الحسن - ومثله ذَكَرَ القاضي في بعض طُرُقِهِ -: «إِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْعِلْمُ»^(١).

وقال في موضع آخر: «إِنَّهُ التَّصَدِيقُ»^(٢).

وهو الَّذِي جَرَى فِي أَلْسِنَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ عِلْمَانَا، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِيهِ الدَّلِيلَ وَتَتَبَعَ الْأَقْوَالِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَبَيَّنَّاهُ مُخْتَصَرًا وَبَسِيطًا^(٣).

وَالَّذِي نُثْلِيحُ^(٤) لَكُمْ بِهِ الْآنَ: أَنْ بِنَاءَ «أَفْعَلٍ» يُقَالُ: بِمَعْنَى دَخَلَ فِي الْفِعْلِ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، يُقَالُ: أَصَابَ الرَّجُلُ وَأَخْطَأَ، وَأَتَّهَمَ وَأَنْجَدَ، وَأَصَافَ وَأَزْبَعَ، إِذَا دَخَلَ فِي ذَلِكَ وَتَلَبَّسَ بِهِ، فَمَعْنَى آمَنَ: دَخَلَ فِي الْأَمْنِ.

(١) مقالات أبي الحسن لابن فُورَكَ: (ص ١٥٤).

(٢) رسالة في الإيمان لأبي الحسن: (ق ٢/أ).

(٣) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص ٤٥٦-٤٦٠).

(٤) في (د): نلوح.

الاسم الخامس: المسلم

ومعنى أَسْلَمَ: دخل في السَّلامَةِ؛ بِمِثْلِ ذَلِكَ بَعَيْنِهِ فِي آمَنَ^(١).
 وهذان اللفطان أخوان، يقتضيان معنى واحداً وإن اختلفا لفظاً، ولمَّا
 كان الدخول فيهما والتلبُّس بهما معقولاً غَيْرَ محسوس ومشروعاً؛ وضعه الله
 في الدِّينِ على معنيين:
 أحدهما: بالقول؛
 والآخر: بالفعل.
 وبهما جاء القرآن ووردت السنة.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢].

وقال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

(١) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص ٤٥٥).

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُفِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٠ - ٤].

وذلك كثير؛ وقال: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دَرَجَاتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقال: ﴿هُوَ سَمِيْعُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ﴾ [الحج: ٧٦].
وقال النبي ﷺ لَوْفِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ: «أَمْرُكُمْ بأربع؛ الإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ثم فسرها؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تُؤدُّوا خُمُسَ ما غَنِمْتُمْ، وأنْهَاكُم عن أَرْبَعٍ؛ فذَكَرَ: الدُّبَاءَ، والنَّقِيرَ، والمُزَفَّتَ»^(١).

وقال ﷺ: «الإيمانُ بِضْعَةٌ وسبعون شعبة»^(٢).
وقال ﷺ: «بُنيَ الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»^(٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس ؓ: كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين، رقم: (١٧-عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ؓ: كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان، رقم: (٣٥-عبد الباقي).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر ؓ: كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام، رقم: (١٦-عبد الباقي).

وحديث / جبريل - صحيح - ؛ جاء يُعَلِّمُ الناس دينهم ، فقال للنبي ^(١) [٦٣/ب] ﷺ: «ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورُسُله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، قال: فما الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان ، قال: فما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ^(٢).

والحديث الصحيح عن معاذ بن جبل قال: «كنتُ مع النبي ﷺ في سَفَرٍ ، فأصبحتُ يوماً قريباً منه ونحن نَسِيرُ ، فقلت: يا رسول الله ، أخبرني بعمل يُدخلني الجنة ويُباعدني من النار ، قال: لقد سألتني عن عظيم ، وإنه ليسيرٌ على من يسره الله عليه ؛ تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتُقِمِ الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جَنَّةٌ ، والصدقة تُطفئُ الخطيئة كما يطفئُ الماءُ النارَ ، وصلاة الرجل من جَوْفِ الليل ^(٣) ، قال: ثم تَلَا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦] ، حتى بلغ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] ، ثم قال: ألا أخبرك برَأْسِ الأمرِ وعمُوده وذُرَوةِ سَنَامِهِ؟ رأسُ الأمرِ الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذُرَوةُ سَنَامِهِ الجهاد ، ثم قال: ألا أخبرك بِمَلَكٍ ذلك كله؟ قلت: بلى ، يا رسول الله ، فأَخَذَ بلسانه وقال: كُفَّ عليك هذا ، فقلت: يا نبي الله ، وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به ،

(١) في (س) و(د): النبي .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، رقم: (٩-عبد الباقي) .

(٣) بعده في (س) زيادة: من شِعَارِ الصالحين .

فقال: تَكَلِّتَكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(١).

قال الإمام الحافظ أبو بكر رحمته الله: هذه الأحاديث أصول تنبئك بفصلين:

أحدهما: أن الإسلام والإيمان شيء واحد؛

والثاني: أن الأمن والسلامة يكونان به.

وللأمن والسلامة مرتبتان:

إحداهما: في الدنيا.

والأخرى: في الآخرة.

فأما مرتبة الدنيا فقسمان:

أحدهما: الأمن والسلامة من إباحة المال والذات.

والثانية: الأمن من الضرب والهوان.

فأما الأمن من الإباحة فقد قال النبي ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ

حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُؤْمِنُوا بِمَا جِئْتُ بِهِ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا

الزَّكَاةَ، فَإِذَا قَالُوا هَٰذَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى

اللَّهِ»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في

حرمة الصلاة، رقم: (٢٦١٦-بشار).

(٢) في (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال

الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم: (٢١-عبد الباقي).

وفي رواية: «من وَحَدَّ الله وَكَفَّرَ بما يُعبد من دون الله ؛ حَرَّمَ^(١) الله ماله ودمه ، وحسابه على الله»^(٢).

وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ، فإذا قالوها ؛ وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا ، واستقبلوا قبلتنا ، وذبحوا ذبيحتنا ؛ فقد حَرَمَتْ علينا دماءهم وأموالهم ، إِلَّا بحقها ، وحسابهم على الله»^(٣).

وفي رواية - في حديث أنس هذا - : «فمن^(٤) صَلَّى صَلَاتَنَا ، واستقبل قِبْلَتَنَا ، وَذَبَحَ ذبيحتنا ؛ فهو المسلم ، لَهُ ما للمسلمين ، وعليه ما عليهم»^(٥).

وَسُئِلَ النبي ﷺ: «أي الأعمال أفضل ؟ فقال: إيمان بالله»^(٦) ، وذكر الحديث .

(١) في (د) و(ص) و(ز): حَرَّمَ ماله .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، رقم: (٢٣-عبد الباقي) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة ، باب فضل استقبال القبلة ، رقم: (٣٩٢-طوق) .

(٤) سقطت من (د) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة ، باب فضل استقبال القبلة ، رقم: (٣٩٣-طوق) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ؓ: كتاب الإيمان ، باب من قال: إن الإيمان هو العمل ، رقم: (٢٦-طوق) .

وقال رجل للنبي ﷺ: «أي الإسلام خير؟ قال: أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»^(١).

وقال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»^(٢).

وقال ﷺ: «الإيمان بضْعٌ وستون - أو سبعون شعبة -، والحياء شعبةٌ من الإيمان»^(٣).

وقال سفيان بن عبد الله الثقيفي: «قل لي يا رسول الله في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: قل: آمنت بالله، ثم استقم»^(٤).

نكتة إسلامية:

وبهذا نرجو أن نكون من أهل دار السلام، ومن كان في ريبٍ لم يأمن ولا رأى الدار، ومن كان في رِقٍّ مخلوق - حيواناً كان أو جماداً - لم يجد السلامة، وإنما يجد السلامة من لم يكن إلا في رِقِّ الله الذي هو المولى حقيقةً، فإذا سلم اليوم لسانه من الغيبة، وجنَّاه من الخُبْثَةِ، وسرائره من الرِّبِّيَّة، وجوارحه من الزَّلَّة، وعقائده من الغفلة، ومعاملته من الشُّبْهَةِ، وأعماله من الرِّياء والمصانعة، وأحواله من الملاحظة؛ كان من أهل تلك الدار.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، رقم: (١٢-طوق).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم: (١٠-طوق).

(٣) تقدّم تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، جامع أوصاف الإسلام، رقم: (٣٨-عبد الباقي).

وإنما شَرُفَتْ دار السَّلام لأنها مَحَلُّ الكرامة ، واختصاصها^(١) بالزُّلْفَةِ ،
والأقطارُ كُلُّها ديارٌ ، وَلَكِنْ قِيَمَةُ الدَّارِ إِنَّمَا هي بِقَدْرِ الجار ، كما قال
القائل^(٢) :

إِنِّي لَأَحْسُدُ جَارَكُمْ بِجَوَارِكُمْ طُوبَى لِمَنْ أَضْحَى لَكُمْ جَارًا
يَا لَيْتَ جَارَكَ بَاعَنِي مِنْ دَارِهِ شَبْرًا فَأُعْطِيَهُ بِشَبْرِ دَارًا

وليس القُرْبُ هاهنا بالمسافة ، وإنما هي المرتبة والمنزلة ، وقُرْبُ
الثواب والتكرمة ، لأن حقيقة الإله مُقَدَّسَةٌ عن التداني بالأقطار والجهات ،
والتجاور بالذوات ، وإِنَّمَا دُنُوهُمْ بَأَنَّهُ وَلِيَّهِمْ ، وهذا شَرَفٌ لَا يُدَانِي ، ومنزلة
لَا تُدْرِكُ بِالهُوَيْنَى ، وَلَا تُنَالُ بِالْمُنَى ، وإِنَّمَا هي هِبَةُ المَوْلَى .

وأما مرتبة الآخرة فالفوز بالنعيم ، والنجاة من العذاب الأليم .

فأما الفوز بالنعيم فباجتناب الشرك ، قال النبي ﷺ : «من مات
وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبد الله
ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته ، وكلمته ألقاها إلى
مريم ، ورُوحٌ منه ، والجنة حقٌ ، والنار حقٌ ، أدخله الله الجنة على ما
كان من العمل»^(٣) .

(١) في (ص) : لاختصاصها .

(٢) البيتان لم أقف على قائلهما ، وهي من بحر الكامل ، والأول في المنتحل
للثعالبي : (ص ٢٢٢) ، وهما في غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص
الفاضحة للوطواط : (ص ٥٧٣) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه : كتاب الإيمان ، باب
الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، رقم : (٢٨- عبد الباقي) .

وقد تقدّمت الأحاديث بسلامة أهل التوحيد من الخلود.

وَأَمَّا الْعِصْمَةُ مِنَ الْعَذَابِ فَبِاجْتِنَابِ الذُّنُوبِ ؛ فَإِنْ وَقَعَ الذُّنُوبُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ، إِنْ شَاءَ عَاقِبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْيِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٧] ، والأخبار في ذلك قد تقدّم أكثرها ، وبَيَّنَّا أصولها في المقام الثالث .

تحقيق:

[٦٤/ب]

قد تبَيَّنَ لكم من الآيات والآثار الصحيحة أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ / جُمْلَةُ أَعْمَالٍ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ ، وَتَوَضَّحَ ^(١) جريانهما ^(٢) على معانيهما ^(٣) في العربية ؛ من الأمان والسلامة حقيقةً ، وإنَّما عُبِّرَ بهما عن العلم لما يكون من ابتنائهما عليه ، فلمَّا كان مُقَدِّمَةً لهما سُمِّيَا به ، وهذا أَحَدُ رُكْنِي الْمَجَازِ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ فِي «كُتُبِ الْأَصُولِ» ، وَيَأْتِي إِيضَاحُهُ مَخْصُوصًا هَاهُنَا الْآنَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَلَمْ يَتَّقَ بَعْدَ بَيَانِ اللَّهِ لَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ؛ تَمَثِيلًا لِشَجَرَةٍ ، وَتَجْزِئَةً بِسَبْعِينَ جُزْءًا ؛ مَوْضِعٌ لِلْإِشْكَالِ فِيهِ ، وَلَكثَرَةٌ مَا ذَكَرَهُ كَذَلِكَ دَلٌّ عَلَى أَنَّهُ حَقِيقَةٌ ، وَالْمَجَازُ تَسْمِيَّتُهُ تَصْدِيقًا ، وَإِنَّمَا فَرَّ عِلْمَاؤُنَا مِنْ تَسْمِيَةِ الْأَعْمَالِ إِيْمَانًا لِلِلَّحَاحِ الْمُبْتَدِعَةِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ الْعَاصِي مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ ، وَلَوْ كَانَ الْعَصِيَانِ فِي أَعْمَالِ الْإِيمَانِ كُفْرًا لَأَوْجَبَتْ التَّخْلِيدَ ، فَأَرَادُوا قَطْعَهُمْ مِنْ

(١) في (س): نوضح .

(٢) في (د): جريانهما .

(٣) في (د): معانيها .

الأصل بما ليس بأصل، والمسألة صحيحة لنا، مع أن الأعمال كلها إيمان، كما بيّناه في «كتب الأصول»^(١).

قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦ - ٢٨]^(٢).

ثَبَّتَ عن النبي ﷺ: «أنهما النخلة والحنظل»^(٣)، فمثّل الله في هذه الآية سَبْعًا بِسَبْعٍ؛ شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين^(٤).

فالشجرة: مَثَلٌ للإيمان.

أصلها: التوحيد.

ثبوته: استقراره في القلب، حتى لا تُزغِزَه رِيَّاحُ الشَّكِّ^(٥)، ولا تُرَحِّضَه عوارضُ الخواطر.

وفرعها: العمل.

وسماؤها: علوُّ العمل وظهوره.

وأكلها - بضم الهمزة -: حلاوة الطاعة.

(١) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص ٤٥٨-٤٥٩).

(٢) في (د) و(ص): ﴿كشجرة خبيثة﴾ إلى قوله: ﴿قرار﴾.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن أنس رضي الله عنه: «أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة إبراهيم عليه السلام، رقم: (٣١١٩-بشار).

(٤) ينظر: قانون التأويل: (ص ٢٦٦).

(٥) في (د) و(ص): الشكوك.

والْحَيْنُ: الْحَيْنُ بَعِينُهُ.

والأوراق: الأخلاق الجميلة في الأغصان؛ وهي شُعَبُ الإيمان وفروعه.

وثمارها: حلاوة الطاعة^(١).

ثم الثمار تختلف في الطعم، والنفع والضّر، والرائحة، واللون، والصورة، كذلك الطاعات.

وقيل: ﴿تَوَجَّاهَا كُلَّ حِينٍ﴾: أن ثمرات الدنيا لا تنقطع، إن عَدِمَ نَوْعٌ كان آخر، فالنعيم متصل بها على البدل، وثمرات الجنة^(٢) لا مقطوعة ولا ممنوعة على الانفراد.

وهذه الشجرة لها أصل ثابت في أرض زَكِيَّةٍ؛ وهي^(٣) القلب، هي له مَثَلٌ، كما أن أرضَ شَجَرَةِ الْحَبِيثِ خَبِيثَةٌ، ثم كل شجرة لها ماء، والماء لهذه الشجرة الطيبة دَوَامُ التوفيق، ومن ثمراتها التوكل والتفويض والتسليم، والمحبة والرضا، والأحوال الصافية، والأخلاق الرّضِيَّةُ العالية.

تَبَيَّنَ:

ولا يخلو العبد أن يكون جاهلاً بربه غافلاً عن فَرْضِهِ، ويتمادى^(٤) ذلك به فيكون هالِكًا، أو في سبيل الهلاك سائرًا، حتى إذا عرف ربّه

(١) قوله: «وَالْحَيْنُ: الْحَيْنُ بَعِينُهُ، والأوراق: الأخلاق الجميلة في الأغصان؛ وهي شُعَبُ الإيمان وفروعه، وثمارها: حلاوة الطاعة» سقط من (د).

(٢) قوله: «وثمرات الجنة» سقط من (د).

(٣) في (د) و(ص): هو.

(٤) في (س) و(د) و(ز): تمادى.

وانتهى إليه أمره ونهيّه، وعَلِمَ من خَبَرِهِ له بذلك وابتلائه به، أنه إن أطاعه نَجَا، وإن عصاه هَلَكَ، وقد بيّن له النَّجْدَيْنِ؛ النَّجْدَ الْمُفْضِي إلى الفوز والسلامة والأمان، والنَّجْدَ الْمُورِطَ في الهَلَكَةِ، فيقتضي له النظر في نفسه ^١ الاستعداد لما يجد في آخِرَتِهِ، وأَوَّلُهَا حلولُهُ في رَمْسِهِ، ألا تَرَوْنَ/ أنه إذا سَلَكَ في الدنيا طريقاً يُفْضِي به إلى مطلوب استعدّ للطريق، واستعدّ لما يُنْفَق ويُصْلَح بالموضع الذي يقصده، واستعدّ الوُسْعَ فيما يُنْفَقُهُ ^(١) فيه وَيَعْضُدُهُ، فإن لم يفعل شيئاً من ذلك كان زاهقاً عن درجة النظر ومرتبة العقل والعلم التي زعم أنه فيها، وزال عن سَبِيلِ التصديق والْحَوْطَةِ على نفسه خَوْفَ الهَلَكَةِ التي يعلمها، ولا يخلو تَرْكُهُ لذلك من أربعة أقسام:

القسم الأول: أن يشك في أنه سائر، ويعتقد أنه مقيم، وهذا ما لا يخطر ببال أحد له سُوسٌ ^(٢)، ولا مَمَّنٌ هو داخل في حَدِّ التمييز.

الثاني: أن يشك أنه وارد على شيء، وهؤلاء هم الذين يعتقدون أن الموت عَدَمٌ مَحْضٌ، وللکلام معهم موضع.

الثالث: أن يشك في حال ذلك المقام وما فيه من أحوال وأحكام، وهذا كافر مُخَلَّدٌ في النار؛ لما تقدم من الآيات والأحاديث والإجماع.

الرابع: أن يعلم ذلك على صِفَتِهِ، ويتحقّقه بتفصيله وجُمْلَتِهِ، من جهة خَبَرِ الصادق به ^(٣)، ولكنه أَقْدَمَ عليه مع عِلْمِهِ به.

(١) في (ص) و(ز): ينفعه.

(٢) أي: العقل.

(٣) سقط من (س).

ويُقال للذي يعتقد أن الموت عَدَمٌ مَحْضٌ: أَلَمْ تَر إِلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ تَفَاوُتِ الْأَحْوَالِ وَالْمَنَازِلِ ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرَ ، وَالْحُرِّيَّةَ وَالرَّقَّ ، وَالنِّعْمَةَ وَالْبُؤْسَ ، عَلَى غَيْرِ نِظَامٍ صَالِحٍ فِي الظَّاهِرِ لَنَا ؟

فلو كانت الدُّنْيَا بهذه الصِّفَةِ هِيَ الْمَقْصَدُ وَعَلَيْهَا الْمَوْقِفُ ، وَلَيْسَ وَرَاءَهَا مَوْرِدٌ لَكَانَ عِبْثًا وَلَعِبًا ، وَقَدْ تَنَزَّهَ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَتَقَدَّسَ ، وَقَالَ : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لْعِبَسٍ ﴾ [الدُّخَانُ: ٣٦] ، وَقَالَ : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْتُمَا خَلَقْتُمْكُمْ عَبَثًا ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١١٦] ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَ الدَّارَ وَاحِدَةً ، وَالْحَالَ وَاحِدَةً ، وَلَكِنَّهُ فَضَّلَهَا ^(١) بِقُدْرَتِهِ ، وَقَسَمَهَا بِحِكْمَتِهِ .

وَأَمَّا إِنْ شَكَّ فِي كَيْفِيَّةِ ذَلِكَ الْمَقَامِ ؛ فَالِدَلِيلُ الَّذِي يُثَبِّتُ وَجُودَهُ يُثَبِّتُ كَيْفِيَّتَهُ ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنِ الْآخِرَةِ وَأَحْوَالِهَا بِأَسْمَاءِ الدُّنْيَا وَصِفَاتِهَا ، فَهِيَ مِثْلُهَا لَوْ جُوبِ الصِّدْقِ فِي خَبَرِهِ ، إِلَّا أَنْ مَا فِي الْآخِرَةِ يَفُوتُهَا بِالزِّيَادَةِ عَلَيْهَا فِي الْعِظَمِ وَالْقَدْرِ ، وَالْبَقَاءِ وَالِدَوَامِ ، وَعَدَمِ الْآفَاتِ ، وَمَزِيدِ الْحُسْنِ فِي الصِّفَاتِ .

وَأَمَّا إِنْ عَلِمَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَعَدَاً وَوَعِيدًا ، وَفُوزًا وَهَلَاكًا ، وَأَقْدَمَ عَلَى الْمُخَالَفَةِ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : أَرْجُو التَّوْبَةَ ؛ فَهُوَ مَغْرُورٌ ^(٢) ، لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ هَلْ يَدْرِكُهَا .

وَأَمَّا إِنْ قَالَ : أُقْدِمُ عَلَيْهَا ، وَأُوْثِرُ شَهْوَةَ الدُّنْيَا عَلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ ، وَأَرْضَى بِالْعَاجِلِ بَدَلًا مِنَ الْآجِلِ ، فَإِنِّي أَقُولُ لَهُ ^(٣) : إِنَّهُ غَيْرُ مُوقِنٍ بِالْآخِرَةِ ^(٤)

(١) فِي (ص) : فَضَّلَهَا .

(٢) فِي (ص) : مُغَرَّرٌ .

(٣) سَقَطَتْ مِنْ (د) وَ(ص) وَ(ز) .

(٤) سَقَطَتْ مِنْ (س) .

بحال ؛ وذلك أن الخاطر الذي يُوقعه في المعصية مع علمه بأنها مهلكة بمنزلة الرجل يُقدِّم على وطء الأجنبية وإن قُتِلَ ، كأنه يرضى بالوصول إلى أمله وإن أدَّى إلى تَلَفِ نفسه ، وهذا لأنه عذابٌ لحظة ، فيمكن أن يُقابَلَ بلذة لحظة ، كأنه مقابلةٌ مثلٌ بمثل ؛ في القَدَرِ والزمان ، لا في الصفة والمقدار .

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ بِالْحَقِيقَةِ فَمِثَالُ الْمَعْصِيَةِ إِذَا عَرَضَتْ لَهُمْ كَرَجُلٍ قَدَّمَ لَهُ طَعَامٌ شَهِيٌّ تَحَقَّقَ أَنَّهُ مَسْمُومٌ / ، وَأَنَّهُ وَحْيٌ ^(١) لَا يُمْنُهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ أَخَذَهُ الْجُوعُ وَغَلَبَهُ لَمْ يُقَدِّمُ أَيْضًا عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ : مَوْتُ بَمَوْتٍ مِنْ غَيْرِ يَدِي أَوْلَى بِي ، وَلَوْ تَحَقَّقَ أَنَّهُ سُمٌّ يُدِيمُ أَلَمَهُ ، وَيُهْرِي لَحْمَهُ ، وَيَشُدُّ وَجَعَهُ ؛ رَبَّمَا يَحْمِلُهُ سُوءُ الْاِخْتِيَارِ عَلَى أَنْ يُؤَثِّرَ حَيَاةَ شَهْرٍ مُتَمَلِّمًا مُتَوَجِّعًا مُتَبَلِّلًا ^(٢) عَلَى الْمَوْتِ الْآنَ ، وَذَلِكَ لَمَغِيبِ الْأَلَمِ عَنْهُ الْآنَ ، وَأَنَّ الْجُوعَ مُتَحَقِّقًا ، وَالْأَلَمَ مُتَوَقَّعًا ، وَإِذَا عَرَفَ أَنَّهَا شَهْوَةٌ مُسْتَغْنَى عَنْهَا ، وَعَلِمَ أَنَّهَا مُوقَعَةٌ فِي الْعَذَابِ الدَّائِمِ ؛ لَمْ يُقَدِّمُ عَلَيْهَا بِحَالٍ إِلَّا مَعَ الْإِسْتِرَاطَةِ بِأَنَّ ذَلِكَ الطَّعَامَ مُهْلِكٌ ، وَالشَّكُّ فِي أَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ مُعْطِبٌ ، أَوْ مَعَ الذَّهْوِ عَنْ هَذِهِ الْخَوَاطِرِ كُلِّهَا بَغْلَبَةِ الشَّهْوَةِ ، وَإِلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ كُلِّهَا يَرْجِعُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ » ^(٣) ،

(١) في (ز) : الردى .

(٢) في (ص) و(د) : مُبْتَلَى .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه : كتاب المظالم ، باب النهي بغير إذن صاحبه ، رقم : (٢٤٧٥ - طوق) .

والتوبة بعد ذلك معروضة^(١)، فجمع له بين الحُكْم بالإيمان، وعيّن له التوبة من ذلك الفعل.

وقال النبي ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله»^(٢)، وفي رواية أبي ذر: «أتاني جبريل فبشّرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق - ثلاثاً -؟ ثم قال في الرابعة: على رَغْم أنف أبي ذر، فخرج أبو ذر وهو يقول: على رَغْم أنف أبي ذر، كما قال رسول الله ﷺ»^(٣).

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا زنى العبدُ خرج من الإيمان وكان فوق رأسه كالظِّلَّةِ، فإذا خرج من ذلك العمل عاد إليه»^(٤)، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ورَوَى عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته، ألقاها إلى مريم وروحٌ منه؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»^(٥).

(١) في (س): في خ: مفروضة.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه عن معاذ بن جبل ؓ: كتاب الجنائز، باب في التلقين، رقم: (٣١١٦-شعيب)، ولفظه فيه: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، رقم: (٩٤-عبد الباقي).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة ؓ: أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن، رقم: (٢٦٢٥-بشار).

(٥) تقدّم تخريجه.

وقد عبّر عن بعض هذه الجملة ابن مسعود فقال: «لن يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته، ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى، والتواضع أحب إليه من الشرف، وحتى يكون حامده وذامه من الناس سواء»^(١).

وفسرها أصحابه فقالوا: معناه: «حتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من الغنى في الحرام، والتواضع في طاعة الله أحب إليه من الشرف في معصيته»^(٢)، وحتى يكون حامده وذامه في الحق سواء»^(٣).

قال الإمام الحافظ أبو بكر^(٤) رحمه الله: وذلك في الذي يأتي هذه المعاني جاهلاً، راكباً شهوته غير / مُرتابٍ، على ما بيناه من المراتب.

ولمّا كان طلب الإيمان بالوجه الذي يُطلب به من الشهادة والأعمال كان ذلك مَبْنِيًّا على تصديق المُخْبِر، فبذلك سُمِّيَ تصديقًا.

ولمّا كان تارة يَصْدُرُ عن تقليد، وتارة يصدر عن دليل، قال في الصادر عن الدليل: «المسلم من سلّم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أَمَنَهُ الناسُ على دماءهم وأموالهم»^(٥).

(١) الزهد للإمام أحمد: (ص ١٩٧)، وحلية الأولياء: (١/١٣٢).

(٢) في (س) و(ز): معصية الله.

(٣) الزهد للإمام أحمد: (ص ١٩٧)، وحلية الأولياء: (١/١٣٢).

(٤) في (د) و(ز): قال الإمام الحافظ القاضي، وفي (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم: (٢٦٢٧-بشار).

وقال: «المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»^(١).

وقال في الصادر عن التقليد ما جاء في حَدِيثٍ عن سَعْدٍ: أن النبي ﷺ أعطى رَهْطًا وترك رَجُلًا، فقال له سعد: «يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا، فقال النبي: أو مسلمًا، وكرّره مرارًا»^(٢).

معناه: لعله أسلم في الظاهر، أي: استسلم، أي: طلب ذلك في الظاهر، ولم يعتقه في الباطن.

ومنه قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا فُلَ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، فحكم على بواطنهم بما أعلمه به الظاهر الباطن.

فإن كان عن دليل وعن اعتقادٍ جَزَمَ دَلَّ على بَاطِنِهِ ظاهرُ أَفْعَالِهِ.

[نكتة بدیعة]:

وهاهنا نكتة بدیعة؛ وذلك أنه دخل هذا التقسيم من استواء الظاهر والباطن في الإسلام، وجاء الإيمان مطلقًا غير مختلف، وذلك؛ لأن المؤمن صِفَةٌ من صفات الله، فصِيْنَتْ عن الاحتمال والإشكال، والمسلم لما لم يكن من صفاته تَطَرَّقَ إليه^(٣) الاحتمال لفظًا ومعنى.

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل، رقم: (٢٧-طوق).

(٣) بعده في (س): صح.

قال الإمام الحافظ^(١): فإذا عَلِمْتُمْ معنى الإيمان والإسلام ومواردهما وفوائدهما فقد تَبَيَّنَ لَكُمْ أنهما يرجعان في الأصل إلى العِلْمِ، ولذلك قال الشيخ في الإيمان: «هو العلم بالله»^(٢).

وهو الذي فُرِضَ على النبي ﷺ في قوله: ﴿بَاغِلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ٢٠]، وقيل له: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١١].

وهذا^(٣) المفروض على الأمة، وهو العِلْمُ بالله وصفاته وأفعاله على الجُمْلَةِ والتفصيل، وَيَكْفِي من ذلك ما بيَّنَّاهُ في «العَقْدِ الْمُتَوَسِّطِ»^(٤)، وهو الدِّينُ الذي أخبر الله عنه بقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].



(١) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي رحمه الله، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر رحمه الله.

(٢) مقالات أبي الحسن لابن فورك: (ص ١٥٤).

(٣) في (د) و(ص): هو.

(٤) المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص ٤٥٩).

[الدِّينُ^(١)]: وهو الاسمُ السادس

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل

عمران: ٨٤] •

وقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] •

﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ [النحل: ٥٢] •

و﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٢٩] •

﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٢٩] •

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٦] •

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢] •

وقال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣] •

وقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ لَوَافِعٌ﴾ [الذاريات: ٦] •

وقال: ﴿قُلُوبًا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة: ٨٩] •

وقال: ﴿مَا كَانَ لِأَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

[يوسف: ٧٦] •

(١) ما بين المعقوفتين إضافة مني يقتضيها السياق.

وقال ذو الإصْبَعِ العُدَوَانِي^(١):

لَا إِبْنَ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي وَلَا أَنْتَ دِيَّانِي فَتَخْزُونِي^(٢)

وقال آخَرُ^(٣):

تَقُولُ وَقَدْ دَرَأْتُ لَهَا وَضِيئِي: أَهَذَا دِيْنُهُ أَبَدًا وَدِيْنِي
أَطْوَلَ الدَّهْرِ حَلٌّ وَارْتِحَالٌ أَمَّا تُبْقِي عَلَيَّ وَلَا تُقِيْنِي

وقال آخَرُ^(٤):

كِدِينِكَ مِنْ أُمِّ الْخُوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَا سَلِ
[٦٦/ب]

أي: هذا جزاؤك من هذه، كجزائك من التي قبلها؛ على بذلك الحبَّ
لهنَّ، واستفراغ قلبك في هواهنَّ.

وتصريفه: دَانَ يَدِينُ دِيْنًا^(٥).

وقد جاء الاسم والفعل في بيت واحد، وهو:

يَا دِينَ قَلْبِكَ مِنْ سَلَمَى وَقَدْ دِيْنَا^(٦)

(١) البيت من البسيط، وهو لحرثان العُدَوَانِي الملقب بذي الأصبع، من قصيدة في
المفضليات: (ص ١٦٠)، والأغاني: (١٠١/٣)، وأمالي القالي: (٢٤٤/١).

(٢) في (د) و(ص) و(ز): فتجزوني.

(٣) البيتان من الوافر، وهما للمُعْتَقِبِ العُدَوَانِي، من قصيدة في المفضليات:
(ص ٢٩٢)، وطبقات فحول الشعراء: (٢٧٣/١).

(٤) من الطويل، وهو لامرئ القيس في معلقته، شرح القصائد التسع المشهورة
للنحَّاس: (١٢٣/١)، وشرح المعلقات السبع للزوزني: (ص ١١).

(٥) مقاييس اللغة: (٣١٩/٢).

(٦) هذا الشطر من البسيط، وهو في كتب اللغة بدون نسبة ولا تنمة، ينظر:
المقاييس: (٣١٩/٢)، والتاج: (٥٥/٣٥).

فهو^(١): مَصْدَرٌ سُمِّيَ به الاعتقاد والعمل المقتضيان للجزاء من الله سبحانه .

والشريعة كلها دينٌ .

قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٤] ، لأن جميعها يُجَازِي الله عليه .
ودَيَان هو فعَّالٌ من الدين ؛ بناءً للكثير: الجزاء ، يقال لمن يلتزم شعائر الشريعة كلها امتثالاً وزَجْرًا .

قال النبي ﷺ: «الدين يُسَرُّ، ولن يُشَادَّ هذا الدين أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»^(٢) .

قال الإمام أبو بكر رضي الله عنه^(٣): وهذا المعنى خَفِيَ على قوم، وحقيقة معناه: أنه من أراد أن يَسْتَوْفِيَ فضائل الشريعة كلها لم يَقْدِرْ على ذلك بَشَرٌ؛ لأنه خارجٌ عن طَوْقِهِمْ ، وإنما يؤخذ من فضائله ما تيسَّر ، فمن تَعَرَّضَ لاستيفائه بل لاستيفاء نوع منها غَلَبَهُ الدينُ ، فأما استيفاء الفرائض امتثالاً واجتناباً فإنه مُمَكِّنٌ لكلِّ أَحَدٍ .

وقد مرَّ النبي ﷺ على^(٤) الحَوْلَاءِ بنتِ ثُوَيْتٍ ؛ وقد عُلِّقَتْ حَبْلًا في

(١) في (ص): وهو .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ، رقم: (٣٩-طوق) .

(٣) في (د): قال الإمام الحافظ ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر ، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي .

(٤) في (س): عن .

المسجد وهي تتعلّق به إذا ضَعُفَتْ عن القيام في الصلاة، فقال: «اكَلَفُوا من العمل ما تُطِيقُونَ، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا»^(١).

وغاية ما يتعاطاه الآدمي أن يكون مستغرق الأوقات في الطاعات، وذلك ما لا يقدر عليه بشرٌ، إنّما المستطاع أن يَعْمَرَ بالكَفِّ عن المحظور والمكروه، وأمّا أن يفعل كل طاعة فَبَعِيدٌ^(٢) عن الخَلْقِ عَسِيرٌ عليهم^(٣).

لقد رُوي عن بعضهم: «أنه كان يصلي كل يوم ألف ركعة»^(٤).

ورُوي عن^(٥) بعضهم: «أنه كان يُسَبِّحُ الله كُلَّ يَوْمٍ مائة ألف تسيحة، إلّا أن تخطى الأصابع»^(٦).

وروى أَحْمَدُ عن أبي هريرة: «أنه كان له خيط فيه أَلْفَا^(٧) عُقْدَةٍ، وكان لا ينام حتى يُسَبِّحَ به»^(٨).

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: ما جاء في صلاة الليل، (١/١٨٨)، رقم: (٣١٢) - المجلس العلمي الأعلى).

(٢) في (س) و(ص) و(ز): وأما بفعل طاعة فهو بعيد.

(٣) سقطت من (س).

(٤) الجامع الكبير: (٥/٤١٧) - بشار).

(٥) سقطت من (س).

(٦) حلية الأولياء: (٥/١٥٧).

(٧) في (ز): ألف.

(٨) أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل: (١/٣٨٣).

وكان كُرُزٌ^(١) يَخْتَم كل يوم ثلاث مرات^(٢)، وله عُوْدٌ في المحراب يعتمد عليه إذا نَعَسَ^(٣).

وكان عطاء بن السائب يَخْتَم القرآن في كل ليلتين^(٤).

وهذا أَمْرٌ رَوَيْنَاهُ وما رَأَيْنَاهُ، ولو حَاوَلْنَاهُ ما اسْتَطَعْنَاهُ، ولعلَّ الله يُؤَيِّد أوليَاءَه على طاعته، ولكنَّ الذي يُعْبَرُ^(٥) في وَجْهِ هذه الأقوال أن أَحَدًا من الصحابة لم يكن على هذه الحال، وإنَّما هذه رَهْبَانِيَّةٌ حَدَّثَتْ، وسنزيد ذلك بيانًا في مَوْضِعِهِ إن شاء الله.

تَنْبِيْهُ عَلَى وَهْمٍ:

وقد ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أن الديَّان من أسماء الله، وليس كذلك، وهو سبحانه يُجَازِي العباد بأعمالهم، ولا يُشْتَقُّ له من أفعاله أسماء، وإنَّما هو يُسَمَّى ويُوَصَّفُ بما ورد من نُعُوْتِهِ العظيمة وصفاته الكريمة، أما إنه يُخْبَرُ عنه^(٦) به في أثناء الدليل وعلى رَسْمٍ / التَّعْرِيفِ، فإذا كان في الدعاء والابتهال وَقَفَّ على مَوْرِدِ الشَّرْعِ في الصفات والأسماء^(٧).

[١/٦٧]

(١) العابد الناسك، كرز بن وبرة الحارثي، من جرجان، ترجمته في حلية الأولياء:

(٧٩/٥-٨٣).

(٢) حلية الأولياء: (٧٩/٥).

(٣) حلية الأولياء: (٨٠/٥).

(٤) مختصر قيام الليل للمروزي: (ص ١٥٧).

(٥) في (س): يعبر.

(٦) سقطت من (ص).

(٧) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١٩٨/١-٢٠٠).

وقد روى أحمد بن حنبل عن عمر قال: «وَيْلٌ لِدَيَّانِ الْأَرْضِ مِنْ دَيَّانِ السَّمَاءِ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، إِلَّا مَنْ حَكَمَ بِالْعَدْلِ وَقَضَى بِالْحَقِّ، وَلَمْ يَقْضِ لِقَرَابَةٍ وَلَا لِهَوًى، وَلَا لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ»^(١)، وَجَعَلَ كِتَابَ اللَّهِ مِرَاةً بَيْنَ عَيْنَيْهِ»^(٢).
وقال أبو الدرداء: «الْبِرُّ لَا يَبْلَى، وَالْإِثْمُ لَا يُنْسَى، وَالِدَيَّانُ لَا يَنَامُ، فَكُنْ كَمَا شِئْتَ، كَمَا تَدِينُ تُدَانُ»^(٣).

تكملة:

وقد عَبَّرَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] عَنِ الدِّينِ بِمُعْظَمِهِ فَقَالَ^(٤): «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، اللَّهُ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»^(٥)، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.
فَضَائِلُ الْعِلْمِ وَمَا يَرْتَبِطُ بِهِ مِنَ الْعَقْلِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالِدِّينِ:
وقد انتدب قَوْمٌ لِلْعِلْمِ فَأُطْنِبُوا فِي أَوْصَافِهِ وَفَرَائِضِهِ وَفَضَائِلِهِ.
فَأَمَّا أَوْصَافُهُ فَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا^(٦) بِمَا تَقْتَضِيهِ هَذِهِ الرِّسَالَةُ مِنَ الْإِخْتِصَارِ.

وَأَمَّا الْفَضَائِلُ فَقَدْ أَكْثَرَ الْخَلْقُ فِي ذَلِكَ وَأُطْنِبُوا، وَصَعَدُوا وَاسْتَفَلُوا^(٧)، وَعَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ مَا احْتَمَلُوا، وَهُمْ مُطَالِبُونَ بِالْقِيَامِ بِمَا حُمِّلُوا،

(١) قوله: «ولا لرغبة» سقط من (د).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في الزهد: (ص ١٥٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في الزهد: (ص ١٧٦).

(٤) في (ص): فقال ﷺ.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كتاب الإيمان، باب بيان أن

الدِّينُ النَّصِيحَةُ، رقم: (٥٥-عبد الباقي).

(٦) في (س): إليه.

(٧) في (س): أسفلوا.

وليس في هذا الباب أَثَرٌ يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ، وَلَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ، فَلَا تَشْغَلُوا بِأَحَادِيثِهِ^(١) بَالًا، وَلَا تَسْطُرُوا بِذِكْرِهِ^(٢) مَقَالًا، فَإِنْ فَضَّلَ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَ، وَالَّذِي صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِ عَشْرَةٌ^(٣) أَحَادِيثُ^(٤):

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(٥).

[الثاني]: وقوله ﷺ^(٦): «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا^(٧) طَائِفَةٌ^(٨) إِخَاذَاتٍ^(٩) أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسُقُوا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تَنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ اللَّهُ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»^(١٠).

(١) في (س) و(ص) و(ز): بأحاديثها.

(٢) في (س) و(ص): أو تذكروا.

(٣) في (د): ثلاثة، وسقطت من (ص).

(٤) ذكر منها ثمانية فقط.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن معاوية ﷺ: كتاب العلم، باب من يريد الله به خيرًا يفقهه في الدين، رقم: (٧١-طوق).

(٦) في (س) و(ص): قال.

(٧) في (ص) و(د): منه.

(٨) سقطت من (د).

(٩) في (ص) و(د) و(ز): أجادب، وما أثبتته هو رواية أبي ذر الهروي.

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى ﷺ: كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، رقم: (٧٩-طوق).

قال الإمام الحافظ ^(١) رحمه الله: فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ لثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ، فَسَرَّ مِنْهَا الْأَوَّلُ وَالثَّانِي، وَتَرَكَ الثَّالِثَ، وَهِيَ: الْإِخَاذَاتُ ^(٢) الَّتِي تُمَسِّكُ الْمَاءَ وَلَا تُنْبِتُ الْكَلَأَ ^(٣)، وَهُوَ الَّذِي يَحْفَظُ الْعِلْمَ وَلَا يَفْقَهُهُ وَلَا يَعْلَمُهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ بَيَّنَّهُ فِي حَدِيثٍ آخَرَ صَحَّ مِنْ غَيْرِ الصَّحِيحِ.

[الثالث]: قال النبي ﷺ: «نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَاتِي فَوَعَاها، وَأَدَّأها كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرِ فِقْهِهِ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ» ^(٤).

[الرابع]: وقال ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ؛ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَيَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا» ^(٥).

[الخامس]: وقال ﷺ ^(٦): «إِذَا مَاتَ الْمَرْءُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ؛ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ^(٧)، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» ^(٨).

(١) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر محمد بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٢) في (د) و(ص) و(ز): وهو الأجاذب.

(٣) سقطت من (س) و(ص) و(ز).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن زيد بن ثابت رحمه الله: أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم: (٢٦٥٦-بشار).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رحمه الله: كتاب العلم، باب الاغتناب في العلم والحكمة، رقم: (٧٣-طوق).

(٦) في (د): عليه السلام.

(٧) في (د): أو علم علمه.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رحمه الله: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم: (١٦٣١-عبد الباقي).

قال الإمام الحافظ رحمته الله: وَهُمْ سِتَّةٌ ، هؤلاء الثلاثة ^(١) .

وقال النبي ﷺ: «ما من مسلم يَغْرِسُ غَرْسًا أو يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ إنسانٌ أو بهيمةٌ إلَّا كان له حسنات إلى يوم القيامة» ^(٢) .

وقال ﷺ ^(٣): «من سنَّ سنةً حسنةً في الإسلام كان له أجرُها وأجرُ من عَمِلَ بها إلى يوم القيامة ، لا يَنْقُصُ ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن سنَّ سُنَّةً سيئةً في الإسلام كان عليه وزْرُها ووزْرُ من عَمِلَ بها إلى يوم القيامة ، لا ينقص ذلك من أوزرهم شيئًا» ^(٤) .

وقال النبي ﷺ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ على عمله إلَّا الذي مات مُرَابِطًا في سبيل الله ؛ فإنه يُنَمَّى له عمله إلى يوم القيامة ، ويَأْمَنُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ ، والمجاهدُ من جاهد نفسه» ^(٥) ، صَحِيحٌ .

[السَّادِسُ]: وقال - أيضًا - ﷺ: «الناسُ معادن ؛ خِيَارُهُمْ فِي الجاهلية خِيَارُهُمْ فِي الإسلام إذا فَهَّوْا» ^(٦) .

(١) وذكر ابن العربي تمام الستة ، وهي الأحاديث الثلاثة التي تلي قوله هذا .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الحرث والمزارعة ، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه ، رقم: (٢٣٢٠-طوق) .

(٣) في (د): عليه السَّلام .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه: كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ، رقم: (١٠١٧-عبد الباقي) .

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه: أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في فضل من مات مرابطًا ، رقم: (١٦٢١-بشار) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلنَّاسِ لِلَّذِينَ أَلْبَسُوا﴾ ، رقم: (٣٣٨٣-طوق) .

[السابع]: وقال ﷺ: «ما اجتمع قومٌ في مسجد من مساجد الله؛ يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتْهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يُسرَّعْ به نسبه»^(١).

[الثامن]: وقال ﷺ^(٢): «من سَلَكَ طريقًا يلتمس فيه علمًا سَلَكَ الله به طريقًا إلى الجنة»^(٣).

[كتابُ العقل لداود بن المحبّر]:

وأما العَقْلُ فليس فيه حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَلَا حَسَنٌ، وقد قرأنا ببغداد «كتابَ العَقْلِ»^(٤) لداود بن المُحَبَّر^(٥)، جُزْءًا على القاضي أبي المُطَهَّر

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم: (٢٦٩٩-عبد الباقي).

(٢) في (د): عليه السلام.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب فضل طلب العلم، رقم: (٢٦٤٦-بشار).

(٤) قال فيه الدارقطني: «كتاب العقل وضعه أربعة، أولهم ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقة منه داود بن المحبّر؛ فركبَه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، وسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء فركبَه بأسانيد آخر، ثم سرقة سليمان بن عيسى السَّجَزِي فَأَتَى بأسانيد أخرى»، تاريخ بغداد: (٣٢٨/٩)، ويروي ابن العربي «كتاب العقل» عن أبي المُطَهَّر من طريق الحارث بن أبي أسامة.

(٥) داود بن المحبّر بن قَحْدَم بن سليمان بن ذكوان، أبو سليمان البصري، ت ٢٠٦هـ ببغداد، روى له أبو داود وابن ماجه، قال فيه الخطيب البغدادي: «حال =

سعد بن عبد الله بن أبي الرجاء الأصفهاني ، وكُلُّهُ أو أكثرُهُ آثارٌ عن النبي ﷺ ليس لها أَصْلٌ ، أمثلُها - ولا مِثِلَ فيها - حَدِيثٌ : «قيل له : أَقْبَلْ فَأَقْبَلْ ، وَأَذْبِرْ فَأَذْبِرْ»^(١) ، وهذا الجزء هو الذي أَحَلَّ بِداوُدَ فَحَطَّ مَرَّتَبَتَهُ ؛ فلم يُرَوِّ عنه^(٢) ، وأخوه بَدَلٌ^(٣) تَرَكَه ، فخرَّج عنه البخاري وغيره ، فكانا^(٤) كما قيل في المثل مَقْلُوبًا :

داوُدُ مَحْمُودٌ وَأَنْتَ مُذَمَّمٌ عَجَبًا لَذاكَ وَأَنْتُمَا مِنْ عُوْدٍ
فَلَرُبَّ عُوْدٍ قَدْ يُشَقُّ لِمَسْجِدٍ نِصْفًا وَسائِرُهُ لِحُشٍّ يَهُودٍ^(٥)

= داود ظاهرة في كونه غير ثقة ، ولو لم يكن له غير وضعه «كتاب العقل» بأسره كان دليلًا كافيًا على ما ذكرته ، تاريخ بغداد : (٣٢٨/٩) ، وقال فيه ابن عدي : «وعن داود كتاب قد صنفه في فضائل العقل ، وفيه أخبار مسندة ، وكل تلك الأخبار أو عامتها غير محفوظات» ، الكامل : (١٠١/٣) ، وينظر : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : (٤٢٤/٣) ، وتهذيب الكمال : (٤٤٧/٨) .

(١) حديث موضوع ، آفته داود بن المحبّر ، وأخرجه أيضًا ابن أبي الدنيا في كتاب العقل وفضله : (ص ٤٠) ، وليس يصح في العقل حديث ؛ كما قال الحافظ ابن العربي ، وكذلك قال الإمام ابن حبان ، قال - رحمه الله - «لست أحفظ عن النبي ﷺ خبرًا صحيحًا في العقل» ، روضة العقلاء : (ص ١٦) .

(٢) أي : لم يَعتنِ الحفاظُ بأحاديثه ، فلم تخرَّج في الصحاح وما قاربها .

(٣) بَدَلُ بن المُحَبَّر بن المنبه التميمي البصري ، وليس بأخ لداود ، أخرج عنه البخاري وغيره ، ينظر : تهذيب الكمال : (٢٨/٤) .

(٤) في (س) : فكان .

(٥) من الكامل ، وهي لعبد الله بن محمد ابن أبي عيينة ، وهما في الشعر والشعراء : (ص ٧٥٥) ، والأغاني : (١١٧/٢٠) .

[المفاضلة بين الإيمان والإسلام]:

وأما الإيمان والإسلام فأمْرُهُما عَظِيمٌ، وشَأْنُهُما كَبِيرٌ، وقد وردت أحاديثٌ يسيرةٌ في تفصيل التفضيل^(١) فيهما^(٢)، فأما ذواتُهُما^(٣) فأفضل من أن تُفَضَّلَ.

١
قال عبد الله بن مسعود: / «والذي لا إله غيره»^(٤)، ما يُضُرُّ عَبْدًا يُصْبِحُ على الإسلام ويُمِسي ما أصابه في «الدنيا»^(٥).^(٦)

وقد روى^(٧) بعضهم عن النبي ﷺ: أنه قيل له: «أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمانٌ بالله وجهادٌ في سبيله»، وسئل: «أي الإسلام خير؟ قال: أن تُطْعِمَ الطعام»، كما تقدّم فيهما^(٨).

وسئل النبي ﷺ: «أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خَلَقَكَ»^(٩)، الحديث.

(١) في (س): تفضيل التفصيل.

(٢) في (س): فيها.

(٣) في (د): ذاتهما.

(٤) في (د): «لا إله إلا هو»، «لا إله غيره».

(٥) في (د): من.

(٦) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء: (١/١٣٢).

(٧) في (د) و(ص) و(ز): روي عن النبي.

(٨) تقدّم تخريجهما.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كتاب التفسير، باب،

رقم: (٤٤٧٧-طوق).

وَأَمَّا الدِّينُ: فَالْمِلَّةُ؛ مشهورةُ الفضائل^(١).

تَنْبِيْهُ عَلَى وَهْمٍ: [طلب العلم فريضة]

رَوَى قَوْمٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ»^(٢).

وَقَالَ فِيهِ بَعْضُهُمْ: «فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ»^(٣).

وَالْأَوَّلُ: صَحِيحُ الْمَعْنَى، بَاطِلُ السَّنَدِ.

وَالثَّانِي: بَاطِلُ الْوُجْهِينَ.

وَكُلُّ حِكْمَةٍ صَحَّ مَعْنَاهَا دِينًا لَمْ يَحِلَّ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى النَّبِيِّ.

وَالثَّانِي: فَاسِدُ الْمَعْنَى لَا يَصَحُّ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ^(٤).

قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: «مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَهْمٌ بِالْحَدِيثِ؛ يَعْرِفُ صَحِيحَهُ مِنْ سَقِيمِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْظُرَ فِي طَرِيقِهِ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتَغَلَ بِطَلْبِهِ».

(١) فِي (س) وَ(ز): الْفَضْلُ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (٢٣/١)، وَالْخَطِيبُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ: (٢٥٢/٥)، قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: «هَذَا حَدِيثٌ يُرَوَّى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ وَجْهِ كَثِيرٍ، كُلُّهَا مَعْلُومَةٌ، لَا حُجَّةَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ مِنْ جِهَةِ الْإِسْنَادِ»، وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَافِئٍ: «طَلَبُ الْعِلْمِ وَاجِبٌ، وَلَمْ يَصَحَّ فِيهِ الْخَبَرُ»، قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: «يُرِيدُ إِسْحَاقُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنْ حَدِيثَ وَجُوبِ طَلْبِ الْعِلْمِ فِي أَسَانِيدِهِ مَقَالٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ بِالنَّقْلِ، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ صَحِيحٌ عِنْدَهُمْ»، جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ: (٥٣/١)، وَسُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ: «لَا يَثْبُتُ عِنْدَنَا فِيهِ شَيْءٌ»، الْمُنْتَخَبُ مِنَ الْعِلَلِ لِلْخَلَّالِ: (ص ١٢٨).

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَانَ فِي الْمَجْرُوحِينَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: (١٦٠/٢)، وَفِيهِ عِبَادُ بْنُ كَثِيرٍ؛ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ، وَالْحَدِيثُ بَاطِلٌ مُنْكَرٌ.

(٤) فِي (س): إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

ولم يَفْتَحِ البائسون بحديث موسى في رحلته إلى الْخَضِرِ يَطْلُبُ الْعِلْمَ
حتى اخْتَلَقُوا ما لا معنى له ، إلى أحاديث لا حصر لها ولا أصل .

[الوصاة بالأحاديث الصحيحة]:

فاقبضوا على ما في كَفِّ الإسلام منها ، واضبطوا عليه بها ، فياليتكم
حَصَلْتُمُوهُ عُمَرُكُمْ ، وما أَرَأَكُمْ فاعلين ولا لها ، ولو فعلتم مُطِيقِينَ إِلَّا بتوفيق
رَبِّ العالمين^(١) وفضله ورحمته ، واعتمدوا من أحاديث^(٢) الْكَفِّ على ما
صَحَّ وَثَبَتْ ، ففيها ضَعِيفٌ كثير ، ولا تكونوا كمن أحرز^(٣) ناقةً أو شاةً من
هَجْمَةٍ^(٤) أو قَطِيعٍ فترك الْكُومَاءَ^(٥) والرُّبَّى^(٦) ، وَعَمَدَ إلى المريضة والهزيلة ،
بل قد تركتم هذا كله وعمدتم إلى الميتة ، وتركتم السمين والهزيل ،
وجعلتم تأكلون الميتة وتُطْعِمُونَهَا سواكم ، فياليت شعري ما حُجَّتْكُمْ
عند ربكم ؟

وقد أخبرني^(٧) بدمشق الشيخ الحافظ^(٨) أبو محمد هَبَّةُ اللَّهِ بن أحمد

(١) في (س): فضل رب العالمين .

(٢) في (س): حديث .

(٣) في (س): جزر .

(٤) في (س): عجمة .

(٥) في طرة بـ (س): الكوماء: الطويلة السنام .

(٦) الرُّبَّى: هي التي تُرَبَّى في البيت لأجل اللبن ، تاج العروس: (٢/٤٧٠) .

(٧) في (ز): أخبرنا .

(٨) سقط من (ص) .

الأكفاني^(١): نا أبو محمد^(٢) عبد العزيز الكتّاني الحافظ قال: نا^(٣) أبو الحسين^(٤) عبد الوهاب^(٥) الميداني^(٦): نا^(٧) أبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد^(٨) السلمي قال: نا^(٩) أبو بكر [القاسم]^(١٠) العصار^(١١): أنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني^(١٢): «بأن الله عز وجل قال: ﴿لَنَسْأَلَنَّهُ أَذِينَ﴾
 ﴿رُسُلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّهُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

(١) المحدث العلامة الإمام، هبة الله بن أحمد بن محمد بن أحمد الأنصاري الدمشقي، أبو محمد ابن الأكفاني، (٤٤٤-٥٢٤هـ)، كان ثقة عارفاً ثباتاً، معنياً بالحديث وجمعه، روى عنه ابن العربي «فضائل مالك بن أنس» لابن الجبان، و«محنة الشافعي»، والإسناد الذي أورده ابن العربي من طريقه هو إسناده إلى «أحوال الرجال» للجوزجاني، وأول من أدخله إلى الأندلس هو ابن العربي، ذكر ذلك في آخر «السراج»، ينظر: فهرس ابن خير: (ص ٣٤٧)، وسير النبلاء: (١٩/٥٧٦-٥٧٨).

(٢) قوله: «أبو محمد» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٣) في (س): أنا.

(٤) في (س) و(د): الحسن.

(٥) سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٦) في (س) و(ز): الهمداني، وهو تصحيف.

(٧) في (س): أنا.

(٨) قوله: «عبد الجبار بن عبد الصمد» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٩) في (س): أنا.

(١٠) في طرة ب (د) كلمة غير واضحة، ويقرب أن تكون كما كتبتها، وسقطت من

النسخ الأخرى.

(١١) في (س): العطار، وهو تصحيف.

(١٢) في (س): الجرجاني، وهو تصحيف.

وقد حدَّثني ^(١) علي بن الحسن ^(٢) قال: سمعت عبد الله - يعني: ابن المبارك - يقول: إذا ابتليت بالقضاء فعليك بالأثر.

قال علي ^(٣): فذكرته لأبي حمزة محمد بن ميمون الشُّكْرِي ^(٤)؛ من أهل مرو، ولا بأس به، فقال: هل تدري ما الأثر؟ أن أحدثك بالشيء فتعمل به، فيقال لك يوم القيامة: من أمرك بهذا؟ فتقول: أبو حمزة، فيجاء بي ^(٥) فيقال: إن هذا يزعم أنك أمرته بكذا وكذا، فإن قلت: نعم، خُلِّيَ عنك، ويقال لي: من أين لك هذا؟ فأقول: قال لي الأعمش، فيُسأل الأعمش، فإذا قال: نعم، خُلِّيَ عني، ويقال للأعمش: من أين قلت هذا؟ فيقول: قال لي إبراهيم، فيُسأل إبراهيم، فإن قال: نعم، خُلِّيَ عن الأعمش ^(٦) وأُخذ إبراهيم، فيقال له: من أين قلت هذا؟ ^(٧) فيقول: قال لي [٦٨/ب] علقمة، فيُسأل علقمة، فإذا قال: نعم، خُلِّيَ عن إبراهيم، ويقال له: من أين قلت هذا؟ ^(٨) فيقول: قال لي عبد الله بن مسعود، فيُسأل عبد الله بن مسعود، فإن قال: نعم، خُلِّيَ عن علقمة، ويقال لابن مسعود: من أين قلت؟ فيقول: قال لي رسول الله ﷺ، فيُسأل رسول الله ﷺ فيقول: قبالي لي جبريل، حتى ينتهي إلى الرب، فهذا الأثر.

(١) القائل هنا هو الجوزجاني.

(٢) في (س) و(ص): الحُسَيْن، وهو تصحيف.

(٣) في (س) و(ز): قال علي بن الحُسَيْن.

(٤) في (س) و(ز): السُّكُونِي.

(٥) سقط من (د) و(ص).

(٦) في (س): عنه.

(٧) سقط من (د) و(ص).

(٨) سقط من (ص) و(د).

فالأمر جدٌ غير هزلٍ، إذ كان يُشفي على جنة أو نار؛ ليس بينهما
 هناك منزلٌ، وليعلم أحدكم^(١) أنه مسؤولٌ عن دينه، وعمَّن^(٢) أخذه، وحلَّه
 وحرامه^(٣)، كالذي^(٤) [حدثني أشهل بن حاتم عن ابن عون عن محمد قال:
 إنَّ هذا العلم دينٌ؛ فليَنظر امرؤُ عمَّن يأخذ دينه]»^(٥).

[كُتِبَ الزهد]:

وإذا لم يكن لكم بُدٌّ من قراءة «كتب الزهد» فلا تشتغلوا منها إلَّا
 بثلاثة؛ «كتاب ابن المبارك»، و«ابن حنبل»^(٦)، و«هناد بن السري»^(٧)،
 فهي أمثلها، وهم أجلُّ الزهاد، وأعلمهم، وأكثرهم حَوطَةً على المسلمين،
 وأبصرهم بما يَرَوْن^(٨).

(١) سقط من (س).

(٢) سقطت من (ص) و(س).

(٣) قوله: «حلّه وحرامه» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٤) بعده في (د) علامة اللحق، ولا يكاد يظهر شيء، والاستدراك من كتاب أحوال
 الرجال للجوزجاني: (ص ٣٥٩).

(٥) أحوال الرجال للجوزجاني: (ص ٣٥٩).

(٦) بعده في (س) و(ص) و(ز): والسري أبي السري، وضرب عليها في (د).

(٧) يروي ابنُ العربي «كتاب الزهد» لهناد عن ابن الطُّيُوري، فهرس ابن خير:
 (ص ٣٤١).

(٨) بعده في (ص): آخر الجزء الأوَّل، وأوَّل الثاني: بسم الله الرحمن، قال الإمام
 الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رحمته الله: أقسام العلوم.

أقسام العلوم:

والعلم وإن كان معنى واحداً، وحقيقة واحدة؛ ولكنه ينقسم أقساماً كثيرة من جهات مختلفة، من جهة صفاته، واختلاف متعلقاته، وما يتصل به، ويرتبط معه.

أما^(١) انقسامه من جهة صفاته فأمر يختص به أهل السنة، فإنهم يقولون: إنه على قسمين: قديم ومخلوق، فعلم الله هو الذي لا أول له^(٢)، يتعلّق بالمعلومات كلها على اختلاف أنواعها؛ من قديم ومحدث، وموجود ومعدوم، على الجملة والتفصيل، لا يعزّب عنه معنى يصحّ أن يتعلّق به علم، ولا يتقدّر في وهم، فهو بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير.

والمقصود من العلم: العلم بالله تعالى، وبه يتعلّق جميع المعلومات، فإننا نفتقر إلى أن نعلم ذاته وصفاته ومخلوقاته، ونعلم من ذلك جملة من تفصيل، وقليلاً من كثير، إذ الإحاطة له خاصة، ونعلم من وجه، ونجهل من وجه، ويطرأ علينا السهول والذهول والشك، ويُعَدَمُ علمنا، وهو القدوس عن ذلك كله، وجبّت له صفات الكمال، وتفرّد بنعوت الجلال.

وتنقسم العلوم من جهة طرقها إلى ثلاثة أقسام؛ قسم يُنبِث في النفس ابتداءً، وقسم يُعلم بالحواس، وقسم يُعلم بالقياس على هذين القسمين؛ وهو الأكثر، وهو المأمور به، وهو المسمى بالعلم النظري^(٣).

(١) في (ص) و(د): فأما.

(٢) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص ١٩٠)، والأمد الأقصى

- بتحقيقنا -: (١٠/٢).

(٣) في (د): وهو العلم المسمى بالنظري.

وينقسم من جهة متعلقاته إلى ثلاثة أقسام^(١):

الأول: معرفة الله تعالى بذاته وصفاته، وأفعاله وأحكامه، وهو المطلوب.

والثاني: معرفة أفعال المكلفين.

والثالث: معرفة الجزاء في الآخرة.

ولو قلت: إنه قسّم واحد؛ معرفة الله بذاته وصفاته وأفعاله، لدخل ذلك كله فيه، وانتظم به، وينبغي ذلك على معرفة المرء بنفسه، فمن لا يَعْرِفُ نَفْسَهُ لا يعرف ربّه، إذ لا سبيل إلى معرفة الله إلا بالاستدلال عليه، وهذا مَسْطُورٌ مُوَضَّحٌ في كتاب الله فليُنْظَرُ فيه، فليس له صفة كمال، ولا/ للمُلْحِدَةِ شُعْبَةٌ ضلال إلا وهو^(٢) في كتاب الله مُوَضَّحٌ، قال الله تعالى: ﴿مَّا بَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وأما أَحْكَامُ أفعال المكلفين: ففي^(٣) القرآن الإيضاح لها، والإحالة أيضاً على بيان النبي ﷺ فيها.

رُوي في الصحيح عن ابن مسعود: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمُتَنَمِّصَاتِ، والمُتَقَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللهُ، فجاءته امرأة فقالت: إنه بلغني أنك لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فقال: وما لي لا أَلْعَنُ من لعن رسولُ الله ﷺ، ومن هو في كتاب الله، فقالت له: قرأتُ

(١) ينظر: قانون التأويل: (ص ٢٣٠).

(٢) قوله: «في كتاب الله فليُنْظَرُ فيه، فليس له صفة كمال، ولا للمُلْحِدَةِ شُعْبَةٌ ضلال إلا وهو» سقط من (د) و(ص).

(٣) في (د): في.

ما بين اللّٰوْحَيْنِ فما وجدت فيه ما تقول ، فقال : لئن كنت قرأته لقد
وجدته ، أمّا قرأت : ﴿ وَمَا آتَايَكُمْ الرَّسُولُ فَاْخُذُوْهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ
فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧] ؟ قالت : بلى ، قال : فإنه قد نهى عنه ^(١) .

وَتَرْكِهٖ ^(٢) النفس وتطهيرها والخروج عن آفاتِها بِالْقَلْبِ والجَوَارِحِ عِلْمٌ
مُّحَكَّمٌ في القرآن والسنة ، وهو نِصْفُ الْعِلْمِ من جهة ، إذ ^(٣) الْعِلْمُ وَجْهَانِ ؛
معرفة الخالق ، ومعرفة الخلق .

فتنخَّل لك أن علوم الشريعة ^(٤) ثلاثة ؛ «التَّوْحِيدُ» ، و«الأحكام» ،
و«التَّذْكِيرُ» ، ويدخل عليها «الناسخ والمنسوخ» ، وهو منها ، وقد مهَّدنا في
ذلك فُنُونًا عظيمةً في «أنوار الفجر» .

وهذه «الرسالة» هي مُجَرَّدَةٌ في قِسْمِ الذِّكْرِ ، فإنَّ من معرفة النفس
معرفة الأسماء والصفات ، في الأحوال والمقامات ، وسترون ذلك إن شاء
الله .

فإنكم إذا عَقَلْتُمْ ما كنتم به مخاطبين ، وَعَلِمْتُمْ ما غَدَوْتُمْ به جاهلين ،
وذكرتم ما كنتم عنه غافلين ، وصدَّقتم بما غدا سواكم به مُكْذِبِينَ ، وطلبتُم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب اللباس ، باب المتنمصات ، رقم : (٥٩٣٩) -
طوق .

(٢) في (س) : تركية .

(٣) بعده في (د) : إلى ، ولا وجه لها .

(٤) في (د) و(ص) و(ز) : الشرع ، وأشار إليه في (س) .

الإيمان من المؤمن^(١)، والإسلام من السَّلام، وخلعتم كل معبود سواه، ولم تُؤمِّلُوا غيره؛ فقد وَفَيْتُمْ بِالْعَهْدَةِ، وأَحْكَمْتُمُ الْعُقْدَةَ.

وقد روى ابن عمر عن النبي ﷺ - واللفظ لمسلم -: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، عَلَى أَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ»^(٢)، وَذَكَرَ بَاقِيهَا، فَجَعَلَ التَّوْحِيدَ أَصْلَ الدِّينِ وَجُمْلَتَهُ، وَهُوَ:



(١) فِي (س): الْمُؤْمِنِينَ.

(٢) تَقَدَّمَ تَحْرِيجُهُ.

الاسم السَّابِعُ: المَوْحِدُ^(١)

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال النبي ﷺ - واللفظ للبخاري - لمعاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن: «إنك تقدم على قوم أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يُوحِّدُوا الله، فإذا فعلوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات»^(٢)، وذكر الحديث.

وهو قوله في القرآن والحديث: «أن لا تشركوا بي شيئاً»، أي: لا تجعلوا له مثلاً في ذات ولا صفات ولا أفعال، فذلك إثبات حقيقة التوحيد، له ذاتاً وصفة وفِعْلاً، وفِيكَ^(٣) عَقْدًا وَقَوْلًا وَعَمَلًا.

بيان سهولة التوحيد:

وقد عَظَّمَهُ قَوْمٌ على الخلق حتَّى أَيْأَسُوهم منه، وما أعظمه قَدْرًا! وما أقربه تَيْسِيرًا^(٤)! ولقد رضي الله فيه باليسير، وأدناه لعباده باليسير، وأمرهم به بسابق الحُكْمِ والتقدير فقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾

[النساء: ٣٦].

(١) سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، رقم: (١٤٥٨-طوق).

(٣) ضرب عليها في (د).

(٤) في (س) و(ص): يسراً.

فالتوحيد هو: أن لا / ترى لله شريكاً؛ بأن لا تعتقد سواه خالقاً ولا معبوداً، وأنه فعَّال لما يريد، ولا يُسأل عما يفعل، والخلْق^(١) يُسألون، وأدلة هذا كله قرآنيَّةٌ قرييةٌ على الخلق.

وقد قالوا: إنه بحر لا ساحل له، وصَدَقُوا، وهو نَهْرٌ عَذْبٌ تخوضه بالقدَم، وتُدركه بالعلم في أسرع وقت وعلى أنْهَج أَمَمٍ، وإنَّما عَظَّمَهُ كثرة الشاكِّين، وتخليط المُلحدِّين، ونزغات الشياطين.

وَإِذَا كُنْتَ منشِرح الصدر على نُورٍ من الله لم يَعْظُمْ عليك شَيْءٌ مِّمَّا تَلْقَى، وإن أخطأتك الهدايةُ فَأَنْتَ بكلِّ طريقٍ طَرِيحٌ مُلْقَى، وقد قابل الله كلَّ ما تخافُ^(٢) اعتراضه^(٣) من ذلك بحُجَجِهِ الظاهرة في كتابه المُبين، وبينها خاتم المرسلين، وها أنا أوردُها عليكم في هذه الرسالة مَجْلُوءَةَ الحُلَى؛ على ترتيب العلماء الراسخين:

وَإِذَا عَرَفْتُمْ أَنَّهُ لا خالق سواه، ولا معبود إلَّاهُ^(٤)، فله الخَلْقُ لنا وفينا، ومِنَّا الطاعة له خَلْقًا وَحَقًّا، فمن يُرْجَى بعده لُمْلِمَةٌ؟ أو لَكَشْفِ عَظِيمَةٍ^(٥)؟ أو لَهْدِي كَرِيمَةٍ^(٦)؟ وعن هذا وقعت الإشارة من النبي في قوله لرجل^(٧): «أَسْلَمْتُ وَتَخَلَّيْتُ»^(٨)، خَرَّجَهُ النَّسَائِيُّ.

(١) في (ص): هم.

(٢) في (س): يخاف.

(٣) في (س): اعتقاده.

(٤) في (س) و(ز): إلَّا هو.

(٥) في (س) و(ص): يكشف العظيمة.

(٦) في (س) و(ص): يهدي الكريمة.

(٧) بعده في (س) و(ص) و(ز): قل، وضرب عليها في (د).

(٨) أخرجه النسائي في الكبرى من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: كتاب

الزكاة، باب من سأل بوجه الله، رقم: (٢٣٦٠-شعيب).

المعنى: قصدت السلامة؛ ولم أَدْعُ سواك، ولا رجوت غيرك، ولا يكون التَّخْلِي^(١) في العلوم إلا بالتَّخْلِي عن الأفعال والهموم. والمَوْحِدُ^(٢): هو الذي يَعْلَمُ هذا بقلبه، ويعتقده ويقول بلسانه، وتظهر ثمراته على جوارحه في أفعاله.

والمُلْحِدُ: لا يعلم ذلك ولا يقوله.
والمناقق: يقوله ولا يعتقده.

والقاصر: يعتقده ويقول، ولا يظهر أثره على جوارحه.
وهذا^(٣) الناقص الحالة، الناقص المرتبة، الناقص العاقبة.
فأما نقصان حالته؛ فلا يدخل في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، وأمثاله.

وأما نقصان مرتبته؛ فإنه لا يكون شاهداً دُنياً^(٤) ولا آخرة، ولا يكون إماماً ولا أميناً.

وأما نقصان حاله في العاقبة؛ فحسب حاله في الخلاف والتقصير، وقد تَخْتَلِجُ الشكوك في القلب، وتعرض العوارض حتى يأتي الله باليقين.

[إسلام أبي سفيان وزوجه هند رضي الله عنهما]:

قال أبو سفيان حين سأله هِرْقُلُ عن النبي وصفاته ومقاله، وراجعته هِرْقُلُ عن ذلك بما راجعه في الحديث المشهور، قال أبو سفيان: «فما زلت مُوقِنًا أن أَمَرَ رسول الله ﷺ سيظهر»^(٥).

(١) في (س): التخلي، وفي (ص): التجلي.

(٢) في (د) و(ص): الموحد.

(٣) في (د): هو.

(٤) في (س): ديناً.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الوحي، رقم: (٧-طوق).

فلَمَّا كان ليلة الفتح ولقيه العباس بالأذاخر، وجاء به، ووقَّف بين يدي رسول الله ﷺ^(١)، وعُمِّرَ قد تبعه ليقته، فقال له النبي ﷺ: «أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله؟ فقال له أبو سفيان^(٢): أما هذا فقد علمت أنه لو كان مع الله غيره لأغنى عني^(٣)، قال له: أما آن لك أن تشهد أن محمداً رسول الله؟ قال له أبو سفيان: أمّا هذه ففي النفس منها شيء، فقال له العباس: ويحك؛ تشهد قبل أن تُضرب عنقك، فتشهد^(٤) شهادة الحق^(٥).

ولم تكن تخفى^(٦) على أبي سفيان منزلته، ولا ضلّت عليه معجزته، ولكنها كانت أنفة ذنيّة، وهمة جاهليّة، وحالاً^(٧) اقتضتها العصبية، وحسن بعد ذلك إسلامه، وإسلام الفاضلة زوجة هند بنت عتبة، وجاءت إلى النبي ﷺ فقالت له: «يا رسول الله، والله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليّ من أن يذلّوا من أهل خباثك، وما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليّ أن يعزّوا من أهل خباثك، فقال لها رسول الله ﷺ^(٨): وأنا كذلك^(٩)، وناهيك بها^(١٠) منقبة وشرفاً.

١
[١/٧٠]

(١) بعده في (د): به.

(٢) قوله: «فقال له أبو سفيان» سقط من (س).

(٣) في (س) و(ص): لو كان غير الله لأغنى عني.

(٤) في (س) و(ز): فشهد.

(٥) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه عن ابن عباس ؓ: (١١/٨)، رقم: (٧٢٦٤)، فيه محمد بن إسحاق، وهو حسن الحديث.

(٦) في (د): لم يكن يخفى.

(٧) في (د): حال.

(٨) في (د) و(ص) و(ز): النبي.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة ؓ: كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر

هند بنت عتبة ؓ، رقم: (٣٨٢٥-طوق).

(١٠) في (د) و(ص): بهذا.

وعندي هاهنا نُكْتَةُ؛ أن بني أمية إنما ارتفعوا بهذه الإشارة، واستسعدوا^(١) بهند فيها، وما أجرى الله على لسان النبي^(٢) منها، فاعتزَّ القَوْمُ وملكوا الأرض، وظهروا على من^(٣) سواهم ممَّن ناوهم، ما أقاموا الحق واعتمدوا التأويل، فلما غَيَّرُوا غَيَّرَ اللهُ بهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١٢].

قال الإمام الحافظ أبو بكر^(٤) رحمته الله: فقد تبين أن حقيقة التوحيد أن لا تعتقد خالقاً إلا الله، ولا معبوداً سواه، وأنه فعَّال لما يريد، وأنه قد كتب العبدَ شقيّاً أو سعيداً، صحيحاً^(٥) أو مُعْوَجّاً، مُقَدَّرّاً عليه رِزْقُهُ أو مُوسَّعاً، طائعاً أو عاصياً، مُعَمَّرّاً أو غير مُعَمَّرٍ^(٦)، أو مُعْتَبِطاً^(٧)، وأبلغ^(٨) رسوله أمره ونهيهِ^(٩)، وعرفه ما ابتلاه به من ذلك؛ في طاعة يمثلها، أو معصية يجتنبها، ووعده بالثواب^(١٠) لمن أطاع، وأوعده بالعقاب لمن عصى.

(١) في طرة ب (د): انتفعوا، وصحَّحها.

(٢) في (د) و(ص) و(ز): رسوله.

(٣) سقطت من (س) و(ز).

(٤) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن

عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٥) في (س): في خ: مستقيماً.

(٦) قوله: «أو غير معمر» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٧) في (د) و(ز): مغتبطاً.

المُعْتَبِطُ: من مات شاباً، تاج العروس: (٤٦٧/١٩).

(٨) في (ص): أنهى، وفي (س): أنه.

(٩) في (س): نُهاه.

(١٠) في (س): الثواب.

قالت الصحابة للنبي ﷺ: «يا رسول الله، هذا الذي نحن فيه أُمِّرَ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ أَمْ أُمِّرَ مُسْتَأْنَفٌ؟ فقال لهم: فَرَّغَ رَبُّكُمْ، قالوا له^(١): ففيم العمل؟ فقال: اعملوا فكلُّ مُيسَّرٍ لما خُلِقَ له، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيسَّرُ^(٢) إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَيُيسَّرُ^(٣) إِلَى عَمَلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿بِمَا مَنَ آغَطْنِي وَآتَيْتَنِي وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَّسِرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَّسِرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥ - ١٠]»^(٥).

فانقادوا وفهموا أن الأمر لله والحكم له، وأن هذه الأعمال الجارية على جوارح الخلق علامات على ما للعبد عند الله.

فإن خطر ببالك أن العمل غير مُغْنٍ عنك، وأنه قد خُطَّ في جبينك ما خُطَّ، وخطَّ رحلك من الدارين حيثُ خُطَّ، فأجمعت^(٦) على التخلي عن العمل، والاستسلام لسابق القدر، فتلك علامة الهلكة.

وإن خطر^(٧) وغلب على خاطر الاستسلام للعمل والقدر، وجرى على الجوارح الامتثال؛ فذلك دليلُ الله للعباد على الفوز في المعاد.

(١) سقط من (س) و(ص).

(٢) في (ص): فَيُيسَّرُ، ومَرَّضُهَا في (د).

(٣) في (ص): فَيُيسَّرُ، ومَرَّضُهَا في (د).

(٤) في (د) و(ص): لَعْمَلِ.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه: كتاب التفسير، رقم: ٤٩٤٩ - طوق).

(٦) في (د): فاجتمعت.

(٧) سقط من (د) و(ص).

والباري تعالى هو الذي دبر الأمور، وقدر المقادير، وابتلى بها عباده وأخبرهم عنها، وأحكم فاتها وخاتمتها، وليس في فعله عبث، ولا في حكمه^(١) سفة، ولا في خبره كذب، ولا في أفعاله تناقض، ولا في أقواله^١ تعارض، قال الله سبحانه: ﴿فَلِإِنَّ الْهُدَى هَدَى اللَّهُ أَنْ يُوتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ [ال عمران: ٧٢]، / وقال سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَلِيُكَمِّلَ لَهُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧-٨] .

يعني: كل ذلك خلق فيهم أفعاله، وأنفذ فيهم إرادته^(٢)، ثم أخبر عنهم بأنهم الراشدون بصفة الفاعل، وكلهم بما فيه^(٣) مفعول، وذلك كله بنعمته وحكمته ورحمته .

وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ لَهُمُ الْعَذَابُ بِأَيْدِيكُمْ وَاللَّهُ يَخِزِيهِمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ وَيُذِيبُ الْمُؤْمِنِينَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٤ - ١٥] .

وفاتح الله رسوله بنصره، وأوعده^(٤) إليه أن يرمي بأمره، فامثل ذلك من حده، وأنجز الله له فأخر وعده، وهزم جند^(٥) الأحزاب بجنوده، ثم قال له^(٦) مطلعاً على الحقيقة، وناهجاً له سواء الطريقة: ﴿وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] .

(١) في (د): فعله .

(٢) في (ص): إراداته .

(٣) في (ص): وجعلهم بما فيهم .

(٤) في (ص): أوعز .

(٥) في (ز): جنود .

(٦) سقطت من (س) .

[حَقِيقَةُ الْكَسْبِ] ^(١):

وهو قد رمى بدليل قوله: ﴿رَمَيْتَ﴾ ، وأضاف الفعل إليه ونفاه عنه ، وكلاهما صدق ، فإنه أضافه إليه عربيَّةً ^(٢) ، ونفاه عنه حقيقةً ، ويحتمل أنه أضافه إليه لأنه خَلَقَ الحركة فيه ، ونفاه عنه لأن التبليغ إلى الكفار ^(٣) المرمي به كان من خَلَقِ الله في عَبْدِهِ ، يُدَبِّرُ الأمر ، يُفَصِّلُ الآيات ، وَيُبَلِّغُهَا إلينا محكمات ومتشابهات .

فإن قيل: فهذا هو القول بالجبر؟

قلنا: ليس في الجبر خَبَرٌ ^(٤) ، وإنكارُ القَدَرِ كُفْرٌ ، ونحن بُرَاءٌ من الوجهين:

أَمَّا القَدَرُ فصحيحٌ على ما بيَّناه وأوضحناه .

وَأَمَّا أن الله خَالِقُ كل شيء ، وأن ^(٥) العبد لا يخلق شيئاً ؛ فبيِّن ظاهرٌ مقطوعٌ به .

وَأَمَّا لفظ الجَبْرِ فمُعَارِضٌ للشرع ^(٦) ؛ فإنَّ الله خلق المشيئة في العبد وأثبتها له لفظاً ، ونفاهها عنه خَلْقاً ، فالقول بالجَبْرِ تكذيبٌ لله ، والقول بخَلْقِ المرء لِفِعْلِ تَشْرِيكِ مع الله ، والاعتقادُ لما قال الله وأخبر به ورَتَّبَ عليه قَوْلَهُ

(١) من طرة ب (س) ، وفوقها: بخطه ، أي: ممَّا وُجِدَ بخطِّ القاضي ابن العربي .

(٢) في (س): عزيمة ، وما أثبتناه صحَّحه بطرته .

(٣) في (ص): للكفار للمرمي به .

(٤) في (س) و(ز): خير .

(٥) سقط من (س) .

(٦) في (ص): الشريعة .

وَشَرِيْعَتَهُ حَتَمٌ مِنْ اللَّهِ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ قَدْ سَلَكَ بِكُلِّ فَرِيقٍ عَلَى كُلِّ (١) طَرِيقٍ ،
وَاخْتَارَ لَنَا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ جَادَّةَ التَّحْقِيقِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

فَإِنْ قِيلَ : فَلِمَ يُعَاقَبُ عَلَى مَا فَعَلَ ؟

قُلْنَا : هُوَ حَاكِمٌ لَا يُسْأَلُ ، وَقَدْ غَبَّرْنَا وَجُوهَكُمْ (٢) وَطَمَسْنَاهَا فِي «كُتُبِ
الْإِعْتِقَادِ» بِأَدْلَتِهَا (٣) .

فَائِدَةٌ :

سَمِعْتُ الْفُقَرَاءَ بِبَغْدَادٍ يَقُولُونَ : «إِنَّ مَا نَقَلَهُ أَهْلُ التَّفْسِيرِ ؛ مِنْ أَنَّ
عِيسَى كَانَ يَخْلُقُ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ وَيَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَائِرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ،
فَإِذَا طَارَ شَيْئًا سَقَطَ مَيِّتًا وَلَمْ تَدُمْ لَهُ حَيَاةٌ ، لِأَنَّ عِيسَى كَانَ يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ ،
وَلَوْ رَزَقَ كَمَا خَلَقَ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا قَالَ : هُوَ اللَّهُ ؛ فِتْنَةً ، إِلَّا مَنْ آتَاهُ اللَّهُ
هُدَاهُ» .

وَقَدْ قَالَ سَبْحَانَهُ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ
رِزْقًا﴾ [العنكبوت: ١٩] ، وَأَنْتَ تَرَى الرِّزْقَ يَجْرِي عَلَى أَيْدِيهِمْ ؛ وَيُعْطُونَ
وَيَحْرِمُونَ ، وَلَكِنَّهُ مَوَاطِنُ لِمَقْدُورَاتِ (٤) اللَّهِ ، فَتَعَلَّقَ بِهَا أَهْلُ الْجَهْلِ بِاللَّهِ .

وَقَدْ ثَبَتَ وَصَحَّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ طَرِيقِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ - وَاللَّفْظُ لَهُ -
قَالَ : «غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، / وَقَالَ : فَكُنْتُ مَعَ عَمِي ؛
فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَنْدَةَ يَقُولُ : ﴿لَا تُنْهَقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ

(١) سَقَطَتْ مِنْ (ص) .

(٢) يَقْصِدُ بِالْوَجْهِ هُنَا الْأَقْوَالُ وَالشُّبْهَةُ .

(٣) يَنْظُرُ : الْمَتَوَسُّطُ فِي الْإِعْتِقَادِ - بِتَحْقِيقِنَا - : (ص ٢٧٠) .

(٤) فِي (ص) : بِمَقْدُورَاتٍ .

حَتَّى يَنْفَضُوا» [المنافقون: ٧] ، و﴿لَيْسَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا أَلَا عَزَّ مِنْهَا
أَلَا ذَلٌّ﴾ [المنافقون: ٨] ، فذكرت ذلك لعمي ، فذكر ذلك عمي لرسول الله ﷺ ،
فدعاني فحدثته ، فأرسل إلى عبد الله بن أبي وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا ،
وكذبني النبي ﷺ وصدقهم ، فأصابني غمٌ لم يُصِبنِي مثله قطُّ ، فجلستُ في
بيتي ، فقال عمي : ما أردت إلا أن كذبك ^(١) رسول الله ﷺ ومفتك ، فأنزل
الله : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنتَهِفُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١٠] ،
فأرسل إلي النبي ﷺ فقرأها علي ^(٢) ، وقال : إن الله قد صدقك ^(٣) .

وهو الذي يقول فيه رسول الله ﷺ : «هو الذي أوفى الله بأذنيه» ^(٤) .

فأخبر الله سبحانه أن خزائن السماوات والأرض لله ، وأن قول العبد :
أنفق أو لا ^(٥) تنفق في غير الطاعة ؛ لغوٌ ، وأن المعتبر في الطاعة قول النبي
ﷺ : «أنفق يا بلال ، ولا تخش من ذي العرش إقلالا» ^(٦) ، وكذلك قال الله
تعالى : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٥] ،

(١) في (س) : في خ: أكذبك .

(٢) سقطت من (ص) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب التفسير ، قوله : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ ،
رقم : (٤٩٠٠ - طوق) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه : كتاب التفسير ، قوله : ﴿هُمْ الَّذِينَ
يَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ ، رقم : (٤٩٠٦ -
طوق) .

(٥) في (ص) و(ز) : ولا .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن مسروق ، وهو مرسل : (ص ١٥) .

وهو^(١) قد ضَمِنَ الكفاية من التخويف والتوحيد ، فينبغي أن لا^(٢) يخاف غيرَ الله ، وسَنَبِّئُ^(٣) ذلك في موضعه إن شاء الله .

مُتَمِّمَةٌ: [في زيادة الإيمان ونقصانه]

لم يختلف أَحَدٌ من المتقدمين من الصحابة والتابعين والسلفِ الصالحين^(٤) في أن الإيمان والعلم يزيد وينقص ، حَتَّى نَشَأَتِ المبتدعة من القدرية وإخوانهم ، فتكلموا بألفاظ الأوائِل ؛ من عَرَضٍ وَجَوْهَرٍ ، وحامل ومحمول ، وخاضوا في أن العَرَضَ يتجدد ، وأن الجَوْهَرَ الفَرْدَ لا يتعدَّد ، وَرَكَّبُوا عليه أدلة التوحيد ، وهذا وإن كان يُفْضِي إلى تحقيق ، ولكنه خُرُوجٌ عن سيرة السلف ، ويصلح للغَلَبَةِ في الجدل ، وإلَّا فقد أغنى الله في كتابه بما وضع من أدلته ، «وليس منّا من لم يتغنَّ بالقرآن»^(٥) ، وَلَوْ لَمْ يُمْكِّنُوا أنفسهم من هذه^(٦) الألفاظ معهم ، ولا انقادوا في تَرَدَادِها في النظر إليهم ؛ لكانوا قد سَدُّوا من البدعة بابًا ، وَطَمَسُوا وَجْهًا ، فإن المداخلة لهم فيها أَطَالَ النَّفْسَ ، وما حَلَّتْ عُقْدَةُ الْحَبْسِ^(٨) .

(١) سقط من (ص) .

(٢) سقطت من (ص) .

(٣) في (د) : نبين .

(٤) في (ص) : الماضين .

(٥) أي : يستغني بالقرآن ، وبدلائله عن تلك الأقوال والتعمُّقات .

(٦) يأتي تخريجه في اسم «القارئ» .

(٧) سقطت من (ص) .

(٨) أفاد من قول ابن العربي هذا الإمام ابن مخلص السبتي في كتابه «أدلة التوحيد

والنبوة» : (ق ٢/ب) .

ونحن وإن كنا نقول: إن العَرَضَ لا يقوم بنفسه وأنه يتجدد، وأن
 الجوهر الفرد لا يتعدد، وحُكْمُنَا بأن الإيمان والعلم والاعتقاد أَعْرَاضٌ،
 فإننا نقول: إنها تزيد وتنقص، وتقوى وتضعف، وتستقيم وتنحرف،
 وقد ورد بذلك القرآن، وهو الغاية في البيان، قال تعالى: ﴿بِأَمَّا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا فَرَزَادَتْهُمْ ءِيمَنًا﴾ [التوبة: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 [المائدة: ٣١]^(١)، وقال: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٧]، وقال تعالى:
 ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا ءِيمَنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْبِطُ
 اللَّهَ عَلَىٰ حَرِّ خَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ [الحج: ١١]، وقال: ﴿فَاخْشَوْهُمْ
 فَرَزَادَهُمْ ءِيمَنًا﴾^(٢) [آل عمران: ١٧٣] /

[٧١/ب]

وقال^(٣) ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا،
 وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا»^(٤).

وقال ﷺ: «لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ»^(٥)
 وأهله وولده والناس أجمعين، فقال له عمر: إنك لأحب إليّ إلا من
 نفسي، قال له رسول الله ﷺ: لا، حتى أكون أحب إليك من نفسك،

(١) لم ترد هذه الآية في (ص).

(٢) بعدها في (س): ﴿فَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

(٣) في (ص): قال رسول الله.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن العباس ﷺ: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن
 من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا فهو مؤمن، وإن ارتكب
 المعاصي الكبائر، رقم: (٣٤-عبد الباقي).

(٥) سقط من (ص).

قال له عمر: فإنك أحب إليّ من نفسي^(١)، قال: فالآن يا عمر^(٢)، خرّجه البخاري.

وقال: «لن يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه»^(٣).

وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»^(٤).

وقال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان»^(٥).

قال الإمام الحافظ^(٦): ومن يعجب فعجب^(٧) ممّن يتأوّل هذه الآيات والأخبار والحقيقة تعضدها، وذلك أنهم جهلوا أو^(٨) غفلوا عن حقيقة

(١) قوله: «قال له رسول الله ﷺ: لا، حتى أكون أحب إليك من نفسك، قال له عمر: فإنك أحب إليّ من نفسي» سقط من (س).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، رقم: (٦٦٣٢-طوق).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس ﷺ: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم: (١٣-طوق).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي شريح الكعبي ﷺ: كتاب الجامع، جامع ما جاء في الطعام والشراب، (٣١٠/٢)، رقم: (٢٦٤٢-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﷺ: كتاب الإيمان، باب بيان أن النهي عن المنكر من الإيمان، رقم: (٤٩-عبد الباقي).

(٦) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي ﷺ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ﷺ.

(٧) في (ص): فيعجب.

(٨) في (س): و.

الزيادة والنقص، والوجود والعدم، وذلك أن الشيء لا يزيد بذاته ولا ينقص بها، وإنما يزيد بشيء^(١)؛ كان جوهرًا أو عرضًا، فإن وُجِدَ مثله أو مثليه^(٢) زاد، فإن عُدِمَ ذلك الوجود بعده نَقَصَ، فإن عُدِمَ أصله الأول كان نَفْيًا مَحْضًا، فالعَدَمُ نَفْيُ الوجود^(٣) الأول، والنقص نَفْيُ الوجود^(٤) الثاني الذي به كانت الزيادة، ولن يزال العبد أبدًا في زيادة المعرفة بنفسه وبربه وبدينه ما تراخى أجله، وإذا طرأت^(٥) عليه غفلة أو ذُهوْلٌ أو شكٌّ في معلوم فانعدم ذلك الزائد على الأصل كان نقصًا، حتى لو عُدِمَ الأول الذي حَصَلَ له به الحكم، أو الثاني الذي جُعِلَ مثله في الفَرْضِيَّةِ والعصمة، كان في وُجُودِ الأول عَدَمًا حَقِيقَةً وَحُكْمًا، وَحُكْمَ عليه بالكفر، وإن عُدِمَ الثاني كان كافرًا حُكْمًا، وهذا ممَّا^(٦) كان لا ينبغي أن^(٧) يخفى على أَحَدٍ من المحققين.

وكأنِّي بشَيْخٍ مُزْمَلٍ^(٨)، وَفَتَى مُحْضَرَمٍ مُؤَنَّبٍ^(٩)؛ يرى هذا الكلام

(١) في (س) و(ص) و(ز): وإنما يوجد الشيء.

(٢) قوله: «أو مثليه» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٣) في (د): الموجود.

(٤) في (د): الموجود.

(٥) في (س) و(ص) و(ز): طرأ.

(٦) سقطت من (س)، وفي (ز): كان ممَّا.

(٧) في (د) و(ص): ينبغي ألا.

(٨) في (د) و(س): مُؤَيَّلٌ، ومَرْضُهَا في (د)، وفي الطرة: مُزْمَلٌ، وصَحَّحَهَا، وفي

(ص) و(ز): مؤيَّل، وما أثبتناه من طرة بـ (س): وقال: في نسخة أخرى،

وصَحَّحَهَا، والمزمل: المقصر المتهاون في الأمر، تاج العروس: (١٤٢/٢٩).

(٩) في (د): مخضرم مُزَيَّبٌ، وفوق «مزَيَّب» علامة التمریض، وفي الطرة: مؤنب، وصَحَّحَهَا.

فيقول كما قال الذين من قبلهم في مثلي، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ مَعَ قُلُوبِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِي: «فَلَا نُضْعِفُ فِي أَصُولِ الدِّينِ»، وقد بَيَّنَّ اللهُ الآيَاتِ لِقَوْمِ يَوْفَنُونَ.

والقاطع للذَّاء الحاسم لما يطرأ عليك من قِبَلِهِمْ مِنَ الشُّبُهَةِ وَالْأَنْبَاءِ حَدِيثُ حَنْظَلَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ - واللفظ لحنظلة - قال أبو عثمان النَّهْدِيُّ عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسَدِيِّ^(١)، وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَبْكِي فَقَالَ: «مَالِكُ يَا حَنْظَلَةُ؟» فَقَالَ: نَافِقُ حَنْظَلَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ؛ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيُذَكِّرُنَا^(٢) بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ^(٣) كَأَنَّا رَأَيْنَا عَيْنَيْنِ، فَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْأَزْوَاجِ وَالضَّيْعَةِ نَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنَّا كَذَلِكَ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقْنَا، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: مَالِكُ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: نَافِقُ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ^(٤) كَأَنَّا رَأَيْنَا عَيْنَيْنِ، فَإِذَا رَجَعْنَا عَافَسْنَا^(٥) الْأَزْوَاجَ وَالضَّيْعَةَ وَنَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: / لو أنكم^(٦) تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم، وفي طُرُقكم، وعلى فُرُشكم، ولكن يا حنظلة؛ سَاعَةً وَسَاعَةً^(٧).

(١) فِي (س) وَ(ز): الْأَسَدِيُّ.

(٢) فِي (د) وَ(ص): يَذَكِّرُنَا.

(٣) فِي (س) وَ(ص): بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

(٤) فِي (س) وَ(ص) وَ(ز): بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

(٥) فِي (ص): غَافَسْنَا.

(٦) سَقَطَتْ مِنْ (س) وَ(ص) وَ(ز).

(٧) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ التَّوْبَةِ، بَابُ فَضْلِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ

الْآخِرَةِ، رَقْمٌ: (٢٧٥٠ - عَبْدُ الْبَاقِي).

تكملة: [في قول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله]

اختلف الناس في قول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يجب عليه إذا أخبر عن نفسه بالإيمان أن يقرنه بالمشيئة.

[ثانيها]: وقال آخرون: لا ينبغي أن يفعله.

[ثالثها]: وقال آخرون: إن فعله جاز، أو تركه فمئله.

والقول فيه طويل، وجيزه: أن العبد لما كان لا يملك عقده ولا قوله ولا فعله كان حقاً عليه أن يضيفه إلى مشيئة من هو بيده، فإذا صرح به فقد قال الحقيقة، وهذا^(١) قول من أوجب له؛ لأنه لو لم يفعل ذلك لكان قد أثبت لنفسه ما رُبما لم يثبت له.

وأما من قال: إنه يُمنع منه؛ فلائه يدل على شك في دوام الحال، وهو إنما ينبغي أن يجزَم عقده، والباري يُنجز^(٢) وعده، ويظهر ما عنده.

وأما من قال: إنه جائز له؛ فهو عندي على تأويل، كأنه يقول: أنا مؤمن الآن جزماً، إن شاء الله أن يُجدد لي فيه كل وقت عزماً.

والذي يصح من هذه الأقوال: إطلاق القول بأنه مؤمن، ولا يدخله استثناء؛ بتأويل ولا بغير تأويل^(٣)، قال النبي ﷺ: «لا يقولن أحدكم: اللهم

(١) في (ص) و(د): فهذا.

(٢) في (ص) و(د) و(ز): سيفذ.

(٣) في (س): بغير تأويل ولا تأويل.

اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، لِيَعْزِمِ المسألة، فإنه لا مُكْرَهَ له»^(١).

وقد انقضى عَصْرُ الرسول ﷺ والصحابة ولم يُسْمَعْ فيه^(٢) قَطُّ: «أنا مؤمن إن شاء الله»، ولا وَرَدَ ذلك من طريق يَصِحُّ.

والذي أوقعهم في ذلك حديث أبي هريرة: «خرج النبي ﷺ إلى المقبرة فقال: السَّلَامُ عليكم دارَ قَوْمٍ مؤمنين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون»^(٣)، فلمَّا قال النبي: «وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون»^(٤)، فأدخل المشيئة في الموت الذي لا مَحِيدَ عنه، دَخَلَتْ في كل ما بعده ممَّا يمكن أن يكون أو لا يكون، وإذا كان فيمَكِنُ أن يَنْبُتَ أو لا يَنْبُتَ، وقد بيَّنَّا معنى هذا الحديث في كتاب «الْقَبَس»^(٥) وغيره من جميع وُجُوهِه، وأَوْضَحْنَا إِبْطَالَ قَوْلٍ من قال: إنَّ معناه: وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون؛ على الإيمان قَطْعًا في خاصَّته، وظاهرًا فيمن معه من أصحابه، وذكرنا تأويل ذلك الحديث في موضعه.

وقد قيل: إن معناه: وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون في هذه البقعة؛ لأن النبي ﷺ كان يرجو الشهادة في سبيل الله ويتمنَّاها، ولم يكن يعلم كيفية

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: ما جاء في الدعاء، (٢٦٣/١)، رقم: (٥٧٠-المجلس العلمي الأعلى).

(٢) في (ص) و(د): قط فيه.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: جامع الوضوء، (١١٧/١)، رقم: (٦٦-المجلس العلمي الأعلى).

(٤) قوله: «فلمَّا قال النبي: وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون» سقط من (س).

(٥) القبس: (١٥١/١-١٥٣).

موته، وَتَحَقَّقَ أَنَّ الوجه الذي شاء الله أَنْ يموت عليه سيظهر عند حضور^(١) أجله، فَصَرَفَ رسول الله ﷺ الاستثناءَ بالمشيئة إلى تلك الحالة الخفية.

وقد قال النبي ﷺ: «المدينةُ يأتِيها الدَّجَالُ فيجد الملائكة يحرسونها، فلا يقربها الدَّجَالُ ولا الطاعون إن شاء الله»^(٣)، فربَّما تعلَّقوا به، / والنبيُّ إِنَّمَا استثنى فيه لأنه كذلك أُوحِيَ إِلَيْهِ^(٤)، فنَقَلَ كما عَلَّمَ. [٧٢/ب]

ولم يُنْقَلْ في حديث عن النبي ﷺ أَنَّهُ شَرَطَ عَلَى أَحَدٍ فِي الْإِيمَانِ الاستثناءَ، وَلَا تَطَوَّعَ بِهِ أَحَدٌ فَأَقَرَّهُ عَلَيْهِ، بَلْ نُقِلَ عَنْهُ ضِدُّهُ؛ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يُخْبِرُهُم بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَأَرْكَانِهِ وَوُضَائِفِهِ؛ فَيُجِيبُونَ إِلَيْهِ، وَيُسَلِّمُونَ فِيهِ، وَيُقَرُّونَ بِهِ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ، وَقَدْ قَالَ - كَمَا تَقَدَّمَ فِي الصَّحِيحِ لِرَجُلٍ -: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»^(٥)، وَلَمْ يَجْرِ لِلْمَشِيئَةِ ذِكْرٌ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ مِنَ التَّنَطُّعِ الْفَاسِدِ.



(١) فِي (س) وَ(ز): حُلُولٌ.

(٢) قَوْلُهُ: «رَسُولُ اللَّهِ» لَمْ يَرِدْ فِي (س) وَ(ز).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ لَا يَدْخُلُ الدَّجَالُ الْمَدِينَةَ، رَقْمٌ: (٧١٣٤-طوق).

(٤) فِي (ص) وَ(د): إِلَيْهِ بِهِ.

(٥) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

القَارِئُ: وهو الاسمُ الثامن

ولمّا كانت^(١) معجزة النبي ﷺ القرآن ؛ الذي هو منبع العلوم ومعدن المعارف ، فاجتمعت فيه الدّلالةُ على الصدق ، والدّلالةُ على الإنباء^(٢) ، والإيضاحُ لجميع العلوم والأنباء ، كان الإقبالُ عليه فَرَضَ الأُمَّةَ ، ودأبَ الصحابة ، وقد أبقى الله لنا معجزة نَبِيَّتًا ، وجَعَلَ فيه علومنا وهدايتنا ، وأضلَّ به أعداءنا ، فالعاقل العالم^(٣) المؤمن المسلم الدّينُ الموحّدُ هو القارئُ ، وعلى قَدَرِ قراءته يكون عِلْمُهُ وإيمانه وإسلامُهُ وتوحيدهُ ودينُهُ ؛ وَفَضْلُهُ كُلُّهُ .

فضائله :

وقد قال النبي ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »^(٤) .
وقال ﷺ : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ ؛ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ »^(٥) .
وقال : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرَجَةِ ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ الَّتِي لَا رِيحَ

(١) في (ز) و(س) : كان .

(٢) في (ص) و(د) و(س) : الابتلاء ، ومَرَضُهَا في (د) ، وأَثْبَتْنَا مَا صَحَّحَهُ بِالطَّرَةِ .

(٣) سقط من (س) و(ز) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن عثمان ؓ : كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، رقم : (٥٠٢٧ - طوق) .

(٥) تقدّم تخريجه .

لها وطعمها حُلْوٌ، ومَثَلُ المنافق - وفي رواية: الفاجر^(١) - الذي لا يقرأ القرآن مَثَلُ الحَنْظَلَةِ ليس لها ريحٌ وطعمها مُرٌّ، ومَثَلُ المنافق الذي^(٢) يقرأ القرآن مَثَلُ الريحانة؛ ريحها طيبٌ وطعمها مُرٌّ^(٣).

وفي رواية: «مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأُترْجَةِ، والمؤمن الذي يقرأ القرآن ولا يعمل به كالتمرة»^(٤).

وقال عبد الرحمن بن عوف: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة تحت العرش يوم القيامة؛ القرآن يُحَاجُّ العباد؛ له ظهر وبطن، والأمانة، والرحم؛ تنادي ألا مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، ومن قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ»^(٥).

قال رسول الله ﷺ: «يُقَالُ لصاحب القرآن: اقْرَأْ وَاِزِقْ وَرَتِّلْ كما كنت تُرَتِّلُ في الدنيا، فَإِنَّ منزلتك عند آخر آية تقرأها، ويزاد بكل حَرْفٍ حسنة»^(٦).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، رقم: (٥٠٢٠-طوق).

(٢) قوله: «لا يقرأ القرآن مَثَلُ الحَنْظَلَةِ ليس لها ريحٌ وطعمها مُرٌّ، ومَثَلُ المنافق الذي» سقط من (د) و(ص).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ﷺ: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن، رقم: (٧٩٧-عبد الباقي).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ﷺ: كتاب فضائل القرآن، باب من راعى بقراءة القرآن أو تَأَكَّلَ به أو فخر به، رقم: (٥٠٥٩-طوق).

(٥) أخرجه البغوي في شرح السنة: كتاب البر والصلة، ثواب صلة الرحم وإثم من قطعها، (٢٢/١٣)، رقم: (٣٤٣٣-شعيب)، وأخرجه العُقَيْلي في ضعفائه:

(٥/٤)، وقال: «لا يصح إسناده».

(٦) تقدّم تخريجه.

وقال ﷺ: «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ»^(١).

وقال ﷺ: «تَعَاهِدُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ»^(٢) أَشَدُّ تَفَصِّيًّا مِنْ صَدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ مِنْ عُقْلِهَا»^(٣).

١ وصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ فِي الدَّفْنِ بَيْنَ الْقَتْلَى يَوْمَ أُحُدٍ، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمْ / أَنَّهُ كَانَ^(٤) أَكْثَرَ قِرَاءَةً قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ^(٥).
[١/٧٣]

وقال ﷺ - وَصَحَّ - : «يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ»^(٦).

وقال ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»^(٧).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن عباس رضي الله عنه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب، رقم: (٢٩١٣-بشار).

(٢) في (د) و(ص) و(ز): فلهو.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، رقم: (٧٩٠-عبد الباقي).

(٤) سقطت من (س).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، رقم: (١٣٤٣-طوق).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه: كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة؟ رقم: (٦٧٣-عبد الباقي).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتبع فيه، رقم: (٧٩٨-عبد الباقي).

وصحَّ عن محمد بن كَعْبٍ عن ابن مسعود عنه أنه قال: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعَشْرٍ أمثالها، لا أقول أَلَمْ حَرْفٌ؛ الْأَلِفُ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»^(١).

وقال عليه السلام: «ما أذن الله لشيءٍ كأذنيه^(٢) لَنَبِيِّيٍّ يَتَعَنَّى بالقرآن»^(٣).
يُرِيدُ: يَجْهَرُ به؛ في تفسير سفيان^(٤).

وقال غيره^(٥): يرى أنه قد صار به من الأغنياء.

وهو الصحيح.

قال الله لرسوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٧-٨٨].

وقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٩-١٣٠].

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن مسعود رضي الله عنه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، رقم: (٢٩١٠-بشار).

(٢) في (د): كِأُذْنِهِ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغنَّ بالقرآن، رقم: (٥٠٢٤-طوق).

(٤) في الجامع الصحيح (١٩١/٦-طوق): «وقال صاحب له: يريد: يجهر به»، ولم ينسبه لسفيان.

(٥) في الجامع الصحيح (١٩١/٦-طوق): «قال سفيان: تفسيره: يستغني به».

يُرِيدُ: وما رَزَقَكَ اللهُ من القرآن خَيْرٌ وَأَبْقَى^(١).

فاتحة الكتاب:

قال النبي ﷺ لأبي: «لأعلمنك سورةً من القرآن ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، قال: نعم يا رسول الله، قال: كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟ قال: فقرأ أم القرآن، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده؛ ما أنزل^(٢) الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، وأنها سَبْعٌ من المثاني - أو: «السبع المثاني»^(٣) - والقرآن العظيم الذي أُعْطِيَتْهُ^(٤).

وَمِنْ فَضْلِهَا: أنها رُقِيَّةٌ عَظْمَى؛ قال أبو سعيد الخدري: «كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ^(٥)، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمٌ، وَإِنَّ نَفَرَنَا غَيْبٌ، فَهَلْ مِنْكُمْ مَنْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُوهُ^(٦) بِرُقِيَّةٍ، فَرَقَاهُ فَبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبَنَهُ^(٧)، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ:

(١) قوله: «يُرِيدُ: وما رزقك الله من القرآن خير وأبقى» سقط من (د).

(٢) في (د) و(ص): ما أنزل في التوراة.

(٣) أخرج هذه الرواية البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم: (٤٤٧٤-طوق).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، رقم: (٢٨٧٥-بشار).

(٥) قوله: «بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ» سقط من (ص) و(س) و(ز).

(٦) في (س): في خ: نُؤْبُوهُ.

(٧) في (ص): لَبَنًا.

أَكُنْتُ تُحْسِنُ رُفِيَّةً أَمْ كُنْتَ تَرْقِي؟ قَالَ: لَا^(١)، مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأَمِّ الْقُرْآنِ، قُلْنَا: لَا تُحَدِّثُوا شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا قَدِمْنَا^(٢) الْمَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُفِيَّةٌ؟ اقْسَمُوا^(٣) وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ^(٤).

سورة البقرة:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بَيْوتَكُمْ مَقَابِرَ، فَإِنَّ^(٥) الْبَيْتَ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ الْبَقْرَةُ لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ»^(٦).

وَمِنَ الْحَدِيثِ الْحَسَنِ^(٧): «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا وَهُمْ ذَوُو عَدَدٍ فَاسْتَقْرَأَهُمْ^(٨)، فَاسْتَقْرَأَ كُلَّ وَاحِدٍ^(٩) مَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَتَى عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَحَدَثِهِمْ سِنًّا، قَالَ: مَا مَعَكَ يَا فَلَانُ؟ قَالَ: مَعِيَ كَذَا وَكَذَا، وَسُورَةُ الْبَقْرَةِ، / قَالَ: أَوْ مَعَكَ سُورَةُ الْبَقْرَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اذْهَبْ [٧٣/ب]

(١) سقطت من (س).

(٢) في (س): ذَكْرُنَا، وَهُوَ سَبْقُ قَلَمٍ.

(٣) في (ص): اقْسَمُوهُ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَابُ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، رَقْم: (٥٠٠٧-طوق).

(٥) في (س) و(ز): إِنْ.

(٦) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ فِي بَيْتِهِ وَجَوَازِهَا فِي الْمَسْجِدِ، رَقْم: (٧٨٠-عبد الباقي).

(٧) في (س): الصَّحِيحُ.

(٨) سقطت من (د).

(٩) في (ص): رَجُلٍ.

فإنك^(١) أميرهم ، فقال رجل من أشرافهم : والله يا رسول الله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية^(٢) ألا أقوم بها ، فقال رسول الله ﷺ : تعلموا القرآن فاقروه وأقرئوه ، فإن مثلكم القرآن لمن تعلمه فأقرأه^(٣) وقام به كمثلكم جراب محشو مسكاً ، يفوح بريحه كل مكان ، ومثلكم من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثلكم جراب أوكي على منك^(٤)»^(٥).

ومن الحسن : قال رسول الله ﷺ : « لكل شيء سنائم ، وسنام القرآن سورة البقرة ، وفيها آية هي سيدة آي القرآن ؛ وهي : آية الكرسي »^(٦).
« ومن قرأ ﴿ جَم ﴾ المؤمن إلى ﴿ إِلَيْهِ الْمَصِير ﴾ وآية الكرسي حين يُصْبِحُ حَفِظَ بهما حتى يُمسي ، ومن قرأهما حين يُمسي حَفِظَ بهما حتى يصبح »^(٧).

(١) في (ص) : فأنت .

(٢) في (ص) : خشيت .

(٣) في (ص) : فقرأه .

(٤) في جامع الترمذي (٥/٦٠٦ - بشار) : « ومثلكم من تعلمه فيرقد وهو في جوفه مسك » ، وهي عبارة مختلفة ؛ للسقط الذي لحقها ، صوابها ما أثبتته ، وهو الموافق لنسخة ابن العربي من الترمذي : (ق ١٩٤/ب - فيض الله) .

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة ؓ : أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ، رقم : (٢٨٧٦ - بشار) .

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة ؓ : أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ، رقم : (٢٨٧٨ - بشار) ، قال أبو عيسى : « هذا حديث غريب » ، يستضعفه .

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة ؓ : أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ، رقم : (٢٨٧٩ - بشار) ، قال أبو عيسى : « هذا حديث غريب » .

وقد قال الشيطان لأبي هريرة: «إذا قرأت آية الكرسي لا يقربك شيطان، فقال النبي ﷺ: صَدَقَكَ وهو كذوب»^(١)، صحَّحه قَوْمٌ وضعَّفه آخرون، وأدخله البخاري مَقْطُوعاً^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري: «أن أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ بَيَّنَّا هو يقرأ من الليل سُورَةَ البقرة وفَرَسُهُ مربوطة عنده إذ جالت الفرس، فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فقرأ^(٣) فجالت، فسكت فسكنت، ثم قرأ^(٤) فجالت، فلمَّا أصبح حَدَّثَ النبي^(٥)، قال: فَرَفَعْتُ بصري إلى السماء؛ فإذا مِثْلُ الظِّلَّةِ فيها أمثالُ المصابيح عَرَجَتْ في الجَوِّ حتى لا أراها، قال: تلك الملائكة أذِنَتْ بصوتك، ولو قَرَأْتَ لَأُصْبِحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إليها لا تتوارى منهم»^(٦).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، فضل البقرة، رقم: (٥٠١٠-طوق).

(٢) يقصد ابن العربي أن الحديث منقطع؛ لعدم تصريح البخاري بالتحديث، ففي صحيحه: «وقال عثمان بن الهيثم»، وكذلك هو في جميع الأبواب التي أدخله فيها، ووصله الإسماعيلي وغيره، وعثمان بن الهيثم من شيوخ البخاري، فيحمل قوله ذلك على السماع، ولعلَّ لهذه العلة صحَّحه من صحَّحه، وكأنَّ ابن العربي لم يقنع منه بذلك حتى يصرح بالتحديث، والله أعلم، ينظر: الفتح: (٤٨٨/٤).

(٣) في (د): فقرأها.

(٤) في (د): قرأها.

(٥) في (د) و(ص) و(ز): النبي ﷺ.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، رقم: (٧٩٦-عبد الباقي).

خاتمتها:

ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «بَيْنَمَا جَبْرِيلُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ فَقَالَ: أَبَشِّرْ بَنُورَيْنِ أَوْتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ؛ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا ^(١) إِلَّا أُعْطِيَتْهُ» ^(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ انْتَهَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَأُعْطِيَ ثَلَاثًا؛ أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَخَوَاتِمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ الْمُفْجَمَاتِ ^(٣)» ^(٤).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ؛ مَنْ قَرَأَ بِهِمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ» ^(٥).

(١) فِي (س): مِنْهَا.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصَرِهَا، بَابُ فَضْلِ الْفَاتِحَةِ وَخَوَاتِمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، رَقْمٌ: (٨٠٦-عَبْدُ الْبَاقِي).

(٣) فِي (د): الْمَنْجَمَاتِ.

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ فِي ذِكْرِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، رَقْمٌ: (١٧٣-عَبْدُ الْبَاقِي).

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، فَضْلُ الْبَقَرَةِ، رَقْمٌ: (٥٠٠٩-طَوَق).

آل عمران:

معها^(١): قال النبي ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين؛ البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان^(٢)، أو غيايتان، أو فِرْقَانِ^(٣) / من طَيْرٍ صَوَافٍّ، بينهما شَرْقٌ، تُظِلِّلَانِ^(٤) صاحبهما، وتحاجَّانِ عن صاحبهما، اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة^(٥)».

وفي رواية منه: «يؤتى يوم القيامة^(٦) بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به، تُقدِّمه سورة البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان^(٧)»، بنحوه^(٨).

سورة الكهف:

في الصحيح: «بينما رَجُلٌ يقرأ سورة الكهف إذ رأى دَابَّةً^(٩) تركض، فنظر فإذا مِثْلُ الغمامة أو^(١٠) السحابة، فجعلت تدنو وتدنو^(١١)، وفرسه تنفر،

(١) في (د): منها.

(٢) في (د): غيامتان أو غيايتان.

(٣) في (د): خرقان، وفي (ز): جرقان.

(٤) في (ص): تظللان.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم: (٨٠٤-عبد الباقي).

(٦) في (د) و(ز) و(ص): بالقرآن يوم القيامة.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم: (٨٠٥-عبد الباقي).

(٨) في (ز): بنحوه في الصحيح.

(٩) في (ص): دابة.

(١٠) سقطت من (د) و(ص).

(١١) سقطت من (د).

فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، فقال النبي ﷺ: تلك السكينة نزلت مع القرآن ، أو أنزلت على القرآن»^(١).

وعن أبي الدرداء: «من قرأ ثلاث آيات من أوّل^(٢) الكهف عُصِمَ من فتنة الدجال»^(٣).

سورة ألم السجدة:

فيها: أن النبي ﷺ كان يقرأها يوم الجمعة في صلاة الصبح^(٤).

حم الدخان:

حديثها منكر لا يُلتفت إليه^(٥).

(١) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في جامعه عن البراء رضي الله عنه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في فضل سورة الكهف ، رقم: (٢٨٨٥-بشار) ، وأصله في صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن ، فضل الكهف ، رقم: (٥٠١١-طوق).

(٢) سقط من (ص).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في فضل سورة الكهف ، رقم: (٢٨٨٦-بشار).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجمعة ، باب ما يقرأ في يوم الجمعة ، رقم: (٨٨٠-عبد الباقي).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في فضل حم الدخان ، رقم: (٢٨٨٨-بشار).

سورة الملك:

لا حديث فيها إلا قوله ﷺ: «سورة الملك ثلاثون آية، تجادل عن صاحبها»^(١)، صح^(٢).

سورة إذا زلزلت والكافرون:

من الحسن: عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: «هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا، والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال^(٣): أليس معك: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ قال: بلى، قال: رُبُّع القرآن، قال^(٤): أليس معك: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن^(٥)، قال: أليس معك: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾؟ قال: بلى، قال: رُبُّع القرآن، قال: تَزَوَّجْ تَزَوَّجْ»^(٦).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة ؓ: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في سورة الملك، رقم: (٢٨٩١-بشار)، وقوله: «تجادل عن صاحبها» أخرجه الإمام مالك في الموطأ: ما جاء في قراءة قل هو الله أحد وتبارك، (٢٦٠/١)، رقم: (٥٦١-المجلس العلمي الأعلى).

(٢) سقطت من (د) و(س) و(ز).

(٣) سقطت من (س).

(٤) سقطت من (س).

(٥) قوله: «قال: ربع القرآن» سقط من (س) و(ص).

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن أنس بن مالك ؓ: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في إذا زلزلت، رقم: (٢٨٩٥-بشار).

سورة الإخلاص:

قال النبي ﷺ: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»^(١)، في حديث مالك وغيره.

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي^(٢) رحمه الله: قد ظنَّ قومٌ فيها تأويلات، وقد كُشِفَ الحديثُ الصحيح بعضها، قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «احشدوا؛ فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن»، قال: فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: قال رسول الله ﷺ: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، إني لأرى هذا خبراً جاءه من السماء، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: إني قلت: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن»^(٣).

وحديث عائشة: «أن النبي بعث رجلاً على سرية؛ وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم»^(٤) بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: سلوه لأي شيء كان»^(٥) يصنع ذلك؟ فسألوه،

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي سعيد الخدري رحمه الله: ما جاء في قراءة قل هو الله أحد وتبارك، (١/٢٦٠)، رقم: (٥٥٩-المجلس العلمي الأعلى).

(٢) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم: (٨١٢-عبد الباقي).

(٤) في (س): فختم.

(٥) سقطت من (د) و(ص) و(ز).

فقال^(١): لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأها^(٢) ، فقال: أخبروه أن الله يحبه^(٣).

[سورة الفلق والناس]:

وعن عتبة بن عامر: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر أي^(٤) آيات أنزلت الليلة / لم يُر مثلهن: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ، و﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»^(٥).

[٧٤/ب]

وعن عائشة: «كان النبي إذا آوى إلى فراشه كل ليلة ؛ جمع كَفَّيْهِ ثم نَفَثَ فيهما ، ثم قرأ فيهما: ﴿فَلْهُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، و﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ، و﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات»^(٦).

قالت عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث ، فلما اشتد وجعه ؛ كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها»^(٧).

(١) في (س): فقالوا.

(٢) في (د) و(ص): أقرأ بها.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة قل هو الله أحد ، رقم: (٨١٣-عبد الباقي).

(٤) سقطت من (د) و(ص).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة المعوذتين ، رقم: (٨١٤-عبد الباقي).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن ، المعوذات ، رقم: (٥٠١٧-طوق).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن ، المعوذات ، رقم: (٥٠١٦-طوق).

[التحذير مما لم يصحَّ في باب فضائل القرآن]:

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي^(١) رحمته الله: لم يَبَقَ من الصحيح ما أَذْكُرُهُ، وقد اقتحم الناس في فضائل القرآن وسُورِهِ أحاديث كثيرة، منها ضَعِيفٌ لا يُعَوَّلُ عليه، ومنه ما لم يُنْزَلِ اللهُ به من سلطان، وأشَبَّهُ ما جُمِعَ في ذلك «كتابُ ابنِ أبي شَيْبَةَ»^(٢) و«كتابُ أبي عُبَيْدٍ»^(٣)؛ وفيهما^(٤) باطلٌ عظيم، وحَشْوٌ كثير، وانتقى الأئمة - نفعهم الله - من ذلك الحَشْوِ جُمْلَةً، واستخرجوا من ذلك المنتقى الصحيح، وهو الذي أوردناه عليكم؛ فَتَمَسَّكُوا بِهِ.

وقد ذَكَرَ الحاكمُ وغيرُهُ من شيوخ المحدثين: «أَنَّ رَجُلًا من الزهاد انتَدَبَ في وَضْعِ أحاديث في فضائل القرآن وسُورِهِ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ فَقَالَ: رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ زَهَدُوا فِي الْقُرْآنِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرْغَبَهُمْ فِيهِ، فَقِيلَ لَهُ: فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٥)، فَقَالَ: أَنَا مَا كَذَبْتُ عَلَيْهِ، إِنَّمَا كَذَبْتُ لَهُ»^(٦).

(١) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن العربي.

(٢) هو كتاب ثواب القرآن، أفاد منه أبو القاسم الملاحى في لمحات الأنوار، وسمَّاه بالاسم الذي أثبتته له: (٥٣/١).

(٣) هو كتاب فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، مطبوع مشتهر، وسمَّاه بهذا الاسم أبو القاسم الملاحى في لمحات الأنوار: (١٣٦٦/٣).

(٤) في (د): فيها.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، رقم: (١٢٩١-طوق).

(٦) المدخل: (ص ١٣٥).

فتأملوا - رحمكم الله - كَيْدَ الشيطان على هذا الزاهد بهذا الزُّهْدِ ؛
حتى قَرَنَ بها^(١) هذا الجهل ، وخَزَلَ عنها هذا الهُدَى .
حالُ القُرَّاءِ :

وقد كان القُرَّاءُ أصحابَ مَجْلِسِ عُمَرَ ومُشَاوِرِيهِ^(٢) ومُساوِرِيهِ^(٣) ، وكان
ابن عباس يُقَرِّئُ رِجَالًا ؛ منهم : عبد الرحمن بن عوف ، وما توفي رسول الله
ﷺ حتى استظهر ابنُ عَبَّاسٍ المُفَصَّلَ في حياة رسول الله ﷺ^(٤) ، وكان أهل
الصفَّةِ يُكثرون من القرآن .

وقال أنس : « مات رسول الله ﷺ ولم يجمع القرآن غيرُ أربعة : أبي
- وفي رواية : أبو الدرداء - ، ومعاذُ بن جَبَلٍ ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ،
أحد عمومتي ، ونحن ورثناه - يعني : نفسه^(٥) - »^(٦) ، حاشا الخلفاء ؛ فإنهم
كانوا يستظهرون القرآن كما ثبت في الروايات ، وعبد الله بن عمر ، وابن^(٧)
مسعود^(٨) .

(١) في (د) : به ، وفي (ز) : بهما .

(٢) الحوادث والبدع للطرطوشي : (ص ١٧٧) .

(٣) في (ص) : مساورته ، وفي (د) : مشاورته ، وسقطت من (ز) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب فضائل القرآن ، باب تعليم الصبيان القرآن ،
رقم : (٥٠٣٥ - طوق) .

(٥) سقطت من (د) و(ص) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب
النبي ﷺ ، رقم : (٥٠٠٤ - طوق) .

(٧) في (س) و(ص) : عبد الله بن مسعود ، وضرب على « عبد الله » في (د) .

(٨) ينظر : الجامع الصحيح للبخاري (٦/١٨٩ - طوق) : كتاب فضائل القرآن ، باب
القراء من أصحاب النبي ﷺ ، والسنن الكبرى للنسائي (٧/٢٤٩ - شعيب) :
كتاب فضائل القرآن ، ذكر قراء القرآن .

وَذَكَرَ أَنَسٍ لِهَؤُلَاءِ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ^(١):

[الأول]: إِمَّا أَنَّهُمُ الَّذِينَ عَرَفَ^(٢).

[الثاني]: وإِمَّا أَنَّهُمُ^(٣) الَّذِينَ كَانُوا جَمَعُوهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَخَذَهُ عَنْ أَبِيٍّ بَعْدَ ذَلِكَ، وَأَدْرَكَ حِفْظَهُ جَمَاعَةٌ يَكْثُرُ عَدَدُهُمْ^(٤).

وقال عمر: «أَقْرَأْنَا أَبِيٍّ، وَإِنَّا لَنَدَعُ مِنْ لَحْنِ أَبِيٍّ، وَأَبِيٍّ يَقُول:

[١/٧٥]

أَخَذْتَهُ^(٥) مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ /، فَلَا أَتْرِكُهُ لَشَيْءٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٥]»^(٦).

وقال ابنُ مسعود^(٧): «وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ؛ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ

اللَّهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ نَزَلَتْ، وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَا^(٨) أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تُبَلِّغُنِيهِ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»^(٩).

(١) تنظر وجوهاً أخرى لقول أنس في: شرح ابن بطال: (٢٤٢/١٠).

(٢) المعلم للمازري: (١٥٢/٣).

(٣) سقطت من (ص) و(س) و(ز).

(٤) يُنظر في هذا كلام الإمام المازري في المُعَلِّم - وهو نفيس جداً -: (٣/١٥٠ -

١٥٣)، والمسالك: (٤١٠/٣)، وشرح ابن بطال: (٢٤١/١٠ - ٢٤٤).

(٥) في (د): أخذه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب

النبي ﷺ، رقم: (٥٠٠٥ - طوق).

(٧) في (س) و(ص) و(ز): عبد الله بن مسعود، وضرب على «عبد الله» في (د).

(٨) في (د) و(ص) و(ز): فيمن.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب

النبي ﷺ، رقم: (٥٠٠٢ - طوق).

تَحْسِينُ الْقِرَاءَةِ^(١):

ثَبَّتَ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي مُوسَى: «لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ، قَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُنِي لِحَبْرَتِهِ لَكَ تَحْبِيرًا»^(٢).

وَقَالَ مَعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ عَنْ^(٣) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ، قَالَ^(٤): «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ، قَالَ: فَرَجَّعَ فِيهَا، ثُمَّ قَرَأَ مَعَاوِيَةُ يَحْكِي قِرَاءَةَ ابْنِ مُغَفَّلٍ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَيَّ لَرَجَّعْتُ كَمَا رَجَّعَ ابْنُ مُغَفَّلٍ؛ يَحْكِي قِرَاءَةَ^(٥) النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ شُعْبَةُ: فَقُلْتُ لِمَعَاوِيَةَ: كَيْفَ كَانَ تَرْجِيعُهُ؟ فَقَالَ: ءَأَأَأَ^(٦)، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»^(٧).

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: «شَوْفُنَا رَبَّنَا - أَوْ: خَوْفُنَا رَبَّنَا -، قَالَ: فَيَقْرَأُ»^(٨)، لِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ تَحْبِيرِ الْقِرَاءَةِ وَتَحْسِينِهَا.

(١) ينظر: أحكام القرآن: (٤/١٥٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة،

رقم: (٥٠٤٨-طوق)، وقوله: «لِحَبْرَتِهِ لَكَ تَحْبِيرًا» أخرجه النسائي في الكبرى:

كتاب فضائل القرآن، تحبير القرآن، رقم: (٨٠٠٤-شعيب).

(٣) في (س): لعبد الله، وهو تصحيف.

(٤) سقطت من (د) و(ص).

(٥) سقطت من (د) و(ص) و(ز).

(٦) في (د) و(ص): أَأَأَ.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ذكر قراءة

النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة، رقم: (٧٩٤-عبد الباقي).

(٨) أخرجه الإمام أحمد في الزهد: (ص١٤٨).

وَكَرِهَ مَالِكُ التَّطْرِيبِ فِي الْأَذَانِ^(١)؛ لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ سُنَّةً، وَأَحْسَنَ مَا شَاءَ أَنْ يُحْسِنَ، وَلَمْ يَرِ لِمَنْ يَأْخُذُ عَلَى التَّلْحِينِ فِي رَمَضَانَ أُجْرَةً وَلَا أَجْرًا؛ لَأَنَّهُ كَرِهَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ نِيَّةَ^(٢) الدُّنْيَا دَخَلَتْهُ^(٣)، وَكَأَنَّهُ إِنَّمَا يَبِيعُ صَوْتَهُ.

وَالْأُجْرَةُ عَلَى الصَّلَاةِ جَائِزَةٌ عِنْدَنَا، وَالْقِرَاءَةُ بِالتَّلْحِينِ سُنَّةٌ، وَسَمَاعُهُ يَزِيدُ إِيمَانًا بِالْقُرْآنِ وَغِبْطَةً، وَيُكْسِبُ الْقَلْبَ^(٤) خَشْيَةً.

سَمِعْتُ بِمَصْرِ ابْنَ الرَّفَاءِ^(٥) يَقْرَأُ: ﴿كَهَيَّعَصَّ﴾ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، فَكَأَنِّي مَا سَمِعْتُهَا قَطُّ، وَلَقَدْ مَرَضَ فِي وَبَاءٍ كَانَ بِهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَجَلَسَ «بِمَسْجِدِ الْعَالِمِ» وَقَرَأَ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الصُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢]، وَجَعَلَ يُرَدِّدُهَا، وَقَرَأَ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانِ يَنْصُبِ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤٠]، فَكَادَتْ نَفْسِي تَطِيرُ شِعَاعًا^(٦)، وَأَذْرَكَتُهُ بَطُولُ الْمَرَضِ عَيْلَةً؛ فَرَأَيْتُ الثِّيَابَ قَدْ رُمِيَتْ عَلَيْهِ فِي الْمَجْلِسِ حَتَّى صَارَتْ كَوْمًا حَالٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُ.

(١) المدونة: (١/٥٩).

(٢) فِي طَرَةِ ب (س): زِينَةٌ.

(٣) فِي (س) وَ(ص): دَخَلَتْ.

(٤) فِي (ص) وَ(د): الْقُلُوبُ.

(٥) ذَكَرَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ: (٤/١٥٩٦)، وَذَكَرَ أَنَّهُ سَمِعَ مِنْهُ بِالْقِرَافَةِ، وَلَمْ أَجِدْ لَهُ ذِكْرًا فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ.

(٦) يَقَالُ: طَارَ فُؤَادُهُ شِعَاعًا، أَيُ: تَفَرَّقَتْ هُمُومُهُ، تَاجُ الْعُرُوسِ: (٢١/٢٧٥).

وَسَمِعْتُ لَيْلَةَ تَاجِ الْقُرَّاءِ ابْنَ لِفْتَةٍ^(١) يَقْرَأُ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾^(٢) فِي «جَامِعِ عَمْرٍو»^(٣)؛ فَمَا عَلِمْتُ أَلَيْلًا كَانَ أَمْ نَهَارًا؟

وَسَمِعْتُ الْكَازِرُونِيَّ^(٤) بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى يَقْرَأُ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١].

[٧٥/ب]

وكان أبو بكر الطُّوسِيَّ^(٥) إِمَامُ «الصخرة المقدسة» يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ بِالسُّورِ الطَّوَالِ، وَكَنتُ أَصْلِي أَبَدًا مَعَهُ، وَكَانَ أَحْسَنَ الْخَلْقِ صَوْتًا، وَكَانَ يُسْمَعُ صَوْتُهُ إِذَا أَعْلَنَ مِنْ دِيَارِ لُوطٍ، عَلَى أَقْلٍ مِنْ قَرَسَخٍ.

(١) ذكره في الأحكام: (١٥٩٦/٤)، وذكره بمثل ما ذكره به هنا.

(٢) بعدها في (س): ﴿عَسَى﴾، [الإسراء: ٧٩].

(٣) في (س): عمر.

(٤) لم أفف على من ذكره من أهل التواريخ، وترجم الذهبي لأبي عبد الله الكازروني، وذكر عنه أنه كان مقرئًا، توفي عام ٤٥٥ هـ، فلعله والد هذا، سير النبلاء: (١٧١/١٨-١٧٢)، وفي طبقات التاج (٤٨/٧): محمد الكازروني، وذكر أنه توفي في الوجود، وكان مع أبي حامد وإسماعيل الطُّوسِيِّين، وغيرهما، فلعله هو، وقال فيه ابن العربي (الأحكام: ١٥٩٦/٤): «كان ابن الكازروني يأوي إلى المسجد الأقصى، ثم تمتعنا به ثلاث سنوات، ولقد كان يقرأ في مهد عيسى فيسمع من الطور، فلا يقدر أحد أن يصنع شيئًا طول قراءته إلا الإنصات إليه».

(٥) إِمَامُ الصخرة المقدسة، المقرئ الصوفي، محمد بن أحمد بن علي، أبو بكر الطوسي، مات شهيدًا؛ قتله الصليبيون في شعبان من عام ٤٩٢ هـ، تاريخ دمشق: (٨٩/٥١).

وكان تاجُ القُرَّاءِ الكَفِيفُ بمدينة السَّلامِ أَعْظَمَ خَلْقِ اللَّهِ حُنْجَرَةً،
وأحلاهم تلحينًا، سمعته بدارِ بَهَاءِ الْمُلْكِ^(١) إزاء المدرسة النَّظامية يقرأ:
﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]، فَأَجْدُ أَعْضَائِي تَفْصُلٌ، حتى انتهى إلى
قوله تعالى: ﴿فَعَالٍ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، فظننتُ أَنَّ سَقْفَ الْإِيوَانِ يُنْقَضُ
علينا.

وعلى الجُمْلَةِ: فَإِن في القوم طَبْعًا صَوْتًا، وفي هوائهم صفاءً، وفي
قلوبهم رحمة^(٢)، وفي أنفسهم رقة، يَتَمَيَّزُونَ بها على^(٣) أهل الجفاء
والجهالة والقسوة.

وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه رقيق القلب، خاشع الجوارح، حَسَنَ
الصوت، فإذا قرأ تَقَصَّفَ^(٤) عليه نساءُ المشركين وصبيانُهم، حتى قالوا
لحليفه ابنِ الدَّغَنَةِ: «إِنَّمَا أَنْ تَكْفَهُ وَإِنَّمَا أَنْ^(٥) تُخْفِرَ عَهْدَكَ، فقال له: يا أبا
بكر، اعبد ربك في بيتك ولا تتظاهر لهم، قال: بل أصرف عليك جِوَارَكَ
وأرضى بجوار الله ورسوله»^(٦)، فصرفه عليه، وأذنَ الله لرسوله حينئذ في

(١) بهاء المُلْكِ ابن نظام المُلْكِ، ورد ذِكْرُهُ في الكامل لابن الأثير، في حوادث عام
٤٨٧هـ، عند تولية المستظهر بالله، (٤٩٤/٨).

(٢) في (س): وفي أنفسهم رقة، وفي قلوبهم رحمة.

(٣) في (س): عن.

(٤) التقصف: الاجتماع والازدحام، تاج العروس: (٢٦٣/٢٤).

(٥) سقطت من (د).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الكفالة، باب
جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، رقم: (٢٢٩٧-طوق).

الهجرة، فخرج رسول الله ﷺ به معه، وترك ما كان له من أهل وقرابة؛ استثناءً به، وتوفيةً لحقه، وعملاً بمقتضى منزلته في الدين ومرتبته، وثقةً بمُنته، وأنساً بصحبته، فمن ذا يطمع في مرتبته؟

وقد يُصيبُ بعضُ الناس غشيً عند القراءة، وقد يبقى قلبه على حاله. وروى^(١) أن الربيع بن خثيم سمع: «فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّافُورِ بِذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ» [البقرة: ٨-١٠]، فخرَّ مغشياً عليه؛ ولم يُفِقْ إلا في اليوم الثاني ذلك الوقت، فسُئِلَ ابنُ مسعود عن صلاته فقال: «لا إعادة عليه»^(٢).

وروي عن ابن عمر أنه مرَّ برجل ساقط فقال: «ما هذا؟ قال: إنه إذا قرئَ عليه القرآن يصيبه مثل هذا، قال: إِنَّا لَنُخْشِي اللَّهَ وَمَا نَسْقُطُ»^(٣).

ورأيت رجلاً بمجلس عالم العلماء الرازي^(٤) بالريحانيين^(٥) قد سمعه^(٦) يتكلم ويُسَوِّقُ للحج ويتلو، وكان إلى جانبي^(٧) رجلٌ على دُكَّانٍ؛

(١) في (د) و(ص): روي.

(٢) الزهد للإمام أحمد: (ص ٤٠١)، والحلية لأبي نعيم: (٢/١١٠)، ولم أجده كما ذكره ابن العربي هنا، والله أعلم.

(٣) الزهد للإمام أحمد: (ص ٢٤٢).

(٤) لم أهتم إلى معرفة عينه وحاله بعد بحث، غير أن ابن العربي ذكّر في موضع آخر من هذا الكتاب أنه قدِمَ إلى بغداد بنيةً الحج، وذكر أن أصله من الري.

(٥) في (س) و(د): الريحانيين، وفي قانون التأويل (ص ١١٥): «سوق الريحانيين»، وهو أحد أسواق بغداد، وفي مراصد الاطلاع (٢/٥٠٦): «دار الريحانيين: دار في دار الخلافة، مشرفة على سوق الريحانيين».

(٦) في (د) و(ص): فسمعت.

(٧) في (د): في خ: جنبي.

فسقط مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، وَشَجَّ جَبِينُهُ ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِي ^(١) رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي فَتَعَجَبْتُ ^(٢) مِنْهُ ، فَقَالَ لِي : غَلَبَتْ عَلَى بِلَادِكُمُ الْقِسْوَةُ .

وَصَلَّى رَجُلٌ الْعِشَاءَ خَلْفَ إِمَامٍ فَقَرَأَ : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] ، فَخَرَّ الرَّجُلُ ^(٣) وَرَاءَهُ ^(٤) مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا سَلَّمَ الْإِمَامُ ^(٥) أَلْفُوهُ مَيِّتًا ، فَاحْتُمِلَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي ^(٦) الْيَوْمِ الثَّانِي حُمِلَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ ، وَمَشَى مَعَهُ جِيرَتُهُ ، فَقَالُوا : «مَنْ يَصْلِي عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ : يَصْلِي عَلَيْهِ الَّذِي قَتَلَهُ» ، يَعْنِي : الْإِمَامَ الَّذِي قَرَأَ الْآيَةَ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدٍ ^(٧) : «كَانَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ يَقْصُصُ لِابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَابْنِ عَمْرِو قَاعِدُ نَاحِيَةٍ ^(٨) ، وَهُوَ يَقُولُ : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ إِلَى : ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾

[النساء: ٤١ - ٤٢] ، فَبَكَى ابْنُ عَمْرٍو حَتَّى لَثَقَ خَدَيْهِ ^(٩) / ، وَبَلَّ لَحْيَتَهُ ، قَالَ

(١) فِي (د) : فِي خَدِّ جَنْبِي .

(٢) فِي (س) : فَتَعَجَّبَ .

(٣) فِي (س) : رَجُلٌ .

(٤) سَقَطَ مِنْ (س) .

(٥) فِي (د) : النَّاسُ .

(٦) لَمْ تَرِدْ فِي (س) .

(٧) قَوْلُهُ : «قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدٍ» سَقَطَ مِنْ (س) وَ(ص) وَ(ز) .

(٨) فِي (ص) وَ(ز) : حَجْرَةٌ ، وَفِي (س) : حُجْرَةٌ .

(٩) فِي (د) وَ(ص) : حَتَّى لَثَقَ ابْنُ عَمْرٍو خَدَيْهِ ، وَفِي (د) أَيْضًا : لَثَقَ ابْنُ عَمْرٍو ثَوْبَهُ ، وَابْتَلَتْ لَحْيَتَهُ .

عبد الله بن عبيد^(١): فَهَمِمْتُ أَنْ أَقُومَ إِلَى عُبَيْدٍ فَأَقُولَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَإِنَّكَ قَدْ أَذَيْتَ الشَّيْخَ^(٢).

مَدُّ الْقِرَاءَةِ:

قال أنس: «كانت قراءة النبي مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ أَنَسُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يَمُدُّ بِسْمِ اللَّهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ»^(٣).

وقد كان النبي ﷺ يُسْرِعُ بِالْقِرَاءَةِ^(٤)، وكان ممَّا يحرك به لسانه وَشَفْتَيْهِ^(٥)، حتَّى قال الله له: ﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]، فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله^(٦).

[تَرْتِيبُ الْقِرَاءَةِ وَتَرْتِيلُهَا]:

وحديث عبد الله بن عمرو مَشْهُورٌ فِي تَرْتِيبِ الْقِرَاءَةِ وَتَرْتِيلِهَا، وهو أن يقرأه في شَهْرٍ، وأقله في ثلاث^(٧)، ولم يجعل لعبد الله سبيلاً إلى أقل منها، وقال ﷺ: «لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»^(٨).

(١) قوله: «قال عبد الله بن عبيد» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء مختصراً: (ص ١٠٧-١٠٨)، رقم: (١١٢-١١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة، رقم: (٥٠٤٦-طوق).

(٤) في (د): القراءة.

(٥) بعده في (س) و(ص) و(ز): «يشدد عليه»، وضرب عليها في (د).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس ؓ: كتاب فضائل القرآن، باب الترتيل في القراءة، رقم: (٥٠٤٤-طوق).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصوم، باب صوم يوم وإفطار يوم، رقم: (١٩٧٨-طوق).

(٨) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب القراءات عن رسول الله ﷺ، باب، رقم: (٢٩٤٩-بشار).

وقد رأيتُ من أصحابنا من كان يختمه مَرَّةً في الليل ، ومَرَّةً في النهار ؛ سَفَرًا وَحَضْرًا ، لِرُطوبَةِ لسانه ، واطِّرادِ عَمَلِهِ بذلك وعادته ، وهذا هو^(١) الذي يَزَعَى طريق الذكر دون الاعتبار به .

فأَمَّا الاعتبار به^(٢) فقد^(٣) يكون بالآية الواحدة في الليلة الواحدة ، فقد قال الترمذي : أخبرنا أبو بكر محمد بن نافع البصري : أنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن إسماعيل بن مسلم العبدي عن أبي المتوكل عن عائشة رضي الله عنها قالت : « قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة »^(٤) .

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ لم يأذن لعبد الله بن عمرو في أقل من خمس ليال^(٥) .

وقد روى أحمد أنه نقله من أربعين ليلة إلى سبع ليال^(٦) .
وروى ذلك أبو داود ، وقال : « ولم ينزل عن سَبْعٍ »^(٧) ^(٨) .

(١) سقط من (س) .

(٢) قوله : « فأما الاعتبار به » سقط من (د) .

(٣) في (س) : وقد .

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه : أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في قراءة الليل ، رقم : (٤٤٨ - بشار) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب فضائل القرآن ، باب في كم يُقرأ القرآن ، رقم : (٥٠٥٣ - طوق) .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه : (٥٢/١١) ، رقم : (٦٥٠٦ - شعيب) .

(٧) قوله : « وروى ذلك أبو داود وقال : ولم ينزل عن سَبْعٍ » سقط من (س) و(ز) .

(٨) أخرجه أبو داود في سننه : كتاب الصلاة ، باب في كم يُقرأ القرآن ؟ رقم : (١٣٨٨ - شعيب) .

وروى أبو داود أيضاً^(١) عن عبد الله بن عمرو عن النبي عليه السلام أنه قال: «لا يفقه القرآن من قرأه في أقل من ثلاث»^(٢).

وروى أحمد عن عثمان أنه كان يُوترُّ بالقرآن في ركعة^(٣).

وروي عن سعيد بن جبير أنه قرأ القرآن في ركعة في الكعبة^(٤).

والترتيل أحبُّ إلى أهل العلم.

سماعه من الغير والبكاء عليه:

قال النبي ﷺ لعبد الله بن مسعود: «اقرأ عليّ القرآن، قال: أقرأ عليك وعليّك أنزل، قال: إني أحبُّ أن أسمع من غيري، فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى قوله: ﴿بَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾، قال: حسبك الآن، فالتفت إليه وإذا^(٥) عيناه تذرفان»^(٦).

وقد قال الله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٥].

فالنبي ﷺ بكى رهبةً لذلك اليوم العظيم، وهؤلاء بكوا شوقاً إلى الله حين سمعوا كلامه.

(١) سقطت من (س) و(ز) و(ص).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب في كم يقرأ القرآن؟ رقم: (١٣٩٤-شعيب).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن زوج عثمان ؓ: (ص ١٥٨).

(٤) جامع الترمذي: (٥/٦٣-بشار).

(٥) في (د) و(ص): فإذا.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن، رقم: (٥٠٥٥-طوق).

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٨].

فإن كان المراد به من تقدم ممن أسلم من الأمم؛ فإنما بكوا تذكرة لما كان نزل عليهم، وتقدم من التعريف به لهم، أو لما فاتهم من أيامهم قبل هذه التذكرة، أو على من فاته ذلك من قومهم ومعارفهم، أو على عواقبهم التي لا يعرفونها^(١).

والبكاء رقة في القلب، مُمدحة في الخلق، معدودة في الفضائل، وأين هذا من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]؟

وهم على أقسام:

منهم: الكفار.

ومنهم: الغافلون.

ومنهم: الذين ورد ذكرهم في الأثر: «ينثرونه نثر الدقل»^(٢)، «يتعجلونه ولا يتأجلونه»^(٣)، يمرون عليه بغير فهم ولا تثبت، صم عن سماعه، عمي عن رؤية عبيره.

(١) في (د) و(ص): يعلمونها، وأشار إليها في (س).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن مسعود موقوفاً: أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما ذكر في قراءة سورتين في ركعة، رقم: (٦٠٢-بشار).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث جابر بن عبد الله مرفوعاً: (١٤٤/٢٣)، رقم: (١٤٨٥٥-شعيب).

ومنهم: من يُقِيمُ حروفه في مخارجها.

ومنهم: من يُقْبِلُ على جميع القراءات، وليته جَمَعَ الصحيح منها، أو عرف كيف يجمعها، وهذا كله مذموم، وإقبال على ما لا يُحتاج إليه، أو إعراضٌ عمّا يلزم، وقد بيّناه في غير موضع^(١).

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أَسِيفًا؛ إذا قرأ بكى شوقًا وخوفًا.

وقد رأيت من يعيبُ البكاء ويقول: إنه صفة الضعفاء، والنبى ﷺ قد مدحها، قال: «عينان لن تمسهما النار أبدًا، عَيْنٌ بَكَتْ من خشية الله، وعَيْنٌ سهرت في سبيل الله»^(٢).

وبُكَاءُ الشوق - عندي - خشية، فإنه حَذَرٌ من فوات المتاع بالمحسوب.

وقد كنت فاضتُ في ذلك شَيْخِي الزَّاهِدَ أَبَا بَكْرٍ^(٣) الْقُرْشِيَّ^(٤)، وكانت في^(٥) قَسْوَةً جَبَلِيَّةً^(٦)، وشَكْوْتُ إليه ما بقلبي من ذلك، فقال لي: «تَبَاكَ إِذَا لَمْ يُطْعَمْكَ الْبُكَاءُ، وَتَحَازَنُ إِذَا لَمْ يُجِبْكَ الْحُزْنُ، حَتَّى تَتَّخِذَهُ عَادَةً، وَإِنْ مَدَّ اللَّهُ فِي عَمْرِي لِأَجْمَعَنَّ كِتَابًا فِي الْبُكَاءِ»، وفارقتُه ولم أَدْرِ ما فَعَلَ بعدي.

(١) ينظر: العارضة: (٧١/١٠)، والعواصم: (ص ٣٦١).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن عباس رضي الله عنه: أبواب فضائل الجهاد عن رسول

الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، رقم: (١٦٣٩-بشار).

(٣) في (س): وأبا بكر.

(٤) هو الإمام أبو بكر الطرطوشي ت ٥٢٠ هـ، تقدّم التعريف به في السّفر الأوّل.

(٥) في (س): فيه، وهو تصحيف.

(٦) في (د) و(س) و(ص): جبلية.

وكان عبد الله بن عمرو^(١) يبكي وهو ساجد في الحجر، فمرَّ به رجل^(٢)، فقال له^(٣): «أَتَعْجَبُ^(٤) مني أن أبكي من خشية الله؟ وهذا القمر يبكي من خشية الله^(٥)، ونظر إلى القمر وقد شَفَّ إلى^(٦) أن يغيب^(٧)». وكانت أمُّ يعلى بن^(٨) عطاء تصنع لعبد الله بن عمرو^(٩) الكُخْلَ، وكان يُكثر من البكاء ويُعلق عليه بابه حتى رَسَعَتْ^(١٠) عيناه^(١١). وقد جَمَعَه ابنُ أبي الدُّنْيَا فَأَحْسَنَ فيه^(١٢)؛ لولا صِغَرُ حَجْمِهِ^(١٣).

[شكوى ابن العربي من أحوال زمانه]:

وقد عَظُمَ الخُطْبُ في هذا الزمان حتى لا يَذْري العَبْدُ على أي شيء يَبْكِي؛ أعلى فوات دنياه؟ أم على ذهاب دينه؟ أم على^(١٤) إخوانه في

(١) في (س) و(ز): عمر.

(٢) قوله: «في الحجر، فمرَّ به رجل» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٣) سقطت من (س) و(ص) و(ز).

(٤) في (س) و(ص): العجب.

(٥) قوله: «من خشية الله» سقط من (د).

(٦) سقط من (س) و(د) و(ص) و(ز)، والمثبت من (ل).

(٧) أخرجه ابن المبارك في الزهد عن ابن أبي مُليكة: (٨٦٠/٢)، رقم: (١١٤٥).

(٨) في (ص): بنت.

(٩) في (س) و(ز): عمر.

(١٠) في (ز): تصدَّعت، وفي (د): رَسَعَتْ، وفي (ص): وسعت، ورَسَعَتْ عيناه:

التصقت أجفانها، تاج العروس: (٨٨/٢١).

(١١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٢٩٠/١).

(١٢) قوله: «فأحسن فيه» سقط من (س).

(١٣) يقصد «كتاب الرقة والبكاء»، وهو منشور في مجلدة لطيفة.

(١٤) سقطت من (س) و(ص) و(ز).

القربات؟ أم على^(١) أعوانه على الصالحات؟ أم على دروس العلم وطُموسه؟ أم على اتفاق الخلق على إنكار المعروف وتعريف المنكر؟ أم على نفسه التي لا تطاوعه على طاعة؟ أم^(٢) على^(٣) عرسه التي تطالبه بما ليس له به طاقة؟ أم على ولده الذي لا يرى فيه^(٤) للعين قُرَّة؟ أم على جاره الذي لا يُغضي له على عورة؟ أم على أميره الذي لا يرعى فيه إلا ولا ذمَّة؟ أم على فقد صبره الذي يغلبه على الانفراد عن الخلق، والاستبداد^(٥) بالرب؛ حين لم يجد سواه، ولا رأى حسناً في^(٦) غيره؟ أم على عدم محل الهجرة حتى يخرج عن هذه الأمة إلى موضع يأمن فيه ما يتوقع من نِقمة؟

أما - والله - إنه لينبغي أن يترك هذا كله؛ ويرجع على^(٧) نفسه الخائنة له باللوم، وليجادلها؛ فلعَلَّها^(٨) إن كانت لم ترع/ أمْسِ تُطع اليوم.

١
[٧٧/أ]

(١) سقطت من (س) و(ز).

(٢) في (س) و(ص) و(ز): أو.

(٣) سقطت من (س) و(ص) و(ز).

(٤) في (س) و(ز): للعين فيه.

(٥) في (د) - أيضاً - : الاكتفاء.

(٦) في (س) و(ز): في.

(٧) في (س): إلى.

(٨) في (س): فعَلَّها.

[تِمَّةُ الْحَدِيثِ عَنِ الْبُكَاءِ]:

قال لي عطاء^(١) - شيخُ الفقهاء والفقراء بالمسجد الأقصى^(٢) - : أين أعين البُكَاءِ؟ وأين أسباب الاشتياق إلى المولى لا إلى اللّوى؟ وجرى القولُ يَوْمَنَا وِليَهِ^(٣)، وجرَّ الحديثُ على المشافهة ذَيْلَهُ، حتى قال لي: ما سَمِعْتُ في البكاء أَحْسَنَ من قولِ الشّاعر^(٤):

أَتَنْبِي تَوْبَتِي^(٥) فِي الْبُكَاءِ فَأَهْلًا بِهَا وَبَتَائِبِهَا
تَقُولُ وَفِي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ: أَتَبْكِي بَعَيْنِ تَرَانِي بِهَا؟
فَقُلْتُ: إِذَا اسْتَحْسَنْتَ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ جُفُونِي بَتَعْدِيبِهَا
وَأَصْلُ الْبُكَاءِ إِنَّمَا هُوَ عَلَى فَقْدِ الْمَحْبُوبِ، أَوْ نَزُولِ الْمَكْرُوهِ، وَأَيُّ
مَحْبُوبٍ أَعْظَمُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ؟ أَوْ^(٦) أَيُّ مَكْرُوهٍ أَصْعَبُ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ
وَعَذَابِهِ؟

(١) الإمام الفقيه، شيخ الشافعية، أبو الفضل عطاء المقدسي، لقيه ابن العربي عام ٤٨٧هـ بيت المقدس، وذكر أنه فقيه الشافعية (القانون: ص ٩٤)، ونعته في العارضة بفقيه بيت المقدس وصوفيها، (٢٣٩/٨)، وذكر مفاوضته لأبي منصور التركي في إحدى مسائل العلم بالمسجد الأقصى، وأحال على كتابه «عيان الأعيان»، ينظر الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٤٣١/٢)، وترجمته في: الأنس الجليل: (٤٣٥/١).

(٢) قوله: «بالمسجد الأقصى» سقط من (س)، وفي (ز): في المسجد الأقصى.

(٣) في (د) و(ل): يوماً وليلة.

(٤) الأبيات من المتقارب، ونسبها الثوري في نهاية الأرب: (٥٦/٢) إلى سلم الخاسر، ونسبها ابن جُمَيْع الصيداوي في معجم شيوخه: (ص ٣٤٩) إلى ابن المعنز، وأغرب المقرئ بنسبتها في النفع والأزهار إلى ابن العربي، وسكت عن هذه النسبة إحسان عباس.

(٥) في (د) - أيضاً -: تَعَانِي... وَبَتَعْنِيهَا.

(٦) في (س) و(ص) و(ز): و.

أَلَا تَرَى أَنَّ السَّحْرَةَ لَمَّا تَحَقَّقَتْ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ وَاسْتَمَرَّتْ عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِ
مَثْنَوِيَّةٍ عَزِيمَةٍ قَالَتْ لِفِرْعَوْنَ: ﴿بَاقُضٍ مَا أَنْتَ فَاقُضٍ إِنَّمَا تَفْضِي هَذِهِ الْحَيَوَةَ
الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧١] .

وقد قال الله تعالى مخبراً عن الأنبياء ومن انضاف إليهم من الأولياء:
﴿إِذَا تَنَبَّأَ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨] ، وإنما كان
بكاؤهم على أن ما انتهبوا إليه من السجود - وهو الغاية في الذلة - لا يقوم
بحق النعمة ، فرأوا أنفسهم بعين التقصير فيما عليهم من الحق .

ومن فضل الله على الخلق أن جعل البكاء راحة لهم في الدنيا ، وأجرًا
لهم في الآخرة ، وقد بكى السفهاء على الأطلال وآثارها ، والهفوات
وأطوارها ، والشهوات وأوطارها ، فابك أنت على ما مضى من أيامك الأول
في غير عمل ، وفي ذلك ما ^(١) قُلْتُ:

يَا نَفْسِي وَيَحَاكَ ^(٢) كَمْ ذَا أَنْتِ فِي وَسْنِ

لَا تَبْكِينَ عَلَى الْآثَارِ فِي ^(٣) الدَّمَنِ

وابكي على عملٍ قد كُنْتَ تَارِكَةً

أَوْقَاتِهِ هَمَلًا فِي سَالِفِ الزَّمَنِ

يَا فُرْصَةً لَمْ تَزَلْ عَنْهَا مَدَافِعَةً كَالطُّفْلِ يُخَدَعُ بِاللُّعْبَى عَنِ اللَّبَنِ
أَيَّامَ تَعْمَلُ فِي دُنْيَاكَ مَجْتَهِدًا مِنْ كُلِّ يَوْمَةٍ ^(٤) كَوَمَاءٍ كَالْفَدَنِ

(١) سقطت من (س) .

(٢) في (س): يَا وَيْحَ نَفْسِكَ .

(٣) في (ل): فِي خَدِّ وَ .

(٤) اليعملة: الناقة النجيبة المطبوعة على العمل ، تاج العروس: (٥٨/٣٠) .

تَحَفَّظِي بِبَقَايَا الْعُمُرِ جَاهِدَةً مِنْ أَنْ تَمُرَّ^(١) عَلَى حَالٍ مِنَ الْغَبَنِ
وَكَيْفَ أَرْجُو بُلُوغًا مَا أُؤَمِّلُهُ وَلَسْتُ أَسْعَى إِلَى التَّحْقِيقِ فِي سَنَنِ
وَاللَّهُ لَا يَقْبَلُ الْأَعْمَالَ خَالِصَةً حَتَّى تَكُونَ عَلَى هَدْيٍ مِنَ السُّنَنِ
وقد قال النبي ﷺ - في الصحيح - : «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»^(٢).

وقد جاء هذا القول في حديث طويل ضعيف فلا تلتفتوا إليه.

ومن الحديث الحسن: قال النبي ﷺ: «لا يُلْجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ»^(٣).
والأَوَّلُ أَصَحُّ.

الانتقاء للآيات بحسب الأغراض:

وقد تختلف القلوب في القراءة^(٤)؛ فمنها قَلْبٌ يَخْلُقُ اللَّهُ^(٥) له الرجاء، وآخر يخلق له التخويف، وآخر يخلق له التوحيد، فينتقون آية آية لأمر يَتَوَجَّه.

(١) في (س) و(ص): يمر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾، رقم: (٤٦٢١-طوق).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله، رقم: (١٦٣٣-بشار).

(٤) في (د): القراءات.

(٥) لم يرد في (د) و(ص) و(ز) و(ل).

وفي الحديث الحسن: أن النبي ﷺ سَمِعَ بِلَالًا يَقْرَأُ هَكَذَا فَأَقَرَّهُ وَرَضِيَهُ^(١).

ونَصَّهُ^(٢): عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة: «أن النبي ﷺ خرج ليلة؛ فإذا هو بأبي بكر ﷺ يُصَلِّي؛ يَخْفِضُ مِنْ صَوْتِهِ، قال^(٣): ومَرَّ بعمر بن الخطاب وهو يُصَلِّي رافعاً^(٤) صوته، فقال: يا رسول الله؛ أَوْقِظُ الوسنان، وأطردُ الشيطان، فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر، ارفع من صوتك شيئاً، وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئاً»^(٥).

ورواه عن أبي هريرة بنحوه، وزاد^(٦): «وقد سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة، قال^(٧): كَلَامٌ طَيِّبٌ يَجْمَعُهُ^(٨) الله؛ بعضه إلى بعض، قال^(٩) النبي عليه السلام: كلکم قد^(١٠) أصاب^(١١)»، أخرجه أبو داود.

(١) سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٢) سقط من (د).

(٣) سقط من (د) و(ص) و(ل).

(٤) في (ص): وهو يرفع صوته.

(٥) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الصلاة، باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة

الليل، رقم: (١٣٢٩-شعيب).

(٦) في (ل): زاد.

(٧) في (س): فقال.

(٨) في (س) و(ص): يجمع.

(٩) في (س): قال عليه السلام.

(١٠) سقطت من (د).

(١١) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الصلاة، باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة

الليل، رقم: (١٣٣٠-شعيب).

وقد روى أحمد^(١) عن سلمان: «أنه اجتمع الناس إليه بالمدائن؛ فقرأ عليهم سورة يوسف، فجعلوا يتفرقون عنه، فقال: أَبْزُخَرْفٍ^(٢) من القول؟ تريدون آية من سورة كذا، وآية من سورة كذا»^(٣).

وقد أذن النبي ﷺ في اختيار السُّورِ^(٤).

وروى أبو داود: «قال رجل للنبي ﷺ: أَقْرِئْنِي^(٥) يا رسول الله، قال: اقرأ ثلاثاً من ذوات ﴿أَلِفٍ﴾، قال: كَبُرَتْ سِنِّي، واشتدَّ قَلْبِي، وَغَلُظَ لِسَانِي، قال: اقرأ ثلاثاً من ذوات ﴿جِيمٍ﴾، فقال مِثْلَ مَقَالَتِهِ، فقال: اقرأ ثلاثاً من الْمُسَبِّحَاتِ، فقال مثل مَقَالَتِهِ، فقال الرجل: يا رسول الله، أَقْرِئْنِي سورة جامعة، فأقرأه النبي ﷺ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾، حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبداً، فقال النبي ﷺ: أَفْلَحَ الرَّؤُوسُ^(٦)».

(١) في (د) و(ص): أحمد بن حنبل.

(٢) في (س) و(ز): الزخرف.

(٣) عادة ابن العربي إذا أحال على الإمام أحمد يقصد كتاب الزهد له، ولم أجد الأثر في المنشور منه، وهو في الحلية لأبي نُعَيْم: (٢٠٣/١).

(٤) منه حديث عبد الله بن مسعود، خرَّجه أبو داود في السنن: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن، رقم: (١٣٩٦-شعيب).

(٥) في (س) و(د): أقرني.

(٦) أخرجه أبو داود في السنن عن عبد الله بن عمرو ؓ: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن، رقم: (١٣٩٩-شعيب).

حقيقة القراءة:

والذي يقرأ القرآن مُتَعَلِّمًا كالذي يقرأه مُؤْتَجِرًا^(١)؛ في أن كل واحد منهما يلزمه أن يكون له مُتَدَبِّرًا، وفيه مُتَفَقِّهًا، وبه عاملاً، فما كان أحدٌ من الصحابة يقرأ آيةً ولا يتجاوزها إلى سواها حتى يفهم معناها، وبذلك كانت كما جاءت الآثار^(٢).

قال النبي ﷺ: «أيكم يُحِبُّ أن يغدو كل يوم إلى بُطْحان أو العقيق فيأتي بناقتين كَوْمَاوَيْنِ في غير إثم ولا قطيعة رَحِم؟ قالوا: يا رسول الله، كلنا نحب ذلك، قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيُعَلِّمُ أو يقرأ آيةً أو آيتين من كتاب الله؛ خَيْرٌ له من ناقة أو^(٣) ناقتين، وثلاث خَيْرٌ له من ثلاث، وأَرْبَعٌ خَيْرٌ له من أربع، ومن أَعْدَاهِنَّ من الإبل»^(٤).

وعن أبي هريرة قال^(٥): قال رسول الله ﷺ: «أحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خَلِفَاتٍ^(٦) عِظَامِ سِمَانٍ؟ قلنا: نعم، قال: / فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خَيْرٌ له من ثلاث خَلِفَاتِ عِظَامِ سِمَانٍ»^(٧).

[١/٧٨]

(١) في (ز): مُتَجِرًا.

(٢) قوله: «جاءت الآثار» سقط من (س) و(ص) و(ل) و(ز).

(٣) قوله: «ناقة أو» سقط من (ص) و(ز) و(س) و(ل).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، رقم: (٨٠٣-عبد الباقي).

(٥) سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٦) في طرة ب (د): الخَلِفَات: التُّوقُ الحوامل، الواحدة: خَلِيفَةٌ.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، رقم: (٨٠٢-عبد الباقي).

وقوله في هذا الحديث^(١): «يَقْرَأُ وَيَعْلَمُ» سواء؛ لأن من قرأ ولم يَعْلَمْ واقتصر على التلاوة دون عَقْلِ المَثَلِ وفَقْهه فقد خاب سعيه، وأَفْنِ رَأْيَه، وَغَبِنَ نَفْسَه، وَسَفِهَ عَقْلَه^(٢).

وقد ثبت عن النبي ﷺ ذم ذلك في حديثين عظيمين صحيحين: أحدهما: قوله ﷺ: «إنكم في زمان كثير فقهاؤه، قليل قراؤه، يَحْفَظُونَ فيه حدود القرآن، وَيُضَيِّعُونَ حروفه، وسيأتي على الناس زمان كثير قراؤه، قليل فقهاؤه، تُحَفَظُ فيه^(٣) حروف القرآن، وتُضَيِّعُ حدوده^(٤)».

الثاني: قوله ﷺ: «يَخْرُجُ من ضَيْضِي هذا^(٥) - وفي رواية: من قبل المشرق - قَوْمٌ يَقْرَءُونَ القرآن لا يُجَاوِزُ حناجرهم، يَمُرُّونَ من الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ من الرِّمِيَّةِ^(٦)»، وذكر الحديث، فذَمَّهُم على التلاوة دون العمل، وهُم يَدْعُونَهُ ولا يعقلونه، ويقولون: «كَتَابُ اللَّهِ إِمَامُنَا»، وقد نبذوه وراء ظهورهم.

وقد صحَّ أَنَّ ابن عمر أقام على البقرة ثماني سنين يتعلمها^(٧).

(١) قوله: «في هذا الحديث» سقط من (س).

(٢) المعنى: خَسِرَ نفسه، وأفسد رأيه، ينظر: الروض الأنف: (٤/١٥٤).

(٣) سقطت من (س).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً: جامع الصلاة، (١/٢٣٣)، رقم: (٤٨١) - المجلس العلمي الأعلى.

(٥) سقط من (س).

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ما جاء في القرآن، (١/٢٥٧)، رقم: (٥٤٧) - المجلس العلمي الأعلى.

(٧) أخرجه الإمام مالك في الموطأ بلاغاً: ما جاء في القرآن، (١/٢٥٧)، رقم: (٥٤٨) - المجلس العلمي الأعلى.

وقد قال العلماء: «فيها أَلَفٌ أَمْرٍ، وَأَلَفٌ نَهْيٍ، وَأَلَفٌ حُكْمٍ، وَأَلَفٌ خَبَرٍ»^(١)، وقال ابن مسعود: «من أراد العلم فليُثَوِّرْ»^(٢) القرآن، فإنَّ فيه عِلْمَ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ»^(٣).

صِفَةُ التَّعْلِيمِ:

وقد بيَّنَّا في كتاب «قانون التأويل»^(٤) كيف يُفْرَأُ القرآنُ ويُعَلَّمُ ويُعَلِّمُ، وقد كان عِلْمُ الألفاظ ومدلولاتها^(٥) عند^(٦) الصدر الأوَّل؛ لأنهم كانوا عرباً عَرَبَاءَ^(٧)؛ يعرفون معاني الألفاظ ومقاطع الكلام، ثم اختلط الخلق حتى فَسَدَتِ الأَلْسُنُ، وَصَلَّتِ القُلُوبُ عن الحقائق حتى فسدت المعاني، فتعيَّن علينا - والحالة هذه - أن نبدأ بعِلْمِ الألفاظ؛ على وَجْهِ دِلَالَتِهَا على مدلولها، وأن نعلم مقاطع التعبير عنها؛ وهي الفصاحة التي يتميز^(٨) بها لسانُ العرب الذي ورد القرآن به، وهو الذي نحاول معرفته.

فينبغي أن يُنشَأَ الطفل على تعليم العربية ومقاطع الكلام، ويُحَفِّظَ أشعار العرب وأمثالها، ويُلقَى إليه من الحساب ما يُقِيمُ به دينه، ويكون دُسْتُورًا لِعِلْمِ الفرائض، واستخراج المعلوم من المجهول، ففيه منفعةٌ في الدين، وتمرينٌ للأفهام، ويُدْرَسُ من القرآن المفصل عند استقلاله ببعض

(١) وفي المسالك للقاضي (٤٠٩/٣): «سمعت بعض أشياخي يقول».

(٢) ثَوَّرَ القرآن: بحث عن معانيه وعن علمه، وتثوير القرآن: قراءته ومفاتيحه العلماء به في تفسيره ومعانيه، تاج العروس: (٣٤٣/١٠).

(٣) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه: (١٤٦/٩)، رقم: (٨٦٦٦).

(٤) قانون التأويل: (ص ٣٤٦-٣٤٨)، وينظر: العواصم: (ص ٣٧٠).

(٥) في (س) و(ص): مداولاتها.

(٦) في (س): في.

(٨) في (د) و(ص): تميَّز.

(٧) في (د) و(ز): عَرَبًا.

هذه المقاصد، حتى إذا رَوِيَ من هذا الغرض مشى إلى العالم فأقرأه القرآن بتفسيره، ودرسه إِيَّاهُ بمعناه، ويأخذه به من أَوَّلِهِ، فلا يخطئ في وجهين: أحدهما: أن يُعَلِّمَهُ القرآن منكوساً^(١)، ولا يقرأه^(٢) كذلك إلا منكوس القلب.

والثاني: أن يُحَفِّظَ الصَّبِيَّ كتاب الله وهو لا يَعْقِلُ منه حَرْفًا، فيتكَلَّفَ استظهار ما لا طاقة له به، وإنَّمَا يَمُرُّ عليه كالعربي يحفظ التوراة بالعبرانية.

وإن عَقَلَ الصَّبِيُّ منه الألفاظ المستعملة عنده «كجاء» و«قام» و«قعد» / و«جَلَسَ» لم يَقْدِرْ على رِبْطِهَا بما يَتَّصِلُ به، ولا فُهِمَ ما تقتضيه
 ١
 [٧٨/ب] فيما انتظمت معه.

فإن قَدَّرَ الله ونظرْتُم في شيء من التفسير فأحذَرُكم أن تُكُتِبَ التفسير مشحونة بالأحاديث الموضوعة والمقاصد الفاسدة، فلا تقرأوا^(٣) منها إلا المُسَنَّدَاتِ؛ «كتفسير عبد الرزاق»، و«ابن المنذر»، و«الطبري» لمن أراد أن يَبْحَرَ، وأما هذه المجموعات من غير أسانيد؛ فإنها مُشْتَمِلَةٌ على

(١) لعله يقصد بذلك ما جرت به عادة المغاربة من التدرج في حفظ القرآن للصبي؛ فتكون البداية بأواخر السُّور، ثم يترقى به إلى ما فوقه، إلى أن تكون سورة البقرة من آخر ما يحفظ، فهذا معنى التنكيس، أو يكون معنى التنكيس أن يقرأ آي السُّورة الواحدة منكوسة، أي: يقرأ من آخرها إلى أولها؛ وذلك ليقْتَدِر على الحفظ، ويستدلُّ به الواحد على تمكنه منه، وجريان القرآن على لسانه، وهذا لا يجوز قطعاً، ففيه من الفساد الشيء الكثير، ينظر: شرح ابن بطال: (٢٣٩/١٠)، والحوادث والبدع للطرطوشي: (ص ٣٠١-٣٠٢).

(٢) في (ل): يقرأ.

(٣) في (د) و(ز): تقرأون.

مَغْوَاة، لا يكون لأَحَدٍ معها نَجَاة، منها ما وَقَعَ فيها مؤلفوها غفلة، ومنها ما اعتمدوه جهالة، وأَسْلَمَ ما في هذه المختصرات «كُتُبُ»^(١) أبي الحسن الحَوْفِي^(٢)؛ التي^(٣) ترجمها^(٤) لبعض ملوك الأندلس^(٥) ابنُ عَمَّار

(١) في (س): كتاب.

(٢) الإمام العلامة، النحوي المفسر، علي بن إبراهيم بن سعيد، أبو الحسن الحَوْفِي، مالكي المذهب، من أخص تلاميذ أبي بكر الأَدْفُوِي، توفي عام ٤٣٠هـ، ولقي جماعة من علماء المغرب القادمين إلى مصر، له تفاسير عدة، منها: «إعراب القرآن»، و«البرهان في علوم القرآن»، وهو كتاب كبير، ذكر ابن خير أنه في مائة سفر ضخمة، وذكر ياقوت المستعصمي أنه في ثلاثين مجلدة بخط دقيق، يوجد بعضه، واسمه: «البرهان في علوم القرآن؛ من الغريب والإعراب، والقراءات والتفسير، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وعدد الآي والتنزيل»، حَقَّق بعضه في رسائل جامعية، ونَقَدَ طريقته في التفسير الإمام ابن دحية السبتي، نقله عنه ابن الملقن في البدر المنير: (٤٧٢/٧)، ينظر في أخباره: فهرس ابن خير: (ص ١٠٥)، ومعجم الأدباء: (١٦٤٣/٤-١٦٤٤)، وإنباه الرواة: (٢٢١/٢-٢٢٢)، وسير النبلاء: (٥٢١/١٧-٥٢٢).

(٣) في (د) و(س) و(ص) و(ز): الذي، ومرَّضها في (ل).

(٤) في (س): جمعها.

(٥) هو: الأمير الموفق، أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري، مَلِكُ دانية لأزيد من ثلاثين سنة، وكان من أهل العلم، قصده العلماء والفقهاء من المشرق والمغرب، وأَلْفُوا له توالييف مفيدة في سائر العلوم، ومَنَّنَ قصده أبو عمرو المقرئ، وابن عبد البر، وابن عَمَّار المهدوي، وابن سِيَدَه، وغيرهم كثير، توفي عام ٤٣٦هـ، ترجمته في: جذوة المقتبس: (ص ٥٢٢-٥٢٤)، والبيان المعرب لابن عذاري: (١٥٦/٣-١٥٧)، والمغرب لابن سعيد: (٤٠١/٢)، وأعمال الأعلام لابن الخطيب: (ص ٢١٧-٢٢٠).

المهدي^(١) باسمه ، أيّان^(٢) ورد عليها ؛ عام المجاعة الكبرى^(٣) ، منذ تسعين^(٤) عامًا ، فقد قرأتها «بالثغر المحروس» و«الفُسْطَاط» ، ولم أرَ فيها مُنْكَرًا .

وأيّاكم و«كُتِبَ الْقَصَص» ، فإنكم بَقْلَةٌ تَمَرُّنُكُمْ بالعلوم تَتَجَرَّعُونَ منها الغُصَص ، أمّا في الدنيا فبالجهالات ، وأمّا في الآخرة فإنه يُخَافُ عليكم أن يُقال فيكم : ﴿وَفَقَهُهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٥) عن اقتدائهم بالذين لا يعلمون .

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي^(٦) رحمته الله : فإذا كُنْتَ جَارِيًا على هذا السَّنَنِ فأنت «العابِدُ» .

(١) الإمام العلامة ، المقرئ المفسر ، أحمد بن عمّار ، أبو العباس المهدي ، تَلَمَّذَ لأبي الحسن القاسبي ، ودخل الأندلس في حدود عام ٤٣٠ هـ ، وألف التأليف الجليّة ، طبع له منها : «التحصيل لفوائد كتاب التحصيل» ، وهو مختصر «التفصيل الجامع لعلوم التنزيل» ، ألفه برسم الأمير مجاهد العامري ، وكانت وفاة ابن عمّار بالأندلس بعد ٤٤٠ هـ ، ترجمته في : جذوة المقتبس : (ص ١٦٧ - ١٦٨) ، والصلة : (١٣٨/١) ، وإنباه الرواة : (١٢٦-١٢٧) ، وكتاب العُمَر : (١٢٢/١-١٢٧) ، وينظر : التحصيل لابن عمّار : (١٠٧/١) .

(٢) في (ص) : إِبَّان .

(٣) في طرة بـ (ص) : قال الأشيري : «أظن عام المجاعة كان سنة الخمسين أو الستين وأربعمائة» ، قلتُ : كلام ابن العربي يحوم حول الأربعين وأربع مائة ، وهو قريب من قول من قال : «إن دخول ابن عمّار كان في حدود الثلاثين وأربع مائة» .

(٤) في (د) : تسعون .

(٥) [الصفات : ٢٤] .

(٦) في (د) : قال الإمام الحافظ القاضي ، وفي (ص) : قال الحافظ أبو بكر بن عبد الله ، وفي (ز) : قال الإمام الحافظ أبو بكر ، وفي (ل) : قال الإمام .

الْعَابِدُ^(١): وهو الاسمُ التَّاسِعُ

وقد اختلفت عباراتُ^(٢) الناس في العبادة على أربعة أقوال^(٣):

أحدها: الطاعة.

الثاني: التَّدَلُّلُ^(٤).

الثالث: عَبْد: دَانَ.

الرابع: عَبْد: قَهَر.

قال الله تعالى: ﴿فَلِإِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾

[الزخرف: ٨١]•

قال قَوْمٌ: «إِنْ عَبْد بفتح الفاء^(٥) وكسر العين معناه: أَنْفَ وَغَضِبَ»^(٥).

والذي عندي: أَنَّ بِنَاءَ «ع ب د» في العربية مَوْضُوعٌ لِلدَّلَّةِ؛ وهي: تصريحُ الجوارح في أَمْرِ الْغَيْرِ أو منفعته، وقد يأتي^(٦) لِلتَّعَزُّزِ، وكثيرٌ من الألفاظ العربية تُستعمل في الشيء وضده^(٧).

(١) سقط من (د) و(س) و(ص) و(ز).

(٢) في (س): عبارة.

(٣) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٤٧٢/٢).

(٤) في (س): الباء، وفي (ص) و(ل): بفتح العين وكسر الباء.

(٥) تفسير الطبري: (٦٥٦/٢٠ - التركي)، ومعجم مقاييس اللغة: (٢٠٧/٤).

(٦) في (د) و(ص): تأتي.

(٧) معجم مقاييس اللغة: (٢٠٥/٤).

والذين قالوا: إِنَّ عَبْدَ بَمَعْنَى أَنْفٍ ؛ لَمْ يَكُنْ مَأْخُودًا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -
إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ ، فَإِنْ كَانَ تَأْوِيلُهَا كَمَا قَالَ قَوْمٌ: إِنَّ مَعْنَاهَا^(١): «إِنْ قُلْتُمْ: إِنَّ
لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَعْبُدُ الرَّحْمَنَ»^(٢)»^(٣).

وقد رُوي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال حين نُسِبَ إليه أنه^(٤)
قَتَلَ عِثْمَانَ: أَنَّهُ عَبْدٌ ، يَعْنِي: غَضِبَ^(٥).

وهذه كُلُّهَا أقوالٌ مصنوعة^(٦) ، مَبْنِيَّةٌ عَلَى تَأْوِيلِ الْآيَةِ ، وَلَيْسَ لِلْعِبَادَةِ
مَعْنًى إِلَّا التَّذَلُّلُ ، فَاعْلَمُوهُ وَاطْرَحُوا غَيْرَهُ .

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ،
وقد خَفِيتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ وَعَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ .

فَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ: «خَلَقَهُمْ وَأَرَادَ مِنْهُمْ الْعِبَادَةَ ، فَفَعَلُوا مَا
أَرَادُوا» .

تعالى الله أن يكون في مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ .

وقال بعضُ أَهْلِ السُّنَّةِ: «إِنْ كَانَ خَلَقَهُمْ / لِيَعْبُدُوهُ فَقَدْ وُجِدَ مِنْ لَا
يَعْبُدُهُ ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ فِي خَبَرِهِ خُلْفٌ ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ غَنِيٌّ عَنْ عِبَادَتِهِمْ ،
وظَاهِرُ الْآيَةِ يُعْطِي أَنَّهُ خَلَقَهُمْ لِمَا هُوَ غَنِيٌّ عَنْهُ»^(٧) .

(١) قوله: «إِنْ مَعْنَاهَا» سقط من (س) و(ز) .

(٢) في (ص): فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ .

(٣) تفسير الطبري: (٢٠/٢٥٤ - التركي) .

(٤) سقط من (س) .

(٥) يقارن بما في تفسير الطبري: (٢٠/٦٥٧ - التركي) ، ومعجم مقاييس اللغة: (٤/٢٠٧) .

(٦) في (س): موضوعة .

(٧) في (س): عنهم .

وقال قَوْمٌ من القَدَرِيَّةِ: «إِنَّ العِبَادَةَ وَقُوعُ أفعال العباد على وَفْقِ أَمْرِ المَوْلى».

فأخرجوا الأفعال عن العبادَة ما لم تكن^(١) موافقة للأمر^(٢)؛ لِيُثْبِتُوا بذلك أنه لا يريد المعصية.

وقال أهلُ السُنّةِ: «إِنَّ العِبَادَةَ هِيَ وَقُوعُ أفعال العباد على حُكْمِ المَوْلى، لا جَرَمَ كل طاعة ومعصية وخَيْرٍ وَشَرٍّ ظَهَرَ من العباد، فإنه بِحُكْمِ المَوْلى وقضائه، والأُمُورُ تَجْرِي على حسب مراد الله تعالى، لا^(٣) على مقتضى أَمْرِهِ ونَهْيِهِ»^(٤).

ولَمَّا جَهِلَ هذا الأَصْلَ المبتدعةُ وَغَفَلَ عنه^(٥) المُفَسِّرُونَ خَلَطُوا في هذه الآية:

فقال قَوْمٌ: «معناها الخصوص وإن كانت^(٦) جاءت بلفظ العموم»^(٧). وهذا ضعيفٌ لوجهين:

أحدهما: أن العموم إنما يُخَصُّ لحاجة، ولا حاجة هاهنا.

(١) في (د): يكن.

(٢) في (د) و(ص) و(ل): الأمر.

(٣) سقطت من (س).

(٤) تفسير الطبري: (٥٥٥/٢١-التركي)، والحدود لابن فُورَك: (ص ١٢٣).

(٥) في (س): عنها.

(٦) في (س) و(ص) و(ز): كان.

(٧) هو قول زيد بن أسلم، ذكره الطبري: (٥٥٣/٢١-التركي)، وهو قول الضحَّاك

وسفيان أيضًا، ذكره عنهما الثعلبي في الكشف والبيان: (١٢٠/٩)، وينظر:

معاني القرآن للزجاج: (٥٨/٥).

الثاني: أن^(١) الأصل الذي يَدْعُو إلى الخُصوص فاسدٌ، ولا يُبْنَى عليه.

ومنهم من قال: معناه: «وما خلقتُ الجن والإنس إلا لأمرهم بالعبادة»^(٢).

والمعنى صحيحٌ؛ ولكنه تركيب لا تعضده العربية، ولا تقتضيه الفصاحة، والقرآنُ طَلَقَ^(٣) العربيَّةَ، وَبَيَّنَّ^(٤) الفصاحة.

والمعنى الصحيحُ في الآية^(٥): ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أي: لتَجْرِيَ أفعالهم على مُقتَضَى قضائي، فيكون فِعْلُ العبد على مقتضى حُكْمِ المَوْلَى، وإنَّما يخرج فِعْلُ العبد عن حُكْمِ المولى إذا كان مغلوباً، والغالب لا يَخْرُجُ شيءٌ عن حُكْمِهِ، وهو الله وحده، وقد فَهَمَ بعضُ الصالحين هذا الحق، فقليل له: «ما أراد الله من الخلق؟ فقال: ما هم عليه».

والغفلة ظنُّوا أن تفسير العبادة هاهنا الطاعة، ورَأَوْا بَعْضَ الخلق لا يُطِيعُ^(٦) فطَلَبُوا للآية معنى غير معناها، ولو عَقَلُوا معنى ذلك وفَهِمُوا أيضاً

(١) في (س): أن الأصل يدعو، وفوقه: بخطه، أي: كذلك وَجَدَ بخط المصنف.

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية: (٨٢/٨).

(٣) الطَّلَقُ - بالتحريك - هو: القَيْدُ من أَدَمَ، ومعناه هُنا: أن القرآنَ قَيَّدَ العربيَّةَ، وهو حاكمٌ عليها وعلى عباراتها ومُرَكَّبَاتُها، تاج العروس: (٩٨/٢٦).

(٤) في (س) و(د) و(ص) و(ز): نَيَّرَ، وضرب عليه في (ل).

(٥) هو قول الطبري: (٥٥٥/٢١ - التركي)، وينظر: أدلة التوحيد لابن مُخْلِص السبتي: (ق ١٦٧/ب).

(٦) في طرة بـ (د): لا يطيعون، وصحَّحها.

معنى السجود كما قال الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٦] ، فالكافر يَكْفُرُ بلسانه ، وجوارحه كلها مؤمنة ، نعم ؛ ولسانه الكاذب شاهد لله ، عابد له في تكذيبه به^(١) ؛ لأنه جرى بحكم قضائه ، ونفذ بمقتضى تقديره ، فلم يخرج شيء عن ملكه ، وقد قال الله تعالى: ﴿عِبَادِي﴾ في مواضع من كتابه ، منها قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] ، فأضافهم إلى نفسه ؛ بما وهبهم من الحفظ والعصمة ، فهم لا تضرهم الوسوس باستجارتهم بالله ، وإذا قرب الشيطان من قلب العالم أحرقه نور العلم ، وإذا دنا من قلب الغافل أحرقه تجديد الذكر وإحضار التوحيد .

قال النبي ﷺ: «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول له: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ فيقول له: الله^(٣) ، فيقول له: من خلق الله؟ فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل: / لا إله إلا الله»^(٤) . [٧٩/ب]

وقال في موضع آخر: ﴿يَعْبَادِي لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [الزخرف: ٦٨] ، وإنما يكون عبده الذي يخاطبه بهذه المخاطبة الشريفة من لم يكن في أسر غيره ، وأما^(٥) من استعبده هواه واستمكن منه الطمع واسترقتة كل خسيصة ونقيصة فلا يكون منهم ، ولا يدعون ، بل يدعى عليهم .

(١) سقط من (س).

(٢) سقط من (ص).

(٣) قوله: «فيقول له: الله» سقط من (س).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان ، باب بيان

الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ، رقم: (١٣٤- عبد الباقي).

(٥) سقط من (د) و(ص) و(ل).

قال النبي ﷺ: «تَعَسَّ عبد الدينار، تَعَسَّ عبد الدرهم، تَعَسَّ عبد القطيفة، تَعَسَّ عبد الحميصة، تَعَسَّ وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»^(١)، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾

[إبراهيم: ٣٧] .

والمعبود: هو الذي تَجْعَلُ له قلبك وعملك، فمن جعله للحجر فهو عابدٌ صنم، ومن جعله للذهب والفضة فغداً فيه وراح، وعَمِلَ له وسعى، ورأى أنه هو المقصود الأوفى؛ فهو على مَنْزِلَةٍ من عبادة غير الله، ولذلك دعا عليه رسول الله ﷺ في الحديث المتقدم.

وقد^(٢) قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٣] .

والمعنى: تَذَلَّلْ لحُكْمِي، واستسلم لأمرِي، وانقذ لامتثال حُدِّي^(٣)، واخضع لسلطاني، وذلك بإقامة الصلاة لذكرِي.

يعني: إذا ذكَّرتُها^(٤) لك، وخلقْتُ لك العلم بها.

والصلاة هي العبادة كلها؛ فإنها تشتمل على فعل القلب واللسان والجوارح، وهي الجملة الآدمية المتوجهة إليها الابتلاء بالأمر والنهي، والوظائف الشرعية التي أولها إخلاص القلب، وآخرها السجود بتمريغ الوجه لله تعالى.

(١) تقدم تخريجه في السفر الأول.

(٢) سقطت من (د) و(ص) و(ل).

(٣) في (س) و(ز): خوفي.

(٤) في طرة ب (س): «قوله: ذكرتها، هذا تفسير على قراءة: ﴿لذكرى﴾».

ولما بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ الْغَايَةَ مِنْ^(١) التَّذَلُّلِ والتَّوَاضُّعِ لِلَّهِ وَالْمَسْكَنَةِ^(٢)،
وَصَارَ اسْمُ الْعَبْدِ فِيهِ حَقِيقَةً؛ حِينَ^(٣) لَمْ يَعْصِ اللَّهَ قَطُّ؛ لَا قَبْلَ النَّبِوَّةِ وَلَا
بَعْدَهَا؛ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَأَوْصَلَهُ إِلَى مَوْضِعٍ يَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ
الْأَقْلَامِ، وَأَخْبَرَ عَنْهُ^(٤) بِاسْمِ الْعَبْدِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى
بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١].

التقدير: سبحانه الذي رَفَعَ الْمُتَذَلِّلَ لَهُ إِلَى أَعَزِّ مَوْضِعٍ عِنْدَهُ.
وقال^(٥) لَهُ: ﴿بَاعِبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥]، فَكَذَلِكَ^(٦) فَعَلَ
ﷺ، فَلَقَدْ قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَتْ قَدَمَاهُ، وَكَانَ نَهَارُهُ كُلُّهُ فِي عِبَادَةِ مَوْلَاهُ، حَتَّى
إِذَا طَرَأَتْ عَلَيْهِ غَفَلَاتُ الْآدَمِيَّةِ بِمُعَافَسَةِ الْأَهْلِ وَالطَّعَامِ تَابَ إِلَى اللَّهِ فِي
الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَوَذَرَ^(٧) الدُّنْيَا^(٨)؛ وَلَمْ يَمُدَّ إِلَيْهَا عَيْنًا، وَلَمْ يَنْتَقِمْ
لِنَفْسِهِ.

وَلَا يَتِمُّ الصَّبْرُ عَلَى الْعِبَادَةِ إِلَّا بِتَرْكِ الدُّنْيَا، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ - فِيمَا
رَوَاهُ ابْنُ حَنْبَلٍ - : «كَنتُ تَاجِرًا؛ فَلَمَّا أَسْلَمْتُ حَاولْتُ التَّجَارَةَ وَالْعِبَادَةَ فَلَمْ
يَجْتَمِعَا، فَأَخَذْتُ الْعِبَادَةَ وَتَرَكْتُ التَّجَارَةَ»^(٩).

(١) فِي (س): فِي .

(٢) فِي (س): السَّكِينَةُ فِيهِ .

(٣) فِي (س) وَ(ص): حَتَّى، وَمَرْضَاهَا فِي (د) وَ(ل) .

(٤) قَوْلُهُ: «وَأَخْبَرَ عَنْهُ» سَقَطَ مِنْ (س) وَ(ص) .

(٥) فِي (س): فَقَالَ .

(٦) فِي (س): وَكَذَلِكَ .

(٧) فِي (ز): تَرَكَ .

(٨) فِي (ص): الزَّيْنَةُ .

(٩) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الزَّهْدِ: (ص ١٧٢) .

وقال في عيسى وعنه: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٢٩]، مُعْتَرِفًا^(١) بما هو عليه، وبما يجب في صفته./

قال علماؤنا: المعنى في الاحتجاج على النصارى: إِنَّ صَدَقَ عِيسَى بَطْلَ قَوْلِكُمْ^(٢)، وَإِنْ كَذَبَ فَلَا يَكُونُ ابْنًا لِلَّهِ، ولا خلاف بيننا وبينهم في أن عيسى عبد الله من تَسْمِيَّتِهِ لِنَفْسِهِ، وادَّعَوْا أن الله سَمَّاهُ ابْنًا، فبذلك قامت هذه^(٣) الحجة عليهم.

[صفاتُ عباد الرحمن]:

وقد قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٦٣]، فوصفهم باثنتي^(٤) عشرة صفة، وبذلك اختصُّوا أن يُضَيَّفَهم إلى نفسه.

الصفة الأولى: قوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]

الهَوْنُ^(٥) الرَّفْقُ، يُريد به: التواضع والخشوع، وهو^(٦) ضدُّ الذين يمشون على الأرض مَرَحًا.

الثانية: إذا جَهِلَ عليه^(٧) لَا يَجْهَلُ مِثْلَ جَهْلِهِ وَلَا فَوْقَهُ

(١) في (س): في خ: معرفًا.

(٢) في (د): في خ: قولهم.

(٣) سقطت من (س) و(ز).

(٤) في (ز) و(س): باثني.

(٥) في (س): والهون.

(٦) سقطت من (د) و(ص) و(ل).

(٧) في (س): عليهم.

كما قال الذي لم يَكُنْ له دينٌ، وكان له حَمِيَّةُ الجاهلية ونخوة^(١)
الأعرابية:

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا^(٢)
ولكنه يُقَابِلُ بِالْحَسَنِ مِنَ الْقَوْلِ، إِنْ ذَمَّهُ مَدَحَهُ، وَإِنْ سَاءَهُ فَرَّحَهُ، أَوْ
يسكت عنه^(٣) وَيُعْرِضُ عَنْهُ، كما قال بعضُ أصحابنا^(٤):

إِنَّ صَبْرِي عَلَى الْجَفَاءِ صَوَابٌ وَسُكُوتِي عَنِ السَّفِيهِ جَوَابٌ
فَهُوَ لَا شَكَّ كَالَّذِي قِيلَ فِيهِ: مَنْزِلُ عَامِرٍ وَعَقْلُ^(٥) خَرَابٌ
وإنْ ذَكَرَ أَحَدٌ لَهُمْ عَيْنًا سَكَتُوا عَنْ عَيْنِهِ.

وقيل: يقال له: «سلام عليكم»، يُذَكَّرُ بِالسَّلامَةِ، وَيُعَرَّفُ أَنَّ اللَّهَ رَقِيبٌ
عليه، قال النبي ﷺ في الصَّائِمِ: «فَلَا يَزُفْتُ وَلَا يَجْهَلُ، فَإِنْ أَمَرُوْهُ قَاتِلَهُ أَوْ
شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ»^(٦)، وَلَا يُقَابِلُ قِتَالَهُ بِقِتَالٍ، وَلَا سَبَّهُ بِسَبٍّ.

(١) في (س): نجدة.

(٢) هو من الوافر، لعمر بن كلثوم في معلقته المشهورة، شرح القصائد التسع
المشهورات للنحاس: (٢/٢٢٨)، وشرح المعلقات السبع للزوزني: (ص ١٧٨).

(٣) سقطت من (س).

(٤) البيتان من الخفيف، ولم أجدهما، والشطر الأخير فيه لَجَحْظَةِ البرمكي، من
جملة بيتين، وهما:

قلت لما رأيته في قصور مشرفات، ونعمة لا تعاب
رب ما أبين التباين فيه منزل عامر، وعقل خراب
ذكرهما له الثعالبي في الإعجاز والإيجاز: (ص ٢١٣)، وأدب الدنيا والدين:
(ص ١٦٦).

(٥) في (د) - أيضاً -: نفس.

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة ؓ: جامع الصيام، (١/٣٥٦)،
رقم: (٨٦٣) - المجلس العلمي الأعلى.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَفِيْمًا﴾ [الفرقان: ٦٤]

يَعْنِي: أَنَّهُمْ ^(١) بِالنَّهَارِ فِي صَمْتٍ وَكَفٍّ، وَهُمْ بِاللَّيْلِ فِي سُجُودٍ وَرُكُوعٍ، وَقِرَاءَةٍ وَفِعْلٍ ^(٢).

وقد قُلْتُ فِي ذَلِكَ أَيْبَاتًا رَبِّمَا أَفَادَتِ الصَّالِحِينَ ذِكْرِي، وَهِيَ:

إِلَيْكَ إِلَهَ الْخَلْقِ قَامُوا تَعْبُدًا وَذَلُّوا خُضُوعًا يَرْفَعُونَ لَكَ الْيَدَا
بِإِخْلَاصِ قَلْبٍ وَانْتِصَابِ جَوَارِحِ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ سُجَّدًا
نَهَارُهُمْ صَوْمٌ وَلَيْلُهُمْ بُكَاءٌ ^(٣) وَدِينُهُمْ رَعْيٌ وَدُنْيَاهُمْ ^(٤) سُدَا ^(٥)
فَبِالْحِكْمِ اللَّاتِي تَوَلَّيْتَ نِظَامَهُمْ وَبِالْكَلِمِ اللَّاتِي أَنَاثْتَهُمُ الْهُدَى
أَزَلَّ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّي بِكِبَرِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدَا

وهذا كقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ نَبِيٍِّّ﴾ [النمل: ١٠]، وَلَمْ يَذْكُرِ الرُّكُوعَ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ السُّجُودِ ذِكْرٌ لَهُ،
وَالسُّجُودُ هُوَ الْإِنْحِنَاءُ، وَأَوَّلُهُ خَفْضُ الرَّأْسِ، وَآخِرُهُ وَضْعُ الْوَجْهِ عَلَى
الْأَرْضِ، وَإِذَا انْحَنَى نِصْفُ بَدْنِهِ وَبَقِيَ النِّصْفُ الْآخِرُ قَائِمًا ^(٦)؛ فَهُوَ آخِرُ ^(٧)
الرُّكُوعِ عَرَبِيَّةٌ، وَأَوَّلُهُ ^(٧) ابْتِدَاءُ خَفْضِ الرَّأْسِ، وَهَذَا كُلُّهُ يَفْعَلُهُ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ،
وَرَجَاءً فِي الرَّحْمَةِ.

(١) سقطت من (س).

(٢) مرَّضها في (ل).

(٣) في (س) و(د) و(ص): هُدَى، ومرَّضها في (ل).

(٤) في (د): وأخراهم.

(٥) في (د): صدا.

(٦) في (س): فإنما هو.

(٧) في (س): أوَّل السجود.

وهذا ردُّ على من يقول: «إنَّ الله إنَّما حقيقةُ عبادته ألاَّ يَخْطُرَ بباله ثوابٌ ولا عقابٌ»، وهذا لَعُوٌّ من الكلام لا يُساوي سماعه، وأصلُّهم فيه حديثٌ ينسبونه إلى عُمَرَ: «نِعَمَ الْعَبْدُ صُهِيبٌ، لَوْ لَمْ يَخَفِ اللهُ لَمْ يَعْصِهِ»^(١)، وهذا لم يثبت، والذي ثَبِتَ من قَوْلِ اللهِ في كتابه وقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ في سُنَّتِهِ^(٢) غَيْرُ هَذَا^(٣)، ولا تَجِدُ في هذين^(٤) الموضعين الكريمين أثرًا لهذه النَّزْعَةِ^(٥) الباردة^(٦).

فإن قيل: قد قال النبي ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»^(٧).

(١) أورده أبو عُبَيْد القاسم بن سَلَام في غريبه بغير إسناد: (٢٨٤/٤)، وذكر السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٤٤٩) أن شيخه الحافظ ابن حجر ظَفَرَ به بغير إسناد في «مشكل الحديث» لابن قُتَيْبَة، ثم نقل عنه أنه قال: «أراد: أن صهيبيًا إنما يطيع الله حبًّا لا لمخافة عقابه»، وقوله هذا الذي نسب له ابن حجر لم أجده في «مشكل الحديث» لابن قُتَيْبَة، وإنما هو في غريب أبي عُبَيْد: (٢٨٥/٤)، والحديث لا أصل له.

(٢) قوله: «في سنته» سقط من (ز).

(٣) قوله: «غير هذا» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٤) سقطت من (د) و(ص).

(٥) في (ص): الشرعة، وفي (د) و(ز): النزعة.

(٦) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١١٣/٢).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، رقم: (٣٧-طوق).

قلنا: الاحتسابُ هو ألا يطلب عليه ثواباً إلا في الآخرة، يُعَدُّه على الله، ولا يرتجي به شيئاً في الدنيا، وأن يحسب^(١) ذلك على الحسب المُقَيِّتِ.

ولا تصدرُ مثُلُ^(٢) هذه العبادة^(٣) إلا عن العالم بالله؛ الذي يَتَحَقَّقُ أنه لله كله^(٤)، فتصريفُه لشيء^(٥) من الزمن^(٦) في غير ما أمره^(٧) به تعدُّ منه، ولذلك قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَآءِ﴾ [الزمر: ١٠].

أي^(٨): إنما يَذْكُرُ ذلك^(٩) ولا ينساه من لُبِّه حاضرٌ، أي: عِلْمُهُ معه مُتِمَادٍ^(١٠)؛ لا تقطعه الغفلات، ولا تذهبه الشهوات.

ثم أعقبه بقوله: ﴿فَلْيَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَقْوَى رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ١١]، أي: اجعلوا بينكم وبينه وقاية من العمل، على ما يأتي بيانه في اسم «المُتَّقِي» إن شاء الله تعالى.

(١) في (س) و(ص): يحسب.

(٢) سقطت من (س).

(٣) في (س) و(ل): العبادة.

(٤) في (س) و(ز): كله لله.

(٥) في (س) و(ز): شيئاً.

(٦) في (س): الزمان.

(٧) في (س) و(ز): أمر.

(٨) سقطت من (ص).

(٩) قوله: «أي: إنما يذكر ذلك» سقط من (س) و(ز).

(١٠) سقطت من (س)، وفي (ص) و(د): متمادي.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٦٥]

قال الإمام أبو بكر^(١) عليه السلام: قال بعض الفقهاء: «هذا مقام عظيم تطيش فيه الألباب، وتخضع له الرقاب؛ لأنه وصفهم بما وصفهم من صفات الطاعة، ثم أخبر عنهم بأنه لا يكمل ذلك منهم حتى يقفوا موقف المذنب المعترف بالتقصير، فيقول: اصرف عني عذاب جهنم، كأنه استحقق عمله لتقصيره^(٢) عما يجب عليه من حق مولاه^(٣)».

وهذا وإن كان حسناً له وجه صحيح؛ فإن هنالك معنى أقوى منه، وهو أن الأثر الصحيح قد ثبت بأنه: «ما من نفس منقوسة إلا وقد كتبت مكانها من الجنة أو النار»^(٤)، وهذا لم يعلم مكانه، ولا صححت عنده خاتمته^(٥)، فهو يسأل وقاية عذاب جهنم بحسن الخاتمة له.

الخامسة: قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْبَغُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَفْتَرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧]

وقد بينا في «قسم الأحكام»^(٦) ما يتعلق بهذه الآية من «القسم الثالث».

(١) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص) و(ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ل): قال الإمام أبو بكر بن العربي.

(٢) في (س) و(ز): بتقصيره.

(٣) ينظر: لطائف الإشارات: (٦٤٩/٢).

(٤) تقدم تخريجه في السفر الأول.

(٥) سقطت من (س).

(٦) أحكام القرآن: (١٤٣٠-١٤٣١/٣).

فَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا^(١) مِنَ الْقِسْمِ الرَّابِعِ فِي^(٢) «التذكير»: فَإِنَّ الْإِسْرَافَ أَنْ يُنْفِقَ بِنِيَّةِ الشَّهْوَةِ وَالْهَوَى، فَأَمَّا لَوْ تَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَالِهِ لَمْ يَكُنْ إِسْرَافًا؛ إِذَا^(٣) وَثِقَ مِنْ نَفْسِهِ^(٤) بِالصَّبْرِ عَلَى فَقْدِ الْمَعِيشَةِ، وَلَوْ مَاتَ هَزِلًا، وَإِنْ لَمْ يَثِقْ بِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ إِسْرَافٌ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الْعَمَلَ لَا يَكُونُ طَاعَةً إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا تَصِحُّ لَهُ^(٥) نِيَّةُ الْقُرْبَةِ مَعَ / اعْتِقَادِهِ أَنَّهُ^(٦) يَنْدَمُ غَدًا.

١
[أ/٨١]

وَأَمَّا الْإِقْتَارُ: فَهُوَ حَبْسُ الْمَالِ عَنْ حَقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ عَنِ الصَّدَقَةِ التَّطَوُّعِ؛ لَا بَتَّغَاءِ ثَوَابِ اللَّهِ.

فَأَمَّا التَّضْيِيقُ عَلَى النَّفْسِ عَنِ الشَّهَوَاتِ لِتَتَعَوَّدَ الاجْتِرَاءَ بِالْيَسِيرِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِإِقْتَارٍ^(٧).

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ هَلْ يَفْعَلُ ذَلِكَ عَلَى الدَّوَامِ؟

فَمَذْهَبُ الصُّوفِيَةِ أَنْ يَفْعَلَهُ عَلَى الدَّوَامِ؛ حَتَّى يَنْحَلَّ بِدَنُّهُ، وَيَضْعُفَ جِسْمُهُ، وَيَقِفَ عَلَى جِلْفِ الْخَبْزِ وَالْمَاءِ، لَا يَزِيدُ عَلَيْهِ، «وَقَدْ كَانَ أَحَدُ بَنِي الزُّبَيْرِ يَمْشِي عَلَى سَوَاقِ الْفَاكِهِائِينَ؛ فَإِذَا رَأَى الْحُمْرَةَ وَالصُّفْرَةَ وَالْخُضْرَةَ جَسَّهَا بِيَدِهِ وَشَمَّهَا، وَقَالَ: مَوْعِدِي وَإِيَّاكَ الْجَنَّةُ»^(٨).

(١) قوله: «من القسم الثالث. فَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا» سقط من (س)، وفي (ص) و(د): به.

(٢) في (ل): من، في.

(٣) في (س): فإذا.

(٤) في (س) و(ز): بنفسه.

(٥) سقطت من (س).

(٦) في (س) و(د) و(ص) و(ز): أن.

(٧) لطائف الإشارات: (٢/٦٥٠).

(٨) لم أهتم إلى موضعه في كتب الأثر.

ولم يَسْلُكِ النبي ﷺ ولا الصحابة^(١) هذا المسلك ، ولكنه يُشْبِهُ أن يكون هذا زمانه لمن أطاقه ؛ لغلبة الحرام على الأرض ، فتكون غلبة الحرام على الأرض الآن مُوجِبَةً عليه قَوْلُ^(٢) النبي ﷺ : «حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقِيَمَاتٌ يُقَمِّنُ صُلْبَهُ»^(٣) ، كما جاء في الخبر عنه ﷺ .

السادسة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾
[الفرقان: ٦٨]

قال الفقهاء: «إن كان المراد به الأصنام في الظاهر ، فإنه تنبيه على أن لا يَسْكُنَ أَحَدٌ إلى غير الله في نَفْعٍ أو دَفْعٍ ؛ لأنه قد أَمَرَ الله رَسُولَهُ أَنْ يَنْبَرَأَ مِنْ نَفْعِ نَفْسِهِ وَضَرِّهَا ، فكيف أن ينفع غيره»^(٤) .

وإن قَطَعَ العلائق بين القلب وبين غير الله لِمَنْ أَوْجَبَ الواجبات ، ولكن هذا هاهنا^(٥) تنبيهٌ بعيدٌ قد وقع التصريح به في موضع آخر .

السابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَفْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾
[الفرقان: ٦٨]

قَتَلَ النَّفْسِ يَكُونُ بُوْجُوْهُ:

منها: قَتْلُ الْعَدَاءِ ، وهو: الْقَصْدُ إِلَى الْإِتْلَافِ عَلَى مَعْنَى التَّشْفِي وَالْإِنْتِقَامِ .

(١) في (س): وأصحابه .

(٢) في (س): قال .

(٣) تقدّم تخريجه في السفر الأول .

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦٥٠) .

(٥) في (د): هذا هنا .

وَمِنْ قَتَلَ الْمُؤْمِنَ إِذِائْتُهُ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ قَتْلُهُ»^(١) .
وَأَخَذَ مَالَهُ قَتْلُ لَهُ .

وَتَنَكِيدُ عَيْشَهُ بِالْهَمُومِ وَالْغُمُومِ قَتْلُ لَهُ ؛ فَإِنَّ الْكَاسِفَ الْبَالِ مَيِّتٌ .
وَسَجْنُهُ قَتْلُ لَهُ ؛ فَإِنَّ الْمَسْجُونَ مَعْدُودٌ فِي جُمْلَةِ الْمَوْتَى .

وَمِنَ الْمُحَرَّمَ قَتْلُهُ لِنَفْسِهِ بِتَرْكِهَا مُخَلَّاةَ الْعِنَانِ مَعَ هَوَاهَا ، سَالِكَةً سَبِيلَ
شَهَوَاتِهَا ؛ فَإِنَّهَا سَيِّئَةُ الْإِخْتِيَارِ ، أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ، وَالسَّفِيهِ إِذَا لَمْ يَنْتَهُ مَأْمُورٌ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ، وَقَتْلُكَ نَفْسَكَ بِالْحَقِّ : أَنْ تَقْمَعَهَا عَنِ
الشَّهَوَاتِ ، وَتَصْرِفَهَا عَنِ الْمَخَالَفَاتِ ، وَتَرْدَّهَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ،
وَتَأْخُذَهَا بِقَانُونِ الدِّينِ ، وَفِي الْأَثَرِ : «الْكَيْسُ مِنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ
الْمَوْتِ ، وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي»^(٢) ^(٣) .

الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]

هُوَ أَلَّا يَسْعَى بِقَدَمٍ ، وَلَا يَلْمَسَ بِجَارِحَةٍ ، وَلَا يُقَبِّلَ ، وَلَا يَنْظُرَ ، وَلَا
يَسْتَمِعَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ ، مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى ذَلِكَ وَالتَّمَكُّنِ مِنْهُ ، مِنْ غَيْرِ تَقِيَّةٍ
إِلَّا مِنْ اللَّهِ ، وَهَذِهِ الْمَنْزِلَةُ مَا عَلِمْنَاهَا ثَبَتَتْ لِأَحَدٍ إِلَّا لِيُوسُفَ صَلَوَاتِ اللَّهِ
عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ دَعَتْهُ ، / وَلَمَسَتْهُ ، وَقَطَّعَتْ عَلَيْهِ ثَوْبَهُ ، فَمَا أَصْغَى
وَلَا نَظَرَ ، وَوَلَّى عَنْهَا وَأَدْبَرَ ، بَعْدَ أَنْ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ الْمُتَمَنِّيَّةُ بِمَا لَا يَسْتَطِيعُ
الْبَشَرُ رَدَّهُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَلَمْ يُتْبِعِ الْهَمَّ الْهَمَّ ، وَقَطَّعَهُ وَمَا تَمَّ ، وَخَافَ مَوْلَاهُ ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن ثابت بن الضحَّاك رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب ما
ينهى من السَّباب واللَّعن، رقم: (٦٠٤٧-طوق).

(٢) سقطت من (س) و(د) و(ص) و(ز).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله
ﷺ، باب، رقم: (٢٤٥٩-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن».

وَأَكْرَمَ مِنْ أَكْرَمِ مَثْوَاهُ ، وَحَفِظَ الْمَرْوَةَ وَالذِّيَّانَةَ ، وَصَارَ مَا كَانَ مُدَّخَرًا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْمَكَانَةِ ، وَبِهِ سُمِّيَ الصِّدِّيقُ ؛ فَإِنَّهُ اتَّفَقَ قَوْلُهُ وَفِعْلُهُ وَاعْتِقَادُهُ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَمَا خَالَفَ قَطُّ مَوْلَاهُ فِي سَاعَةٍ ، كَمَا أَخْبَرَ سَبْحَانَهُ عَنْهُ ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَقَالُ ، الْكَرِيمُ الْفِعَالُ^(١) ، الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ .

قال الإمام الحافظ أبو بكر عليه السلام^(٢) : هؤلاء الذين جمعوا هذه الصفات الأمهات هم الذين وصلوا إلى رحمته بطاعته ، التي كانت ابتداء رحمته ، فبرحمته وصلوا إلى رحمته ، وكانوا في مُتَعَلِّقٍ ما وصفهم^(٣) الرحمن به^(٤) من صفاته بلسان الحقيقة والشرعة ، وهم الذين يقال لهم : ﴿يَعْبَادِي لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ أَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِقَايَتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٦٨ - ٦٩] ، طلبوا السَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ جَهَةٍ فَكَمَلَتْ لَهُمْ عِلَاقَتُهَا ، وَحَصَلَتْ عَنْدهم مُتَعَلِّقَاتُهَا ، فَاسْتَحَقُّوا النِّعَمَ الدَّائِمَ وَالْفَوْزَ الْأَكْبَرَ بِعَمَلِهِمْ^(٥) الَّذِي هُوَ مِنْ جُمْلَةِ رَحْمَةِ مَوْلَاهُمْ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ ، قِيلَ لَهُ^(٦) : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَنْغَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»^(٧) .

(١) في (س) : الفَعَالُ .

(٢) في (د) : قال الإمام الحافظ ، وفي (ز) : قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ، وفي (ل) : قال الإمام .

(٣) قوله : «ما وصفهم» سقط من (د) و(ص) و(ل) .

(٤) سقطت من (س) و(ص) .

(٥) في (س) و(ص) و(ز) : لعملهم ، وضعفها في (ل) .

(٦) سقطت من (س) و(ز) .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، بابٌ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ ، رقم : (٢٨١٦ - عبد الباقي) .

نكته:

قال الله لرسوله: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَفْنَوْا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٠]، نَزَلَتْ فِي قَوْمِ أَنَابُوا، لَكِنَّهُمْ قَدَّمُوا الْإِشْرَاقَ وَالْقَتْلَ وَالزَّانَا، وَأَنْوَاعَ الْمَعَاصِي وَالْخَطِيئَاتِ، فَخَافُوا أَنْ لَا يُقْبَلُوا، فَبَذَلَ الْمِقْدَارِ مِنَ الْإِنَابَةِ قِيلَ لَهُمْ: ﴿يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَفْنَوْا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، يَعْنِي: بِالتَّوْبَةِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ بِعَقَبِ هَذِهِ الصِّفَاتِ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

التاسعة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]

أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَحْضُرُونَ مَجْلِسَ بَاطِلٍ، وَلَا يُقِيمُونَ بِمَشْهَدِ زُورٍ، فَإِنْ مَرُّوا بِهِ وَصَادَفُوهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مَرُّوا بِهِ كِرَامًا عَنْهُ، يَعْنِي: مُعْرِضِينَ.

قال الإمام الحافظ^(١) أبو بكر^(٢): إِذَا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى تَغْيِيرِهِ كَانَتْ كِرَامَتُهُمْ كِرَاهِيَّتَهُ، وَإِذَا قَدَرُوا عَلَى تَغْيِيرِهِ كَانَتْ كِرَامَتُهُمْ تَغْيِيرَهُ. وَحَقِيقَةُ اللَّغْوِ: مَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَقَدْ يَكُونُ فِيهِ فَائِدَةٌ^(٣) مُضِرَّةٌ^(٤)، فَإِنْ

(١) فِي (س): قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْقَاضِي، وَفِي (ص): قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ، وَفِي (ز) وَ(ل): قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ.

(٢) فِي (د) وَ(ص): آفَةٌ.

(٣) سَقَطَتْ مِنْ (س) وَ(د) وَ(ص) وَ(ز).

لم يكن فيه فائدة فكرا متهم تركه ، وإن كانت فيه فائدة^(١) مضرة - وهذه حقيقة^(٢) - فكرا متهم تغيّره / .

العاشرة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]

الْقُلُوبُ مَجْبُولَةٌ عَلَى الْعَقْلِ، مُفْتَقِرَةٌ إِلَى الذِّكْرِ، فَإِذَا ذُكِّرَتْ فَلَا يَخْلُو أَنْ تَمُجَّ الذِّكْرَى، وَتَقُولَ: قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ، وَفِي آذُنَا وَقْرٌ، وَلَا نَرَى مِمَّا تَقُولُ شَيْئًا، وَيَقُولُوا^(٣): سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، فَهَذَانِ عَلَى حُكْمِ الْهَلَكَةِ، وَإِنْ قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَاعْتَبَرُوا وَتَفَكَّرُوا، وَاحْتَمَلُوا وَاعْتَمَلُوا بِمَا عَلِمُوا؛ فَهُمْ الْمُرَادُ هَاهُنَا.

الحادية عشرة^(٤): قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَفُوتُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيَسَ﴾ [الفرقان: ٧٤]

قال الإمام الحافظ أبو بكر^(٥) رحمه الله: هَذَا يُدَلُّ عَلَى فَضْلِ النِّكَاحِ عَلَى الْعَزُوبَةِ، وَأَنَّ مِنْ صِفَاتِ الْعَابِدِ الزَّوْجِيَّةِ وَطَلَبِ الْوَلَدِ؛ لِبَقَاءِ الْعَمَلِ بِدُعَائِهِ

(١) قوله: «فكرا متهم تركه ، وإن كانت فيه فائدة» سقط من (س).

(٢) في (د) و(ص): حقيقة .

(٣) في (د): يقولون .

(٤) في (س) و(د) و(ص) و(ز): عشر .

(٥) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر

محمد بن عبد الله ، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ، وفي (ل):

قال الإمام رحمه الله .

بعده ؛ وطاعته ودُعائه له ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْرِي لَهُ ثَوَابُهُ كُلُّهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فَضْلُ ذَلِكَ ^(١) فِي «قِسْمِ الْمَقَامَاتِ» ^(٢) .

وَقُرَّةُ الْعَيْنِ : هِيَ أَنْ تَسْكُنَ عَيْنُهُ عَلَى الزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ ، فَلَا يَتَعَدَّى إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِمَا ؛ بِمَا يَرَى فِيهِمَا مِنَ الْخِصَالِ الْمَطْلُوبَةِ وَالْحَقُوقِ الْقَائِمَةِ .

الثانية عشر : قوله : ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّفِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]

سَأَلُوهُ ^(٣) فِي أَنْ تَدُومَ لَهُمْ هَذِهِ الصِّفَاتُ إِذَا حَصَلَتْ ، وَيَشَاهِدُهَا غَيْرُهُمْ إِذَا فُجِعَتْ ، فَيَكُونُونَ لَهُمْ قُدُوةً ، وَيَجْرِي لَهُمْ ثَوَابُ اقْتِدَائِهِمْ بِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرٌ مِنْ عَمَلٍ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرٌ مِنْ عَمَلٍ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا» ^(٤) .

تَكْمِلَةٌ :

قَالَ أَهْلُ الزُّهْدِ : وَلَمَّا عَدَّدَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَعْمَالَ وَنَبَّهَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ وَأَخْبَرَ بِجَزَائِهَا ؛ صَغَرَهُ وَمَا أَعْظَمَهُ ، وَقَلَّلَهُ وَمَا أَكْثَرَهُ ، فَقَالَ : ﴿وَلِيَّكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْبَةُ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥] .

وَمَنْ يَقْدُرُهَا قَدْرَهَا أَوْ يَعْرِفُ ^(٥) وَصَفَهَا أَوْ يُخْصِي فَضْلَهَا ؟

(١) فِي (س) وَ(ز) : النِّكَاحُ .

(٢) ذَكَرَ ذَلِكَ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ مَقَامُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، مِنْ السَّفَرِ الْأَوَّلِ .

(٣) فِي (س) وَ(د) وَ(ص) وَ(ز) : سَأَلُوا .

(٤) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ .

(٥) فِي (س) وَ(ز) وَ(ف) : وَيَعْرِفُ .

وبَفَضْلِهِ عَظَمَ ضِيَاةُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(١) لِلْمَلَائِكَةِ ، قَالَ :
﴿بَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦] .

ثُمَّ ذَكَرَ حَالِ مَنْ يَسْكُنُ الْغُرْفَةَ وَبَيْنَهَا ^(٢) فَقَالَ : ﴿وَيَلْفَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً
وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥] ، يَعْنِي بِالتَّحِيَّةِ : الْمَلَكُ .

وَقِيلَ : الْبَشَرَى وَالْبَشَاشَةُ ، وَالْبِرُّ وَالْكَرَامَةُ .

وَيُسَمِّعُهُمْ كَلَامَهُ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ ، وَيُزِيلُهُمْ نَفْسَهُ ، فَيَتَجَلَّى ^(٣) لَهُمْ مِنْ غَيْرِ
تَكْلُفٍ نَقْلٍ وَلَا قَطْعٍ مَسَافَةٍ ، وَلَا ضَيْمٍ وَلَا ضَمٍّ ^(٤) ؛ قَطَّعُوا الْمَسَافَةَ بِالْهَجْرَةِ
إِلَيْهِ نُصْرَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَجِهَادًا لِأَعْدَاءِ اللَّهِ ، وَقَصْدًا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ ،
وَمَشْيًا بِالْخُطَى لِعِمَارَةِ مَسَاجِدِ اللَّهِ ^(٥) ، وَلِعِيَادَةِ مَرِيضٍ ابْتِغَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ ،
وَالصَّلَاةِ عَلَى مَيِّتٍ / رَجَاءَ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَزِيَارَةِ أَخٍ صَلَّةٍ ^(٦) لَوَجْهِ اللَّهِ ، فَالْيَوْمِ
يُجْزَى بِأَنْ يَلْقَاهُ رَبُّهُ فِي مَكَانِهِ ، وَلَا يَتَكَلَّفُ لَذَلِكَ عَمَلًا ^(٧) وَلَا مَوْوَنَةً ،
فَيُسَمِعُهُ قَوْلَهُ ^(٨) ، وَيُزِيلُهُ نَفْسَهُ ، وَهَذَا لَا تَكَافِيَهُ الدُّنْيَا وَلَا الْآخِرَةُ ، ﴿فَلْ يَفْضَلِ
إِلَّهِ وَيَرْحَمْتِهِ قَبْدًا لِكَ قَلْبِي فَرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨] .

(١) قوله : «الخليل عليه السلام» لم يرد في (ل) و(د) و(ص) .

(٢) في (س) و(ص) : ثَمَّ بَيْنَ سَكَنِ الْغُرْفَةِ وَبَيْنَهَا ، وَفِي (د) : بَيْنَ سَكَنِ الْغُرْفَةِ
وَبَيْنَهَا ، وَمَرَّضَهُمَا فِي (ل) ، وَفِي طَرَةِ بـ (د) إِشَارَةٌ إِلَى مَا أَثْبَتَاهُ .

(٣) فِي (س) : وَيَتَجَلَّى .

(٤) فِي (د) وَ(ص) : وَلَا ضَمٍّ وَلَا ضَيْمٍ .

(٥) فِي (س) : مَسْجِدٍ .

(٦) فِي (س) : لَصَلَّةٍ ، وَفِي (ص) : يَصِلُهُ .

(٧) فِي (د) : يُتَكَلَّفُ لَذَلِكَ عَمَلٌ .

(٨) فِي (س) : كَلَامُهُ .

وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُم وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُم وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢] ، وهذا يشهد لما عَصَدْنَاهُ من نكاح العابد والصالح ، ويُثَبِّتُ أَنْ نكاحه سَبَبٌ لغناه وَسَعَةِ رزقه .

وعَبْدُكَ هو الذي لا يخدم إِلَّا لك ، ولا يتَصَرَّفُ إِلَّا بأمرِكَ ، ولا يرجو سواكَ ، قال النبي ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِيَعْمَلَ بِهَا ، وَيَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا ، وَأَنَّهُ كَادَ يُبْطِئُ^(١) بِهَا ، فَقَالَ^(٢) عِيسَى : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لَتَعْمَلَ بِهَا ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا ، فَإِذَا أَنْ تَأْمُرَهُمْ ، وَإِذَا أَنْ أَمُرَهُمْ ، فَقَالَ يَحْيَى : أَخْشَىٰ إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخَسِّفَ بِي أَوْ أُعَذِّبَ ، فَجَمَعَ النَّاسُ فِي بَيْتِ الْمَقْدَسِ ، فَامْتَلَأَ الْمَسْجِدَ وَقَعَدُوا عَلَى الشَّرَفِ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ ، وَأَمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ ؛ أَوَّلَهُنَّ : أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، فَإِنْ مَثَلَ مِنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرَقٍ ، فَقَالَ : هَذِهِ دَارِي ، وَهَذَا عَمَلِي ، فَاغْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُودِي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ ، فَأَيْكُم يَرْضَى أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ ؟ وَأَنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِالصَّلَاةِ ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ ، وَأَمَرَكَ بِالصِّيَامِ ، فَإِنْ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عَصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ ، وَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا ، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ عِنْدَ اللَّهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَأَمَرَكَ بِالصَّدَقَةِ ، فَإِنْ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ

(١) فِي (س) : أَنْ يَبْطِئُ .

(٢) فِي (س) : فَقَالَ لَهُ .

فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ ، فَقَالَ : أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ
وَبِالكَثِيرِ ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ ، وَأَمَرَكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ
رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا^(١) ، حَتَّى أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ
نَفْسَهُ مِنْهُمْ ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ ؛ لَا يُحْرَزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ .

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَأَنَا أَمَرَكُمْ بِخَمْسٍ الَّتِي أَمَرَنِي اللَّهُ بِهِنَّ ؛ السَّمْعُ
وَالطَّاعَةُ ، وَالْجِهَادُ ، وَالْهَجْرَةُ ، وَالْجَمَاعَةُ ، فَإِنَّ^(٢) مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ
شِبْرٍ^(٣) فَقَدْ^(٤) خَلَعَ رِبْقَ^(٥) الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ ، إِلَّا أَنْ يَرَا جِعَ ، وَمَنْ ادَّعَى
دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ^(٦) مِنْ جُثَى^(٧) جَهَنَّمَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ^(٨) ، وَإِنْ
صَلَّى وَإِنْ صَامَ ؟ قَالَ : وَإِنْ صَلَّى وَإِنْ صَامَ ، فَادَّعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ
الَّذِي^(٩) سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ / الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ^(١٠) .

[١/٨٣]

(١) فِي (د) : مُسْرِعًا .

(٢) فِي (د) : فَإِنَّهُ .

(٣) فِي (ل) وَ(د) وَ(ص) : شِبْرًا .

(٤) سَقَطَ مِنْ (س) .

(٥) فِي (س) وَ(د) : زَيْقٌ ، وَزَيْقُ الْقَمِيصِ : مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ مِنْهُ ، تَاجُ الْعُرُوسِ :
(٤٢٩/٢٥) .

(٦) سَقَطَ مِنْ (س) .

(٧) فِي (س) : الْحُثَى ، وَالْجُثَى : التَّرَابُ الْمَجْمُوعُ .

(٨) قَوْلُهُ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ » لَمْ يَرِدْ فِي (س) .

(٩) لَمْ تَرِدْ فِي (س) وَ(د) وَ(ص) وَ(ز) .

(١٠) لَمْ تَرِدْ فِي (س) وَ(د) وَ(ص) وَ(ز) .

(١١) فِي (س) وَ(د) .

(١٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَبْوَابُ الْأَمْثَالِ عَنْ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مِثْلِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ، رَقْمٌ : (٢٨٦٣ - بَشَار) .

قال الإمام الحافظ أبو بكر رحمته الله (١): هذا حديث صحيح (٢) صحيح مَلِيحٌ، جمع أصولاً عظيمة من «القسم الرابع» (٣)، وفيه من «القسم الأول» (٤): أن كبائر الذنوب تَرَجُّحُ الصلاة (٥) والصيام، وصاحبها في المشيئة، والله أعلم (٦).

ولن يُوفِّي العبدُ العبادة حقها حتى لا يبقى له مُباحٌ إلا يَرُدُّه (٧) بالنيَّة طاعةً، فيأكل ويشرب ليعبُدَ، ويلبسُ لِيَسْتُرَ عَوْرَتَهُ، ويأخذُ نفسه في كلِّ أمره المُباحِ بأن يَقْصِدَ به وَجْهًا من الفضلِ والأجرِ.

وقد قال النبي ﷺ: «بَضْعُ الرَّجُلِ أَهْلَهُ صَدَقَةٌ»، قيل له: أيقضي أحدنا شهوته ويؤجر؟ قال: رأيت لو وضعها في حرام، أليس يَأْثِمُ؟ قالوا: نعم، قال: فكذلك يؤجر» (٨).

يعني: بما يَنْوِي من عِصْمَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ، وَبِنَاءِ بَيْتٍ فِي الإِسْلَامِ، وَوَلَدٍ يَعْبُدُ اللَّهَ (٩)، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(١) في (د) و(ل): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٢) في (س): هذا صحيح حديث مَلِيحٌ.

(٣) أي: قسم التذكير.

(٤) أي: قسم التوحيد.

(٥) في (د): بالصلاة.

(٦) قوله: «والله أعلم» سقط من (د).

(٧) في (س): رَدَّهُ.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه: كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم

الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم: (١٠٠٦-عبد الباقي).

(٩) قوله: «يعبد الله» سقط من (س).

وقد قال جبريل للنبي ﷺ: «ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإنك إلا^(١) تراه فإنه يراك»^(٢)، فشرط في العبادة العلم باطلاع المولى وعلمه بالعمل ورؤيته له.

وبذلك يكون العبد «مُحْسِنًا».



(١) في (ف): فإن لم تكن.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: (٥٠-طوق).

المُحْسِنُ: وهو الاسمُ العاشر

قال علماؤنا^(١): الحَسَنُ^(٢) في العربية عبارة عن كل معنى لا يتطرق إليه نَهْيٌ، ولا يتعلّق به نَقْدٌ، ولا يؤخذ عليه عَيْبٌ، ولا يوجد فيه نَقْصٌ، وبَقْدَرٍ ما يَسْلَمُ من هذه المعاني يكون حُسْنُهُ، وقد تكون هذه الآفات مُؤَثَّرَةً في أَصْلِ الْعَمَلِ^(٣)، وفي رُكْنٍ من أركانه، أو في شَرْطٍ من شرائطه، فيسقط جميعه^(٤)، وقد يكون في غيرها فيُحْتَمَلُ^(٥)، وسيأتي ذلك مَبْثُوثًا في الكتاب كله^(٦).

وقد ضَرَبَ جبريلُ عليه السلام^(٧) لِلْوَجْهِ الذي يَحْسُنُ به العمل مَثَلًا؛ هو تنزيلُ العاملِ نفسه أن الله يراه، فإذا عَلِمَ ذلك لم يَرَهُ حيثُ نهاه، وإنما يكون التقصير بحسب التشكيك في اطلاع الله تعالى عليه، أو بحسب الغفلة

(١) بعده في (س) و(د) و(ص) و(ف): وهو الاسم العاشر: المحسن.

(٢) في (س) و(د) و(ص) و(ز) و(ف): هو، وضرب عليها في (ل).

(٣) في (د) - أيضًا -: في خ: العلم.

(٤) قوله: «تكون هذه الآفات مُؤَثَّرَةً في أَصْلِ الْعَمَلِ»، وفي رُكْنٍ من أركانه، أو في شَرْطٍ من شرائطه، فيسقط جميعه» سقط من (ص).

(٥) في (س): فيحمل.

(٦) سقط من (س).

(٧) في (س) و(ف): للنبي ﷺ.

عنه ، أو بتعجيز المولى^(١) ، أو بالتقحم على نقمته^(٢) ، أو بالاتكال على ما عهد من^(٣) عفوه ، فهذه خمسة وجوه لا سادس لها ينفصل^(٤) عنها .
فأمّا الشك في اطلاع المولى أو بتعجيزه^(٥) عن الانتقام فكفر^(٦) لا يعفر .

وأما غيرها فمغفور إذا شاء ، إلا أن بعضها أشد من بعض ، والغفلة أخفها ، ويليها الاتكال على عفوه ، وأشد هذا الأخف التقحم رضى بالنقمة ، ونعوذ بالله من سوء القضاء .

قال الإمام^(٧) عليه السلام : ولا يتيم الإحسان إلا بأن يتنظم القول والعمل ؛ فلا ينطق إلا بما يفعل ، ولا يأمر إلا بما يمثل ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٢] /

وذلك في قول : « النبيون »^(٨) ، وهذا ما^(٩) لا ريب فيه .

(١) في (س) و(ف) : المولى له .

(٢) في (س) : نفسه .

(٣) قوله : « ما عهد من » سقط من (س) .

(٤) في (د) و(ز) : تنفصل .

(٥) في (د) - أيضاً - : وبتعجيزه ، وفي (س) و(ص) و(ف) : أو تعجيزه .

(٦) في (س) : فكفره .

(٧) في (د) : قال الإمام الحافظ القاضي ، وفي (ص) : قال الإمام الحافظ أبو بكر

محمد بن عبد الله بن العربي ، وفي (ز) : قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ،

وفي (ل) : قال الإمام الحافظ ، وفي (ف) : قال الإمام .

(٨) لطائف الإشارات : (٣/٣٣١) .

(٩) في (س) و(د) : ممّا .

وقيل: «هُمُ الأئمة الذين يقتدى بهم»^(١).

وقيل: «المؤذنون»^(٢).

وقيل: «هو الذي لا يرى غير الله»، وسيأتي تمامه إن شاء الله.

وقد قال الله سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ

بِنَاءً وَصَوَّرَكُم بِأَحْسَنَ صُورَكُم﴾ [غافر: ٦٤].

قال أهل الزهد: «خَلَقَ اللهُ كل شيء فَذَكَرَهُ، ثُمَّ عَطَفَ مِنْ جُمْلَةٍ مَا

خَلَقَ عَلَى تَحْسِينِ الْإِنْسَانِ دُونَ سَائِرِ الْأَعْيَانِ، وَكَذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ

خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]»^(٣).

قال: أنا^(٤) أبو الحُسَيْن الْأَزْدِي الصُّوفِي^(٥) قال: أنا^(٦) أبو بكر بن

ثابت الحافظ قال: أنا^(٧) أبو محمد الحسن الخلال: «حملني أبي إلى بعض

شيوخ الصوفية ليدعوني، فقال لي: ما اسمك؟ قلت له: حسن، قال: إن

الله قد حَسَّنَ اسمك فَحَسَّنْ فِعْلَكَ»^(٨).

(١) لطائف الإشارات: (٣/٣٣١).

(٢) لطائف الإشارات: (٣/٣٣١).

(٣) لطائف الإشارات: (٣/٣١٤).

(٤) في (س) و(د) و(ص) و(ف) و(ز): لنا.

(٥) هو الإمام الحافظ المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، عُرِفَ بابن الطُّيُورِي، تقدّم

التعريف به في السُّفَرِ الْأَوَّلِ.

(٦) في (س) و(د) و(ص) و(ف) و(ز): لنا.

(٧) في (س) و(د) و(ص) و(ف) و(ز): لنا.

(٨) تاريخ بغداد: (٩٧/٢).

قال الحافظ أبو بكر^(١) رحمه الله: ولعائشة رضي الله عنها كَلَامٌ ذكره البخاريُّ عنها، هو خاتمة الباب وفقه المسألة، أدركته بفضل علمها: «إِذَا أَعْجَبَكَ حُسْنُ عَمَلٍ أَمْرٍ فَقُلْ لَهُ: ﴿وَقُلْ إِعْمَلُوا فَيَسِيرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٦]»^(٢).

يراه الله مُشَاهِدَةً وَإِحَاطَةً، ويراه النبيُّ والمؤمنون ظاهراً، فيحكمون له بِحُكْمِ الظاهر، ومَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ، فينبئكم أجمعين بخفائيه وبواطنه، وعليه يقع المجازاة^(٣).

وقال أحمد عن ابن مسعود: «الناس كلهم قد أحسنوا القول، فمن وافق قوله فَعَلَهُ فذلك الذي أصاب حظَّه، ومن خالفه فَإِنَّمَا يُوتَغُ^(٤) نَفْسَهُ»^(٥).

وإذا فَهِمْتَ الإحسان فهو الإخلاص^(٦) بعينه^(٧)، أو قُلْ: فائدتُه.

(١) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ل): قال الإمام، وفي (ف): قال أبو بكر.

(٢) ذكره البخاري في صحيحه مُعَلَّقاً: كتاب التوحيد، باب قوله الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.

(٣) في (س) و(ف): الجزء.

(٤) في (د) و(س) و(ص) و(ف) و(ز): يوبخ، ومرّضها: وفي (د) - أيضاً -: في خ: يرتع، وفي طرة ب (ل): يُوتَغ: أي: يهلك، يقال: وَتَغَ الرجل وتغاً: هَلَكَ.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في الزهد: (ص ٢٠٠).

(٦) في (د): في خ: المخلص، وبعده في (ل): به، وضرب عليها في (د).

(٧) في (س) و(ف): نفسه.

المُخْلِصُ^(١): وهو الاسم الحادي عشر

فَإِنْ كُلُّ^(٢) عَمَلٍ خَلَصَ مِنَ الْآفَاتِ فَهُوَ حَسَنٌ، وَلَا يَكُونُ حَسَنًا حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا لَمْ يُشْبِهْهُ مَا يُكْرَهُ.

قال الله تعالى: ﴿تَسْفِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ قَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [الحل: ٦٦].

يعني: ليس فيه شوبٌ ممَّا جاوره، وهو حَسَنُ اللَّوْنِ، حَسَنُ الرَّائِحَةِ، حَسَنُ الطَّعْمِ^(٣)، فكلُّ خالص حَسَنٌ، وكلُّ حَسَنٍ خالصٌ^(٤)؛ عُمُومًا في الوجوه كُلِّهَا أَوْ خُصُوصًا^(٥).

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، كما قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١]، وهو قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ للذي سأله: «قل: آمنت بالله، ثم استقم»^(٦)، فَإِنَّ الاستقامة هُوَ استفعالٌ من قام، وهو الْعَمَلُ بِحُدُودِ

(١) سقط من (س) و(د) و(ص) و(ز) و(ف).

(٢) في (ص): كان.

(٣) في (س): المطعم.

(٤) بعده في (س) و(ف): كله.

(٥) ينظر: قانون التأويل: (ص ٣٨٠-٣٨٣).

(٦) تقدّم تخريجه.

الله دائماً، وهو قَصْدُ السَّيْلِ، وهو الذي قيل له ﷺ: ﴿بَاسْتَفِيمَ كَمَا
 أَمِيرَتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢]، وهذا خطابٌ له وللجميع؛ خصوصاً
 وعموماً.

وقد اختلف الناس فيه بحسبِ مَوَاقِعِ «اسْتَفْعَلَ» في اللغة:
 فقليل: معناه: سَلَ الاستقامة^(١).

أي^(٢): أَنْ يُقِيمَكَ اللهُ عَلَى الْحَقِّ.

وقيل: / معناه: أَقِمَّ^(٣) عَلَى مَا أَمْرُنَاكَ بِهِ.

[١/٨٤]

أي: دَائِمٌ وَوَاضِبٌ مِنْ غَيْرِ إِخْلَالٍ بِهَا^(٤)، وَلَا انْحِرَافٍ عَنْهَا.

وقال أهل الزهد: «الاستقامةُ أَنْ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ لَا يَنْحَرِفُ
 وَلَا يَقِفُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى اللَّهِ، فَإِنْ وَقَفَ فَلْيَنْظُرْ مَا أَوْقَفَهُ، وَلْيَجْهَدْ فِي دَفْعِهِ
 حَتَّى يَنْفُذَ، فَإِنَّهُ إِنْ رَجَعَ هَلَكَ، وَإِنْ انْحَرَفَ هَوَى^(٥)، وَرَبَّمَا أَغْوَى، وَإِنْ
 وَقَفَ لَمْ يُعْذَرْ».

وربما كَانَ مَوْقِفُهُ غَيْرَ تَامٍّ وَلَا كَافٍ، وَكَانَ أَمَامَهُ مِمَّا حُجِبَ عَنْهُ مَا
 يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ وَيَطْلُبُ مِنْهُ، وَمَوْقِفُهُ^(٦) مِنَ الْآفَاتِ سَيِّئَاتِي فِي بَقِيَةِ الْأَسْمَاءِ
 وَالصِّفَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(١) لطائف الإشارات للقسيري: (١٦٠/٢).

(٢) سقطت من (س) و(د) و(ص) و(ز) و(ف).

(٣) في (د): في خ: اقتصر.

(٤) سقطت من (س).

(٥) في (د): أهوى.

(٦) في (س) و(ف): مواقفه، وفي (د) و(ص): ومواقفه، ومَرْضَاهَا فِي (ل).

وقال لي^(١) أبو الفضائل الصوفي^(٢): قال لنا ابن هوازن شيخ الطريقة: «المستقيم من لم يرجع عن طريق الله ولا انحرف عنها ما لم يصل إلى الله، ووصل سيّره بسرّه، وورّعه بتّقواه، وبالغ في ترك هواه»^(٣).

وقال أبو سعد^(٤) الزنجاني^(٥) عنه^(٦): «إن الاستقامة هي استقامة النفوس بنّفي الشهوة، واستقامة القلوب بنّفي الغفلة، واستقامة الأرواح بنّفي العلاقة»^(٧)^(٨).

(١) في (س): لنا.

(٢) هو أبو الفضائل بن طوق، يروي ابن العربي من طريقه «لطائف الإشارات» للإمام القشيري، تقدّم التعريف به في السّفر الأوّل.

(٣) لطائف الإشارات للقشيري: (١٦٠/٢).

(٤) في (س) و(ف) و(ص): سعيد.

(٥) الإمام العلامة، محمد بن طاهر الزنجاني، أبو سعد الخراساني، نزيل بيت المقدس، أخذ عن إمام الحرمين، وأبي المظفر الإسفراييني، وأبي القاسم القشيري، روى ابن العربي عنه كتاب «الإرشاد» و«الشامل» و«البرهان» لأبي المعالي، وكتاب «الأوسط في الاعتقاد» لأبي المظفر، و«لطائف الإشارات» لأبي القاسم، لقيه ببيت المقدس عام ٤٨٧هـ، وأفاد منه، وروى عنه مجالسه في التفسير والفقه والتذكير، ونشر كثيرًا منها في كتابه هذا؛ «سراج المريدين»، ويظهر لي -والله أعلم- أنه من جملة من استشهد عند دخول الصليبيين بيت المقدس عام ٤٩٢هـ، ويدل على ذلك نعت ابن العربي له بالشهيد، ينظر: قانون التأويل: (ص ٩٧)، وفهرس ابن خير: (ص ٣١٩).

(٦) سقطت من (س).

(٧) قوله: «بنّفي العلاقة» سقط من (ز).

(٨) لطائف الإشارات للقشيري: (١٦٠/٢).

قال الإمام الحافظ أبو بكر رحمته الله ^(١): هذه هي رحمته الله ^(٢) صفة محمد رحمته الله.

قال ^(٣) في خبرهما فيما نحن فيه: «فاستقامة العابد أن لا يُؤثّر نفسه على العبادة، ولا يُخلّ بأدائها، بل يفعلها بعُسْرِها ويُسرِّها، واستقامة الزاهد أن لا يرجع إلى الدنيا، بل ينبذ قليلها وكثيرها ^(٤)، واستقامة النائب ألا يُلِمَّ بعد التوبة بذنب ^(٥)».

قال الإمام أبو بكر رحمته الله ^(٦): والفائدة العُظمى قوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، في وجه اتصال ^(٧) نظمها بما قبلها، وقد أفضنا في ذلك في «أنوار الفجر» بكثير، وبيّنا ما فيها من القليل والكثير.

والمقدار الذي يتعلق بهذه الاستضاءة: النَّهْيُ عن تعلق القلوب بحالٍ غير ما بيّناه، فلا يَتَعَلَّقُ لِلْعَابِدِ قَلْبٌ بحال المُهْمِلِ، ولا الزَّاهِدِ بحالٍ

(١) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ل): قال الإمام رحمه الله.

(٢) سقطت من (س) و(ص) و(د) و(ف) و(ز).

(٣) أي: ابن طوق والزنجاني، فيما يرويان عن الإمام القشيري.

(٤) بعده في (س) و(ص) و(ز) و(ف): «كما روي»، وضرب عليه في (د)، وبعده بياض في (د) و(ز).

(٥) لطائف الإشارات للقشيري: (١٦٠/٢).

(٦) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ، وفي (ز): قال الإمام أبو بكر بن العربي، وفي (ل): قال الإمام رحمه الله.

(٧) في (س): اتصالها بما قبلها.

الْمُنْهَمِكِ^(١) فِي الدُّنْيَا، وَلَا التَّائِبِ^(٢) بِحَالِ الْعَاصِي، فَيَرَى كُلَّ وَاحِدٍ^(٣) مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ الْمُتَقَدِّمِينَ أَوَّلًا^(٤) الْمُتَحَلِّينَ مَعَ شَهَوَاتِهِمْ فِي حَالِ سَلَامَةٍ وَنِعْمَةٍ، وَكَرَامَةٍ فِي الدُّنْيَا وَعَافِيَةٍ، فَيَتَعَلَّقُ لَهُمْ^(٥) بِهِمْ قَلْبٌ، أَوْ تَكُونُ لَهُمْ^(٦) إِلَيْهِمْ صُحْبَةٌ، فَيَجُوزُوا^(٧) بِهِمْ عَنْ طَرِيقِهِمْ، وَتُفْسِدُ^(٨) بِهِمْ أَحْوَالَهُمْ، وَتَنْفِرُ مِنْهُمْ قُلُوبُهُمْ، يَسْتَأْنِسُونَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَهُمْ لَا يَنْتَصِرُونَ^(٩) بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ^(١٠).

قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ^(١١): وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا

رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾ [فصلت: ٢٩].

قَالُوا: اسْتَقَامُوا فِي التَّوْحِيدِ فَلَمْ يَشْكُرُوا^(١٢)، وَاسْتَقَامُوا عَلَى الْعِلْمِ فَلَمْ^(١٣) يَقْلُدُوا، وَاسْتَقَامُوا عَلَى الطَّاعَةِ وَلَمْ يَعَصُوا، فَأَمَّا مَنْ اسْتَقَامَ وَلَمْ

(١) فِي (د): الْمُنْهَمِل.

(٢) فِي (د) وَ(ص): لِلتَّائِب.

(٣) فِي (س) وَ(ف): أَحَد.

(٤) فِي (س): أَوْ.

(٥) فِي (د) - أَيْضًا -: لَهُ.

(٦) فِي (د): لَهُ.

(٧) فِي (س) وَ(ص) وَ(ف): فَيَجُوزُونَ، وَمَرَّضَهَا فِي (ل).

(٨) فِي (س): وَتُفْسِدُهُمْ.

(٩) فِي (س): يَنْتَصِرُونَ.

(١٠) فِي (س): الْآخِرَةِ.

(١١) فِي (د): قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْقَاضِي رحمته الله، وَفِي (ص): قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ

رحمته الله، وَفِي (ز) قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ رحمته الله، وَفِي (ل): قَالَ

الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١٢) فِي (س) وَ(ص) وَ(ز): يَشْكُرُوا.

(١٣) فِي (س) وَ(د) وَ(ص): وَلَمْ.

١
[٨٤/ب] يشرك فقد أَمِنَ من الخلود في النار بأصل الاستقامة ، ويأمن من دخول النار
بكمال / الاستقامة .

وقد كنت فَيَدْتُ في ذلك كلمات مفيدات في الباب ، وشرحناها
مبسوطة^(١) في «أنوار الفجر» ، ثم رأينا الآن في هذه الاستضاءة أن نُورِدَهَا
مُجْمَلَةً بِالْفَافِ مفسرة ، تُلْمَحُ بِالْغُرْضِ منها ، وتُليحُ على نهج الطريق إليها ،
وهي أربع^(٢) :

الأولى^(٣) : في قوله : ﴿اسْتَقِمُوا﴾ : استقاموا بصفاء عَقْدِهِمْ فلم
يُكَدِّرُوهُ ، ووفاء عَهْدِهِمْ فلم يَنْقُضُوهُ ، لا سيما وقد وَكَّدُوهُ^(٤) .

الثانية : استقاموا في قَصْدِهِمْ بِصِحَّةٍ وَدَّهِمْ ، رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال له
رجل : «متى الساعة ؟ قال : ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كبير
عَمَلٍ ؛ إِلَّا أَنِي أَحَبُّ إِلَهُ وَرَسُولِهِ ، قال : المرء مع من أحب ، قال راويه
أَنَسٌ : فما فرح المسلمون بشيء بعد الإسلام فَرَحَهُمْ بهذا»^(٥) .

الثالثة : استقاموا بحالهم ، في وقتهم ومآلهم .

الرابعة : هُمُ^(٦) الذين أقاموا على طاعته ، واستقاموا على معرفته ،
وَعَقَدُوا على محبته ، وقاموا بشروط خدمته ، فكانوا أهلاً لجنته^(٧) .

(١) في (س) و(ص) و(ز) و(ف) : مبسوطة .

(٢) في (س) و(ف) : عبارات أربع ، وفي (د) أربع عبارة ، وفي (ص) : عبارة العبادة .

(٣) قبلها في (س) و(د) و(ف) : العبارة ، ومَرْضُهَا في (ل) .

(٤) في (ص) : وكروه .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب البر والصلة والآداب ، باب المرء مع من

أحب ، رقم : (٢٦٣٩- عبد الباقي) .

(٦) في (س) و(ز) : وهم .

(٧) لطائف الإشارات للقسيري : (٣/٣٢٨) .

ومن أوقع معنى في الباب ، ما قاله أهل اللباب - زائداً على ما قدّمناه في الباب - : إن الزاهد لا يستقيم إلّا بأن لا يحرص ولا يفرح ولا يتمتع بجاه الدنيا ؛ فإن الجاه ملِكُ القلوب ، والقلوبُ أشرف من الأموال ، فالجاءُ أشرف معاني الغنى ^(١) وأفتنّها .

واستقامة المُتَعَبِّدِ بأن يَفِرَّ عن الرياءِ إِنْ فَعَلَ ، ويجتنب الفترة إذا هَمَّ أن يترك .

واستقامة العالِم أن لا يختلف قوله وفعله ، ولا يخلط علمه بالتوحيد بعلمه ^(٢) بأحكام الدنيا ، بل يَفِرُّ عنها كما فعل مالك رضي الله عنه ، وقد صُوِّرَ على أن يَحْكُمَ وَيُفْتِيَ وَيُصْحَبَ فتفادى من الكل ، وأراد الخُمُولَ فأظهره الله وقدمه ، وقد رُوِيَ : «أنه وجّه المهديُّ إليه لَمَّا قَدِمَ المدينة بثلاثة آلاف دينار ، ثم مضى وحجّ ، فلمّا قَفَلَ وجّه إليه الرّبيع وقال : إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : تُعَادِلُهُ إلى مدينة السّلام ، فقال له : أقرئه السلام ، وقل له : قال النبي صلّى الله عليه وآله : «والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون» ^(٣) ، والمالُ عندي على حاله» ^(٤) .

ومع الإحسان - كما قلّنا - يكونُ الإخلاص ، وهو هُوَ ، ولكنّه يتخصّص عن جميع ما تقدّم بأنه معنًى يوجدُ بالقلب ، ويحصلُ في الباطن ؛ فتظهرُ آثاره وهو كامن .

(١) في (س) : المعنى .

(٢) في (س) : علمه .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الحج ، باب فضل المدينة ، رقم : (١٣٣٦) - عبد الباقي .

(٤) الانتقاء لابن عبد البر : (ص ٨٤) ، وترتيب المدارك : (٢/١٠٠) .

أخبرني^(١) الحافظ أبو الفضل إسماعيل بن الفضل الأصبهاني^(٢) بمكة، وكتبه لي بخطه، وأظنه كان ذلك في الكعبة، وأغلبُ ظنِّي أنه بالمسجد الحرام بقراءته علينا، وسألته عن الإخلاص فقال: نا الشيخ أبو بكر أحمد بن علي بن خلف، وسألته عن الإخلاص^(٣)، قال: نا أبو عبد الرحمن السُّلَمي، وسألناه عن الإخلاص قال: سمعت علي بن سعيد/ الثَّغري وأحمد بن محمد بن زكرياء، وسألتهما عن الإخلاص، قالا: سمعنا علي بن إبراهيم الشَّقِيقي، وسألناه عن الإخلاص، قال: سمعت محمد بن جعفر الخَصَّاف، وسألته عن الإخلاص، قال: سألت أحمد بن بشار^(٤) عن

١
[٨٥/أ]

(١) في (س): أخبرنا.

(٢) الإمام الحافظ، المحدث العلامة، قَوَّامُ السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل القُرشي التَّيْمِي، أبو الفضل الأصبهاني، عُرف بالجُوزي، ومعناه -بلسان أهل أصفهان-: الطير الصغير، (٤٥٧-٥٣٥هـ)، من أعيان العلماء، ومن أكابر المفسرين، قال فيه أبو عامر العَبْدَرِي: «ما رأيت أحداً قط مثل إسماعيل، ذاكرته فرأيتُه حافظاً للحديث، عارفاً بكل علم، متفنناً»، لقيه ابن العربي عام ٤٨٩هـ بمكة المعظمة، وكذلك ببغداد، وسمع منه وأفاد، وسمع منه «الأحاديث المسلسلة» من تأليفه، له من المصنفات الشيء الكثير، من أحفلها كتابه في التفسير، وسمَّاه «الجامع»، في ثلاثين مجلداً، و«سير السلف»، و«الحجة في بيان المحجة»، و«الترغيب والترهيب»، وهذه الثلاثة منشورة، وله أيضاً: «شرح الصحيح»، حَقَّقَ في رسالة جامعية بالمغرب، وغير ذلك من الكتب والتواليف، ترجمته في: الأنساب: (٣٦٨/٣)، وسير النبلاء: (٨٠/٢٠-٨٨)، وينظر: القبس: (٨٠٧/٢).

(٣) قوله: «بقراءته علينا، وسألته عن الإخلاص فقال: نا الشيخ أبو بكر أحمد بن علي بن خلف، وسألته عن الإخلاص» سقط من (س).

(٤) في (س) و(د) و(ف): يسار، ومرَّضها في (ص).

الإخلاص ما هو^(١)؟ قال: سألت أبا يعقوب الشَّريطي عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أحمد بن غَسَّان^(٢) عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أحمد بن عطاء الهُجَيْمِي^(٣) عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت الحسن البصري عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت حُذَيْفَةَ عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت النبي ﷺ عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت جبريل عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت رَبَّ العِزَّة عن الإخلاص ما هو؟ قال: «هو سِرٌّ من سِرِّي، استودعته قَلْبٌ من أَحِبَّتْ من عبادي»^(٤).

قال لنا الحافظ أبو الفضل إسماعيل: «هذا حديث^(٥) غريب، ما كتبناه إِلَّا من حديث الشيخ أبي عبد الرحمن السُّلَمِي، وقع لي عاليًا بحمد الله وَمَنَّهُ».

وأنا أبو الفضائل بن طوق عن ابن هوازن: «قال البُوشَنجِي: الإخلاص ما لم يكتبه الملكان».

(١) قوله: «ما هو» سقط من (د) و(ص).

(٢) في (س): عقيل.

(٣) في (د): الهجمي.

(٤) أخرجه ابن العربي - أيضًا - في مسلسلاته، ومن طريقه ابنُ الطيلسان في الجواهر المفصَّلات (ق ٥/ب)، وأخرجه أبو القاسم القُشَيْرِي في رسالته عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِي: (ص ٢٤٠)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (٦/٢)، وذكر الواحدي أنه حدَّثه به بإسناده مسلسلًا، البسيط: (٣٦٨/٣)، وهو حديث منكر، وينظر: فتح الباري: (١٠٩/٤)، والجواهر المكلَّلة للسَّخَاوِي: (ص ٢٧٠).

(٥) قوله: «هذا حديث» سقط من (د) و(ص).

وقد دَخَلَ^(١) مع حديثه حديثٌ غيره .

قال الفُضَيْلُ: «العملُ من أجل الناس رياء، وترك العمل من أجلهم شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما»^(٢)»^(٣).

وقال البُوشَنجِي: «الإخلاص ما لم يكتبه الملكان، ولم يفسده الشيطان، ولا يطلع عليه الإنسان»^(٤).

وهذا بابٌ من العلم الذي تصدَّينا له .

وقال رؤيم: «ألا يرى الفعل»^(٥).

وقال حذيفة المرعشي^(٦): «هو أن يستوي الفعل ظاهراً وباطناً»^(٧).

وقال أبو يعقوب المكفوف: «هو أن يكتم حسناته كما يكتم سيئاته».

وقال سهل: «هو الإفلاس».

وقال الدَّارَانِي: «للمُرَائِي ثلاث علامات؛ يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان مع الناس، ويزيد في العمل إذا مُدِّح».

(١) في (ف): ذكر .

(٢) قوله: «أن يعافيك الله منهما» سقط من (س) و(ف) و(ز).

(٣) الرسالة للقشيري: (ص ٢٤٠).

(٤) الرسالة للقشيري: (ص ٢٤١).

(٥) الرسالة للقشيري: (ص ٢٤١).

(٦) في (س): المرتعشي .

(٧) الرسالة للقشيري: (ص ٢٤١).

- وقيل: «الإخلاصُ ما يُقصد به الصدق، ويراد به الحق سبحانه»^(١).
- وقيل: «هو ما لا تشوبه الآفات، ولا يترخص فيه بالتأويلات»^(٢).
- وقيل: «هو ما سُتِرَ عن»^(٣) الخلائق، وصَفَا^(٤) من العلائق^(٥)»^(٦).
- وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُو إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾
[البينة: ٥]، فقرر الإخلاص بالعبادة لأنه شرطها ووصفها، وروحها ومعناها.
- وقال تعالى: ﴿إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].
- وقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٥].
- وقال: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٠٥].
- فأمرهم^(٧) سبحانه أن تعبدوه مخلصين له الدين، والإخلاص ألا يكون شيء من حركات العبد ولا من سكناته، في جوارحه ومفاصله، وكلامه
-
- (١) الرسالة للقشيري: (ص ٢٤١).
- (٢) اللمع لأبي نصر السراج: (ص ٣٠٧).
- (٣) في (د): من.
- (٤) في (د): صَفَّى.
- (٥) قوله: «وأنا أبو الفضائل بن طوق عن ابن هوازن .. وقيل: هو ما سُتِرَ عن الخلائق، وصَفَا من العلائق» سقط من (ص).
- (٦) الإحياء: (ص ١٧٥٢).
- (٧) في (د) - أيضاً -: وأمرهم.

١ وسكتاته ؛ إلا الله ، مُصَنَّفِي من الخلل ، حَئِيفًا إِلَى الحق ، بَعِيدًا^(١) من الباطل ،
 [٨٥/ب] غير خارج عن سَنَنِ الحق ، وَحِينَئِذْ يَكُونُ / الله ؛ كما قال : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ
 الْخَالِصُ﴾ ، وقد قال الله : «إني لا أقبل عَمَلًا أَشْرَكَ معي فيه أَحَدٌ»^(٢) غيري ،
 أنا أغنى الأغنياء عن الشريك»^(٣) .

وَأَمَّا إِنْ قَصَدَ بِهِ دُنْيَا فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ حَتَّى يُقَالَ فِيهِ : إِنَّهُ إِخْلَاصٌ^(٤) ،
 ولكنه كما قال النبي ﷺ عن القارئ : «يقال له : كذبت ، بل أردت أن يقال :
 فلان قارئ ، فقد قِيلَ»^(٥) .

وَرَبِّمَا قَصَدَ ذَلِكَ وَلَمْ يَجْرِ^(٦) ذَلِكَ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ ، بَلْ يَكُونُ مُحَقَّرًا
 فِيهِمْ ، فَهَذَا قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، وَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ لِيَصِلَ إِلَى
 رُؤْيَيْهِ وَثَوَابِهِ وَرِضَاهِ فِي جَوَارِهِ فَلْيُضِلِّحْ عَمَلَهُ وَلْيُخْلِصْ قَصْدَهُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ ، أَي : اسْتَوَى ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ
 لِيَزُولَ عَنْهُمْ نِفَاقُهُمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَالَ سَبْحَانَهُ : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَوْسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾
 [مريم: ٥١] ، قُرِئَ بِفَتْحِ اللَّامِ ، يَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ : ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١] ،

(١) سقطت من (د) .

(٢) سقط من (س) و(ص) و(ز) و(ف) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه : كتاب الزهد والرقائق ، باب من
 أشرك في عمله غير الله ، رقم : (٢٩٨٥- عبد الباقي) .

(٤) في (د) و(ص) و(ز) : خالص .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه : كتاب الإمامة ، باب من قاتل
 للرياء والسمعة استحق النار ، رقم : (١٩٠٥- عبد الباقي) .

(٦) في (س) : يجد .

وقرئ بكسر اللام، وهو بهما جميعاً: أَخْلَصَهُ اللهُ وَأَخْلَصَ اللهُ، لم يكن فيه لغير الله حظ، ولا أخذته في الله لومة لائم، ولا استفزه طمع على إثثار حظ على طاعته^(١)، ولم يُغض في الله على شيء، حتى إن ملك الموت لما جاءه - دون المقدمة التي كانت بينه وبين الله - صكّه ففَقَّأ عينه^(٢).

ومن أراد^(٣) غَيْرَ الله مُطْلَقًا بعمله كله أو بعض^(٤) عمله دَخَلَ في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: «أن معاوية كتب إليها لتكتب له^(٥) بما سمعت من رسول الله ﷺ، فكتبت إليه بفقْهها وثاقب فهِمها وعظيم عِلْمها: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله إليهم، ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس»^(٦).

وما كان أحوج معاوية إلى هذه الوصية! فإنه كانت له فَضْلَةٌ حِلْمٍ تَسَعُّ أخلاق الناس؛ فَخَشِيتُ عليه أن يَنْسَحِبَ حِلْمُهُ على مسامحةٍ فيما لا يجوز، فما نَبَّهَتْ منه غافلاً، ولا ذَكَرَتْ نَاسِيًا، ولقد ساد وساس، حتَّى وَجَدَ الناسَ فَقْدَهُ، ولم يَجِدُوا بعده مثله^(٧)، فإِيَّاكُمْ ثم إِيَّاكُمْ أن تسمعوا فيه قَوْلَ المؤرخين! فَهُمُ عن الْحَقِّ جِدُّ نَاكِينَ.

(١) في (د) و(ص): طاعة.

(٢) تقدّم تخريجه في السفر الأول.

(٣) في (د) و(ص): وهو إذا أراد.

(٤) في (د): ببعض.

(٥) في (د) و(ص) و(ز): إليه.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، بابٌ منه، رقم:

(٢٤١٤-بشار).

(٧) في (د) و(ص) و(ز): مثله بعده.

وَإِذَا عَلِمْتُمْ هَذِهِ الْمَقْدِمَةَ بِجَمِيعِ مَعَانِيهَا فِي هَذَا الْاسْمِ، وَتَحَقَّقْتُمْ أَنَّهُ سِرٌّ لَا جَهْرٌ، وَمَنْ قَبِيلِ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ لَا مِنْ اكْتِسَابِ الْجَوَارِحِ، فَتَحَقَّقُوا أَنَّ عَنْهُ تَنْشَأُ الْأَفْعَالُ، وَعَلَيْهِ يَنْبَنِي عَمَلُ الْجَوَارِحِ.

وفي «مصنف عبد الرزاق»: وذكر في الجامع عن أبي هريرة قال: «الْقَلْبُ مَلِكٌ وَلَهُ جُنُودُهُ، فَإِذَا أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلِكُ صَلَحَتْ جُنُودُهُ»^(١)، وَإِذَا أَفْسَدَ^(٢) اللَّهُ الْمَلِكُ فَسَدَتْ جُنُودُهُ، الْأُذُنَانِ قِمْعٌ^(٣)، الْعَيْنَانِ مَسْلَحَةٌ^(٤)، اللِّسَانُ تُرْجَمَانُ، الْيَدَانِ جَنَاحَانُ، الرَّجْلَانِ بَرِيدٌ، الْكَبِدُ رَحْمَةٌ، الطَّحَالُ ضَحِكٌ، الرِّئَةُ نَفْسٌ، / فَإِذَا صَلَحَ الْمَلِكُ صَلَحَتْ جُنُودُهُ، وَإِذَا فَسَدَ الْمَلِكُ فَسَدَتْ جُنُودُهُ»^(٥).

١
[١/٨٦]

وهذا لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مَعَ كَلَامِ النُّبُوَّةِ وَيَنْبُوعِ الْحِكْمَةِ، قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٦).

وَيَلِيهِ اللِّسَانُ؛ وَهُوَ تُرْجَمَانُهُ، فَإِذَا اتَّفَقَا فِي قَصْدٍ حَسَنِ انْتَضَمَ الْأَمْرُ وَاطَّرَدَ الْخَيْرُ، وَإِذَا اضْطَرَبَا اخْتَلَّ الْكُلُّ جَمْلَةً وَتَفْصِيلاً.

(١) فِي (د) وَ(ص) وَ(ز): جُنُود.

(٢) فِي (د): فَسَدَ الْمَلِكُ.

(٣) يَنْظُرُ تَاجُ الْعُرُوسِ: (٨٢/٢٢).

(٤) الْمَسْلَحَةُ: هِيَ مَوْضِعُ كَالثَّغْرِ أَوْ الْمَرْقَبِ، يَكُونُ فِيهِ أَقْوَامٌ يَرْقُبُونَ الْعَدُوَّ لئَلَّا يَطْرُقَهُمْ عَلَى غَفْلَةٍ، تَاجُ الْعُرُوسِ: (٤٧٩/٦).

(٥) أَخْرَجَهُ عَبْدِ الرَّزَاقِ فِي مَصْنَفِهِ: كِتَابُ الْجَامِعِ، بَابُ الْقَلْبِ، رَقْمٌ: (٢٠٣٧٥).

(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، رَقْمٌ: (٥٢-طُوق).

وفي الحديث: «إذا أصبح ابن آدم كَفَرَتْ أَعْضَاؤُهُ اللِّسَانَ، تقول له: اتق الله فينا، فإنك إن استقممت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»^(١)، وقد بيَّنَّا حقيقة هذا المَثَل في كتاب «قانون التأويل»^(٢) فليُطْلَب فيه.

بديعة:

وَالْأَفْعَالُ وإن كانت تصدر^(٣) عن إشارة القلب، ومُرَكَّبَةٌ^(٤) على المعاني القائمة به؛ فإنها تؤثر في إدامة حال القلب إذا تصرَّفت على مقتضى صَدْرِهَا^(٥) منه، فإن كان في الخير فهي عادة، وإن كان في الشر فهي لاجابة، ألا ترى إلى عظيم تأثير السجود في تأكيد خضوع القلب، وَيَعْضُدُ هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وسيأتي بيان ذلك في اسم «المُصَلِّي» إن شاء الله.

تحقيق: [في حقيقة النية]

ولمَّا كان حال الأعمال تنبني^(٦) على القلب وتَصُدُّرُ عن المعاني القائمة به؛ نَبَّهَ النبي ﷺ على^(٧) الحقيقة فيه فقال: «الأعمال بالنيات،

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حفظ اللسان، رقم: (٢٤٠٧-بشار)، ورجَّح أبو عيسى وقفه.

(٢) قانون التأويل: (ص ١٦٦).

(٣) في (س): صادرة.

(٤) في (د): وهي مركبة.

(٥) في (ص) و(س): صدره.

(٦) في (د): ينبني.

(٧) في (د): عن.

ولكل امرئ ما نوى»^(١)، وصار هذا الحديث - وإن كان من الأحاد^(٢) - ثلث الإسلام في قول^(٣)، ورُبَّعه في قول^(٤)، وجُمِّلته عند قوم آخرين، والأوَّلان أصحُّ من الثالث، والثاني أصحُّ من الأوَّل، وقد بيَّنا ذلك في «شرح الحديث».

والنِّيَّةُ عندهم - مُطْلَقًا - : هي القَصْدُ^(٥).

وفي العبادات: هي قَصْدُ التقرب^(٦) إلى المعبود^(٧)، ولها مقام عظيم في الدين.

قال ابن مسعود: «النجاة في اثنتين، والهَلَكَةُ في اثنتين، النجاة في النية والنَّهْيِ، والهَلَكَةُ في القُنُوط والإِعْجَاب»^(٨).

والتقريبُ في حقيقة النية ما نُورِدُهُ عليك:

وهو أن الله خلق العبدَ وخلق له مَلَائِمًا، وخلق له مُبَايِنًا، وَخَلَقَهُ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ مُهَيَّيًّا لِأَنْ يَعْلَمَ، فَإِذَا خَلَقَ لَهُ الْعِلْمَ بِالشَّيْءِ مَثَلًا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: (١-طوق).

(٢) في (ص): الأحاديث.

(٣) شرح الصحيح لابن بطال: (٣٢/١).

(٤) قوت القلوب: (١٣٤٨/٣)، وفتح الباري: (١١/١).

(٥) شرح الصحيح للخطابي: (١١٢/١).

(٦) في (س): التقريب.

(٧) ينظر: الحدود لابن فورك: (ص ١١٦).

(٨) أخرجه هنَّاد في الزهد: (ص ٤٣٩)، رقم: (٨٦٩).

موجوداً وخلق^(١) له العلم به مُلائماً خلق له إليه ميلاً ، وعليه إقبالاً ، وخلق له التردد في الملاءمة:

هل هي من جميع الوجوه أو من بعضها؟

أو هل^(٢) هي ملائمة المبدأ والمآل جميعاً أم تختلف حال الملاءمة فيهما^(٣)؟

ولا تزال الخواطر تتعارض ، والنظر يَرِنُ مقاديرها في مجاريها ، حتى إذا خلقه له معلوماً ملائماً من كل وجهٍ في كلِّ حال ، ومنَع^(٤) العوارض القاطعة ، خلق له عليه القدرة ، وكان الإقدام منه على الفعل بالقدرة الأولى ، وحصل / الوجود .

١
[٨٦/ب]

فالخاطر الأوَّل من الميل : تُسمِّيه العربُ همًّا .

والثاني : تُسمِّيه إرادةً وعزماً .

والثالث : المُتَجَرِّدُ عن الوسائس والعوارض والقواطع تُسمِّيه نيَّةً ؛ مأخوذاً من النوى ، وهو البُعْدُ ، أي بَعُدَتْ عن كل ما يعارض ويمنع .

ولمَّا كانت هذه كلها صفات حدوث وحالٍ تَغْيِيرٍ ؛ تَنَزَّهَ الْقَدِيمُ عنها ، وكانت له الإرادة التي هي صِفَةٌ شَأْنُهَا تَمَيِّيزُ الشَّيْءِ عن مثله ؛ قَدِيمَةٌ أَوَّلِيَّةٌ تتعلق بكل مخلوق مُحْدَثٍ ، ووقعت في المخلوق دَلِيلًا على الخالق بما

(١) في (س) : أو خلق .

(٢) في (س) و(ص) : وهل .

(٣) في (ص) و(ز) : فيها ، وسقطت من (س) .

(٤) في (د) - أيضاً - : ومع .

هي عليه من هذه الأحوال الناقصة ، كسائر صفاته الناقصة فيه ؛ وإن كانت كَمَالًا ، الكاملة في حَقِّ الله على الإطلاق ، الْمُتَقَدِّسَةُ عن الآفات ^(١).

مَجْهَلَةٌ:

وقد ظنَّ بعضُ الْمُتَزَهِّدِ ^(٢) أن النية لا تدخل تحت الاختيار ، قالوا: «لأنها انبعاثُ النفس وميلُها إلى مَالِهَا فيه غَرَضٌ ، والانبعاثُ والميلُ إذا لم يمكن ^(٣) اختراعه ولا اكتسابه بمجرد الإرادة فذلك ^(٤) كقول الشبان: نويتُ أن أشتَهي الطعام» ^(٥) ، في تطويلِ مُمِلٍّ ، وقَوْلٍ مُخْتَلٍّ .

مَعْلَمَةٌ:

وليست النية ما أشاروا إليه ، وإنما هي ما بيناه ، وهذا إنما بَنَوُهُ على قَوْلِ بعضهم في تأويل قوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [الزل: ٦٤]: «إن من وقع في المعصية أو في المَهْلَكَةِ باختياره لا يكون مُضْطَرًّا» ، وسُنْبِينُ فساد ^(٦) هذا في اسم ^(٧) «الدَّاعي» إن شاء الله .

(١) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص ١٩٨).

(٢) هو الإمام أبو حامد الطوسي .

(٣) في (ص) و(س) و(ز): يكن .

(٤) في (س) و(ص) و(ز): فإن ذلك .

(٥) الإحياء: (ص ١٧٤٣).

(٦) سقطت من (س) و(د) و(ص) .

(٧) في (ص): أسماء .

وأما^(١) قولهم عن الشبعان: «نويتُ أن أشتَهي الطعام»، فلا يماثل مسألة النية، واقترنَها بما قدَّمناه حتى ترى أن هذا كلامٌ في غير كُنْهه؛ نَبالٌ دُونَ نِصَالٍ، وبَدَنٌ بغير أَوْصَالٍ، وقد بيَّنَّا أنه لا تكون نِيَّةٌ إلا بعد تَقَدُّمِ مِثْلٍ. وقولهم: «إن الانبعاث لا يُمكنُ اختراعُه ولا اكتسابُه» دَعْوَى، المِثْلُ فِعْلٌ من الأَفْعَالِ التي ليست بضرورية، ولذلك تَرَكَّبتُ عليه النية، ولو كانت النية لا تدخل تحت الاختيار لَمَا كانت شرطاً في صحة الأعمال الاختيارية، وهذا أَبَيَّنُّ من إِطْنَابٍ فيه.

تَوْكِيدٌ:

وقد اتفقت الأُمَّةُ والعقلاء من كل طائفة على التكلم في الترجيح بين النية والعمل، ولو كانت النية ضرورةً والعمل اختياريًا ما وقع بينهم ترجيح، وأيُّ حاجة تدعو إلى أن يقال: «إن النية لا تدخل تحت الاختيار»^(٢)، ويُفسَّرُ ذلك^(٣) بما شاء الله من التأويل، حتى إنهم قد أكثرُوا عن النبي عليه السلام أنه قال: «نية المؤمن خَيْرٌ من عمله»^(٤)، ولم يَصِحَّ من ذلك حَرْفٌ عنه.

(١) في (س): وأما عن.

(٢) الإحياء: (ص ١٧٤٣).

(٣) في (د) - أيضاً -: من.

(٤) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: (١٨٥/٥)، رقم: (٥٩٤٢)، وضعفه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: الإحياء: (ص ١٧٣٥)، هامش رقم (١).

أَمَّا إِنَّهَا مَسْأَلَةٌ وَاقِعَةٌ ، فَلَا بَدَّ مِنْ بَيَانٍ ^(١) مَعْنَاهَا ؛ لِأَنَّهُ مَوْجُودٌ فِي الدِّينِ ، مُشْكِلٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِضَاحُهُ فِي مَعَالِمِ الدِّينِ مَوْجُودٌ مُشْكِلٌ ^(٢) ، قَالُوا فِيهَا سَبْعَةُ أَقْوَالٍ ^(٣) :

الأَوَّلُ : إِنْ ^(٤) النِّيَّةُ سِرٌّ ، وَالْعَمَلُ جَهْرٌ ، وَالسِّرُّ أَفْضَلُ مِنَ الْجَهْرِ .

الثَّانِي : إِنْ الْعَمَلُ لَا يَدُومُ ، وَالنِّيَّةُ / تَدُومُ .

الثَّالِثُ : إِنْ مَعْنَاهُ : نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ جُمْلَةِ عَمَلِهِ الْخَيْرِ .

الرَّابِعُ : إِنْ النِّيَّةُ بِمَجْرَدِهَا خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ بِمَجْرَدِهِ .

الخَامِسُ : إِنْ النِّيَّةُ تَكْتَبُ وَحْدَهَا حَسَنَةً دُونَ عَمَلٍ ، وَلَا يَكْتَبُ الْعَمَلُ

دُونَ نِيَّةٍ .

السَّادِسُ : إِنْ النِّيَّةُ لَهَا فِي تَبْدِيلِ صِفَاتِ الْأَعْمَالِ شَرْعًا تَأْثِيرٌ مَا ، فَإِنَّهَا تَرُدُّ الْمُبَاحَ طَاعَةً حَتَّى يَكُونَ فِيهِ حَظٌّ ، بَلْ حُظُوظٌ مِنَ الثَّوَابِ ، وَلَمْ تُوَضَّعْ فِي الْأَصْلِ لَذَلِكَ .

السَّابِعُ : إِنْ الْجِزَاءُ فِي الْقِيَامَةِ يَقَعُ عَلَى النِّيَّةِ لَا عَلَى الْعَمَلِ ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ يُطِيعُ فِي الدُّنْيَا - مِثْلًا - ثَمَانِينَ عَامًا ، فَيُثَبِّتُهُ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ ثَوَابًا دَائِمًا أَضْعَافَ مُدَّةِ طَاعَتِهِ ، وَيَزِيدُهُ مَا لَا تَحْصِيلَ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ ، وَذَلِكَ فِيمَا يَقَابِلُ النِّيَّةَ ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ نِيَّتِهِ : أَنَّهُ لَوْ عُمِّرَ دَهْرَهُ كُلَّهُ مِنْ غَيْرِ انْقِطَاعٍ لَكَانَ فِي طَاعَةِ

(١) سَقَطَتْ مِنْ (س) .

(٢) مَرَضَاهَا فِي (د) .

(٣) أَوْرَدَ هَذِهِ الْأَقْوَالَ أَبُو حَامِدٍ فِي الْإِحْيَاءِ : (ص ١٧٣٥ - ١٧٣٦) ، وَأَصْلُهَا فِي قُوتِ

الْقُلُوبِ : (٣/ ١٣٤٥ - ١٣٤٦) .

(٤) سَقَطَتْ مِنْ (ص) وَ(س) وَ(ز) .

ربه أبداً ، فأعطاه الله على هذه النية المُنْسَحِبَةِ على ^(١) آماذ لا نهاية لها ، ولم يُعْطِه على عَمَلِه المحصور المقدر .

إيضاحه :

قُلْنَا: ليس هذا الذي قلتم كله ^(٢) - لو كان مُسَلِّماً - يَفْتَضِي ^(٣) ما قُلْتُمْ ^(٤) من تفضيل النية على العمل ، وإنما هي صُورٌ صَحِيحَةٌ وأحكامٌ بَيِّنَةٌ رَكَّبْتُمُوهَا على غير أدلتها ونَسَبْتُمُوهَا إلى دَعَاوٍ .

أَمَّا قولهم: إِنَّ عَمَلَ السِّرِّ أَفْضَلُ من عمل العلانية ؛ فهو أَمْرٌ غير مُسَلَّم على الإطلاق ، وإنما فيه تفصيلٌ ؛ يأتي في موضعه من اسم «المُتَصَدِّقِ» إن شاء الله .

وأَمَّا قولهم: إن النية تدوم والعمل لا يدوم ؛ فليس بصحيح ، فإن نية الرجل عَمَلٌ من جُمْلَةِ أعماله ؛ فما ^(٥) دام موجوداً فنيته ^(٦) وسائر أعماله موجودة ، وإذا عُدِمَ عُدِمَ ذلك كله ، وإن أشاروا به إلى القول السابع ؛ وهو: اعتقاده ^(٧) العمل الدائم لو أبقاه الله ، وعليه يقع الجزاء لا على عمله ، فذلك القول ضعيف ؛ فإن الجزاء لا يقع على العمل ولا على النية ، وإنما هو

(١) في (س): عن .

(٢) سقط من (س) و(ف) .

(٣) في (د): بمقتضي ، وفي (ص): بمقتضي .

(٤) قوله: «ما قلتم» سقط من (س) .

(٥) في (س): ما .

(٦) في (ص): فبنيته .

(٧) في (س): اعتقاد .

فَضَّلَ اللهُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو فِي مُحَاجَّةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ،
وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى لَهُمْ : « هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ ^(١) شَيْئًا ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ :
فَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مِنْ أَشَاء » ^(٢) ، وَلَوْ كَانَ الْجَزَاءُ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ مَا أُعْطِيَ
الْجَنَّةَ ، فَإِنْ عَمِلَ أَهْلُ الْأَرْضِ لَا يَكْفِي جُزْءًا مِنْهَا ، وَلَوْ كَانَ الْجَزَاءُ عَلَى
قَدْرِ الْعَمَلِ مُسْتَحَقًّا لَكَانَ لِلَّهِ تَعَالَى أَنْ يَحَاسِبَهُ بِنِعَمِهِ عَلَيْهِ ، فَنِعْمَةُ الْبَصَرِ
وَحَدَّهَا تَأْخُذُ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ ، فَهَذِهِ الْوَجُوهُ كُلُّهَا تُضَعِّفُ هَذَا الْقَوْلَ وَتُسْقِطُهُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي الثَّالِثِ ؛ فَلَا مُتَعَلِّقَ لَهُمْ فِي غَرَضِهِمْ .

وَأَمَّا الرَّابِعُ ؛ فَلَا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ النِّيَّةُ خَيْرًا مِنَ الْعَمَلِ ، وَلَا يَكُونُ
الْعَمَلُ خَيْرًا مِنَ النِّيَّةِ ؛ لِأَنَّ شَرْطَ الشَّيْءِ الَّذِي يَقَعُ الْإِعْتِدَادُ بِهِ فِيهِ لَا يَصِحُّ
أَنْ يَقَالَ : إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُ أَوْ مِثْلُهُ ، كَمَا لَا يَصِحُّ أَنْ يَقَالَ : إِنَّ الطَّهَارَةَ خَيْرٌ مِنَ
الصَّلَاةِ ، وَلَا الصَّلَاةَ خَيْرٌ مِنَ الطَّهَارَةِ ، أَمَّا إِنْ فِي أَعْمَالِ الْقُلُوبِ مَا هُوَ خَيْرٌ
مِنْ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ ، وَهُوَ الْإِيمَانُ .

[٨٧/ب]

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ : / إِنْ النِّيَّةُ تَكْتَبُ مَفْرَدَةً ، وَلَا يَكْتَبُ الْعَمَلُ دُونَهَا ؛
فَصَحِيحٌ ، وَلَكِنْ هَذَا لَا ^(٣) يُوجِبُ فَضْلَ النِّيَّةِ عَلَى الْعَمَلِ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ
رُوي : « أَنَّهُ لَا يُنْظَرُ فِي عَمَلِ عَبْدٍ حَتَّى يُنْظَرَ فِي صَلَاتِهِ » ^(٤) ، وَلَكِنْهُ يُكْتَبُ لَهُ
الْعَمَلُ دُونَهَا ، وَيُثَابُ عَلَيْهِ آخِرًا فِي الشَّفَاعَةِ .

(١) فِي (س) : أَحْدَكُم .

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ فِي السَّفَرِ الْأَوَّلِ .

(٣) سَقَطَتْ مِنْ (س) .

(٤) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ بِلَاغًا : كِتَابُ الصَّلَاةِ ، جَامِعُ الصَّلَاةِ ،
(١/٢٣٣) ، رَقْمٌ : (٤٨٢) - الْمَجْلِسُ الْعِلْمِيُّ الْأَعْلَى .

وأما قولهم: إن النية لها تبديل في الأعمال؛ فذلك لا يوجب تقدمها عليها، وإنما ذلك بمنزلة الطهارة، فإن لها تبديلاً في الأحوال.

وإذا^(١) فهمت حقيقة النية؛ فالإخلاص فيها أن لا يمتزج القصدُ بها إلى الله مع شيء سواه كما قدمناه، وذلك لا يكون إلا مع قوة العلم بالله، وصريح الإيمان، وقوة الإسلام.

وقال بعض المتعبدين - وهو رؤيم بن أحمد^(٢) -: «لا يكون الإخلاص إلا لرجلٍ لم يقصد بعمله عوضاً؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة، وإنما ينوي الخدمة لحق المولى خاصة»^(٣).

ومن فهم المولى لم يقل هذا؛ لأنه يتعالى عن الحظوظ، وإن كانت تجب له الحقوق، قال النبي ﷺ: «قال الله تعالى: لو أن أهل الأرض اجتمعوا على أتقى قلب رجلٍ ما زاد ذلك في ملكي، ولو أن أهل الأرض اجتمعوا على أفجر قلب رجلٍ ما نقص ذلك من ملكي»^(٤)، وما يقصد أحد بطاعته إلا حظ نفسه في خلاص من عقاب، أو^(٥) اجتلاب ثواب، ولذلك خلقت السماوات والأرض.

وقد قال القاضي أبو بكر: «إن هذا كفر»^(٦)، وصدق.

(١) في (س) و(ز): فإذا.

(٢) في (س) و(ص): رؤيم بن ماتع.

(٣) الرسالة للقشيري: (ص ٢٤١)، والإحياء: (ص ١٧٥٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم: (٢٥٧٧-عبد الباقي).

(٥) في (د): و.

(٦) الإحياء: (ص ١٧٥٢).

وقال بعض الصوفية^(١): «هذا الذي ذكره القاضي حَقٌّ، ولكن الذي أراده رؤيم: أن يتبرأ العاملُ من حظوظ النفس الشهوانية في الجنة؛ التي هي الأكل والشرب والجماع، فأما التلذذ بمعرفة الله ورؤيته فذلك غاية الآمال عندهم، وحَظُّهم معبودهم لا غير».

قال الإمام الحافظ أبو بكر^(٢) رحمته الله: وهذا غَيْرُ مَنْكُورٍ، ولكن النيات في ذلك تختلف، فمن كان أَمَلُهُ نَعِيمَ الجنة ورؤية الله فهو في غاية الإخلاص، ومن كان أَمَلُهُ رؤية الله خاصّة فهو أشرف؛ وذلك لأن الساكن بالجنة يستغني عن الطعام والشراب، وإنما يفعله لَذَّةٌ لا عن حاجة، ورؤية الله في الجنة ليست دائمة، وهي إذا كانت لا يُعَادِلُهَا نَعِيمٌ، كما لا يعادلُ رضاه ثواب، وفي ألفاظ القوم اختلاطٌ يُوجِبُ الإيهام، فهذا تَخْلِيصُهُ.

وقد قال بعضهم: «الإخلاصُ ما استتر عن الخلق وصفاً من العَلَقِ^(٣)»^(٤).

وهذا لا يلزم، بل يكونُ الإخلاصُ مع عِلْمِ الخَلْقِ بالإيمان^(٥) والصلاة والصيام.

(١) هو الإمام أبو حامد الطُّوسِي، ينظر: الإحياء: (ص ١٧٥٢).

(٢) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٣) في (د): في خ: العلائق.

(٤) الإحياء: (ص ١٧٥٢).

(٥) في (س) و(ص): في الإيمان.

وقال آخرون: «الإخلاص» ^(١) تَصْفِيَةُ الأعمال من الكُدُورَاتِ ^(٢).
وخصَّصَهُ الْمُحَاسِبِي فَقَالَ: «الإخلاصُ إخراج الخلق عن معاملة الرب» ^(٣).

المعنى: إذا عملت عملاً لله فلا تُدْخِلْ فيه قصد عُقْلَةٍ ^(٤) من عَلائق الخلق.

وقال الفُضَيْلُ كلمة حسنة جمع فيها المراد وهي: «ترك العمل من أجل الناس رِيَاءً، والعمل لأجلهم شِرْكُ، / والإخلاص أن يعافيك الله منهما» ^(٥).

[مسائل في الإخلاص من كتاب «النوادر» للمحاسبي ^(٦)]:

وَيُكْشَفُ لَكَ الْقِنَاعُ فِي ذَلِكَ صُورٌ ^(٧) نَازِلَةٌ فِي مَسَائِلٍ مَخْصُوصَةٍ ؛
ذَكَرَهَا فِي كِتَابِ «النوادر» ^(٨) ، وهي ^(٩) متفرقة متشعبة ، جماعها اثنتا عشرة
صُورَةً:

(١) سقط من (س) و(ز) و(ص) و(ف).

(٢) الإحياء: (ص ١٧٥٢).

(٣) الإحياء: (ص ١٧٥٢).

(٤) في (س): علاقة.

(٥) الرسالة للقشيري: (ص ٢٤١).

(٦) أفاد من هذه المسائل أبو إسحاق الشاطبي في الموافقات: (٢/ ٣٦٢-٣٦٣).

(٧) في (د): صورة.

(٨) وهو من كتب المحاسبي ، طالع القاضى بالفسطاط ، وأفاد منه كما نبّه إلى ذلك في مقدمة «السراج».

(٩) في (د): هي.

الأولى:

صلاة الجماعة في المسجد للأُنسِ بالجيران ، أو بالليل لمُراقبةٍ ، أو مُراصدَةٍ^(١) ، أو مُطالعةٍ لأحوالٍ^(٢) .

الثانية:

صيامه توفيراً للمال ، أو استراحةً من عملِ الفِطْرِ ، أو احتماءً من أَلَمِ وَجَدِهِ ، أو مَرَضٍ يتوقعه ، أو بِطْنَةٍ تقدّمت له .

الثالثة:

صدقته لما يجدُ في نفسه من لَذَّةٍ إفاضةِ المال والفضْلِ على الخَلْقِ .

الرابعة:

حَجُّه لرؤية البلاد ، والاستراحة من الأُنكادِ النائرة في الأوطان .

الخامسة:

الهجرةُ مخافة الضرر بالعدو^(٣) ، أو بالمال ، أو الأهل والولد ، أو إلحاح الفقراء^(٤) .

السادسة:

تَعَلُّمُ الْعِلْمِ ليحتمي به من الظلم ، أو ليستجلب^(٥) له حظاً من الدنيا .

(١) في (س) و(ز): لمراصدَةٍ .

(٢) في (د) و(ص): ومطالعة الأحوال .

(٣) في (د): في خد: بالجسد ، وفي خد: بالبدن .

(٤) في (س) و(ص) و(ز) و(ف): الفقَر .

(٥) في (د): وليستجلب ، وفي (س): أو يستجلب .

السابعة:

حُجَّه مَاشِيًا لِيَتَوَفَّرَ لَهُ الْكَرَاءُ.

الثامنة:

كَتَبَهُ مُصَحَّفًا لِيَصْلَحَ خَطُّهُ.

التاسعة:

أَنْ يَتَوَضَّأَ تَبَرُّدًا.

العاشرة:

الاعتكافُ فِرَارًا مِنَ الْكَرَاءِ.

الحادية عشر:

أَنْ يَعُودَ الْمَرْضَى لِيُعَادَ، وَكَذَلِكَ الصَّلَاةُ عَلَى الْجَنَائِزِ وَنَحْوِهِ^(١).

الثانية عشر:

أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ لِيُنْظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الصَّلَاحِ.

[الجوابُ عن هذه المسائل]:

فهذه أُمَمَاتٌ تَكْشِفُ لَكُمْ كَثِيرًا مِنَ النَّازِلَاتِ مِنْ أَمْثَالِهَا، وَقَدْ قَالَ جُمْلَةً مِنَ الزَّهَادِ: «إِنْ هَذِهِ النَّوَازِلُ إِذَا وَقَعَتْ هَكَذَا خَرَجْتَ عَنِ الْإِخْلَاصِ»، وَنَحْنُ نُبَيِّنُ لَكُمْ حَقِيقَتَهَا عَلَى رَسْمِ الزَّهْدِ، وَحَقِيقَتَهَا فِي الشَّرْعِ، عَلَى مَا تَقَعُ عَلَيْهِ عِنْدَ اللَّهِ، عَلَى مَا فَهِمْنَاهُ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَصَحَابَتِهِ، فَنَقُولُ:

(١) فِي (س) وَ(ص) وَ(ز): وَغَيْرِهِ.

أَمَّا صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ فَلَهَا فَوَائِدُ جَمَّةٌ تَبْلُغُ خَمْسًا^(١) وَعِشْرِينَ ؛ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ^(٢) يَعْرِفُهَا^(٣) ، أَمَّا إِنَّهُ قَدْ جَمَعَهَا مِنْ جَمْعِهَا بِدَعَاٍ وَاعْتِدَاءٍ ، فَمِنْ جُمْلَتِهَا :

إِظْهَارُ الدِّينِ ، وَالْإِعْلَانُ بِشَعَائِرِ الْإِسْلَامِ حَتَّى تَنْغَمِرَ^(٤) الْأَرْضُ بِالطَّاعَةِ ، وَيَشْتَرِكُ جَمِيعُ الْخَلْقِ وَيَتَأَلَّفُونَ عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَكْبَرُ مِنَ الدِّينِ ، وَبِهِ يَتَضَاعَفُ الثَّوَابُ ، فَمَنْ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ بِهَذِهِ النِّيَّةِ ، أَوْ بِنِيَّةِ الْإِعْتِكَافِ بِهِ ، أَوْ أَنْتَظَارِ الصَّلَاةِ فِيهِ ، أَوْ بِقَصْدٍ هُوَ لِلَّهِ ؛ فَهُوَ فِي طَاعَةٍ ، وَمَنْ خَرَجَ لِغَيْرِ ذَلِكَ كُتِبَتْ لَهُ صَلَاةٌ فَذٌّ ، وَلَا يَبْطُلُ أَجْرُ صَلَاتِهِ بِنِيَّةِ^(٥) مَا خَرَجَ إِلَيْهِ^(٦) ، لِأَنَّهَا نِيَّةٌ فِي غَيْرِ الْعِبَادَةِ ، فَلَا يَنْقُصُهُ ذَلِكَ مِنْ أَجْرِهَا ، وَإِنَّمَا هُوَ مُحْرَمٌ بِقَوَاتٍ أُجُورٌ كَثِيرَةٌ .

وَأَمَّا مَنْ ارْتَقَبَ أَمْرًا بَلِيلَ أَوْ نَهَارٍ ؛ فَتَرَكَ نَوْمَهُ أَوْ شُغْلَهُ ، وَقَالَ : رِيثْمَا أَنْتَظِرَ مَطْلَبِي أَقْرَأُ وَأَصْلِي ، فَثَوَابُهُ كَامِلٌ ؛ لِأَنَّهُ رَجُلٌ أَقَامَ عَلَى حَاجَتِهِ ، وَقَامَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَيَا مَا أَحْسَنَ هَذَا فِعَالًا .

وَأَمَّا مَنْ صَامَ لِلْوَجْهِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فَصَوْمُهُ أَيْضًا صَحِيحٌ ، وَتِلْكَ الْمَقَاصِدُ صَحِيحَةٌ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ^(٧) وَفَّرَ الْغَدَاءَ لِلْعِشَاءِ / لئَلَّا يَتَعَبَ بِتَكْسِبِهَا ،

١
[٨٨/ب]

(١) فِي (س) وَ(ص) : خَمْسَةٌ .

(٢) سَقَطَ مِنْ (س) وَ(ص) وَ(ز) وَ(ف) .

(٣) فِي (ص) وَ(س) وَ(ز) وَ(ف) : عَرَفُهَا .

(٤) فِي (س) وَ(ف) : تَنْعَمَ ، وَفِي (ز) : تَنْهَازَ .

(٥) فِي (س) وَ(ص) وَ(ز) : مِنْهُ .

(٦) فِي (س) وَ(ص) وَ(ز) : إِلَيْهَا .

(٧) فِي (د) : إِنْ .

واحتمى احتراساً من الألم، أو استراحةً من العمل؛ فهي كلها مقاصد دينية.

وَأَمَّا مَنْ تَصَدَّقَ مُتَلَدِّذَاً بِالْعَطَاءِ لِمَا فِي سِنِّهِ^(١) مِنَ الْكَرَمِ؛ فَذَلِكَ حَسَنٌ جِدًّا، وَدَالٌّ عَلَى بَاطِنَةٍ جَمِيلَةٍ، وَمَا أَجْدَرُ هَذَا بِإِفَاضَةِ كَرَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يَقْصِدْ مُحَمَّدَةً أَوْ مِلْكَ قَلْبِ أَحَدٍ، فَيَعُودُ ذَلِكَ كُلُّهُ لِلدُّنْيَا، وَلَا يَكُونُ مِنْهُ شَيْءٌ لِلَّهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا حَاجَةُ لِرُؤْيَا الْبِلَادِ فَلَا يَخْلُو أَنْ يَقْصِدَ بِهِ رَاحَةَ النَّفْسِ؛ فَهُوَ حَظٌّ عَاجِلٌ لَا ثَوَابَ لَهُ فِي خُطَاهُ، وَإِنَّمَا يُكْتَبُ لَهُ أَجْرُ عَمَلِ الْحَجِّ إِذَا حَصَلَ بِمَكَّةَ.

خرج أبو بكر بن دَاوُدَ^(٢) مِنْ بَغْدَادَ مُشَيِّعًا لِمُصَاحِبٍ لَهُ^(٣)، حَتَّى بَلَغَ ذَاتَ عِرْقٍ^(٤)، وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ فِرَاقَهُ، فَلَمَّا لَبَّى النَّاسُ بِالْحَجِّ سَكَتَ، فَقِيلَ لَهُ: «أَلَا تُلَبِّي؟» فَقَالَ^(٥): لَا أَفْعَلُ، لِأَنِّي خَرَجْتُ مُشَيِّعًا لِهَذَا.

(١) السِّنُّ: السَّجِيَّةُ.

(٢) الإمام الحافظ، والأديب الشاعر، العلامة المتفطن، محمد بن داود بن علي الأصبهاني، أبو بكر الظاهري، ت ٢٩٧ هـ، له من الكتب: «كتاب الوصول إلى معرفة الأصول»، و«كتاب الإيجاز»، وغيرها، وطبع له منها: «كتاب الزُّهْرَةَ»، ترجمته في: الفهرست: (٦٣/١)، وتاريخ بغداد: (١٥٨/٣-١٦٧)، والدر الثمين لابن أنجب: (١٣٨/١-١٤٠)، وسير النبلاء: (١٠٩/١٣-١١٦).

(٣) لعل صاحبه هذا هو محمد بن جامع الصيدلاني، وكان كَلَفًا بِهِ، ينظر: تاريخ بغداد: (١٦٣/٣).

(٤) ذات عِرْقٍ: هو ميقات أهل العراق، تبعد عن مكة المعظمة باثنين وأربعين ميلاً، فتح الباري: (٣٨٩/٣).

(٥) في (د): قال.

وقد أخطأ؛ فإنه قد كان قضى حَقَّ التَّشْيِيعِ، فكان من حقه أن يقضي حَقَّ البلوغ إلى موضع الزيارة والكفَّارة، ولو خرج بنية الحج ورؤية البلاد للاعتبار لكانت نِيَّتَيْنِ، ولتضاعف^(١) له الأجر مرَّتين.

وأما استراحته من الأنكاد بالخروج للحج أو للهجرة فهو دَأْبُ المرسلين، وسُنَّةُ الماضين، قد قال الخليل عليه السلام^(٢): ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّئُهُدٍ﴾ [الصفات: ٩٩]، وقال كليم الله: ﴿فَبَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠]، وكلُّ إِذَايَةٍ قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ؛ كانت في الدين أو في البدن أو في المال، إذا توارى عنها المرءُ بالله آجره الله وكفَّاه.

وأما إذا خرج من الفقر لئلا يُعَيَّرَ به في بلده، أو لتعذر أسباب المعاش عليه فيه؛ فإن ذلك جائز له، ولا يُعَارَضُ هذا بنية الحج ولا نية الهجرة.

فأما تَعَلُّمُ الْعِلْمِ لِيَحْتَمِيَ بِهِ مِنَ الظُّلْمِ فَنِيَّةٌ جَمِيلَةٌ؛ لا تؤثر في مثوبة ولا تنقص من أجر، وأحقُّ ما وفَّى المرءُ به^(٣) نفسه طاعةُ الله وَعِلْمُهُ وَكَلَامُهُ^(٤)، فلا استغناء بالقرآن والعلم عن كلِّ شيء أصْلٌ في الدِّينِ.

(١) في (س) و(ز): لُضَوْعِفَ به، وما أثبتناه صحَّحه بطرة ب (س)، وهو كذلك في (د) و(ص).

(٢) في (س) و(ص) و(ز): خير البرية، ومَرَضُهَا في (د).

(٣) في (س) و(ص) و(ز) و(ف): به المرء.

(٤) سقطت من (د) و(ص).

وَأَمَّا حَجُّهُ مَاشِيًا لِيَتَوَفَّرَ مَالُهُ ؛ فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ : « أَنْ أَنْسَا حَجَّ عَلَى رَجُلٍ رَثٍّ ^(١) وَلَمْ يَكُنْ شَاحِيحًا » ^(٢) ، يُرِيدُ : أَنَّهُ لَمْ يَحْجَّ بِأُثْبَةٍ وَلَا فِي رِفَاهِيَةٍ ؛ لِأَنَّهُ مَوْضِعُ تَوَاضُعٍ وَاخْتِصَارٍ ، وَبَذَاذَةٍ وَرِثَّةٍ .

فَإِنْ قَصَدَ تَوْفِيرَ الْمَالِ لِيَصْرِفَهُ فِي وَجْهِ آخَرَ مِنَ الْبِرِّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَغَيْرِهَا فَهُوَ مَأْجُورٌ فِي الْوُجْهِينَ ، وَإِنْ كَانَ حَبَسَهُ حُبًّا لِلْمَالِ وَكَثْرَةِ فَهُوَ مَأْجُورٌ فِي حَجِّهِ وَمَشْيِهِ ، فَإِنْ ^(٣) أَعْطَى صَدَقَةَ الْمَالِ وَحَبَسَهُ بَعْدَ إِخْرَاجِ الصَّدَقَةِ فَهُوَ مَغْبُوتٌ فِي ذَلِكَ ، مُرْبِحٌ فِي حَجِّهِ وَمَشْيِهِ ^(٤) .

وَأَمَّا إِنْ تَوَضَّأَ تَبَرُّدًا فَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ ، وَلَهُ مَا نَوَى مِنَ الطَّهَارَةِ .

١
وَأَمَّا الْاِعْتِكَافُ فِرَارًا مِنَ الْكِرَاءِ / فَكَمَسْأَلَةُ الْحَجِّ الْمَتَقَدِّمَةِ آتِفًا سِوَاءَ . [٨٩/أ]

وَأَمَّا أَنْ يَعُودَ لِيُعَادَ ، وَيَحْمَلَ الْمَوْتَى لِيُحْمَلَ ، وَيُصَلِّيَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ ؛ فَذَلِكَ أَفْضَلُ النِّيَّاتِ ، وَأَكْمَلُ الْقُرْبَاتِ ، وَمَنْ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ التَّعَاوُنُ عَلَى الصَّالِحَاتِ .

وَأَمَّا أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ لِيُنْظَرَ إِلَيْهِ بَعَيْنِ الصَّلَاحِ ؛ فَإِنِّي سَأَلْتُ شَيْخَنَا الْإِمَامَ أَبَا مَنْصُورَ الشَّيرَازِيَّ الصُّوفِيَّ ^(٥) عَنْ قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا ﴾

(١) سَقَطَتْ مِنْ (د) وَ(ص) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ : كِتَابُ الْحَجِّ ، بَابُ الْحَجِّ عَلَى الرَّجُلِ ، رَقْمٌ : (١٥١٧-طُوق) .

(٣) فِي (س) وَ(ص) : وَإِنْ .

(٤) قَوْلُهُ : « وَإِنْ أَعْطَى صَدَقَةَ الْمَالِ وَحَبَسَهُ بَعْدَ إِخْرَاجِ الصَّدَقَةِ فَهُوَ مَغْبُوتٌ فِي ذَلِكَ ، مُرْبِحٌ فِي حَجِّهِ وَمَشْيِهِ » سَقَطَ مِنْ (ص) .

(٥) الْإِمَامُ أَبُو مَنْصُورَ الشَّيرَازِي ، مِنْ عُلَمَاءِ بَغْدَادَ وَوُعَاظِهَا ، وَكَانَ لَهُ مَجْلِسٌ =

وَبَيَّنُوا ﴿البقرة: ١٥٩﴾، ما بَيَّنُّوا؟ قال: «أظهروا أفعالهم للناس بالصَّلاح والطاعات، قلت: ويلزم ذلك؟ قال: نعم؛ لتثبت أمانته، وتصحَّ إمامته، وتُقبل شهادته»^(١).

قلتُ أنا: ويقتدي غيره به.

فإذا انتهى إلى هذه المرتبة كان مُخْلِصاً «صَادِقاً».



= يُدَكَّرُ فيه الناس، قال الإمام ابنُ العربي -في اسم «القاصِّ»-: «وحضرتُ يوماً مجلس شيخنا الإمام أبي منصور الشيرازي بنهر مُعَلَّى، وعادةُ الوُعَاظِ ألاَّ يرقى المنبر إلاَّ عالم يجيب عن كل سؤال»، ونهر المُعَلَّى هو الموضع الذي كان فيه دَسْتُ الخلافة ومحلها، وفيه نزل ابن العربي مع والده، ينظر: معجم البلدان: (٣٢٤/٥).

(١) أفاد من هذا أبو إسحاق الشاطبي في الموافقات: (٣٦١-٣٦٢).

[الصَّادِقُ]: وهو الاسمُ الثاني عَشَرَ

وهو من الأسماء الخاصة، والأوصاف الشريفة، ووَصَفَ الله به نفسه ورسوله، وخاصة عباده من أنبيائه وأوليائه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٢]، وهو ^(١) مُحَمَّدٌ ﷺ نَصًّا، وهو كل مُسْلِمٍ تنبيهاً.

أولهم: أبو بكر الصديق ^(٢).

وآخرهم: عيسى عليه السلام.

وهو من خصائص محمد ﷺ ومناقبه، وقد سُقْنَا ذلك على وَجْهِ ^(٣) من التفسير في «أنوار الفجر»، فإنه كما قال محمد ﷺ: «ينزل فيكم عيسى ^(٤) حَكَمًا مُقْسِطًا، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويؤمكم منكم» ^(٥).

(١) قوله: «وهو» سقط من (س) و(ز).

(٢) في (د) و(ص): أبو بكر.

(٣) في (د) و(ص): وجهه.

(٤) سقطت من (س) و(ص) و(ز) و(ف).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا ﷺ، رقم: (١٥٥-عبد الباقي).

وفي رواية: «وإمامكم^(١) منكم»^(٢).

وفي بعض الروايات: «أنه يصلي وراء إمامنا»^(٣).
والأوّل أصح.

وينكح ويتزوج، ويموت ويُدْفَن في الروضة إلى جنب محمد ﷺ،
قال الراوي: «بقي في البيت مَوْضِعُ قَبْرِ»^(٤)، وعليه تقوم الساعة.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦].

وقال في إسماعيل: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤]، وعد من
نفسه الصبر على ذبح أبيه له، فَآلَ ذَلِكَ إِلَى نزول الفداء، وَصِدْقُ الْوَعْدِ
دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ الْعَهْدِ.

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى
الْجَنَّةِ»^(٥).

(١) قوله: «مُقْسِطًا، يكسرُ الصليب، ويقتلُ الخنزير، ويضع الجزية، ويؤمكم منكم،
وفي رواية: وإمامكم» سقط من (ص).

(٢) الصحيح لمسلم: (١/١٣٦-عبد الباقي).

(٣) الصحيح لمسلم: (١/١٣٧-عبد الباقي).

(٤) الجامع: (٦/١٢-بشار)، والقائل هنا هو: أبو مودود المدني.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود ؓ: كتاب الأدب، باب قول الله
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، رقم: (٦٠٩٤-
طوق).

فلا جَرَمَ أَثنَى الله على قَوْمٍ فقال: ﴿رِجَالٌ صَدَفُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وهو أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ؛ نزل ذلك فيه حين غاب عن بَدْرٍ، فقال: «غَبْتُ عَنْ أَوَّلِ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لئن أشهدني الله مع النبي ﷺ لَيَرِيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ، فقاتل يوم أُحُدٍ بعد ذلك بعام فُقُتِلَ، فوُجِدَ فيه نَيْفٌ على ثمانين؛ من بين^(١) ضربة بسيف، ورمية بسهم، وطعنة برُمح، قالت أخته: فما عرفته إِلَّا بَبَنَانِهِ»^(٢).

[٨٩/ب]

وأعظمُ الصَّدْقِ منزلةُ/ الصَّدْقِ على الله وعلى رسوله، وأعظمُ الكَذِبِ دَرَكَةُ الكَذِبِ على الله وعلى رسوله، ولم يُكْذَبْ على أَحَدٍ ما كُذِبَ^(٣) على الله وعلى رسوله؛ بِقَصْدٍ وبغير قَصْدٍ، بما سَوَّلَ لهم^(٤) الشيطان.

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي على الناس زمانٌ يحدثونكم بما^(٥) لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم»^(٦).

(١) سقطت من (د) و(ص).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كتاب الجهاد، باب قول الله تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾، رقم: ٢٨٠٥-طوق.

(٣) قوله: «ما كذب» سقط من (س).

(٤) سقط من (د) و(ص).

(٥) في (س) و(ص) و(ز): ما.

(٦) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، رقم: ٦-عبد الباقي.

والوعيدُ في ذلك مشهور شديد، وأكثرُ ما يجري على ألسنة القوم الموسومين بالصلاح^(١)؛ لغفلتهم وطلبهم الفضائل من غير معدنها، وسترى ذلك مُنبهًا عليه في مواضع^(٢) إن شاء الله.

وحقيقةُ الصِّدْقِ قد بينّاها في غير موضع^(٣)، وهو: الثبوتُ في جميع الأحوال^(٤) والأعمال على قَدَمِ الحق، والاستمرارُ في جميع الأحوال على حُكْمِ الشَّرْع، وذلك في ثلاثة وجوه؛ صِدْقٌ في القلب، وصِدْقٌ في القول، وصِدْقٌ في الفعل^(٥).

فأمّا صِدْقُ القلب فهو بالنية الخالصة كما قدّمنا، قال^(٦) النبي ﷺ: «من قَاتَلَ لتكون كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(٧).

وكما قال^(٨) ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مُخْلِصًا من قلبه، - وفي رواية: صادقًا من قلبه، أي: ثابتًا لم تُزَعِزْهُ شُبُهَةٌ ولا أَثَرَتْ فِيهِ رِيْبَةٌ - دخل الجنة»^(٩).

(١) ينظر: مقدمة الصحيح لمسلم: (١٧/١-١٨).

(٢) قوله: «في مواضع» سقط من (س) و(ز).

(٣) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١٧٣/٢).

(٤) في (س) و(ص): الأعمال والأحوال.

(٥) في (س) و(ز): صدق في القلب، وصدق في الفعل، وصدق في اللسان.

(٦) في (س): كما قال.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ﷺ: كتاب الإمارة، باب من

قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، رقم: (١٩٠٤-عبد الباقي).

(٨) في (ص): وكما قال أيضًا عليه السلام.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه عن معاذ ﷺ: كتاب العلم، باب من خصّ بالعلم

قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا، رقم: (١٢٨-طوق).

وقال عليه السّلام: «من سأل الشهادة صادقاً من قلبه بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»^(١).

وأما الصدق في اللسان فبأن^(٢) لا يكون خبره بخلاف عمله في الماضي، فأما المستقبل فيدخل في قسم الوفاء بالوعد، وهل هو كذب أم لا؟ فيه خلاف، ودع عنك الاسم؛ فإنه كذب معني، وفيه إثم الكاذب، إذ لا يجوز خلف الوعد إلا لعذر^(٣)، كما لا يجوز الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه إلا لعذر^(٤).

فإذا احتاج إلى الكذب فله في المعارض مندوحة؛ فينطق بلسانه بما^(٥) لا يعتقده بقلبه، مثل أن يكره على الكفر فينطق بلسانه، ومثل أن يُدّاري أميره ومن يتوقعه، وصديقه وزوجه وولده وجاره، فيقول لهم كلاماً مُحتملاً، يقصد به بقلبه خلاف ما يُورده بلسانه، فيفهمون عنه ما أرادوا، وهو قد نوى ما خلص به في اعتقاده^(٦).

وأما الصدق في الأعمال فبأن^(٧) يكون على وفق الاعتقاد والقول.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن سهل بن حنيف رضي الله عنه: أبواب فضائل الجهاد عن

رسول الله ﷺ، باب ما جاء فيمن سأل الشهادة، رقم: (١٦٥٣-بشار).

(٢) في (د): فأن.

(٣) في (د): بعذر.

(٤) ينظر: الإحياء: (ص ١٧٥٩).

(٥) في (س): ما.

(٦) ينظر: الإحياء: (ص ١٧٥٩).

(٧) في (د): فأن.

وقال تعالى: ﴿رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزِنُوا﴾؛ فبيّن أن الإيمان الذي يُوجب الأمان لصاحبه ما كان على وَصْفِهِ^(١).

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ صَدَقُوا﴾، يعني: أولئك الذين صدّق فعلهم قَوْلهم وعَقْدهم، ولم تُبَق هذه الآية خيراً^(٢) إِلَّا تَضَمَّنَتْهُ؛ نصّاً أو مُقْتَضًى، وقد بيّناها في «أنوار الفجر».

وأما قوله تعالى: ﴿لِلْمُفْرَّاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾؛ فأولئك هم العصابة الأولى، والذين هم بهذه الصفة أخرى وأولى؛ كانوا مقدار مائة رجل، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، ردّاً على رُؤْيَمٍ ومن قال بقوله؛ من أنه لا يَتَنَغَّى بالعمل ثواباً^(٣).

والفَقِيرُ الصَّادِقُ هو الذي تَرَكَ كُلَّ سَبَبٍ^(٤)؛ من أَهْلٍ وَمَالٍ وَعِلَاقَةٍ، وفرَغ أوقاته للعبادة، ولم يَعْطِفْ بقلبه على شيء سِوَى اللَّهِ تعالى، ووقف مع الحق راضياً بجَرَإَانِ حُكْمِهِ فيه.

وقوله تعالى: ﴿رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾؛ بيّن فيه.

وقد عَقَدَ الباب كله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾

هُمُ الصِّدِّيقُونَ [الحديد: ١٨].

(١) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص ٤٥٧).

(٢) في (ص): خبراً.

(٣) قول رؤيم بن أحمد قد تقدّم في اسم «المخلص».

(٤) مرّضها في (د).

يعني: أنه إذا طَلَبَ الأَمَانَ بالله في توحيده، وبالرسول في تصديقه،
 وشَهِدَتْ له أفعاله بِصِدْقِهِ؛ فهو الصِّدِّيقُ^(١)، مبالغةً في صِفَةِ الصِّدْقِ، وبذلك
 تَصَحُّ له صِفَةُ «الصَّالِحِ»^(٢).



(١) في (س): الصالح.

(٢) في (س): الصديق.

[الصَّالِحُ]: وهو الاسمُ الثالثُ عشر

فإنه الذي ^(١) لم يَدْخُلْ ^(٢) في عَقْدِهِ ^(٣) رَيْبٌ، ولا في نَيْتِهِ شَوْبٌ، ولا في قَوْلِهِ خُلْفٌ، ولا في عَمَلِهِ آفَةٌ، فاشتمل على الصَّالِحِ من جميع نواحيه، وَلَوَّى عليه أَطْرَافَهُ.

وَأَشَدُّهُ - ما تَقَدَّمَ مِنْ أَنْ أَصْدَقَ الشَّهَادَةَ على تَصْحِيحِ ما تدعو إليه الخَلْقُ - أَنْ لا تَخَالَفَ بِفِعَالِكَ ^(٤) ما تَنْطِقُ به من مَقَالِكَ، أَلَا تَرَى / إلى قول صالح مَدِينٍ: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِقَ كُمْ؛ إِلَى مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا أَالصِّلَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨]، ولا إِضْلَاحَ إِلَّا من صِلَاحٍ.

ويُروى عن جعفر الصادق أنه قال: «الصَّدْقُ هو» ^(٥) مجاهدة النفس على مخالفة هواها من الشهوات والراحات، حتى لا يختار على الله غيره، كما لم يختار عليك غيرك حين قال لكم: ﴿هُوَ اجْتَنِبْكُمْ﴾ [الحج: ٧٦] ^(٦).

(١) سقط من (ص) و(س) و(ز) و(ف).

(٢) سقط من (ف).

(٣) في (س) و(ص) و(ز) و(ف): عهده.

(٤) في (د) و(ص) و(س) و(ز) و(ف): بأفعالك، ومرّضها في (د)، وما أثبتناه من طرئها.

(٥) مرّضها في (د).

(٦) الإحياء: (ص ١٧٦٤).

قال الحافظ أبو بكر^(١): ويتمادى الصدق إلى الوفاة، وبعمومه في الاعتقاد والأفعال والأقوال تحصيل^(٢) الصديقية؛ فيكون «صديقاً».



(١) في (د): قال أبو بكر بن العربي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ رحمته الله، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رحمته الله.
 (٢) في (د): فتحصل.

[الصَّديقُ]: وهو الاسمُ الرَّابِعُ عَشَرَ

ولمَّا لَمْ^(١) يَبْلُغْ ذلك^(٢) إِلَّا بِشَقِّ النَّفْسِ، وَلَمْ يَتَلَهُ إِلَّا بِغَايَةِ الْجُهْدِ،
سُمِّيَ «المُجَاهِدُ»^(٣).



(١) فِي (س) وَ (ز) وَ (ف): وَلَمْ يَبْلُغْ.

(٢) سَقَطَتْ مِنْ (س).

(٣) فِي (س): وَسُمِّيَ مُجَاهِدًا.

[المُجَاهِدُ]: وهو الاسمُ الخامسُ عشر

وعليه مَدَارُ ما تقدَّم من الأسماء، نعم؛ وما يأتي بعده، فإن العبد بالمجاهدة يبدأ أمره، وعليها يَسْتَمِرُّ، وبها يَخْتِمُ^(١)، قال الله تعالى فيها عُمُومًا مُؤَبَّدًا: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٦].

قال علماؤنا: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، قال: «جَاهِدُوا أَوَّلًا بِتَرْكِ المحرمات، وثانيًا بِتَرْكِ الشبهات^(٢)، وثالثًا بِتَرْكِ الفَضَلَاتِ، ورابعًا بِقَطْعِ العَلاَقَاتِ، وخامسًا بِتَوْقِي^(٣) الأَشْغَالِ فِي جميع الأوقات»^(٤).

وقال بعضهم في ذلك عبارةً مُوجِزَةً مُوعِبَةً من كَلِمَتَيْنِ، أخذت الطَّرَفَيْنِ، وجمعت الأوساط: «الجِهَادُ حِفْظُ الحَوَاسِّ لله، وعدُّ الأنفاسِ مع الله»^(٥).

(١) ينظر: العارضة: (٨/٩٤).

(٢) في (س) و(ف): الشهوات.

(٣) في (د): بتوفي.

(٤) لطائف الإشارات: (٣/١٠٦).

(٥) لطائف الإشارات: (٣/١٠٦).

وأما قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾، فجاؤوا فيها بالمعنى الوافي، قالوا: «حَقُّ الجهاد هو مُوَافَقَةُ الأَمْرِ فِي الْقَدْرِ^(١) وَالْوَقْتِ وَالتَّوَعُّع، فإذا حَصَلَ في شيء منه مخالفةٌ لم يُنْطَلَقْ عليه اسمُ المجاهدة كمالاً ولا تحقيقاً»^(٢).

والمجاهدة على أقسام: المجاهدة بالنفس، والمجاهدة بالقلب، والمجاهدة بالجوارح، والمجاهدة بالمال^(٣).

فالمجاهدة بالنفس^(٤) أن لا يَدَّخِرَ شَيْئاً، وسيأتي تفسير ذلك، وحالُ النبي ﷺ وَفَعَلَهُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَإِنْ أَدَّخَرَ فَلْيَبْذُلْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَلْيَتَحَمَّلِ الْمَشَاقَّ، وَلَا يَطْلُبِ الرُّخْصَ وَالِإِزْتِفَاقَ.

وأما المجاهدة بالقلب فَرَفْعُ الْخَوَاطِرِ الْفَاسِدَةِ، وَرَدُّ الْوَسْوَسةِ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالِاسْتِعَاذَةِ، وَقَدْ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَنْظَلَةُ^(٥)، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٦): «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ، حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدَكُمْ فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٨).

(١) في (د): القيمة.

(٢) لطائف الإشارات: (٥٦٤/٢).

(٣) ينظر: لطائف الإشارات: (٥٦٤/٢).

(٤) في (س) و(ف): للنفس.

(٥) تقدّم تخريجه.

(٦) قوله: «رسول الله» لم يرد في (س) و(ص) و(ز) و(ف).

(٧) بعده في (س) و(ص) و(ز) و(ف): «ما تقدّم»، وضرب عليها في (د).

(٨) تقدّم تخريجه.

وأما المجاهدةُ بالمال فيقطعُ العلائق^(١) بينه وبينه؛ حتى يبذله في سبيل الله، ويفرقه آناء الليل والنهار، ويقول به في الصدقة: هكذا وهكذا^(٢)، ويُهْلِكُه في الحق، ويَحَقِّقُ ذلك بتقديم الأَشَقِّ على الأَخَفِّ متى تَعَارَضَا، ولا يَفْتُرُ عن مجاهدة النفس لحظةً، وهذا كله لِمَا اجتباك، وما^(٣) اصطفاك حتى عِلِمَ فِعْلُكَ.

قال بعضُ شيوخ الفقهاء: «كما لم يَمْنَعُهُ ما عِلِمَ فيك من عَيْبٍ أن يَجْتَنِبَكَ للإسلام، كذلك لا يَمْنَعُهُ ما عِلِمَ فيك من عَيْبٍ أن يغفر لك بفضله ورحمته»^(٤).
نكتة^(٥):

قال الإمام أبو بكر بن العربي^(٦) رحمه الله: قالوا: فلَمَّا كانت^(٧) المجاهدةُ مَهْوَلَةَ السَّمَاعِ فِي الْأَسْمَاعِ؛ قال - مُبَيِّنًا سُهُولَةَ الْمَسَالِكِ، وَهَوْنَ الْمَدَارِكِ - : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٨) [الحج: ٧٦]، قد قام بها قبلكم، وعَمِلَ بها سواكم؛ لأنه لم يتجاوز ما ذَكَرَ طَوْقَ الْمَأْمُورِ، ولا خَرَجَ عَنْ سَبِيلِ التَّيْسِيرِ.

(١) في (د) و(ص) و(ز): العلاقة.

(٢) في (س) و(ص) و(ف): هكذا وهكذا في الصدقة.

(٣) سقطت من (د) و(ص).

(٤) لطائف الإشارات: (٥٦٤/٢).

(٥) سقطت من (س) و(ص) و(ز) و(ف).

(٦) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٧) بعده في (س) و(ص) و(ز) و(ف): هذه، وضرب عليها في (د).

(٨) في (س): ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، هي ملة أبيكم إبراهيم، وفوق «هي» رمز التضعيف في (د).

[نَزَعَاتُ الشَّيْطَانِ وَسُبُلُ الْعَصْمَةِ مِنْهَا]:

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوًا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣٢]، وذلك يكون - كما تقدّم - بِبَذْلِ الطَّاعَةِ، واستعمال غاية^(١) القوة، والاستمرار على ذلك طُولَ المدة، حَسَبَ مَا يَأْتِي فِي اسم «الصَّابِر» إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمُكَافَحَةِ الْعَدُوِّ بِغَايَةِ الشَّدَّةِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الشَّيْطَانُ الَّذِي يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَيَتَنَصَّبُ لِلْعَبْدِ فِي كُلِّ سَبِيلٍ مِنْ سُبُلِ الطَّاعَةِ، وَيَطْمِسُ عَلَيْهِ وَجْهَ الْخَيْرِ.

وقد قال النبي ﷺ: «قَعَدَ الشَّيْطَانُ لِابْنِ آدَمَ فِي طَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ: أَتُسَلِّمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ؟ فَخَالَفَهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ فِي طَرِيقِ الْهَجْرَةِ فَقَالَ لَهُ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ وَمَالَكَ؟ فَخَالَفَهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ فِي طَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ لَهُ: أَتُجَاهِدُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحَ أَهْلُكَ وَيُقَسَّمُ مَالُكَ؟ فَخَالَفَهُ فَقُتِلَ، فَحَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»^(٢).

ودخل ﷺ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِهِ يَوْمَ مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، وَهِيَ تَرِيدُ أَنْ تُبْكِيَهُ، فَقَالَ لَهَا: «أَتُرِيدِينَ أَنْ تُدْخِلِي الشَّيْطَانَ بَيْنَنَا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْهُ؟ مَرَّتَيْنِ»^(٣).

(١) فِي (س) وَ(ص) وَ(ز): عَامَةٌ.

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ الْبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ، رَقْمٌ:

(٩٢٢-عبد الباقي).

وعن عائشة في حديث: أن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحدٍ إلا وله شيطانٌ، قالت له: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، حتى أعاني الله عليه فأسلم»^(١).

وفي بعض طُرُقِه: «ولا يأمرني إلا بخير»^(٢).

وقد قال الله تعالى للشيطان: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَعْطَىٰ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَعِذِّهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤].

وهذا أمرٌ تهديد لا أمرٌ تكليف، أفادنا الله به الإعلام بأنه سيفعل ذلك كله، وأنه سيعصم منه عباده الذين استخلصهم لنفسه، إذ لا سلطان له على أحدٍ، أي^(٣): لا تسلط ولا حجة^(٤)، الحجةُ لله تعالى، والقدرة له، والمقدور له، وفعل إبليس لا تأثير له إلا إظهار العلامة على حكم الله تعالى في العبد، إذ المقدور بالقدرة الحادثة لا يتجاوز محلَّ القدرة، ومنعه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان، وبعث سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قرينًا، رقم: (٢٨١٥) - عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان، وبعث سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قرينًا، رقم: (٢٨١٤) - عبد الباقي).

(٣) سقطت من (س).

(٤) قال الإمام ابن عطية (٥/٥١٠): «وتفسيره هنا بالحجة قلَق»، كأنه لم يرتض ما ذهب إليه ابن العربي في تفسير «السلطان» الوارد في هذه الآية.

سُلْطَانَ الشَّيْطَانِ بِأَنْ لَا يَخْلُقَ لَهُ قُدْرَةً، وَذَلِكَ مُبَيَّنٌ فِي «كُتُبِ الْأُصُولِ»^(١)،
 مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ مَنْ / اصْطَفَاهُ لِعِبَادَتِهِ فِي الْأَوَّلِ بَعْلَمِهِ وَكِتَابِهِ الْمَكْنُونِ، وَجَدَّ
 لَهُ^(٢) الْإِصْطِفَاءَ عِنْدَ الْوَقَاعِ بِأَنْ خَلَقَ الذَّكَرَ^(٣) لِأَبِيهِ؛ لِيَقُولَ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
 «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا
 رَزَقْتَنَا، فَقَضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ»^(٤).

وَقَالَ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا يَمَسُّهُ^(٥) الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ فَيَسْتَهْلُ
 صَارِخًا، إِلَّا مَرِيَمَ وَابْنَهَا، لَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنبِئْ عَمِلْهَا بِكَ وَذَرِيَّتَهَا مِنَ
 الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]»^(٦).

وَيُعْصِمُهُ اللَّهُ مِنْهُ عِنْدَ النَّوْمِ؛ إِذَا آوَى إِلَى فِرَاشِهِ أَنْ يَقْرَأَ آيَةَ الْكَرْسِيِّ،
 فَلَا يَقْرِبُهُ شَيْطَانٌ^(٧).

(١) المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص ٢٧٣)، والأمد الأقصى - بتحقيقنا -:
 (٣٦٩/١).

(٢) سقط من (د) و(ص).

(٣) في (س) و(ص): الذكرى، ومرّضها في (د).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس ؓ: كتاب النكاح، باب ما يستحب أن
 يقول عند الجماع، رقم: (١٤٣٤-عبد الباقي).

(٥) في (د) و(ص): مسه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ؓ: كتاب التفسير، ﴿وإني
 أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾، رقم: (٤٥٤٨-طوق).

(٧) يقصد به حديث أبي هريرة ؓ: «إِذَا أُوِيَّتْ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكَرْسِيِّ؛
 لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرِبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تَصْبِحَ»، أخرجه
 البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب فضل البقرة، رقم: (٥٠١٠-
 طوق).

وقال النبي ﷺ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ؛ يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ؛ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانًا»^(١).

وقال ﷺ في رَجُلٍ نَامَ عَنِ الصَّلَاةِ: «بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ»^(٢).

ودواؤه في الوسوسة بالاستعاذة^(٣)، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَزَعٌ قَاسَتْ عِدَّ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

فإن قيل: نَرَى أَنْفُسَنَا إِذَا وَجَدْنَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَسْوَاسًا نَسْتَعِيدُ؛ فَلَا نَجِدُ لَهُ عَنَّا انْصِرَافًا، فكيف هذا مع ما^(٤) تَلَوْتَهُ عَلَيْنَا آيَةً مُذَكِّرًا بِهِ؟
قُلْنَا: عَنْهُ ثَلَاثَةُ أَجُوبَةٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ هَذَا خُطَابٌ^(٥) لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلٍ، وَهُوَ الَّذِي يَرْتَدُّ الشَّيْطَانُ عَنْ وَسْوَاسِهِ بِذِكْرِ رَبِّهِ، لَضَعْفٍ^(٦) وَسُوسَتِهِ لَهُ، وَقُوَّةِ ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ لِرَبِّهِ تَعَالَى وَحَالِهِ فِي مَرْتَبَتِهِ وَمَنْزِلَتِهِ^(٧).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ؓ: كتاب التهجد، بابُ عَقْدِ الشَّيْطَانِ عَلَى قَافِيَةِ الرَّأْسِ إِذَا لَمْ يُصَلِّ بِاللَّيْلِ، رقم: (١١٤٢-طوق).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود ؓ: كتاب التهجد، باب إذا نام ولم يُصَلِّ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ، رقم: (١١٤٤-طوق).

(٣) في (ص): الاستعاذة.

(٤) بعده في (س) و(ص) و(ز): نتلوه، وضرب عليها في (د).

(٥) في (س) و(ف): الخطاب.

(٦) في (س): أضعف.

(٧) سقطت من (س).

وهذا على هذا القول كان^(١) قبل أن يُعينه الله عليه^(٢) فيسلم، فلمَّا أسلم لم يأمره^(٣) إلَّا بخير، وغيره من الشيطان لم يكن له إليه سبيل إلَّا في مرة واحدة.

في الصحيح: «أنَّه^(٤) تَفَلَّتْ عليه وهو في الصلاة، فأوثقه إلى سارية من سواري المسجد، ثم قال: ذكرتُ قول أخي سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ إِغْيِرْ لِي وَهْبٌ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٤]»^(٥)، فردَّه الله تعالى خاسئًا، ولولا ذلك لأصبح يلعبُ به ولدانُ المدينة، فهذا حالُ النبي ﷺ.

الثاني: أن هذا خطاب للنبي عليه السلام والمرادُ به^(٦) أمته.

الثالث: أن أمته قد خوطبت بعده وبيِّن لهم حالهم كما بيِّن له حاله، فقليل لهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٠١] - يعني: من الشياطين - ﴿يُمِدُّوهُمْ فِي أَلْعَى ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]، والذين لا يتقون الله يكونون معهم أمدادًا في المعصية لهم.

فأخبر تعالى أن النبي ﷺ يكفيه مُجَرَّدُ الاستعاذة في فراره منه إذا تَطَلَّعَ إليه، وأخبر أن الْمُتَّقِينَ من الأمة إذا مَسَّهُمْ منه طائف^(٧) استعاذوا بالله

(١) في (س): «وهذا على هذا القول وهذا كان»، وهي عبارة مضطربة.

(٢) سقطت من (س).

(٣) في (س): يأمر.

(٤) سقطت من (س) و(ص).

(٥) تقدَّم تخريجه في السفر الأوَّل.

(٦) سقطت من (د) و(ص).

(٧) في (ص) و(د): طيف.

منه، وتَذَكَّرُوا أن ذلك مَسٌّ من عنده؛ فاستبصروا وارتدعوا وزَهَقَ عنهم، ومن كان من إخوانه، / مَشَى مع الشيطان في ميدانه.

وعلى القَوْلِ بأن إخوانهم - يعني: من الشياطين -، يكون المعنى: أن الشياطين لا يألون في النَّزْعِ، وهم لا يألون في الاستعاذة، ويتعاركون حتى يغلب حُسْنُ القضاء أو سُوءُ القَدَرِ فيَنْقُذَ الحُكْمُ.

والصحيح - عندي - أن المراد به: وإخوانهم، أي: إخوان الشياطين من العصاة؛ يَمُدُّونَ بالمعصية معهم، ولا يستبصرون^(١)، ولا يستعيذون، ولا يرجعون، وإن استعاذوا فبالسنتهم، وقلوبهم مشحونة بطاعتهم، مملوءة من مادَّتْهم في الشهوات، فهُمْ إِلَيْهِمْ^(٢) راجعون، ومعهم مرتبطون.

وإنَّما الحكمة في ذلك أن الله أَعْلَمَ أنه لا بد أن يكون للشيطان مجال في قلوب [المؤمنين^(٣)]، مع كُلِّ أَحَدٍ حَالٌ؛ فلكل صَارِمِ نَبْوةٍ، ولكل عالم^(٤) هَفْوةٍ، ولكل عابد شِرَّةٍ، ولكل عامل^(٥) فَتْرَةٍ، ولكل سائر وَقْفَةٍ، ولكل قائل^(٦) حُجَّةٍ، وهذا سَيِّدُ البشر ﷺ يُغَانُ على قلبه الشريف فيُثَوِّبُ من كل ذنب في اليوم مائة مرة^(٧)، فكيف بأمثالكم مع ما أنتم عليه في أحوالكم؟

(١) في (د): يستقصرون، وفي (ص): يُقْصِرُونَ.

(٢) في (س): إليه.

(٣) قوله: «مجال في قلوب المؤمنين» سقط من (س) و(ص) و(ز) و(ف).

(٤) في (د): حليم.

(٥) في (د): عالم.

(٦) في (ص): عالم، وفي (س): عامل.

(٧) تقدَّم تخريجُه.

[من فضائل عَمَّار بن ياسر رضي الله عنه]:

قال القاضي أبو بكر^(١): ومَنْ أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ عَمَّارُ بنِ يَاسِرٍ، وبهذا اسْتَدَلَّ الْمُحَقِّقُونَ على أن الطائفتين اللتين تَبَاغَتَا تطلبان الحق؛ أن طائفة عَمَّار كانت أَقْرَبَ إليه وَأَحَقَّ به لُبُّعِدِ الشيطان عن عَمَّار، وما جَذَبَهُ إِلَّا الْمَلَكُ، إذ لم يكن للشيطان عليه^(٢) سَبِيلٌ.

[منزلة علي رضي الله عنه عند ابن العربي]:

ولو أَدْرَكْتُ الحال في صَبَوَتِي لَكُنْتُ مع عَمَّارٍ وَعَلِيٍّ، ولو أَدْرَكْتُهُ في مَشِيخَتِي لَلَزِمْتُ غَنَمِي أو^(٣) ضَيْعَتِي، وَلَخَاصَمْتُ مُعَاوِيَةَ مَعَ عَلِيٍّ، وأنا لهما مُحِبٌّ وَمُعَظَّمٌ، وَلِعَلِّي مُقَدَّمٌ؛ لِعَظِيمِ مَنَزِلَتِهِ، وَعُلُوِّ دَرَجَتِهِ، وَإِنَّ أَحَدًا بعد الثلاثة الخُلَفَاءِ^(٤) لا يُدْرِكُ شَأْوَهِ، ولا يَلْحَقُ مَنَزِلَتَهُ، ولا خِلَافَةَ بعده.

وكذلك كان عُمَرُ رضي الله عنه منه مُجَارًا^(٥)، ففي الصحيح: أن النبي ﷺ قال له: «ما سَلَكَتَ قَطُّ فَجًّا إِلَّا سَلَكَ الشيطانُ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»^(٦).

(١) لم ترد في (ص) و(س).

(٢) في (س) و(ف): عليه للشيطان.

(٣) في (س) و(ف): و.

(٤) في (س) و(ف): الخلفاء الثلاثة.

(٥) في (س): مجار.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، رقم: (٣٦٨٣-طوق).

وأبو بكر الصديق عليه السلام ^(١) أعظم منه ؛ لأنه وُزِنَ بجميع الأمة - وفيهم عُمرُ - فَرجَحَهُم أبو بكر ^(٢) .

وأما عثمان وعلي فمعصومان منه ؛ ما تَطَرَّقَ قَطُّ إليهما ، ولا دار حولهما ، ولقد كانت أبوابهما مسدودةً عنه ، وخَيْلُهُ وَرَجُلُهُ مهزومةٌ دونهما .

[العصمةُ من الشيطان:]

وقد يَتَّفَقُ أن يكون - مَعْشَرَ المُرِيدِينَ ^(٣) - بينكم وبينه حجاب ، فقد صَحَّ من كل طريق ، وعند كل فريق: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال ^(٤): لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ؛ في يَوْمٍ مائة مرة كانت له عِدْلُ عَشْرِ رِقَاب ، وكُتِبَتْ له مائة حسنة ، ومُحِيتْ عنه مائة سيئة ^(٥) ، وكانت له حِرْزاً من الشيطان يَوْمَهُ ذلك حتى يُمَسِّي ، ولم يَأْت أَحَدٌ بأفضل ممَّا جاء به إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أكثر من ذلك» ^(٦) .

ويستَجِيرُ منه بَيْتُكَ بالتسمية ، في الصحيح عن جَابِرٍ: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا اسْتَجَنَحَ اللَّيْلُ فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ ، فَإِذَا ذَهَبَ

(١) سقط من (س) و(ف) و(ص) .

(٢) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة: (٣٧٨/١) ، رقم: (٨٢١) ، والبيهقي في شعب الإيمان موقوفاً على عمر رضي الله عنه: (١٤٤/١) ، رقم: (٣٥) ، وصَحَّحَ إسناده الحافظ السخاوي ، ينظر: المقاصد الحسنة: (ص ٣٤٩) .

(٣) في (س) و(ز) و(ف): معشر المريدين أن يكون .

(٤) قوله: «من قال» سقط من (س) .

(٥) في (س) و(ز): خطيئة .

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى ، (٢٦١/١) ، رقم: (٥٦٢) - المجلس العلمي الأعلى .

سَاعَةً مِنَ الْعِشَاءِ / فَحَلُّوهُمْ ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ ، وَأَطْفِ مِصْبَاحَكَ [٩١/ب] وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ ، وَأَوَّلُكَ سِقَاكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ ، وَخَمَرُ إِنْءَاكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ ، وَلَوْ أَنَّ تَعْرُضَ عَلَيْهِ شَيْئًا^(١) .

أَمَّا إِنَّهُ يَنْطَرِّقُ إِلَى الْعِبَادِ بِالشَّهَوَاتِ ؛ وَهِيَ مُرْكَبَةٌ فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ ، وَبِالْآمَالِ ؛ وَلَهَا عِلَاقَةٌ بِالْقُلُوبِ ، وَهِيَ مُرْكَبَةٌ عَلَيْهَا ، وَالشَّهَوَاتُ مَذْمُومَةٌ عَلَى أَلْسِنَةِ الشَّرَائِعِ ، مَا وَرَدَتْ فِي حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « حُقِّقَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُقِّقَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ »^(٢) ، فَلَا يَتِمَنَّاهَا أَحَدٌ لِأَنَّهَا عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، وَإِنَّمَا تُتِمَّنَى الطَّاعَاتُ وَالْخَيْرَاتُ وَالْكَفَاةُ^(٣) ، وَالْكَفَاةُ ، وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتِمَّنَى بِلَاءِ اللَّهِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ »^(٤) .

وَكَانَ سُمْنُونُ^(٥) قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ مَقَامُ الْمَحَبَّةِ فَقَالَ :
وَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكَ حَظٌّ فَكَيْفَ مَا شِئْتُ فَاخْتَرْنِي^(٦)

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ : كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ ، بَابُ صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ ، رَقْمُ : (٣٢٨٠ - طَوْق) .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا ، رَقْمُ : (٢٨٢٢ - عَبْدُ الْبَاقِي) .

(٣) فِي (د) : الْكِلاَةُ ، وَفِي (ز) : الْمَكَافَاةُ .

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، بَابُ ، رَقْمُ : (٣٥٥٨ - بَشَار) .

(٥) فِي طَرَةِ بـ (س) وَمِنْ خَطِّ الْقَاضِي : بِخَطِّهِ : سُمْنُونٌ مِنْ شَيْوُخِ الصُّوفِيَةِ .

(٦) الْبَيْتُ مِنْ مَخْلَعِ الْبَسِيطِ ، وَهُوَ لِسُمْنُونٍ ، كَمَا فِي تَرْجُمَتِهِ فِي رِسَالَةِ الْقُشَيْرِيِّ : (ص ٧٠) ، وَطَبَقَاتُ الْأَوْلِيَاءِ لِابْنِ الْمُلَقِّنِ : (ص ١٦٧) .

فابْتُلِيَ بِعُسْرِ الْبَوْلِ ، فلم يستطع الصبر ، فكان يمشي على المكاتب ويقول للصبيان : « ادعوا لِعَمَّكُم الكَذَاب »^(١).

ومعنى قوله ﷺ : « حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » ، أي : جُعِلَتْ عَلَى حَقَائِقِهَا^(٢) ؛ وهي جوانبها ، وَتَوَهَّمِ النَّاسُ أَنَّهَا^(٣) ضُرِبَ فِيهَا الْمَثَلُ بِجَعْلِهَا فِي جَوَانِبِهَا مِنْ خَارِجٍ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مَا كَانَ مَثَلًا صَحِيحًا ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ دَاخِلٍ ، وَهَذِهِ صَوْرَتُهَا :

الْجَنَّةُ

الصبر	الألم
الفقر	المكاره
	العدو

النَّارُ

المال	النساء
الجاه	الشهوات
	المطاعم

(١) رسالة القشيري : (ص ٧٠) .

(٢) في (ز) : حَقَائِقِهَا .

(٣) في (ص) : أَنَّمَا .

وعن هذا عبّر ابن مسعود لقوله: «الجنة حُفَّتْ بالمكاره، والنار حُفَّتْ بالشهوات، فمن أَطْلَعَ الحجاب واقع^(١) ما وراءه»^(٢)، وكلُّ من تصوّرها من خارجٍ ضلَّ عن معنى الحديث وعن حقيقة الحال.

فإن قيل: فقد قال: «حُجِبَتِ النارُ بالشهوات».

قُلْنَا: المعنى واحد؛ لأن الأعمى عن التقوى الذي قد أخذ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ الشهوات، يراها ولا يرى النار التي هي فيها^(٣)، وإن كانت فيها باستيلاء الجهالة ورَيْنِ الغفلة على^(٤) قلبه، كالطائر يرى الحبة في داخل الفخ وهي محجوبة به، ولا يرى الفخ لغلبة شهوة الحبة على قلبه وتعلُّقِ باله بها، وجهله بما جُعِلَتْ فيه وحُجِبَتْ به.

واختصارُ ذلك نَبَذُ ثلاثة^(٥) مَعَانٍ - والله أعلم -:

الْمَنْبُودُ الْأَوَّلُ: الدُّنْيَا

إِلَّا مَا لَا بَدَّ مِنْهُ^(٦)؛ فَإِنَّكَ إِنْ عَلَّقْتَ أَمْلَكَ بِهَا أَذْهَلْتَكَ، وَإِنْ تَنَاوَلْتَهَا نَبَذْتَكَ وَالْهَتْكَ، وليس يمكنك أن تكون فيها^(٧) قائماً ولا بينهما سالماً،

(١) في (س) و(ز) و(ف): وافق.

(٢) أخرجه أبو داود في الزهد: (ص ١٥٣)، رقم: (١٦١).

(٣) في (س) و(ز): معها.

(٤) في (س) و(ز): عن.

(٥) في (د): ثلاث.

(٦) في (ز): له منه.

(٧) في (د): بها.

وَفَضَّلَ الْقُوَّةَ عَلَى الْقِيَامِ بِهَا لَمْ يُؤْتَ إِلَّا لِمَخْصُوصَيْنِ^(١)؛ كداود وسليمان،
وأيوب ويوسف.

ألا ترى إلى احتراز النبي ﷺ عنها في شأن الحَمِيصَةِ حين صَلَّى بها
ولها عِلْمٌ، فَلَمَّا أَكْمَلَ صَلَاتَهُ قَالَ: «أَلْهَيْتَنِي / هَذِهِ آئِفًا عَنْ صَلَاتِي، فَادْهَبُوا
بِهَذِهِ الْحَمِيصَةِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ، وَائْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّتِهِ»^(٢).

وكذلك صَلَّى العصر ثم خرج مُسْرِعًا ودخل بيته، وأخرج^(٣) ذُهْيِيَّةً^(٤)
وقَسَمَهَا، وقال: «خَشِيتُ أَنْ يَبِيتَ عِنْدِي مِنْهَا شَيْءٌ»، يعني: ولم يَصِلْ إِلَى
مُسْتَحَقِّهِ.

وكذلك فعل الأنصاري؛ فإنه صَلَّى في حائِطٍ له وَطَفِقَ دُبْسِيٌّ^(٥) يطير
في أثناء الحائِطِ ويتردّد فأعجبه، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ وَرَجَعَ إِلَى صَلَاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ
كَمْ صَلَّى، فَجَعَلَ ذَلِكَ الْحَائِطُ صَدَقَةً كِفَاءً لِمَا فَاتَهُ مِنْ تِلْكَ اللَّمَحَةِ فِي
الصَّلَاةِ^(٦).

(١) في (س): مخصوص.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة ؓ: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب
كراهة الصلاة في ثوب له أعلام، رقم: (٥٥٦-عبد الباقي).

(٣) في (د) و(ص) و(ز): ثم أخرج.

(٤) في (د): ذُهْيِيَّةٌ، وفي (ص): ذُهْبَةٌ.

(٥) الدُّبْسِيُّ: طائر في لونه دُبْسَةٌ، وهي حمرة وسواد، التعليق على الموطأ للوقشي:
(١٤٤/١).

(٦) أخرجه الإمام مالك من حديث أبي طلحة الأنصاري ؓ: كتاب الصلاة، النظر
في الصلاة إلى ما يشغلك عنها، (١٧٣/١)، رقم: (٢٦٣-المجلس العلمي
الأعلى).

ولو كان لَزَبَرَجِهَا آخِرٌ أَوْ لَشَهَوَاتِهَا^(١) وَقَفَّ لَعَسَرُ ضَبْطُهُ، فكيف ولا نهاية لها^(٢).

المنبؤ الثاني: الخلق

وَهُمْ عَلَى قِسْمَيْنِ:

أحدهما: أَهْلُ جِلْدَتِكَ.

والثاني: من يُخَالِفُكَ فِي مِلَّتِكَ.

فأَمَّا الَّذِينَ يَخَالِفُونَكَ فِي مِلَّتِكَ فتدعوهم إِلَى الدخول فِيهَا.

وَأَمَّا الَّذِينَ يَكُونُونَ عَلَى مِلَّتِكَ وَيَتَلَبَّسُونَ بِجِلْدَتِكَ فَالسُّنَّةُ مُخَالَطَتُهُمْ، والمحافظةُ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ مَعَهُمْ، والتعاونُ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وسيأتي ذَلِكَ كُلَّهُ مُشْرُوحًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وقد كانت معرفتهم نِعْمَةً، وَصُحْبَتُهُمْ خَصْلَةً، وائْتِلَافُهُمْ مِنَّةً، ثم انقلبت^(٣) الحال حسبما أُنْذِرُ بِهِ الصَّادِقُ فَقَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»^(٤).

(١) فِي (س) وَ(ز): وَلَشَهَوَاتِهَا.

(٢) فِي (ص) وَ(ز): لَهُ.

(٣) فِي (س): انْقَلَبَ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رضي الله عنه: كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ التَّعَرُّبِ فِي الْفِتَنِ، رَقْمٌ: (٧٠٨٨-طوق).

وَذَكَرَ عَنْ^(١) أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ ، قَالَ عُمَرُ فِي حَدِيثٍ آخَرَ :
«نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الْفِتَنِ» ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَا رَأَيْتَ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
كَالْيَوْمِ»^(٢).

وقال حذيفة: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت
أسأله عن الشر؛ مخافة أن يُدْرِكَنِي، فقلتُ: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية
وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: نعم،
قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، قال: وفيه دَخَنٌ، قلت: وما
دَخْنُهُ؟ قال: قَوْمٌ يُهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد
ذلك الخير من شرٍّ؟ قال: نعم، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، ومن أجابهم إليها
قَدْفَوْهُ فِيهَا، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هُمْ^(٣) مَنْ جِلْدَتْنَا،
ويتكلمون بالسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة
المسلمين وإمامهم، قلتُ: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل
تلك الفرق كُلَّهَا، ولو أن تعض بأصل شجرة؛ حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنت
على ذلك»^(٤).

(١) سقطت من (س).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن، باب التَّعُوذُ مِنَ الْفِتَنِ، رقم:
٧٠٨٩-طوق).

(٣) سقطت من (س) و(ص) و(ز).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟
رقم: (٧٠٨٤-طوق).

ودخل سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ عَلَى الْحَجَّاجِ ؛ وَقَدْ كَانَ خَرَجَ إِلَى الرَّبَذَةِ
 حِينَ قُتِلَ عِثْمَانُ رضي الله عنه ، وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً هُنَاكَ ^(١) ، وَوَلَدَتْ لَهُ أَوْلَادًا ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا
 حَتَّى كَانَ ^(٢) قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بَلِيَالٍ فَنَزَلَ الْمَدِينَةَ ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : « ارْتَدَدْتَ
 عَلَى عَقِبَيْكَ » ^(٣) ، قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَذِنَ لَنَا فِي الْبَدْوِ ^(٤) .
 وَمَا زَالَ النَّاسُ يَعْتَزِلُونَ وَيَخَالِطُونَ ، كُلِّ وَاحِدٍ عَلَى ^(٥) مَا يَعْلَمُ مِنْ
 نَفْسِهِ وَيَتَأَتَّى لَهُ مِنْ أَمْرِهِ .

وَقَدْ كَانَ الْعُمَرِيُّ ^(٦) بِالْمَدِينَةِ مُعْتَزِلًا / .

وَكَانَ مَالِكُ رضي الله عنه مَخَالِطًا ، وَكُلُّ عَلَى طَرِيقَةٍ ، ثُمَّ اعْتَزَلَ مَالِكُ فِي ^(٧)
 آخِرِ عُمُرِهِ ، فَيُرَوَّى أَنَّهُ أَقَامَ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَخْرُجْ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَقِيلَ لَهُ
 فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : « لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يُمَكِّنُ أَنْ يُخْبِرَ بَعْذَرَهُ » ^(٨) .
 وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي عَذَرِهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ :

(١) فِي (س) : هُنَاكَ .

(٢) سَقَطَتْ مِنْ (د) وَ(ص) .

(٣) فِي (س) : عَقْبِكَ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ : كِتَابُ الْفِتَنِ ، بَابُ التَّعَرُّبِ فِي الْفِتْنَةِ ، رَقْمُ :
 (٧٠٨٧ - طُوق) .

(٥) فِي (س) وَ(ف) : وَ .

(٦) الْعُمَرِيُّ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ،
 الْجَامِعَ لِأَبِي عِيْسَى : (٤/٤١٣ - بَشَار) ، وَصَحِيحُ ابْنِ حِبَانَ : (٩/٥٤ - إِحْسَان) .

(٧) سَقَطَتْ مِنْ (د) وَ(ص) وَ(ز) .

(٨) تَرْتِيبُ الْمَدَارِكِ : (٢/٥٥) .

فقيل: لئلا يرى المناكير^(١).

وقيل: لئلا يمشي إلى السلطان.

وقيل: كانت به^(٢) إبرة^(٣)، فكان يرى تنزية المسجد عنها^(٤).

وقال النبي ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسَ أَكْبَادَ الْإِبِلِ فَلَا يَجِدُونَ أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ»^(٥).

فقيل: هو العُمري^(٦).

وقيل: هو مالك^(٧).

وهو الأصح؛ لأنه لم يظهر للعُمريِّ عِلْمٌ، وَعِلْمُ مَالِكٍ طَبَقَ الْآفَاقِ.

وكان القاضي أبو بكر^(٨) خُلُوطًا، وتولَّى الأحكام.

(١) ترتيب المدارك: (٥٥/٢).

(٢) في (س): له.

(٣) الإبرة - بكسر الهمزة والراء -: بَرْدٌ في الجوف ورطوبة غالبتان، ويقال: رجل به إبرة، أي: يَقْطُرُ بوله ولا ينسبط إلى النساء، تاج العروس: (٤١٤/٧).

(٤) ترتيب المدارك: (٥٥/٢).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في عالم المدينة، رقم: (٢٦٨٠-بشار)، وقال: «هذا حديث حسن»، وأخرجه ابن حبان في صحيحه: كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم: (٣٧٣٦-إحسان).

(٦) الجامع لأبي عيسى: (٤١٣/٤-بشار).

(٧) الجامع لأبي عيسى: (٤١٣/٤-بشار)، وصحيح ابن حبان: (٥٤/٩-إحسان).

(٨) الإمام النظار، شيخ السنة، ولسان الأمة، محمد بن الطيب بن محمد البصري، القاضي أبو بكر بن الباقلاني الأشعري المالكي، قال فيه أبو عمران الفاسي: =

وكان الأستاذ أبو إسحاق^(١) مُعْتَرِلاً .

وكان أبو بكر بن فُورَكٍ^(٢) مُتَبَيِّنًا ؛ حتى انتهى إلى أن يُكَلِّمَهُ الْمَلِكُ فِي

اليقظة .

= «كان سيّد أهل السنة في زمانه، وإمام متكلمي أهل الحق في وقتنا»، وأثنى عليه جماعة، منهم الإمام الحافظ أبو الحسن الدارقطني، وغيره ممن هم في منزلة مشيخته، وله جلالة عظيمة، ومصنفاته كثيرة جدًا، اعتنى بها الناس؛ وتناقلوها وشرحوها واختصروها، منها: «هداية المسترشدين»، يوجد بعضه، وأصله في عشرين مجلدًا، واختصره ابن الخطّاب الإشبيلي في ستة عشر سِفْرًا، كانت منه نسخة بالقيروان في القرن الحادي عشر، ومنها: «إكفار المتأولين»، توجد نسخة منه وحيدة في الخزانة العامة بالرباط، من كتب الفقيه الحافظ عبد الحي الكتاني، وعليها طُرُزٌ بخط الإمام أحمد بن المبارك السجلماسي، توفي رحمته الله عام ٤٠٣هـ، ترجمته في: تاريخ بغداد: (٣/٣٦٤-٣٦٩)، وترتيب المدارك: (٧/٤٤-٧٠)، وتبيين كذب المفتري: (ص٢١٧-٢٢٦)، وسير النبلاء: (١٧/١٩٠-١٩٣).

(١) الإمام الحافظ النظّار، جامع أشتات العلوم، الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني، أحد الأفراد في معرفة الكلام، وعمدة من عمَدِ المذهب الأشعري، وصاحب المصنفات الجليلة، توفي عام ٤١٨هـ، له «عقيدة» في ورقات، و«الجامع الجلي» و«الجامع الخفي»، في عشرة أسفار، وهو من الكتب التي أدخلها أبو بكر بن العربي إلى الأندلس، و«مسائل الدَّور»، منها نسخة بالحمزاوية في ورقات، ترجمته في: طبقات الفقهاء للشيرازي: (ص١٢٦-١٢٧)، وتبيين كذب المفتري: (ص٢٤٣-٢٤٤)، والسير للذهبي: (١٧/٣٥٣-٣٥٦)، ، وطبقات الشافعية للتاج: (٤/٢٥٦-٢٦٢).

(٢) الإمام الجليل، شيخ المتكلمين، وأستاذ المحققين، أحد الأفراد في زمانه، صاحب التصانيف، أبو بكر محمد بن الحسن بن فُورَكٍ الأصبهاني، بلغت =

ونادى الله عز وجلَّ أبو^(١) إسحاق في المنام ، وقال^(٢) له: «إني أسألك التوبة منذ أربعين سنة ولم تيسر^(٣) لي ، فقال^(٤) له: سألتني عظيماً^(٥)» ، وذكر حديثاً طويلاً .

[التعريف بالإمام نصر بن إبراهيم المقدسي^(٦)]:

وقد رأيتُ من أهل التَّبَتُّلِ جماعةً ؛ لم أرَ فيهم أَحَدًا يَعْدِلُ أبا الفَتْحِ نصر بن إبراهيم ، الإمامَ الزاهدَ ، لَقِيتُهُ في جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، وكان ابتداءً حاله أن أصله^(٧) من «نابلس» ؛ قَرْيَةً حريق إبراهيم ، خَيْفٌ بين جبلين ، أنهاراً وثماراً وظلالاً ، ومياهًا باردة ، ونِعْمَةٌ سابغة ، وأمناً مُطَرِّداً .

= مصنفاته في أصول الفقه وأصول الدين ومعاني القرآن قريباً من مائة مصنف ، منها «مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري» ، و«مشكل الحديث وبيانه» ، وهما منشوران ، و«تفسيره للقرآن» ، يوجد ما يقارب النصف منه ، و«طبقات المتكلمين» ، و«أسماء الله تعالى» ، وهما مفقودان ، توفي -رحمه الله- مسموماً ، في طريق عودته من غزاة عام ٤٠٦ هـ ، ينظر: تبين كذب المفتري: (ص ٢٣٢ - ٢٣٣) ، وسير النبلاء: (١٧/ ٢١٤-٢١٧) ، والوافي بالوفيات: (٢/ ٢٥٤) ، وطبقات الشافعية للسبكي: (٤/ ١٢٧-١٣٥) .

- (١) في (س) و(ص): أبا .
- (٢) في (س) و(ص) و(ف): وقد قال ، وضرب على «قد» في (د) .
- (٣) في (د) - أيضاً - : في خ: تيسر .
- (٤) في (س): وقال .
- (٥) في (س): في عظيم ، وفي (ص): في عظيمة .
- (٦) تقدّم التعريف به وبمصادر ترجمته في السّفر الأوّل .
- (٧) في (س) و(ص): أصلهم .

وَنَشَأَ مَعَ أَبِيهِ «بَيْتَ الْمُقَدَّسِ»، وَكَانَتْ لَهُمْ ^(١) دُورٌ وَضِيَاعٌ، فَتَوَفَّى أَبُوهُ وَهُوَ شَابٌّ، فَبَقِيَ مُدَّةً، ثُمَّ جَذَبَتْهُ سَابِقَةُ سَعِيدِيَّةٌ، فَخَطَفَتْ مِنْ قَلْبِهِ الْمَحَبَّةَ الدُّنْيَاوِيَّةَ، وَخَرَجَ حَاجًّا، ثُمَّ جَاهَدَ وَرَجَعَ إِلَى الْمَوْطَنِ، فَحَبَسَ إِحْدَى ذَارِيهِ عَلَى الطَّلَبَةِ مَعَ مُعْظَمِ مَالِهِ، وَجَعَلَ النَّظَرَ فِيهَا ^(٢) إِلَى يَحْيَى بْنِ مُفَرَّجٍ ^(٣) شَيْخِ أَصْحَابِهِ، وَشَرَطَ أَنْ نَصِيْبَهُ مِنْهَا ^(٤) كَأَنْصِبَائِهِمْ، وَحَبَسَ الدَّارَ الْآخَرَى عَلَى الْإِيْتَامِ الَّذِينَ لَا أَبَّ لَهُمْ، وَضِيْعَةً مِنْ ضِيَاعِهِ لِيُنْفِقَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا، حَتَّى يَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ.

وَخَرَجَ إِلَى «دَمَشَقٍ» لِأَجْلِ كَوْنِهَا حِينُذَ فِي طَاعَةِ الْمَصْرِيِّينَ ^(٥)، وَاعْتَكَفَ «بِجَامِعِ دَمَشَقٍ» أَرْبَعِينَ عَامًا، وَكَانَ يَأْتِيهِ نَصِيْبُهُ مَعَ الطَّلَبَةِ فَعَيْشُهُ مِنْهُ، وَتَبَيَّلَ هَذِهِ الْمُدَّةَ الْعُظْمَى، وَانْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ عَالِمًا مُتَعَلِّمًا مُعَلِّمًا، حَتَّى تَوَفَّى سَنَةَ تِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ سِمَطٌ سَوْدَاءُ - أَخْبَرَنِي بَعْضُ

(١) بعده في (س) و(ص) و(ز) و(ف): به، ومرّضها في (د).

(٢) في (س) و(ز): فيه.

(٣) الإمام العلامة، يحيى بن مُفَرَّجِ المقدسي، القاضي الرشيد، صاحب المدرسة الشافعية، من كبار أصحاب الإمام نصر بن إبراهيم، وهو من شيوخ ابن العربي، حضر عنده في المناظرة بمدرسته؛ ومعه فيها من جاور المسجد الأقصى من علماء الآفاق، وكان استخلفه الفقيه نصر على مدرسته تلك، وتسمى أيضًا بالمدرسة الناصرية، ينظر: قانون التأويل: (ص ٩١)، والعواصم: (ص ٣٧٢)، والأنس الجليل: (٧٦/٢).

(٤) في (س) و(ف): فيها.

(٥) يقصد بهم دولة بني عُبيد الإسماعيلية.

أصحابنا^(١) أنه بها دَخَلَ مُعْتَكِفَه - ، ودَوَاةٍ ، وَسَطِلٍ^(٢) صُفْرٍ كان يشرب به ويتوضأ ، قال لي : حَجَّ معي وغزا ، وَنَيْفٌ على التسعين وهو يَكْتُبُ في «المِزْهَرِيِّ» ثمانين سَطْرًا بخطٍ دقيق ، لكنَّ أسنانه تساقطت ، ومات وما تلبس بالدنيا ولا صَحِبَ من أهلها أحداً ، ولا رأى إلا من دخل إليه مُتَعَلِّمًا ، وملاً أصحابه الآفاق وأنجب ، فَنِعَمَ ما نَجَبَ^(٣) .

[المجاورة بالمسجد الأقصى - طهره الله -]:

١
[٩٣/أ]

وأما «المَسْجِدُ الْأَقْصَى» / فكان منهم مَمْلُوءًا - كان - «بِالسَّكِينَةِ»^(٤) ، و«بِمَحْرَابِ زَكْرِيَاءَ»^(٥) ، و«بِبَابِ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ»^(٦) ، و«بِمَهْدِ عِيسَى»^(٧) ،

(١) في (س): أصحابه .

(٢) في (د) - أيضاً - : سَيْطَل .

(٣) في (ز): أنجب .

(٤) باب السَّكِينَةِ: هو أحد أبواب المسجد الأقصى ، وهو من عُمَدِ أبوابه ، ومنه يخرج إلى الشارع الأعظم ، ينظر: الأنس الجليل: (٧٢/٢) .

(٥) محراب زكرياء عليه السَّلام: هو بجوار الباب الشرقي من المسجد الأقصى ، ينظر: الأنس الجليل: (٤٨/٢) .

(٦) باب التوبة وباب الرحمة: هما من الأبواب غير المُشْرَعَةِ ، ويقال: إن الذي أغلقهما هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وبجوار باب الرحمة مدرسة نصر بن إبراهيم المقدسي شيخ ابن العربي ، ينظر: الأنس الجليل: (٦٨/٢) .

(٧) مهد عيسى عليه السَّلام: هو مسجد تحت الأرض ، أسفل سوق المعرفة ، ويقال: إنه كان محراب مريم عليها السَّلام ، ينظر: الأنس الجليل: (٥٢/٢) .

و«بُقْبَةُ السِّلْسِلَةِ»^(١)، و«بُقْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ»^(٢)، و«بُقْبَةُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام»^(٣)،
و«بالصخرة المقدسة»^(٤)، و«بمحراب داود»^(٥)، و«باب حِطَّة»^(٦)، و«باب
الْأَسْبَاطِ»^(٧)، بِكُلِّ وَاحِدٍ رَجُلٌ عَالَمٌ مَنْقُطَعٌ إِلَى اللَّهِ، لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْمَسْجِدِ
مُذْ دَخَلَ إِلَيْهِ حَتَّى اسْتُشْهِدَ بِهِ^(٨).

(١) قبة السلسلة: هي على صفة قبة الصخرة، وهي شرقيها، بين الباب الشرقي ودرج
البراق، ينظر: الأنس الجليل: (٥٦/٢).

(٢) قبة النبي سيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ: هي قبة المعراج، على يمين الصخرة والصحن من
جهة الغرب، ينظر: الأنس الجليل: (٥٨/٢).

(٣) قبة جبريل عليه السَّلام: كانت بجوار قبة المعراج قبة لطيفة، ثم أُزِيلَتْ، فلعلها
هي، ينظر: الأنس الجليل: (٥٨/٢).

(٤) الصخرة المقدسة: في وسط المسجد، على الصحن الكبير المرتفع في أرض
المسجد، ينظر: القبس: (١٠٧٦/٣)، والأنس الجليل: (٥٣/٢).

(٥) محراب داود عليه السَّلام: هو بظاهر الجامع في صحن المسجد من جهة
الشرق، بالقرب من مهد عيسى، ويقال غيره، ينظر: الأنس الجليل: (٥١/٢)،
و(٤٨٥/١).

(٦) باب حطة: في جهة الشمال من المسجد، سُمِّيَ بذلك لأن الله أمر بني إسرائيل
أَنْ يَدْخُلُوا مِنْهُ وَيَقُولُوا: حِطَّةً، ينظر: الأنس الجليل: (٧٠/٢).

(٧) باب الأسباط: نسبة لأسباط بني إسرائيل، وهو قريب من باب الرحمة وباب
التوبة، في مؤخرة المسجد، في آخر جهة الشمال من جهة الشرق، ينظر: الأنس
الجليل: (٦٩/٢).

(٨) في كتاب العبر لابن خلدون (١٨٤/٥): «أُخْصِي الْقَتْلَى مِنَ الْأُئِمَّةِ وَالْعُلَمَاءِ
وَالْعُبَادِ وَالزُّهَّادِ الْمُجَاوِرِينَ بِالْمَسْجِدِ فَكَانُوا سَبْعِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ».

وكان «بيت رامة»^(١) مُتَعَبِّدَ إِبْرَاهِيمَ، وبقريّة «حَبْرُون»^(٢)؛^(٣) حيث قبره، و«حَلْحُول»^(٤)؛^(٥) قريّة يونس حيث تُؤَفِّي^(٦)، و«سَبَسْطِيَّة»^(٧) قريّة يحيى، و«بَنَابُلُس» - برابطة المنجنيق تتخذ^(٨) لإِبْرَاهِيمَ عليه السَّلام - جماعةٌ لَا يُحْصَوْنَ؛ مشغولين بالله، مقبلين عليه، خُرُوجًا^(٩) عن الدنيا وإن كانوا فيها، معرضين عنها وإن كانوا منها.

[الإقامة بالمُنَسْتِير^(١٠)]:

ورأيت «بُمنَسْتِير إفريقية» جماعةً على الطريقة المُثلى في العزلة عن الدنيا، أَقَمْتُ عندهم عشرين يومًا فكأنّي في الآخرة؛ طَيْبُ عَيْشَةٍ^(١١)،

(١) بيت رامة: قريّة مشهورة بين غور الأردن والبلقاء، معجم البلدان: (١/٥٢٠).

(٢) في (س): جيرون، وفي (ز): حيرون.

(٣) حَبْرُون: هي القريّة التي دُفِنَ بها إِبْرَاهِيمَ عليه السَّلام، وغلب على اسمها

الخليل، قريّة من بيت المقدس، معجم البلدان: (٢/٢١٢)، وينظر في صفة قبر

إِبْرَاهِيمَ الخليل عليه السَّلام ومن جاوره من الأنبياء: أحكام القرآن: (٣/١١٠٣).

(٤) في (س): جلجول، وفي (ص): حلحلول.

(٥) حلحول: قريّة بين بيت المقدس ومدينة الخليل، بها قبر يونس عليه السَّلام،

وضبطها ياقوت بالفتح ثم سكون، معجم البلدان: (٢/٢٩٠).

(٦) ينظر: القبس: (٣/١١٥٨).

(٧) سَبَسْطِيَّة: بلدة قريّة من بيت المقدس، بها قبر زكرياء وابنه يحيى عليهما

السَّلام، معجم البلدان: (٣/١٨٤).

(٨) سقطت من (س) و(ص) و(ز) و(ف)، وكذلك قرأتها في (د)، فلعل الصواب

فيها: الذي اتخذ.

(٩) في (س) و(ص): خروجٌ.

(١٠) كان ذلك عام ٤٩٤ هـ، في صَدْرِهِ من المشرق.

(١١) في (د): عيش.

وسلامة ديني، ثم جذبني صِلَّةُ الرحم، فَقَطَعْتَنِي عن الله مقادير^(١) سماوية، فَأَعْجَبَ - فَدَيْتُكَ - من قَطْعِ بَوْضَلٍ، ومن أَجْرِ بَذْنٍ، ومن إِعْرَاضٍ بِإِقْبَالٍ، وذلك بِضَرْبٍ من الْعَجْزِ والتَّقصيرِ، وَغَلَبَةِ حُبِّ الدُّنْيَا على القلبِ، ومسامحة في استدراج، وإِلَّا فما أَسْهَلَ الْجَمْعَ بين معاهد التقوى، وَأَقْرَبَ التَّحْصِيلَ لوجوه الخلاص، ولكن بِحَذْفِ العلائقِ وَقَطْعِ الشهوات، وذلك يَعْسُرُ مع الإقبال عليها، وَيَسْهُلُ مع التوفيق للإعراض عنها، ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ولقد قال لي شيخي^(٢) في العبادة: «لا يَذْهَبُ لك الزمان في مصاولة الأقران ومواصلة الإخوان».

ولم أَرِ للخلاص شيئاً أَقْرَبَ من طريقين:

إِمَّا أَنْ يُغْلِقَ المرءُ على نفسه باب بيته.

وإِمَّا أَنْ يَخْرُجَ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يُعْرِفُ فِيهِ.

فإن اضْطُرَّ أَحَدٌ إِلَى مخالطة الناس فليكن معهم ببدنه، وليفارقهم

بقلبه ولسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، ولا يفارقُ السكوت.

أنشدني محمد بن عبد الملك الصُّوفي^(٣) قال: أنشدني أبو الفضل

الجَوْهَرِي:

(١) في (س) و(ف): بمقادير.

(٢) لعله الفقيه أبو بكر الطُّرُوشِي ت ٥٢٠هـ، تقدَّم التعريف به في السُّفَرِ الأوَّل.

(٣) هو محمد بن عبد الملك التَّنِيسِي، لقيه ابنُ العربي بمدينة بغداد، ولم أهُتدِ إِلَى

ترجمته بعد طول بحث، وَيُكْثِرُ ابنُ العربي عنه رواية نوادر أبي الفضل

الجوهري، ينظر: المطرب لابن دحية: (ص ٢١٤)، ورحلة ابن رُشيد:

(١٣٩/٥)، ونفح الطيب: (٤٢/٢).

الْخَيْرُ أَجْمَعُ فِي السَّكُوتِ وفي ملازمة البيوت^(١)
وَقُلْتُ:

حَازَ السَّلَامَةَ مُسْلِمٌ يَاوِي إِلَى سَكْنٍ وَقُوتٍ
مَاذَا يُؤَمِّلُ بَعْدَ أَنْ يَاوِي إِلَى يَتِّ وَبَيْتٍ

وقال أحمد: قال ابن مسعود لابنه: «يا بني؛ لَيْسَعَكَ بَيْتُكَ، وَأَمْلُكَ
عَلَيْكَ لِسَانُكَ، وَابْنُكَ مِنْ ذِكْرِ خَطِيئَتِكَ»^(٢).

فإن قلت: فالعالم ماذا يصنع؟ أَيْخَتَنِي فلا يهتدي به أَحَدٌ ولا يفتدي؟
قلنا: نعم؛ فإنه إن ظَهَرَ سَعْيِي عَلَيْهِ فِي أَنْ يُحْمَلَ أَوْ يُفْبَر، وقد تَسَرَّرَ
الأنبياء والأولياء، ورأيتُ لعبد الغني بن سعيد الحافظ^(٣) «كتاب

(١) البيتان من مجزوء الكامل، وهو لمنصور بن إسماعيل الفقيه الشافعي المعروف،
وبعده بيت آخر وهو:

فَإِذَا تَأْتَى ذَا وَذ لَكَ فَاقْتَنِعْ بِأَقْلٍ قُوتٍ

وأسندهما البيهقي إليه في شعب الإيمان: (١٠٠/٧)، وذكرهما ابن عبد البر له
في التمهيد: (٤٤٣/١٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في الزهد: (ص ١٩٥)، وفي معناه حديث أخرجه الترمذي
عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء
في حفظ اللسان، رقم: (٢٤٠٦-بشار)، وقال: «هذا حديث حسن».

(٣) الإمام الحافظ، المحدث العلامة، الناقد النسابة، عبد الغني بن سعيد بن بشر بن
مروان المصري، أبو محمد الأزدي، (٣٣٢-٤٠٩هـ)، أفاد من أبي الحسن
الدارقطني، وشهد له بعلوّه في الحديث والنقد، ويروي عنه بالإجازة حافظ
المغرب ابن عبد البر، له من المصنفات: «المؤتلف والمختلف»، و«مشتبه
النسبة»، و«التنبية على أوهام كتاب المدخل» لأبي عبد الله الحاكم، وكتابه =

المُسْتَوْرِينَ» بِخَطِّهِ بِالْفُسْطَاطِ^(١)، لَمْ أَرْ كِتَابًا مِثْلَهُ، بَدَأْتُ بِإِبْرَاهِيمَ إِلَى زَمَانِهِ، [٩٣/ب] فِي عِدَّةِ أَجْزَاءٍ.

فَإِنْ قُلْتُمْ: قَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنْ يَدُ اللَّهِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ذُنُوبُ الْإِنْسَانِ؛ يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ»^(٢).

قُلْنَا: هَذَا حَدِيثٌ بَاطِلٌ، وَالْمَعْنَى حَقٌّ، وَالْجَمَاعَةُ^(٣) لَا تُفَارِقُ فِي الْإِعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ إِذَا كَانُوا عَلَى حَقٍّ وَفِي هِدْيَةٍ، وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَاطِلَ وَالْفِتْنَةَ فَالْبَسْ حُلَّ النَّوَى، وَانْتَوِ فِيْمَنْ انْتَوَى.

وَبِالْجَمْلَةِ؛ فَإِنَّ الْبِلَادَ الْمَشْرِقِيَّةَ أَمْكَنُ لِلْعَزَلَةِ مِنَ الْبِلَادِ الْمَغْرِبِيَّةِ؛ لِسَعَةِ أَقْطَارِ تِلْكَ وَتَمَهُّدِ^(٤) أُمُورِهَا، وَضَيْقِ هَذِهِ عَنْ أَمَالِ أَهْلِهَا، وَتِلْكَ لِسَعَتِهَا^(٥) يَقِلُّ فِيهَا الْحَاسِدُ، وَيَكْثُرُ الْمُسَاعِدُ، وَلَا يُعَدِّمُ الْمُسَانِدُ.

= هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ لَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ يَوْجِدُ بَعْضُهُ بِاسْمِ «كِتَابِ الْمُتَوَارِينِ»، مِنْهُ قِطْعَةٌ فِي ظَاهِرِيَّةِ دِمَشْقَ فِي سَبْعِ وَرَقَاتٍ، وَزَعَمَ الْعَلَّامَةُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ فُؤَادُ سَزْكَينَ أَنَّهُ كِتَابُ مُفَرَّدٍ فِيْمَنْ اخْتَفَى خَوْفًا مِنَ الْحِجَاجِ، وَلَيْسَ بِذَلِكَ، بَلْ هُوَ قِطْعَةٌ مِنْ كِتَابِهِ الْكَبِيرِ فِيْمَنْ تَسْتَرُّ وَتَوَارَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، يَنْظُرُ: سِيرَ النَّبَلَاءِ: (١٧/٢٦٩-٢٧٣)، وَتَارِيخَ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ: (١/٤٦١).

(١) فِي (د) وَ(ص): رَأَيْتُ بِخَطِّ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنِ سَعِيدِ الْحَافِظِ كِتَابَ الْمُسْتَوْرِينَ بِالْفُسْطَاطِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (٣٥٨/٣٦)، رَقْمٌ: (٢٢٠٢٩-شَعِيب).

(٣) قَوْلُهُ: «فَإِنْ يَدُ اللَّهِ عَلَيْهَا... وَالْمَعْنَى حَقٌّ وَالْجَمَاعَةُ» سَقَطَ مِنْ (ف).

(٤) فِي (س) وَ(ف): تَمَهِيدٌ.

(٥) فِي (س) وَ(ز) وَ(ف): لِسَعَةِ أَقْطَارِهَا.

وفي مدارس العلم هناك مَنَالٌ^(١)، وبروابط الصوفية مَجَالٌ رَحْبٌ للعبد^(٢) مع خُلُوصِ النية، وإن انفردت اليوم لم تجد أصحاباً^(٣)، وإن وجدتهم تَطَرَّقَتْ إليهم التهمة، وتعرضوا بأنفسهم إلى الهَلَكَةِ^(٤).

قال لي بعض أسياسي: «إذا أردت أن تزهد في لقاء الناس فأقبل على الفرائض، فإنك إذا لَزِمْتَهَا لم تجد لنفسك وَقْتًا خَالِيًا لهم».

فاختبرت ذلك في الصلاة؛ فوالله ما وجدتُها تُبْقِي^(٥) من الزمان للعلم^(٦) إِلَّا أَقْلَهُ، ويا أَسْفِي أن أقبِلْتُ على طَلَبِ الْعِلْمِ ولم أَقْبِلْ على العمل.

[الدعوات الثلاث لابن العربي]:

وقد كنت بمكة في ذي الحجة سنة تسع وثمانين وأربعمائة؛ فكنت أبيت بين المقام وزمزم وأعتكف فيه، وأتذكرُ قَوْلَ النبي ﷺ: «ماءٌ زمزم لِمَا شَرِبَ لَهُ»^(٧)، فكنتُ أَشْرَبُهُ بِنِيَّةِ الْعِلْمِ آناء الليل والنهار، فوهبني الله ما

(١) سقطت من (ص) و(د).

(٢) في (د) و(ص): لله، وفي (س) و(ف): رَحِبَ لله للعبد.

(٣) في (د) -أيضا-: صاحباً.

(٤) في (د) و(ص): للهلكة.

(٥) بعده في (س) و(ف): لي، ومرّضها في (د).

(٦) سقط من (س) و(ز).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند عن جابر رضي الله عنه: (١٤٠/٢٣)، رقم: (١٤٨٤٩) -شعيب)، وابنُ العربي في العارضة عن ابن عباس رضي الله عنهما: (٢٣٣/٤)، قال ابن حجر: «رجاله مُوثَقون، إلا أنه اختلف في إرساله ووصله، وإرساله أصح»، الفتح: (٤٩٣/٣)، وذكر السخاوي أن مَن صحَّحه ابن عيينة والدُّمَيْطِي =

شاء، ولم أشربه بنية العمل، ودعوتُ الله بالملتزم ثلاث دعوات، فَرَأَيْتُ
الاثنتين وَبَقِيَتِ الواحدة، والله يَمُنُّ بها عليَّ، فهي العُمْدَةُ^(١).

= والمنذري، المقاصد الحسنة: (٣٥٧)، وضعفه ابنُ القطان الفاسي، ينظر:
بيان الوهم: (٤٧٨/٣).

(١) قال الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الأشيري
- رحمه الله -: «أذكر من هذه الدعوات التي ذكر شيخنا الإمام الحافظ أبو

بكر بن العربي رحمته الله ما رجوتُ أنه نال بركتها، وصادف عند ربه خيرها:
أَمَّا العلم: فكتبه وتواليفه تشهد له؛ فإن له في علوم القرآن: من «التفسير»،
و«الأحكام»، و«الناسخ والمنسوخ»، و«المشكل»، و«معاني أسماء الله تعالى»،
و«معاني أسماء المؤمنين»، وهو هذا الكتاب، وغير ذلك من علوم القرآن؛ ما
تشهد بتبحره فيه. وأمَّا علوم الحديث فله «كتاب النيرين في شرح الصحيحين»؛
ما لم يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إلى مثله، وله «عارضة الأحوذ في شرح الترمذي»، إلى غير
ذلك من علوم الحديث، وله في أصول الفقه مصنفات عدة، وفي أصول
الديانات مثلها. وله في النحو «ملجئة المتفقيين»؛ ما أعرب عن تقدمه فيه. وله
نَيْفٌ على ثلاثين تأليفاً؛ بين كبير ومتوسط وصغير، أكبرها ما يفي بنحو خمسة
آلاف ورقة؛ وهو «النيرين في شرح الحديث»، و«أنوار الفجر في علوم الذكر»،
إلى غير ذلك ممَّا يطول ذكره.

وَأَمَّا الدعوة الثانية: فهي - والله أعلم - الظهور في القيام بالحق، فقد وَلِيَ القضاء
ببلده إشبيلية وأقام فيها العدل؛ حتى حسده من كان مساعداً، ونابذه من كان
معانداً، ثم امتحن فيه فصَبَرَ صَبْرٌ أُولَى العزم؛ حتى انجلت محنته عن دين نَقِيٍّ،
وعَرَضِ نَقِيٍّ.

وَأَمَّا الثالثة - والله أعلم -: فهي الشهادة، فقد رَزَقَهَا - رحمه الله -، أُشْخَصَ عن
بلده، وَغُرِّبَ عن أهله وولده، حتى مات في غير وطنه، على خير سَنَةٍ، فرحمة
الله عليه ورضوانه، فلقد كان أَوْحَدَ زمانه، وفرداً في جميع شأنه، انتهى من
طرة بالنسخة الآصفية من سراج المريدين: (ق ١٠٧/ب).

فكانت الأولى: أن يجعلني من العلماء؛ حتى لا يتكلم أحدٌ بشيءٍ مِنْ فَنِّ مِنَ الْعِلْمِ؛ إن كان حقًّا إِلَّا عَلِمْتُهُ، وإن كان باطلاً إِلَّا قَدَرْتُ عليه^(١)، إثباتًا للأوّل، ونفيًا للثاني، فأتاني الله ذلك.

وأتاني الثانية، وبقيت الثالثة.

فيا ليتني كنتُ شَرِبْتُ ماءَ زمزمٍ لِلْعَمَلِ، ودعوتُ الله فيه في الْمُلتَزِمِ. ومن يستطيع^(٢) أن يَتَجَرَّدَ وَيُجَرَّدَ زمانه للعبادة^(٣)؛ باجتناب نواهي الفرائض، وامتنال أوامرها، ويبقى له منه جُزْءٌ لشيءٍ؟

ما أَظُنُّ ذلك ممّا^(٤) يُطَاقُ في وقتنا إلا مع غَمُضِ العَيْنين عن الخلق.

[الاعتصامُ بالقرآن]:

وقد قال النبي ﷺ: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن»^(٥)، فإذا افتقرت فهو غِنَاكَ عن المال، وإن^(٦) اشتقت إلى الأهلِ والوَلَدِ فهو يُغْنِيكَ عنهم، وإذا تطلَّعت إلى الناس فهو أُنْسُكَ دونهم، وإذا أردت لقاء من مضى أو من يأتي ففيه أُنْبَاؤُهُم، وإذا أردت الأنبياء فليس لك سَنَدٌ إليهم مثله، وإن أردت الله فهو كَلَامُهُ وَصِفَتُهُ، وأحكامُهُ وَسُنَّتُهُ في خلقه وأمره، مُذْ خَلَقَ^(٧)

(١) في (د): قَرَّرْتُ.

(٢) في (س) و(ف): يستطيع.

(٣) في (ص): للعمارة، وسقطت من (ز).

(٤) سقطت من (س).

(٥) تقدّم تخريجه.

(٦) في (س) و(ص) و(ف): إذا، ومرّضها في (د).

(٧) قوله: «مذ خلق» سقط من (س) و(ز).

إلى أن ينتهي إلى الثواب والعقاب ، وعلّق قلبك بما شئت / من الهدى والضلال والخير والشر ؛ ففيه شفاؤه .

المنبؤ الثالث: النفس

وهي ^(١) أوّل ^(٢) الشواغل وآخرها وأوساؤها ، ولها ثلاثة أوصاف :
الأوّل : وصفها الأوّل ^(٣) بسنخها المعتلّ ؛ فإنّها من طين ، أو في طين ، وهي الأمّارة بالسوء .
الثاني : اللّوامة ؛ وهي التي إذا عثرت استقلت ، وإذا طعت رجعت ، وإذا عصت استغفرت ، وهي أبداً في اضطراب .
الثالثة : النفس مطمئنة ، وهي التي سارت على الجادة ، واستقرت في موطن الطاعة .

وبين ابتداء حالها الأوّل ^(٤) وبلوغها الثالثة بآيها ونوب ^(٥) وتردادات ^(٦) ، لا يخلّص منها إلّا السابقة الحسنى .

[براءة يوسف عليه السّلام] :

وقد غلّط بعض ^(٧) الناس في أن ظنّ يوسف الصديق عليه السّلام ؛ أنها حمّلتها على أن يأتي ^(٨) محظوراً ، وسبحان الله ، ﴿ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ

(١) في (س) و(ف) : هو .

(٢) في (د) : أولى .

(٣) سقط من (س) و(ز) ، وفي (ص) : الأوّل .

(٤) في (ص) و(ز) : الأولى .

(٥) في (س) : في خذ : ذنوب .

(٦) في (س) و(ص) و(ف) : ترددات .

(٧) ينظر : تفسير ابن أبي زَمَنِين : (٣٢١/٢) .

(٨) في (س) و(ف) و(ص) : باشر .

نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَلٌ عَظِيمٌ [النور: ١٦]، ما فعل يوسف إلا ما أخبر الله عنه؛ من أن المرأة لَجَّتْ^(١) في مطالبتة على نفسه، وَلَجَّجَتْ في بحار المنازعة، وهجمت عليه، ومزقت ثيابه، وهي مالكة أمره، فثبت بطيب الأصل وطهارة الجيب، وَخَطَرَ له هَمُّ الآدمية، فدفعه بالسَّابِقَةِ الإلهية، وما أتى فُحْشًا^(٢) ولا سُوءًا، وما^(٣) كان منه إِلَّا الهَمُّ الذي لا يؤاخذ به أَحَدٌ، فهو هَمٌّ وما تَمَّ، وهي هَمَّتْ وَتَمَّتْ، واجتهدت في بذلِ نفسها، وَجَذَبَهُ إليها، وَهَتَكَ^(٤) حجاب الحياء بينها وبينه، وَرَفَعَ الخوف عن العاقبة في ذلك، والخلوة التي لا يُؤمن معها العار، فَغَلَبَ الْجَدُّ الْجَدَّ^(٥)، وما تجاوز يوسف الأمر والحدَّ^(٦).

وكان ما^(٧) قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ [يوسف: ٢٤]، يعني: جاءت بهذا كله، ويعني^(٨) ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: خَطَرَ على باله الأمرُ بِحُكْمِ البشرية، ورأى برهان ربه، يعني: ذَكَرَهُ الله الإيمان وما يلزم، وَتَحْرِيمَ الله، ومجانبة المائم، وهذا هو البرهان الأعظم، وغير ذلك ممَّا ذَكَرَ النَّاسُ

(١) في (س): لحت.

(٢) في (س): فحشاء.

(٣) في (ص): لا، وأشار إليها في (د).

(٤) في (د): هتكت، وأشار إليها في (س)، وبعدها لحق، وطرة بغير خط الأصل، وفيها: سِتْرٌ، ومَرَضٌ: الحياء.

(٥) في (س): الجَدُّ الجَدُّ، وفي (ص): الجَدُّ الجَدُّ.

(٦) ينظر: لطائف الإشارات: (١٧٨/٢).

(٧) في (س) و(ف): كما.

(٨) في (د) و(ص) و(ز): يعني، ومَرَضُهَا في (د).

تَخَرَّصُ وَتَوَهُّمُ^(١)، واستطالةً على أنبياء الله وكتابه، فحَذَارٍ مِنْهُمْ ثُمَّ حَذَارٍ^(٢).

وأما النفس اللوامة فتَوَهُّمَ بعضُ الناس أنها المرادة في قوله عليه السلام: «مَثَلُ الْمُؤْمَنِ كَمَثَلِ الْحَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفِيئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً هَاهُنَا، وَمَرَّةً هَاهُنَا، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَزْرَةِ الْمُجْدِيَةِ^(٣)، حَتَّى يَكُونَ انْجَعَاثُهَا مَرَّةً^(٤)».

وقالوا: إن قوله: «إِنَّ الرِّيحَ تُفِيئُهَا مَرَّةً وَمَرَّةً»: أَنَّهُ إِقْبَالُهُ عَلَى الذَّنْبِ، وَرَجُوعُهُ إِلَى التَّوْبَةِ.

وليس به، وإنما هُوَ: مَا هُوَ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهِ مِنَ الْكَوْنِ فِي حَالِ الْعَافِيَةِ مَرَّةً، وَفِي بَلَاءِ اللَّهِ أُخْرَى.

والتَّنَفُّسُ عَدُوٌّ مُبِينٌ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَيُّ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبَّنِي وَلَا تَهَبَّنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقُلْنَ لَهُ: أَنْتِ أَغْلَظُ وَأَفْظُ^(٥)»^(٦).

(١) في (س): توهيم.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (١٧٨/٢).

(٣) سقطت من (د) و(س) و(ز).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن كعب بن مالك رضي الله عنه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بابُ مثل المؤمن كالزروع ومثل الكافر كشجر الأرز، رقم: (٢٨١٠) - عبد الباقي.

(٥) في (س) و(ص) و(ف) و(ز): أفظ وأغلظ.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه، رقم: (٢٣٩٦) - عبد الباقي.

وكان أبو بكر رضي الله عنه مِمَّنْ يَرْبُ ^(١) رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وكان عُمَرُ مِمَّنْ يَذُبُّ عن رسول الله ﷺ، وحَسَّانُ مِمَّنْ يُنَافِحُ عن رسول الله ﷺ، وسائرُ الصحابة على هذين القِسْمَيْنِ إِلَّا الْأَوَّلَ ^(٢)؛ فلم يَنْزَلْ في منزلة أَبِي بَكْرٍ أَحَدٌ.

وَالنَّفْسُ ثَلَاثَةٌ أَعْوَانٍ؛ إبليس، والدنيا، والهوى، وليس لها إِلَّا نَاصِرٌ واحدٌ؛ وهو العقل، والكلُّ من جُنْدِ اللَّهِ، أولئك من حِزْبِ الشَّيْطَانِ، والعَقْلُ من حِزْبِ الرَّحْمَنِ، والقضاءُ مُسَيِّطِرٌ على الكلِّ، يفصلُ بين تنازعهم، وَيَمْضِي بكلِّ أحدٍ إلى ما كُتِبَ له، قال بعضهم ^(٣):

إِنِّي بَلِيتُ بِأَرْبَعٍ يَزِمِينَنِي بِالنَّبْلِ عَنْ قَوْسٍ لَهَا تَوْتِيرُ
إِبْلِيسُ وَالْدُنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى يَا رَبِّ أَنْتَ عَلَى الْخَلَاصِ قَدِيرُ

وَالنَّفْسُ أَشَدُّهَا لَأَنَّهَا بَعِينٌ ^(٤) الْمَحْبُوبِ، وَفِي لِحْسَتِهِ تَتَرَاءَى بِصِفَتِهِ، وَتَتَلَبَّسُ بِهِئَتِهِ، وَتُزَيَّنُ الْقَبِيحُ، وَتَسْتَرُ الدَّاءُ، وَتَجْلُو كُلُّ مَكْرُوهِ بِصِفَةٍ ^(٥) الْمَحْبُوبِ، كما قال القائل - وهو الفرزدق ^(٦) -:

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنْ عَيْنُ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا ^(٧)

(١) في (د) و(س): يذب عن.

(٢) في (ص): الأولى.

(٣) البيتان من الكامل، وهما في تفسير القرطبي: (٦٧/٢٠)، والتذكرة له: (٨٨٠/٢)، وغيرها من كتب الوعظ غير منسوبة.

(٤) في (د): في خ: بين المحبوب.

(٥) في (س) و(ف): فصفة.

(٦) قوله: «هو الفرزدق» لم يرد في (ص) و(س) و(ز) و(ف).

(٧) البيت من الطويل، وهو لعبد الله بن معاوية في الأغاني: (٢٥٠/١٢)، والكامل: (١٧٢/١)، وغلط من ينسبه للمتنبي.

قال لي أبو القاسم بن (١) الخواتيمي (٢) بالمسجد الأقصى وقد جرّنا
ذيل المذاكرة على ما أدّى إلى إنشادي هذا البيت له (٣)، فقال لي: هذا
حسنٌ، وأحسنٌ منه قول الآخر (٤):

أَفَسَدْتُمْ نَظْرِي عَلَيَّ فَلَا أَرَى مُذْ غَبِثْتُ حَسَنًا إِلَى أَنْ تَقْدَمُوا
وَدَعُوا مَلَامِي لَيْسَ يَحْسُنُ أَنْ تَرَى عَيْنُ الرِّضَا وَالسُّخْطِ أَحْسَنَ مِنْكُمْ

فإن قيل: كَلَامُ الْوَرَعِ والزهد والتخويف ليس على طريق النسيب.
قلنا: قَلْبُ الْمَعْنَى الْحَسَنِ إِلَى معنى الحق والحقائق عِلْمٌ، وَرَدُّ الْكَلَامِ
إِلَى السَّبِيلِ الْقَوِيمِ دِينٌ، وَلَا تُبَالٍ (٥) بِمَقْصِدِ قَائِلِهِ.

ثبت أن عائشة رضي الله عنها كانت من أحفظ الناس للأشعار والأخبار؛ هي
وأبوها وأختها أسماء، وكان أبو كبير الهذلي الشاعر قد وصف ربيبه تَابَّطَ
شَرًّا بِقَصِيدٍ (٦)، منها قوله (٧):

(١) في (س): ابن أبي الخواتيمي.

(٢) عبد الجليل بن عمر بن محمد بن بكران المقدسي، ابن الخَوَاتِيمِي الطبيب،
سمع ببيت المقدس الفقيه نصر بن إبراهيم، وقَدِمَ دمشق بعد أخذ بيت المقدس
فاستوطنها، وبها توفي، وكان ينظر في وقوف الجامع، ويتولّى البيمارستان،
تاريخ دمشق: (٤١/٣٤).

(٣) سقطت من (س) و(ز).

(٤) من الكامل، وهما لسداد بن إبراهيم، المعروف بالطاهر الجزري، وأوردهما له
ياقوت في معجم الأدباء: (١٤١٥/٣)، والصفدي في الوافي بالوفيات:
(٧٨/١٥)، وابن شاعر في فوات الوفيات: (٤٥/٢).

(٥) في (د): أبال.

(٦) في (د): قصيدة.

(٧) البيت من البسيط، لأبي كبير الهذلي، من قصيدة يصف فيها تَابَّطَ شَرًّا، وهي في
ديوان الهذليين: القسم الثاني: (ص ٩٤).

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَسِرَّةٍ وَجْهِهِ بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ
فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَائِشَةَ فَنَظَرَتْهُ وَقَالَتْ: أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
أَحَقُّ بِقَوْلِ أَبِي كَبِيرِ الْهُذَلِيِّ:

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَسِرَّةٍ وَجْهِهِ بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ^(١)
فَأَخَذْتُ الْأَمْرَ مِنْ يَدِ غَيْرِ مُسْتَحِقِّهِ وَوَضَعْتُهُ فِي حَقِّهِ.

وَقَالَ الْهُذَلِيُّ فِي قَصِيدٍ لَهُ^(٢):

وَعَيْرَهَا الْوَاشُونَ أَنِّي أَحْبُّهَا وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

فَلَمَّا قَتَلَ الْحَجَّاجُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ابْنَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ
الصَّدِيقِ؛ الْمُسَمَّاةَ بِذَاتِ النَّطَاقَيْنِ، كَانَ يَقُولُ لَهُ^(٣): يَا ابْنَ ذَاتِ النَّطَاقَيْنِ،
فَبَلَغَ ذَلِكَ أَسْمَاءَ فَقَالَتْ: إِيَّاهَا وَاللَّهِ^(٤):

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا^(٥)

أَي: هَذَا قَوْلٌ لَيْسَ فِيهِ عَيْبٌ.

وَأَخَذَتْهُ مِنَ الْعَشْقِ وَالْغَزْلِ فَرَدَّتْهُ إِلَى الْحَقِّ.

أَي^(٦): هَذَا قَوْلٌ زَالَ عَارُهُ، وَذَهَبَ عَيْبُهُ، بَلْ فِيهِ غَايَةُ الشَّرَفِ.

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَارِيِّ: (٤٩/٢).

(٢) الْبَحْرُ مِنَ الطَّوِيلِ، وَهُوَ لِأَبِي ذُؤَيْبِ الْهُذَلِيِّ، مِنْ قَصِيدَةٍ فِي دِيْوَانِ الْهُذَلِيِّينَ:
الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: (ص ٢١).

(٣) فِي (س): لَهَا.

(٤) فِي (د) وَ(ص): وَالْإِلَه.

(٥) طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ: (٢٣٨/١٠).

(٦) سَقَطَتْ مِنْ (س).

قالت أسماء^(١): «سَمَّاني رسول الله ﷺ بذات النِّطَاقَيْنِ ؛ / فإنه لَمَّا أراد الهجرة مع أبي بكر صَنَعَتْ لهما سُفْرَةً ، وأردت شدَّها فلم أجد ، فَشَقَّقْتُ نِطَاقِي بِنِصْفَيْنِ ؛ وَشَدَدْتُه بأحدهما وانتَطَقْتُ بِالْآخَرِ ، فقال لي رسول الله ﷺ : أَنْتِ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ»^(٢).

فصار هذا أَصْلًا في رَدِّ المعاني من مقاصد البطالة إلى الجلالة ، ومن طُرُقِ الباطل إلى وجوه الحق ، ومن المخلوق الذي ليس له عَمَلٌ إلى الخالق الذي له الأمر كله .

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي^(٣) رحمه الله: ولي^(٤) في ذلك نُكْتَةٌ بديعة ؛ وهي أن النفس تَمِيلُ إلى اللُّهُو ، وتُسْرِعُ إلى الغزل ، فيُنْشِدُ المرءُ الأشعار^(٥) الغزلية تَأْنِيسًا لها^(٦) ، وَيَقْصِدُ بها الحقائق الإلهية والشمائل النبوية تحقيقًا معها ، حتى يُرِيها أَنَّ صَغَوْهَ مَعَهَا أَوَّلًا ، وَيَرُدُّهَا إلى الحقيقة آخِرًا ، والأشعارُ الغزليَّةُ من سلاح الشيطان ، فإذا قُوِّتِلَ بها يرى أن الغلبة في كل حالٍ عليه .

وللنَّفْسِ خُدْعَةٌ أُخْرَى ، وهي : أَنَّهَا مُخَالِطَتُكَ ، وإذا كان بينك وبين العدوِّ مسافةٌ أو حجابٌ كُنْتَ من ضَرَرِهِ آمِنَ وَأَبْعَدَ ، فإذا^(٧) نزل معك في

(١) سقطت من (د) و(ص) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، (٣٩٠٧-طوق) .

(٣) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي .

(٤) سقط من (س) .

(٥) في (ز): إلى الأشعار .

(٦) مرَّضها في (د) .

(٧) في (ص) و(د): فأَمَّا إذا .

بلدك أو ساكنك في بيتك لم يُمكنك الاحتراس منه بحال ، ولو تحرّرت
لغلبك بطول المجاهدة ، وقد قال العباس بن الأحنف أو غيره^(١) :

نَفْسِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي تَكْثُرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي
لَقُلُّ مَا أَبْقَى عَلَى مَا أَرَى يُوشِكُ أَنْ يَنْعَانِيَ النَّاعِي^(٢)
كَيْفَ اخْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي

فإن جهلتها فقد تعجّل هلاكك ، وإن علمتها وقاسيتها فقد طال تعبك ،
فانظر لما يُخلصك ، فإنه قريب لمن أعانه الله بتوفيقه .

رياضة النفس :

ومن الحقّ عليك أن تحملها على مكارِهِ العبادة طاقةً ، حتى تأنس بها
فتفعلها طاعةً ، فإن التدريب في العبادة والتمارين في الطاعة^(٣) سُنَّةٌ قائمة ،
وسيرة شرعية .

في الصحيح : عن الرُّبَيْعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَتْ : « أَرْسَلَ النَّبِيُّ
ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ : مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلَيْتَمَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ،
وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيَصُمْ ، قَالَتْ : فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ ، وَنُصُومُ صَبِيَانَنَا ،
وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعَهْنِ ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَلِكَ
حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ »^(٤) .

(١) الأبيات من السريع ، وهي لأبي الفضل العباس بن الأحنف في ديوانه :
(ص ١٧٨-١٧٩) ، وفيه : قلبي إلى ما ضرني .

(٢) سقط هذا البيت من (د) و(ص) .

(٣) في (س) : الطاعات .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الصوم ، باب صوم الصبيان ، رقم :
(١٩٦٠-طوق) .

[أَسْمَاءُ النَّفْسِ وَأَحْوَالِهَا]:

ولها أَسْمَاءٌ فِي أَحْوَالٍ، وهذه إشارةٌ إليها:

اعلموا - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ - أَنَّ بِنَاءَ «ن ف س» فِي لِسَانِ الْعَرَبِ يَكْصِرُفُّ عَلَى مَعَانٍ قَدْ بَيَّنَّاها فِي «الْأَمَدِ»^(١) وَغَيْرِهِ .
أَصْلُهَا: أَنَّهَا ذَاتُ الشَّيْءِ، وَرُوحُهُ، وَرَفِيعُهُ^(٢)، وَدُمُّهُ، وَيَرْتَبِطُ بِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ غَيْرُهَا^(٣)، وَرَبَّمَا رَجَعَتْ إِلَى اثْنَتَيْنِ^(٤)، وَقَدْ تَكُونُ - كَمَا قَدَّمْنَا - مَمْدُوحَةً، وَقَدْ تَكُونُ مَذْمُومَةً.

وَقَدْ عَبَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ فَقَالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ

إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٨].

حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْغَافِلِينَ: «إِنَّ الْأَوَّلَ هُوَ الثَّانِي بَعَيْنُهُ».

وهو/ غباوة أو تعسف.

[٩٥/ب]

وإِنَّمَا مَعْنَاهُ: تَعْلَمُ غَيْبِي وَلَا أَعْلَمُ غَيْبِكَ، وَضَرَبَ لَهُ مَثَلًا مَا فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ، أَيْ: مَا فِي ذَاتِهِ مَطْوِيًّا، أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ بَيَّنَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾، كَمَا قَالَ: ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، أَيْ: صِفَاتِهِ؛ لِأَنَّهَا قَائِمَةٌ بِهِ، وَذَلِكَ غَضَبُهُ وَسَخَطُهُ، وَأَفْعَالُهُ مِنْ نَقْمَتِهِ وَعِقَابِهِ، وَأُضْيِفَ الْكُلُّ إِلَى النَّفْسِ لِأَنَّهَا تَقُومُ بِهِ وَتَصُدُّرُ عَنْهُ، كَمَا قَالَ: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي

(١) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١/٢٦٧-٢٦٩).

(٢) فِي (ص): رَفَعْتَهُ.

(٣) بَعْدَهَا فِي (ز) سَقَطَ بِمَقْدَارِ وَرَقَتَيْنِ.

(٤) فِي (د) وَ(ص): اثْنَتَيْنِ.

أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ» [البقرة: ٢٣٣] ، أي: يَعْلَمُ غَيْبَكُمْ وَيَطَّلِعُ عَلَى سِرَائِكُمْ^(١) ،
 ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٥] .

وقد قال: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] .

المعنى: «تَسْلِيمُ الأقدار والأفعال لله بالتَّبَرِّي عن الحَوْلِ والقُوَّةِ ، وأنَّ أمره كُلُّه لله ، وتصرفه بأجمعه بطَوَّلِ رَبِّه ، ولذلك تختلف عليه الأحوالُ بغير مراده ؛ ما بين يُسِّرٍ وعُسْرٍ ، وذِكْرٍ ونسيان ، ولو كان الأمرُ بمُرَادِي ولم يَكُنْ بِيدِ غَيْرِي لتشابهت أحوالي ، وتناسقت^(٢) أعمالي»^(٣) ، فهذا شأن البشرية فاعلموه .

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩] .

أي: «ذات واحدة ، وموجود واحد ، وأخلاقكم مختلفة ، وهممكم متباينة ، وصوركم متفاوتة ، ومنازلكم متغايرة ، وأطواركم متعاقبة ، ومقاصدكم شتى متنافرة»^(٤) .

ألا ترى إلى^(٥) النطفة وهي ذاتٌ واحدةٌ ؛ كيف تَشَكَّلَتْ بأشكال ، وتعاقبت عليها أحوال ، فبعضُها لَحْمٌ ، وبعضُها عَصَبٌ ، وبعضُها شَعْرٌ ، وبعضُها ظُفْرٌ ، وبعضُها عِرْقٌ ، وبعضُها جِلْدٌ ، وبعضُها مُخٌ ، وبعضُها صُلْبٌ ،

(١) في (س): سرائكم ، وهو سبق قلم .

(٢) في (د): تناسبت .

(٣) لطائف الإشارات للتفسير: (١/٥٩٤) .

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٥٩٤-٥٩٥) .

(٥) في (س) و(ف): أن .

وبعضها رَحْوٌ، كُلُّ بهيئة مخصوصة، وكيفية معلومة، ورُكِّبَ عليها السَّمْعُ والبَصَرُ، وجُعِلَ فيها الفِكْرُ والغَضَبُ، والقدرة والعلم، والشجاعة والجُبْنُ والحقد، والأوصاف التي يَقْصُرُ عنها العَدُّ، وذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْفًا - آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقد بيَّناه في كتاب «أنوار الفجر»، في سِفْرِ يَحْمِلُهُ فَرَسٌ، وَيُضِيئُ كَالْقَبَسِ.

والتَّنَفُّسُ حيث ما رَدَدْنَاهُ نُريد به الجُمْلَةُ الآدمية بذاتها وصفاتها، وروحها ونَفْسُها، وجميع ما تشتمل عليه ظاهراً وباطناً. وللآدمي ثلاثُ حالاتٍ أخبر الله عنه^(١) بثلاثة أخبار: أحدها: أن تكون المعصية شأنه كَلَّةً.

الثانية: أن يكون مُطِيعاً من وَجْهِ وفي حال، عاصياً من وَجْهِ وفي حال.

الثالثة: أن يكون مُطِيعاً في كل حال أو في أكثر الأحوال، بحيث يغلب خيره شره، دُنياه وأُخراه^(٢).

فالتَّنَفُّسُ الأولي^(٣): هي الأَمَّارة بالسوء.

والنفس الثانية: هي اللَوَّامة كما قدَّمنا^(٤).

والثالثة: هي^(٥) المطمئنة.

(١) في (د): عنها.

(٢) في (س): دنيا وآخرة.

(٣) في (د): الأوَّل.

(٤) في (ص) و(د): قدَّمناه.

(٥) سقطت من (س).

[منازل النفس المطمئنة]:

وذلك في ثمانية^(١) منازل:

المنزلة الأولى: أن تطمئن بالتوحيد حتى لا يلحقها ريبٌ.

الثانية: أن تطمئن بالذكر حتى / لا ترى لسواه لذة، ففي الصحيح: «أن النبي عليه السلام مشى في بعض أسفاره فعلاً جبلاً فقال: هذا جُمْدَان، سِيرُوا، سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ، وهم الذين أُهْتَرُوا^(٢) بذكر الله، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ»^(٣).

[١/٩٦]

الثالثة: أن يستقرّ اليقين في قلبه بحيث لا يتطرق إليه وسواس؛ وهذا للأنبياء، فإن تطرّق دَفَعَهُ بالتوحيد؛ وهذا للأولياء، فإن تطرّق دَفَعَهُ بالمجاهدة؛ وهذا للمؤمنين.

قالت الصحابة: «يا رسول الله، إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا أَنْ نَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطِفُنَا الطَّيْرُ أَخْفَ عَلَيْنَا»^(٤) من ذلك، قال: أَوْ قَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ قالوا: نعم، قال: ذلك صريح الإيمان»^(٥).

(١) في (د) و(ص): ثماني.

(٢) في (د): اهتروا.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب، رقم: (٣٥٩٦-بشار)، وأصله في الصحيح، أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم: (٢٦٧٦-عبد الباقي).

(٤) في (د): إلينا.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقول من وجدها، رقم: (١٣٢-عبد الباقي).

يعني: مجاهدة دَفْعِهِ ، فجعله الله بفضلِهِ صريح الإيمان .

الرابعة: الطَّمَأْنِينَةُ بطاعة الله ، حتى لا تجري على جوارحه معصية .

الخامسة: الطَّمَأْنِينَةُ بالتوبة ، وهذا مُمَكِّنٌ للناس في الكبائر ، مُتَعَذِّرٌ في الصغائر ، إِلَّا على الأولياء .

السادسة: الطَّمَأْنِينَةُ بالتوبة ، حتى لا يبقى للمعصية أَثَرٌ في النفس .

السَّابعة: الطَّمَأْنِينَةُ بالبشارة ، كقول الصادق: «فلان في الجنة» ، وكقوله: «ما من أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(١) ، وذلك إِذَا قَالَهَا آمِنًا فِي نَفْسِهِ ، حَاضِرًا بِعَقْلِهِ ، وَتَصَدِيقًا مِنْ قَلْبِهِ .

الثامنة^(٢): الطَّمَأْنِينَةُ بالبشارة عند الموت مِنْ جِهَةِ الْمَلِكِ الْقَابِضِ لِرُوحِهِ .

وَيَتَرَكَّبُ عَلَيْهِ مَا بَيَّنَّاهُ فِي «قانون التأويل» ، فَخُذْ مِنْهُ وَرَكَّبْ عَلَيْهِ سَائِرَ الْأَحْوَالِ يَأْتِكَ مِنْهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ قَوْلًا وَعَمَلًا .

وَلَشَرَفِ النَّفْسِ اللَّوَامَةِ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا فِي كِتَابِهِ تَعْظِيمًا لَهَا ؛ إِذْ هِيَ أَكْثَرُ أَحْوَالِ الْعَبْدِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ^(٣) لَهُمْ»^(٤) .

(١) تقدّم تخريجه .

(٢) في (د): المنزلة الثامنة .

(٣) في (س) و(ز) و(ف): حتى يغفر .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه : كتاب التوبة ، باب سقوط =

وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧] -
 ٨، وفيها خَمْسَةُ أَقْوَالٍ^(١):

الأوّل: أَلْهَمَهَا طَرِيقَ الْخَيْرِ وَطَرِيقَ الشَّرِّ، وهو قوله في السُّورَةِ التي قبلها: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البعد: ١٠]، ثم قَسَّمَهُ فَرِيقَيْنِ، وخلق فيه مُتَعَارِضَيْنِ؛ الشَّهْوَةَ وَالْعَقْلَ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ عَسْكَرَيْنِ؛ الْمَلَائِكَةَ وَالشَّيَاطِينَ، وَسَلَّطَنَ عَلَيْهِمْ فُعْلَيْنِ؛ التَّوْفِيقَ وَالْخِذْلَانَ، وَرَدَّدَهُمْ^(٢) عَلَى كِتَابَيْنِ؛ أَمَّ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَبَنَتْ فَوْقَ الْفَرْشِ، ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٠]، فَطَوَّبَى لِمَنْ خَرَجَ فِي قِسْمِ السَّعَادَةِ وَحُسْنِ مَأَبٍ، وَوَيْلٌ لِلْآخِرِينَ^(٣) وَسُوءُ الْعَذَابِ.

وَالْأَوْصَافُ وَالْأَخْلَاقُ مَكْتُوبَةٌ، وَالْمَقَادِيرُ مَاضِيَةٌ^(٤)، وَالْأَسْبَابُ مَقْدَرَةٌ، وَهُمْ يَتَرَتَّبُهَا فِي بَقِيَةِ الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَنَبَذُ^(٥) النَّفْسِ عِصْيَانُهَا فِي الشَّهَوَاتِ أَوَّلًا، وَيَتَرَكَّبُ عَلَيْهِ^(٦) عِصْيَانُهَا فِي الْمَحْرَمَاتِ، فَمَنْ مَلَكَهَا فِي الشَّهْوَةِ لَمْ يَخْطُرْ / لَهُ الْمُحَرَّمُ عَلَى بَالٍ، وَمَنْ

= الذنوب بالاستغفار، رقم: (٢٧٤٩- عبد الباقي)، ولفظه فيه: «لو لم تُذنبوا

لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيَغْفِرُ لَهُمْ».

(١) تنظر في: تفسير الطبري: (٤١٥/٢٤- التركي)، ولطائف الإشارات للقسيري: (٧٣٣/٣).

(٢) في (س): ردهم.

(٣) في (ص) و(د): للآخرين.

(٤) في (ص) و(د): مرضية.

(٥) في (د): بيد، وهو تصحيف.

(٦) في (د): عليها.

ساعدها في الشهوة وجرى معها عليها سَاوَرَتْهُ وَجَرَّتْهُ حَتَّى تُوقِعَهُ فِي
المَحْرَمِ، فَإِنَّ الشَّهْوَةَ لِلْمُحْرَمِ حِمَىٌّ وَشُبْهَةٌ^(١)، وَالرَّائِعُ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ
أَنْ يُوَاقِعَهُ^(٢).

وَالطَّبُّ لِهَذَا الدَّاءِ إِذَا وَقَعَ بِالتَّوْبَةِ، وَالاحْتِرَاسُ مِنْهُ السَّعْيُ فِي
اِكْتِسَابِ الْأَخْلَاقِ^(٣) الْمَحْمُودَةِ وَالصِّفَاتِ الشَّرِيفَةِ، وَتَطْهِيرُهَا عَنِ الرِّذَائِلِ
وَالْآفَاتِ بِالْأَخْلَاقِ الْمَمْدُوحَةِ، وَفِي هَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو فَيَقُولُ: «رَبِّ
أَتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا»^(٤).

وَيَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي»^(٥)، وَيُوعِزُّ
بِذَلِكَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ.

وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَحَازَ ذَلِكَ وَصَارَ بِهِ فَهُوَ «الصَّالِحُ»، وَتَفْسِيرُ
ذَلِكَ: أَنْ يَكْتَسِبَ أَوَّلًا مِنْ هَذَا صِفَةً «الْمُصَلِّي».



(١) مَرَّضُهَا فِي (د).

(٢) فِي (د): وَقَعَ فِيهِ، وَمَا أَثْبَتْنَاهُ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي طَرْتِهِ.

(٣) فِي (ص) وَ(د): الْأَسْمَاءُ.

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ، بَابُ
التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ، رَقْمٌ: (٢٧٢٢-عَبْدُ الْبَاقِي).

(٥) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ، بَابٌ مِنْهُ، رَقْمٌ: (٣٣٩٢-بِشَار).

[المُصَلِّي]: وهو الاسم السادس عشر

والصَّلَاةُ مقرونةٌ بالشهادتين ، وهي تَأْدِيَةُ الطَّاعَةِ ، وَجُمْلَةُ الْعِبَادَةِ ؛ عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ .

وقد جعلها الله من خصال إسماعيل فقال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ [مریم: ٥٥] .

ومن دعوة أبيه إبراهيم عليه السَّلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُفِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٢] .

ولا يُوصَفُ بالكفر من تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ سِوَاهَا ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ كَفَرَ»^(١) ، «وَبَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(٢) .

وَمَنْ امْتَنَعَ مِنْ أَدَاءِ الزَّكَاةِ أُخِذَتْ مِنْهُ كَرْهًا ، وَمَنْ امْتَنَعَ مِنَ الْوُضُوءِ وَضَّيَّ ، وَمَنْ امْتَنَعَ مِنَ الصِّيَامِ حُبْسَ فِي بَيْتٍ مُوثَقًا حَالِ وَجُوبِ الْإِمْسَاكِ ، [وَمَنْ امْتَنَعَ مِنَ الصَّلَاةِ قُتِلَ]^(٣) .

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في ترك الصلاة ، رقم: (٢٦٢١-بشار) .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في ترك الصلاة ، رقم: (٢٦٢٠-بشار) .

(٣) قوله: «الصَّلَاةُ قُتِلَ» سقط من (ص) و(س) و(ف) .

وكلُّ عبادة من زكاة^(١) وحج وصيام تَسْقُطُ عن العبد بأعذار، وتتبعُ^(٢) بأسباب، والصلاة ملازمة له في كل حال؛ قائماً وقاعداً، وعلى جنبٍ، وراكباً وماشياً، وبالإشارة.

وقد قال النبي ﷺ^(٣): «من فاتته صلاة العصر وتَرَّ أهلُه وماله»^(٤).

وقال ﷺ: «من ترك صلاة العصر حَبَطَ عَمَلُه»^(٥).

وما رأيتُ فيها رجاءً إلا حديثُ عبادة، قال: قال النبي ﷺ: «خَمْسُ صلوات كتبهنَّ الله على العباد في اليوم والليلة، من جاء بهنَّ لم يُضَيِّعْ منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهدٌ أن يُدخله الجنة، ومن لم يأت بهنَّ فليس له عند الله عهدٌ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»^(٦).

ولا تدخل المشيئة على كافر.

(١) في (د): وزكاة.

(٢) في (س) و(ف) و(ز): تتعذر.

(٣) في (س): عليه السلام.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب وقوت الصلاة، جامع الوقت، (١/١٠٤)، رقم: (٢١-المجلس العلمي الأعلى)، ولفظه فيه: «كأنما وتر أهلُه وماله».

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن بُريدة رضي الله عنها: كتاب مواقيت الصلاة، باب من ترك العصر، رقم: (٥٥٣-طوق).

(٦) أخرجه أبو داود في سننه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: كتاب الصلاة، باب المحافظة على الوقت، رقم: (٤٢٥-شعيب).

وقال النبي ﷺ: «لو أن نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، هل ^(١) يُبْقِي ^(٢) مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا؟ قالوا: لا، قال: فذلك مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا» ^(٣).

وَأَصَابَ رَجُلٌ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَأَفِمْ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَمًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، / فقال الرجل: «يا رسول الله، أَلَيْ هَذَا خَاصَّةٌ؟ فقال: بل ^(٤) لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي» ^(٥).

وقال له رجل: «يا رسول الله ^(٦)، أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمَّ عَلَيَّ، فقال ^(٧) له: أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتُ مَعَنَا؟ قال: نعم، قال: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ» ^(٨).
وقال ابنُ مسعود: «أَوَّلُ مَا تَفْقَدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ، وَآخِرُ مَا تَفْقَدُونَ مِنْهُ الصَّلَاةُ» ^(٩).

(١) بعده في (د) علامة اللحق، ولا يظهر شيء.

(٢) في (د): يبقين.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كتاب مواقيت الصلاة، باب الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَفَّارَةٌ، رقم: (٥٢٨-طوق).

(٤) في (د): بلى.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي عثمان النهدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كَفَّارَةٌ، رقم: (٥٢٦-طوق).

(٦) قوله: «يا رسول الله» لم يرد في (د) و(ص).

(٧) في (د) و(ص): قال.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، رقم: (٢٧٦٥-عبد الباقي).

(٩) أخرجه بنحوه الإمام أحمد عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الزهد: (ص ٢٦٥).

وأنا أقول: آخر ما يُفقد منه الأمرُ بالمعروف، ثم التوحيد.
وقد اتفق الفقهاء على قتل من ترك الصلاة، وإنما اختلفوا في صفة قتله^(١).

فقال بعضهم: يُقتل بالسيف.

وقال أهل العراق: يُقتل بالسَّوط^(٢).

وقد سئل النبي ﷺ: «أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها»^(٣).

وثبت عنه أنه قال: «الصلاة لأوّل وقتها»^(٤).

وكما أنها أفضل الأعمال، كذلك هي في تركها أشد الكبائر^(٥).

وروى أحمد بن حنبل عن أبي الدرداء: «إني لأعلمُ بشِرارِكُم من البيطار بالخيّل؛ هم الذين لا يأتون الصلاة إلا دُبْرًا، ولا يسمعون القرآن إلا هَجْرًا، ولا يُعتقُ مُحرّرُهم»^(٦)^(٧).

(١) ينظر: التمهيد: (٢٢٥/٤)، ونهاية المطلب: (٦٥١/٢)، والمقدمات:

(١٤٤/١)، والعواصم: (ص ٢٦٣-٢٦٤).

(٢) العواصم: (ص ٢٦٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم: (٥٢٧-طوق).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن أم فروة رضي الله عنها: أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الوقت الأول من الفضل، رقم: (١٧٠-بشار)، وأشار أبو عيسى إلى ضعفه.

(٥) في (س): كذلك تركها أشد الكبائر، وفي (ص): هو أشد.

(٦) قوله: «ولا يعتق محررهم» سقط من (س) و(ص) و(ف) و(ز)، وبعده في (د) - أيضًا - ما لم أتبيّنه، وظهر لي منه: «أي: .. لم يطلقوه»، وبعدها كلمتان لم أستطع قراءتهما، والله أعلم.

(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٢٢١/١)، ولم أجده في الزهد للإمام أحمد.

وقد رُوِيَ في الحديث الحسن: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُقْضَى فِيهِ مِنَ الْحَقُوقِ الدِّمَاءُ»^(١)، «وَأَوَّلُ مَا يَنْظَرُ فِيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا نَظَرَ فِي سَائِرِ عَمَلِهِ، وَإِنْ لَمْ يَأْتِ بِهَا لَمْ يُنْظَرْ لَهُ»^(٢) فِي شَيْءٍ»^(٣).

وقال ﷺ - فِي الصَّحِيحِ - : «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَرَأُوا: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾»^(٤) [ق: ٣٩]»^(٥).

[مراعاة أوقات الصلاة بالآلة الشمسية]:

وقد قال أبو الدرداء: «سبعة في ظل الله يوم القيامة؛ فذكر منهم»^(٦):
وَرَجُلٌ يَرَاعِي الشَّمْسَ لِمَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ»^(٧).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، رقم: (٦٥٣٣-طوق).

(٢) سقط من (د) و(ص).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ بلاغاً: جامع الصلاة، (١/٢٣٣)، رقم: (٤٨٢-المجلس العلمي الأعلى).

(٤) في (س) و(ز) و(ف): وقبل غروبها، وفي جميع النسخ: ﴿فسبح﴾، وكذلك هي في صحيح البخاري.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن جرير رضي الله عنه: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم: (٥٥٤-طوق).

(٦) في (س) و(ص) و(ف): منها.

(٧) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد عن سلمان رضي الله عنه موقوفاً: (ص ١٨٩).

وَيُرِيدُ بِهِ: بَبَصَرِهِ، لَا بِآلَةٍ؛ فَإِنَّ النَّظَرَ فِي «الْآلَةِ» مُحَدَّثٌ، لَمْ يَكُنْ قَطُّ فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْمُتْنَى عَلَيْهَا، فَاقْدُفُوهَا مِنْ قُلُوبِكُمْ قَبْلَ أَنْ تَرْمُوا بِهَا مِنْ أَيْدِيكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَمَّا رَأَى النَّاسَ يَزْهَدُونَ تَدَيُّنًا عَنْ «الْإِسْطِرْلَابِ» هَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي «آلَةٍ» سَمَّاهَا «مِيزَانًا»، فَاغْتَرَّ النَّاسَ بِهَا، وَلَمْ يَعْلَمُوا فِي أَيِّ كِفَّةٍ تَوْضَعُ مِنْ^(١) الْمِيزَانِ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، وَلَا كَانَ عَلَيْهَا السَّلْفُ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ.

وَكَانَ آخِرُ مَا أَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ: «الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(٢).

[فَرَائِضُ وَسُنَنُ وَفَضَائِلُ الصَّلَاةِ]:

وَهِيَ فَرِيضَةٌ، وَلَهَا فَرَائِضُ وَسُنَنُ وَفَضَائِلُ فِي قَوْلِ الْعُلَمَاءِ.

قَالَ لِي ذَاكُشْمَنْدُ^(٣): «إِذَا صَلَّى الْمَرْءُ فَلْيَأْتْ بِهَيْئَةِ الصَّلَاةِ الْمَعْلُومَةِ، وَلَيْسَ يَحْتَاجُ أَنْ يَنْوِيَ بِهَا فَرَضًا مِنْ سُنَّةٍ، وَلَا يُعَيِّنُهُ فِي النِّيَّةِ، وَإِنَّمَا يَنْوِي الصَّلَاةَ مُطْلَقًا عَلَى هَيْئَتِهَا الْمَعْلُومَةِ الْكَامِلَةِ».

وَهَذَا صَحِيحٌ؛ لِأَنَّهُ^(٤) لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ نَظَارًا/ أَوْ مُقَلِّدًا، وَأَيُّهُمَا كَانَ فَلَيْسَ يَخْلُصُ لَهُ عِلْمُ الْفَرَضِ مِنْهَا مِنَ النَّفْلِ إِلَّا بَعْدَ عَنَاءٍ؛ لِاخْتِلَافِ الْأَدْلَةِ فِي ذَلِكَ، وَاخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ، فَلَا النَّظَارُ يَخْلُصُ لَهُ دَلِيلٌ، وَلَا الْمُقَلِّدُ تَصَحُّحٌ لَهُ رَوَايَةٌ.

(١) فِي (د): فِي.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ فِي حَقِّ الْمَمْلُوكِ، رَقْمٌ: (٥١٥٦-شُعَيْب).

(٣) فِي (س) وَ(ص): ذَاكُشْمَنْدُ، وَيَعْنِي بِهِ الْإِمَامُ أَبَا حَامِدٍ الطُّوسِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَمَعْنَاهُ: عَالِمُ الْعُلَمَاءِ، كَذَا فِي طَرَةِ بـ (س).

(٤) سَقَطَ مِنْ (س).

وهذا النَّبِيُّ ﷺ لم يُبَيِّنْ للأعرابي فَرَضًا من سُنَّةٍ، وإنما قال له: «صَلِّ»، وَعَلَّمَهُ مُطْلَقَ الْهَيْئَةِ، فقال له: «كَبَّرْ، واقْرَأْ ما تيسَّر معك من القرآن»، وفي رواية: «فاتحة الكتاب، وما تيسر معك من القرآن»، والأوَّلُ أصحُّ، «ثم اركع حتى تطمئنَّ رакعًا، ثم ارفع حتى تستوي قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئنَّ ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئنَّ جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئنَّ ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئنَّ جالسًا^(١)، ثم افعل في صلاتك^(٢) كلها ذلك»^(٣)، فلم يَسْتَوْفِ له هيئة الصلاة، وقد كان نَزَلَ كَمَا لَهَا.

ووصَفَ عَشْرَةً من أصحاب النبي ﷺ صلاته؛ روى محمد بن عمرو بن عطاء^(٤) عن أبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قال: سمعته وهو في عشرة من أصحاب النبي عليه السَّلام - أحدهم أبو قتادة - يقول: «أنا أعلمكم بصلاة رسول الله ﷺ، قالوا: ما كنت أفدَمْنَا له صحبة، ولا أكثرنا له إِيثَانًا، قال: بلى، قالوا: فاعرض^(٥)، فقال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة اعتدل قائمًا، ورفع يديه حتى يُحَاذِيَ بهما مَنْكِبَيْهِ، فإذا أراد أن يركع رَفَعَ يَدَيْهِ حتى يُحَاذِيَ بهما مَنْكِبَيْهِ، فإذا أراد أن يَرْفَعَ رَفَعَ يَدَيْهِ حتى يُحَاذِيَ بهما

(١) قوله: «ثم اسجد حتى تطمئنَّ ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئنَّ جالسًا» سقط من (س) و(ف) و(ص).

(٢) في (س) و(ف) و(ز): صلواتك، ومرَّضها في (د)، وأثبت في الطرة: صلاتك، وصحَّحها.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ؓ: كتاب الأذان، باب استواء الظهر في الركوع، رقم: (٧٩٣-طوق).

(٤) في (س) و(د) و(ف): فقالوا: عن عمرو بن عطاء.

(٥) في (س): فأعرض.

منكبیه، ثم قال: الله أكبر، وركع ثم اعتدل، فلم يَصُبَّ رأسه ولم يُقْنَع، ووضع يديه على ركبتيه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ورفع يديه واعتدل حتى يرجع كلَّ عَظْمٍ في موضعه مُعْتَدِلًا، ثم أَهْوَى^(١) إلى الأرض، ثم قال: الله أكبر، ثم جَافَى عَضْدِيَّه عن بطنه، وَفَتَحَ أصابع رجليه، ثم ثَنَى رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَقَعَدَ عليها، ثم اعتدل حتى يرجع كلَّ عَظْمٍ في موضعه مُعْتَدِلًا، ثم أَهْوَى ساجدًا، ثم قال: الله أكبر، ثم ثَنَى رِجْلَهُ وَقَعَدَ واعتدل حتى يَرْجِعَ كُلُّ عَظْمٍ في موضعه، ثم نهض، ثم صنع في الركعة الثانية مثل ذلك، حتى إذا قام من السجدين كَبَّرَ وَرَفَعَ يديه حتى يُحَازِي بهما منكبیه؛ كما صنع حين افتتح الصلاة، ثم صنع كذلك حتى كانت الركعة التي تنقضي فيها الصلاة أَخْرَجَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَقَعَدَ على شِقِّهِ مُتَوَرِّكًا، ثم سَلَّمَ^(٢).

قال الإمام الحافظ أبو بكر^(٣) رحمته الله: فالحديث الأول في أمره، والثاني في فعله، وليس في واحد منهما استيفاء للفرائض على رأيكم، ومنها فَرَضٌ^(٤)، ومنها ما ليس بفَرَضٍ، وَالْحَطْبُ في ذلك مُعْضِلٌ، وما رأيت من كَشَفَ هذه الكُرْبَةِ، وقد بَيَّنَّهَا في «شَرْحِ الْحَدِيثِ» و«المسائل»^(٥).

(١) في (د) و(ص): هوى.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في وصف الصلاة، رقم: (٣٠٤-بشار).

(٣) في (د) و(ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٤) قوله: «ومنها فرض» سقط من (د) و(ص).

(٥) ينظر: القبس: (٢١٧/١).

والذي أَجْمَعَتْ عليه الأمة في الصَّلَاةِ النِّيَّةُ عند الدخول ، دون تكبير وقراءة آية واحدة بالعجمية ، والركوع دون الطمأنينة ، والسجود/ كذلك ، والخروج عن الصلاة بِنِيَّةٍ دون سَلَامٍ بأي فِعْلٍ كان ممَّا يضادُّ الصلاة ، فلو اقتصر أَحَدٌ على ما أجمعت^(١) عليه الأمة في فرائض الصلاة لجاء بصورة لِعِبٍ لا بصورة عبادة ، وإذا جاء بما وَصَفَ أبو حَمِيدٍ جاء بصفة حسنة ، وليست^(٢) بَفَرَضٍ بالإجماع ، فلذلك قال : «إِنَّ عليه أن يأتي بالصلاة على أكمل الأوصاف ، ولا يُعَيَّنَ في نِيَّتِهِ فَرَضًا من سُنَّةٍ»^(٣) ، وإنما عليه الاقتداء بالنبي عليه السَّلام .

فإن قيل : فما يفعل إذا سَهَا ؟

قلنا : لم يُبَيَّنْ^(٤) الكتاب لمن سَهَا .

يُروى أن أحمد بن حنبل كان يمشي إلى شيبان الراعي^(٥) العابد زائرًا ، فقال له الشافعي : «يا أبا عبد الله ؛ أريد أن أزور معك شيبان ، فقال له أحمد بن حنبل : أخاف أن تُكَلِّمَهُ بما يَكْرَهُ ، قال : لا^(٦) ، فتَوَاعَدَا وَمَشْيَا إليه ، فلمَّا بلغاه أَلْفَيَاهُ قد جعل الغنم في القِبْلَةِ يَحْرُسُهَا وهو^(٧) يُصَلِّي ، فلمَّا سَلَّمَ

(١) في (د) : اجتمعت .

(٢) في (ف) و(س) : ليس .

(٣) يقصد قول الغزالي المتقدم .

(٤) في (س) و(ف) : نَبَن .

(٥) العابد الزاهد ، شيبان الراعي ، توفي في حدود السبعين ومائة ، أخبره في : الحلية :

(٣١٧/٨) ، وتاريخ الإسلام : (٤/٤١٠-٤١١) ، والوافي بالوفيات : (١٦/١١٨) .

(٦) سقطت من (س) .

(٧) سقط من (س) و(ص) .

قصدها وسلما عليه ، وتحدثنا ، فلما أرادنا الانقلاب عنه قال له الشافعي : من نسي سجدة من صلاته لا يدري من أي ركعة هي ؟ قال له شيبان : ولم نسي ؟ هذا قلب غافل عن الله ، فكره أحمد مقالته ، وقال له : قد كنت نهيتك عن هذا»^(١).

فلهذا^(٢) لم تبين^(٣) هذا^(٤) الكتاب على هذا الباب .

صلاة الجماعة:

والجماعة معنى الدين ، وشعار الإسلام ، وهي فرض كفاية ، وليست من فرائض الأعيان ، ولو لم يكن فيها إلا تضعيف الأجر أو الدرجات ؛ من عشر ، إلى خمس وعشرين درجة ، إلى سبع وعشرين جزءاً .

ولو تركها أهل مضر قوتلوا ، أو أهل حارة أجبروا^(٥) عليها وأكروهوا .

وقد تطرق الخلل إليها اليوم بفساد الناس وفساد الأئمة ؛ فأما عامة الناس فلا يمكنون من التحلف عنها ، ولا حجة لهم في إمامهم أن يكون غير رضى^(٦) عندهم ، فإنه مثلهم ، وإنما يطلب الأفضل الأفضل ، وإنما يكون

(١) رسالة القشيري: (ص ٤٣٥) ، والسائل فيها أحمد لا الشافعي ، ويبعد أن تكون هذه الحكاية صحيحة ، فوفاء شيبان الراعي كانت قبل أن يلقي الإمام أحمد شيخه الشافعي ، والله أعلم .

(٢) في (د) و(ص) : فلذلك .

(٣) في (ص) : تبين .

(٤) سقط من (س) .

(٥) في (س) و(ف) : جبروا .

(٦) في (د) : رضى .

إمامك مثلك ، وتقول : « لا أصلي خلفه » ، فلا تُصَلِّ أنت إذا ، فإنَّ ما يُقَدِّحُ في صلاتك يُقَدِّحُ في صلاته ، وما تَصِحُّ به صلاته تَصِحُّ به صلاتك .

[إمامة الفاسق]:

ومسألة إمامة الفاسق ذهبت بما فيها لعموم هذه الصفة ، ولو لم يتقدَّم اليوم للإمامة إِلَّا عَدْلٌ ؛ ﴿لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ .

«وَالصَّلَاةُ أَحْسَنُ مَا يَفْعَلُ النَّاسُ ، فَإِذَا أَحْسَنُوا فَأَحْسِنْ مَعَهُمْ ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ»^(١) ، إِلَّا أَنْ يَجُوزَ الرَّجُلُ مَرَّتَبَتَهُ ، وَتَشْتَهَرَ لِلْعَالَمِ مَنْزِلَتُهُ ، وَيَتَخَلَّفَ عَنِ الْمَسْجِدِ ، فَيَذْكُرُ عُذْرًا أَوْ لَا يَذْكُرُهُ ، فَيُقْبَلُ ذَلِكَ مِنْهُ وَيُخْلَى^(٢) ، كَمَا فَعَلَ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ .

وقد قال عثمان بن أبي العاص : «لَوْ لَا الْجُمُعَةُ وَصَلَاةُ الْجَمَاعَةِ لَبَيِّتُ فِي أَعْلَى دَارِي هَذِهِ بَيْتًا ، فَلَمْ أَخْرَجْ مِنْهُ حَتَّى أَخْرَجَ إِلَى قَبْرِي»^(٣) .
فإن خاف فساد حاله ترك ذلك كله ؛ وَدَخَلَ فِي سِرْبٍ ، وَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ .

(١) أخرجه البخاري من قول عثمان رضي الله عنه : كتاب الأذان ، باب إمامة المفتون والمبتدع ، رقم : (٦٩٥-طوق) .

(٢) سقط من (س) ، وبعده في (س) و(ص) و(ف) : وما رأى ، وضرب عليه في (د) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في الزهد : (ص ١٩٠) .

وروى البخاري / - في كتاب الصلاة - عن أبي هريرة قال: «يُصَلُّونَ لكم، فإن أصابوا فلكم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم»^(١).

[الرفع قبل الإمام]:

وأشدُّ ما على الناس^(٢) في^(٣) القدوة أنهم يضعون قبل الإمام ويرفعون استعجالاً؛ لأن نواصيهم بيد شيطان^(٤)، وهلاً تفكروا في أنهم لا يُسَلِّمُونَ قبله، وينبغي لهم أن لا يضعوا رؤوسهم للركوع حتى يَرَوْهُ راعياً مطمئناً، فإن لم يكونوا بحيث يَرَوْنَهُ فحتَّى يُتِمَّ^(٥) تكبيره، وكذلك لا يرفعوا حتى يُتِمَّ تكبيره، ولا يُكَبِّرُوا للإحرام حتى يُتِمَّ تكبيره، ولا يُسَلِّمُوا حتى يُتِمَّ تسليمه.

وفي صحيح الحديث: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يُحوِّلَ الله صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ؟»^(٦).

قال علماؤنا: يعني به: «صورة الحمار الباطنة من البلادة»^(٧).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان، باب إذا لم يتم الإمام وأتم من خلفه، رقم: (٦٩٤-طوق).

(٢) في (د): الإنسان، ومَرْضُها.

(٣) في (س): من.

(٤) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً: كتاب الصلاة، ما يفعل من رفع رأسه قبل الإمام، (١/١٦٨)، رقم: (٢٤٧-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) في (د): يتم.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الأذان، باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام، رقم: (٦٩١-طوق).

(٧) الإحياء: (ص ١٢٠).

ولا بِلَادَةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَرْبِطَ مَعَهُ نِيَّةَ الْاِقْتِدَاءِ بِهِ ثُمَّ يُلْزِمُ نَفْسَهُ أَلَّا يَعْقِدَ^(١) الصَّلَاةَ قَبْلَهُ ، ثُمَّ يَخَالِفُهُ وَيَحُلُّ^(٢) مَا رَبَطَ مِنَ الْاِقْتِدَاءِ بِهِ .

وفيه : « أَنْ أَحَدًا مِنَّا مَا كَانَ يَحْنِي ظَهْرَهُ حَتَّى يَسْتَتِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا ، ثُمَّ نَقْعُ سُجُودًا بَعْدَهُ »^(٣) .

صِفَةُ النِّيَّةِ :

بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَنِيفِيَّةِ^(٤) السَّمْحَةِ فَقَالَ : « صَلُّوا الظَّهْرَ وَالْعَصْرَ ، وَكَذَا وَكَذَا » ، فَهُوَ الَّذِي يَفْتَقِرُ الْمَرْءُ إِلَيْهِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ - مُتَنَطِّعًا - : « يَتَوَيَّ فَرَضَ الْوَقْتِ »^(٥) .

وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ كَانَتْ عَلَيْهِ صَلَاةٌ^(٦) مَنَسِيَّةٌ فَهُوَ يَقْضِيهَا ، فَيَفْتَقِرُ إِلَى التَّمْيِيزِ .

وَتَنَطَّعَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ : « أَقُولُهَا بِلِسَانِي »^(٧) .

(١) فِي (د) - أَيْضًا - : يُتِمُّ .

(٢) فِي (د) : يُخِلُّ بِمَا .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ : كِتَابُ الْأَذَانِ ، بَابُ مَتَى يَسْجُدُ مِنْ خَلْفِ الْإِمَامِ ، رَقْمٌ : (٦٩٠ - طَوْق) .

(٤) فِي (د) : الْحَنِفِيَّةُ .

(٥) ذَكَرَ ذَلِكَ الْإِمَامُ أَبُو الْمَعَالِي فِي نَهَايَةِ الْمَطْلَبِ : (١١٧/٢) ، وَأَحَالَ عَلَى كِتَابِهِ « الْأَسَالِيبِ » ، وَلَعَلَّ ابْنَ الْعَرَبِيِّ أَخَذَهُ مِنْ هَذَا ، فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْكُتُبِ الَّتِي أَدْخَلَهَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَيَنْظُرُ : الْإِحْيَاءُ : (ص ١٨٠) .

(٦) سَقَطَتْ مِنْ (س) وَ(ص) .

(٧) نَهَايَةِ الْمَطْلَبِ : (١٧٠/٢) .

وليسَتْ حينئذِ بِنِيَّةٍ^(١)، ولم يُشْرَعْ عندنا افتتاحُ قولٍ قبل النيةِ .
وبعد التكبير؛ اختلف الناس فيما يُقال ويُقرأ .
وجاء بعضهم بالدردبيس^(٢) فقال: «يُجَرِّدُ الْإِيمَانَ، وَيُخْضِرُ
التَّوْحِيدَ»^(٣).

وهذا باطلٌ قطعاً، فإن هذا يُلْزَمُ في كُلِّ فِعْلٍ طَاعَةٍ أَوْ تَرْكِ، ولا يمكن
هذا، فلم يَبْقَ إِلَّا أَنَّ حُكْمَ الْإِيمَانِ عَلَيْهِ مُسْتَرَسِلٌ، وتكفي نِيَّةُ الْقُرْبَةِ لِلْأَمْرِ
بِهَا، أَوْ نِيَّةُ التَّركِ لِلنَّاهِي عَنْهُ، وقد قال تعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿فَلْيَنْصَلِّ إِذَا صَلَّى﴾
وَنُتَسَكَّى وَمَحَبَّاتٍ وَمَمَاتٍ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿[الأنعام: ١٦٤-١٦٥]،
فليس على العبد أكثر من ذلك .

[نَقْدُ قول ابن رشد في تقديم النية على التكبير]:

وَتَعَدَّى حَدَّهُ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ فَقَالَ: «يَجُوزُ تَقْدِيمُهَا قَبْلَ
التَّكْبِيرِ»^(٤)، حَمَلًا عَلَى مَسْأَلَةٍ فِي الطَّهَارَةِ - لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي الرِّوَايَةِ - فِي
الْحَمَامِ وَالنَّهْرِ، وَلَوْ صَحَّتْ لَمَّا حُمِلَ أَصْلٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ؛ وَهُوَ النِّيَّةُ فِي
الصَّلَاةِ، عَلَى فَرْعٍ مُخْتَلَفٍ فِيهِ؛ وَهُوَ النِّيَّةُ فِي الْوُضُوءِ، فَهَذَا عَكْسُ
الْإِسْلَامِ، وَقَلْبُ الْأَدْلَةِ، وَلَا يَفْعَلُ هَذَا إِلَّا مَنْكُوسُ الْقَلْبِ^(٥).

(١) في (س): نية .

(٢) الدردبيس: الداهية، تاج العروس: (٦٣/١٦).

(٣) ولأبي المعالي قولٌ قريبٌ منه، ذكره ابن العربي في المسالك: (٣٤٥/٢)،
والقبس: (٢١٠/١).

(٤) هذا قولُ الإمام ابن رُشدٍ الكبير رحمه الله، ذَكَرَهُ فِي الْمَقْدِمَاتِ الْمُمَهَّدَاتِ:
(١٥٦/١، ١٧٠).

(٥) ينظر: القبس: (٢٠٩-٢١٠)، والمسالك: (٣٤٥/٢).

صِفَةُ الْقِرَاءَةِ:

١
[١/٩٩]

يَقْرَأُ الْإِمَامُ وَالْقَدْ بغير خلاف، وَأَمَّا الْمَأْمُومُ فِيمَا جَهَرَ فِيهِ الْإِمَامُ فَلَا^(١) يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ؛ لِأَنَّ فَرَضَهُ / الاستماع والإنصات.

وَأَمَّا الَّذِي يُسِرُّ فِيهِ الْإِمَامُ أَوْ لَا يَسْمَعُهُ الْمَأْمُومُ^(٢) فَلْيَقْرَأْ فِيهِ ضَرُورَةً، فَإِنْ لَمْ يَقْرَأْ بَطَلَتْ صَلَاتُهُ عِنْدِي، وَلَا يَقْرَأُ إِلَّا بِقَلْبِهِ، فَإِنْ قَرَأَ بِلِسَانِهِ وَقَلْبُهُ ذَاهِلٌ لَمْ تُكْتَبْ^(٣) لَهُ، وَلَا أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يُعْرِضُ عَنْهُ، وَمَنْ أَعْرَضَ أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال النبي ﷺ - في صحيح^(٤) الصحيح -: قال الله تعالى: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ؛ فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اقْرَأُوا، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يَقُولُ اللَّهُ: حَمْدَنِي عَبْدِي، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، يَقُولُ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، يَقُولُ اللَّهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فَهَذِهِ الْآيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وَقَرَأْ إِلَى آخِرِهَا، فَهَؤُلَاءِ لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»^(٥).

(١) في (س): لا.

(٢) في (د): في خ: المأمومون.

(٣) في (د): تكتب.

(٤) مَرَّضُهَا فِي (د)، وَلَا مَعْنَى لَتَمْرِضُهَا، فَصَحِّحَ الصَّحِيحُ عِنْدَ الْإِمَامِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ هُوَ كِتَابُ «الْمَوْطَأِ» لِلْإِمَامِ مَالِكٍ رحمته الله.(٥) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: كِتَابُ الصَّلَاةِ، الْقِرَاءَةُ خَلْفَ الْإِمَامِ فِيمَا لَا يَجْهَرُ فِيهِ الْإِمَامُ، (١/١٦١)، رَقْم: (٢٢٦) - الْمَجْلِسُ الْعِلْمِيُّ (الأعلى).

وهذا إنما يكون لسالم القلب حاضِر النية، فهو الذي يَتَّصِفُ بأنه حَمِيدٌ وَمَجْدٌ وَأَثْنَى، ولذلك قال النبي ﷺ: «أما يخشى الذي يَرْفَعُ رأسه إلى السماء في الصلاة أن يُخْطَفَ بصره»^(١)، وذلك أن النبي عليه السَّلام أخبر «أن الله تعالى تَلَقَّاءٌ وَجْهه»^(٢)، فإذا صار الرُّبُّ في قِبَلَتِهِ، وكان - كما صَحَّ - تَلَقَّاءٌ وَجْهه، فكيف يرفع بصره إلى غيره^(٣)؟

والسماءُ قِبْلَةٌ للدعاء، والكعبة قِبْلَةٌ للصلاة، والله فيهما جميعاً؛ تعظيماً وَعِلْماً، وليس فيهما إحاطةً ومكاناً^(٤).

وليعَلِّمَ أنه قائمٌ بين يَدَيِ الله، وهو عليه مقبل^(٥)، فلا يلتفت ولا يعبث، وليُقْبَلْ عليه بقلبه، فإنَّ النية تُحَرِّمُ الكلام والأفعال والأقوال، إلَّا فيما^(٦) كان من^(٧) الصلاة في اليَسِيرِ؛ ضَرُورَةَ البشرية، ونَفْيًا للخرج عن الأمة في هذه المِلَّةِ.

فإذا ركع فليُمَكِّنْ يَدَيْه، وليَهْصِرْ ظَهْرَه، ولا يَرْفَعْ رأسه ولا يَخْفِضْه، وإنما يكون نِصْفُه الأسفلُ قائماً، ونِصْفُه الأعلى نائماً مُعْتَدِلَ النَّوْمِ؛ بحيث

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كتاب الصلاة، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة، رقم: (٤٢٩-عبد الباقي).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد، رقم: (٤٠٦-طوق).

(٣) في (س) و(ف): السماء.

(٤) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص ١٦٤)، والآمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٤٣٩/١).

(٥) في (د): مقبل عليه.

(٦) في (د): ما.

(٧) في (د): ما كان في.

لو جُعِلَ على ظهره كَوْزُ مَاءٍ لَمْ يَنْكَفِ مِنْهُ شَيْءٌ، ثُمَّ يَفْعَلُ كَمَا فِي حَدِيثِ
النَّبِيِّ ﷺ أَمْرًا وَفَاعِلًا^(١)، وَكُلُّ فِعْلٍ مِنْهَا بِخُشُوعٍ وَمِلَاطِفَةٍ وَتَمَلُّقٍ، حَتَّى إِذَا
سَجَدَ عَلِمَ أَنَّهُ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْ رَبِّهِ، فَلْيَكْثِرْ مِنْ تَعْظِيمِهِ وَمَسْأَلَتِهِ، وَلَا يَنْقُرْ
أَرْبَعًا؛ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا، وَإِذَا^(٢) رَكَعَ قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(٣)
وَبِحَمْدِهِ، ثَلَاثًا، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا
كَثِيرًا طَيِّبًا مَبَارَكًا فِيهِ»، فَإِذَا سَجَدَ قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، ثَلَاثًا، فَإِذَا
رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السَّجُودِ^(٤) قَالَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي،
وَارْزُقْنِي»، وَلَا يُخْلِي^(٥) هَذِهِ الْأَحْوَالَ مِنْ^(٦) ذِكْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا أَجْسَادٌ، وَالذِّكْرُ
فِيهَا أَرْوَاحُهَا، وَفِي ذَلِكَ آثَارٌ^(٧) كَثِيرَةٌ صَحَاحٌ، / اطلبوها واذكروها ما أمكنكم
منها. [٩٩/ب]

وَيُكْثَرُ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ بِهَا، فَإِنْ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ الصَّلَاةَ لِأَوَّلِ وَقْتِهَا،
وَالتَّأْخِيرُ جَائِزٌ، وَلَكِنْ إِنْ مَاتَ عَصَاهُ^(٨) قَوْمٌ وَأَثْمُوهُ، وَفَاتَهُ عِنْدَ الْآخِرِينَ مَا
لَا يَنْجِرُ لَهُ أَبَدًا.

وَقَدْ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ»^(٩).

(١) فِي (د): أَمْرًا وَفَاعِلًا.

(٢) فِي (د): فَإِذَا.

(٣) فِي (د) وَ(ص): سُبْحَانَ اللَّهِ.

(٤) فِي (س) وَ(ف): السَّجْدَةُ.

(٥) فِي (ص): تَخْلِي.

(٦) فِي (د) وَ(ص): عَنْ.

(٧) فِي (د): أَخْبَار.

(٨) فِي (د): عَصَوهُ.

(٩) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ: كِتَابُ الطَّهَارَةِ، الْعَمَلُ فِيمَنْ غَلَبَهُ الدَّمُ مِنْ جَرَحٍ

أَوْ رَعَفٍ، (١٢٦/١)، رَقْمٌ: (٩٥-المجلس العلمي الأعلى).

وقال: «من حفظها»؛ يعني: في نفسها، «وحافظ عليها»^(١)؛ يريد:

دَآوَمَ عليها.

ولا يأتي بها صُورَةً بلا رُوح؛ فإنَّ المقصود بها إِصْلَاحُ الباطن وتمرُّينُ الأعضاء في الظاهر؛ باكتساب الدِّلَّةِ، والاعتراف بالعِزَّةِ^(٢) للعلِّيِّ المُتَعَالِي، فلا يستقبلُ القَبْلَةَ بجسده، ويستقبلُ بقلْبِه المعاصي أو الدنيا؛ فيتناقض ظاهره وباطنه، فيكون نوعاً من النفاق، أو إعراضاً^(٣) محضاً عن الله وإقبالاً على غيره، كما قال بعضُ البَطَّالِين^(٤):

أراني إذا صَلَّيْتُ يَمَمْتُ نحوها بوجهي وإن كان المُصَلِّي وَرَائِيَا
ووالله ما أدري إذا ما قَصَّيْتُهَا اثنتين صَلَّيْتُ الضُّحَى أم ثَمَانِيَا

وهذه حالُ الناس مع دنياهم في عبادتهم اليوم، إلا أن الرجل قد يَتَدَبَّرُ ما يقرأ أو يَعْرِضُ له ذِكْرٌ من أَمْرِ الأُخْرَى^(٥) فَيَلْحَقُهُ سَهْوٌ، وهذا عند الله عَفْوٌ، ولا يقدر على حَبْسِ القلب على فِعْلِ الصلاة إِلَّا صَابِرٌ، كما لا يقدر على الدخول فيها إِلَّا صَابِرٌ، ولأجلِ هذا قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ من قول عمر رضي الله عنه: كتاب وقوت الصلاة، وقوت الصلاة، (١٠٠/١)، رقم: (٧-المجلس العلمي الأعلى).

(٢) في (د): بالعز.

(٣) في (د) و(ص): وإعراضاً.

(٤) البيتان من الطويل، ووقع في نسبتها وألفاظها وترتيبها خلاف، فهي للمجنون في ديوانه (ص ١٢٤) بترتيب آخر، وهما في الأمالي: (٢١٤/١) منسوبان له أيضاً بتأخير وتقديم، ونسب الثاني له ابن حجة في قصيدة في خزانة الأدب: (٤٢٤/١)، ونسب الثاني لذي الرِّمَّة، وهو في ديوانه: (١٣٠٩/٢).

(٥) في (د): الآخرة.

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴿البقرة: ٤٤﴾ ، وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْمَصْلِي يَنَاجِي رَبَّهُ»^(١) ، وما تجلَّى الله لشيءٍ إِلَّا خَشَعَ لَهُ ، إِلَّا قَلْبَ الْغَافِلِ .

وَمَنْ حَفِظَ الصَّلَاةَ أَنْ تَدْخُلَ فِيهَا بِالْهَيْبَةِ^(٢) وَبِالتَّعْظِيمِ ، وَتَقُومَ فِيهَا بِحَالَةِ الْأَدَبِ .

وَنَعَتْ الْخُشُوعَ تَفْرِيعُ الْقَلْبِ لَهَا ، وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ - إِذْ كَانَتْ الْخُمُرُ حَلَالًا -: ﴿لَا تَفْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَبَرَى﴾ [النساء: ٤٣] ، لِأَنَّهُ يُفَوْتُ مَعَهُ^(٣) رُوحَ الصَّلَاةِ ؛ مِنْ حَضُورِ النِّيَّةِ ، وَفَهْمِ الْقِرَاءَةِ ، وَلُزُومِ الْخُشُوعِ ، وَتَحْقِيقِ قَصْدِ الْقُرْبَةِ .

قَالَ الْحَارِثُ وَأَصْحَابُهُ: «وُسْكُرُ الْغَفْلَةِ أَشَدُّ مِنْ سُكْرِ الْخَمَرَةِ»^(٤) إِذَا اسْتَوْلَى حُبُّ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ ، وَتَرَكَتْ شُغُوبَهَا^(٥) عَلَى الْقَلْبِ ؛ لِأَنَّ سُكْرَ الْخَمْرِ مِنْهُ إِفَاقَةٌ ، وَهَذِهِ لَا إِفَاقَةَ مِنْهَا^(٦) .

طَهَارَةُ الصَّلَاةِ:

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٧] ، فَأَمَرَ بِالطَّهَارَةِ لِلصَّلَاةِ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الصَّلَاةِ وَمَوَاقِيتُهَا ، بَابُ الْمَصْلِيِّ يَنَاجِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، رَقْمٌ: (٥٣١- طُوق) .

(٢) فِي (د) وَ(ص) وَ(ف): تَدْخُلُ فِيهَا ، مَرَضُهَا فِي (د) ، وَفِي (س): تَخْرُجُ فِيهَا ، وَفِي (ز): مِنْهَا .

(٣) فِي (س) وَ(ف): مِنْهُ .

(٤) فِي (د): الْخَمْرُ .

(٥) فِي (د): شُغُوبَهَا ، وَفِي (ز): شُغُوفَهَا . (٦) فِي (س): لَهَا .

وقال علماؤنا: «إن طهارة العلانية هذه الآلية، وطهارة السرائر مشروعةٌ مثلها وأكد»^(١)»^(٢).

وكما أن طهارة الأبدان الماء، فكذلك طهارة السرائر التقوى، فإن فاتت فالتوبة، وما جُعِلَتْ هذه^(٣) الطهارة/ في هذه الأعضاء إلا أنها محلُّ الخطايا، فإذا قَارَفَتْهَا طَهَّرَهَا الماءُ بالنية؛ فَنَظَّفَهَا عن الذي تَرَحَّصَتْ^(٤) به، وغسلها ممّا توسَّخت منه، ولو لم تكن نيّة ما كانت طهارة، ولا وقعت كفّارة، وإن لم تجد ذلك وَقَعَتْ دَرَجَاتٍ وَقُرْبَةً.

قالوا^(٥): وكما عليك غَسْل وجهك إذا أردت استقبال الله به فاغسله بالنية عن بَذْلِهِ لِلْأَشْكَالِ المحتاجين مثلك؛ الذين لا يقدرّون على شيء لك إلا به^(٦)، وأَقْبِلْ بوجهك الذي هو الْقَصْدُ إلى الله وحده دون مَرْجِه بغيره، فإنه قد أَقْبَلَ عليك، واغسل يديك عن ملامسة الحرام، حتى ترفعهما إلى الله طاهرتين عن نَثْنِ^(٧) الآثام، وأنت^(٨) تَسْتَعِظُ وتَسْتَنْكِفُ عن رَفْعِهما^(٩) إليه مملوءتين نَثْنًا، وما تَنَاولَتْ بهما وجمعتَ فيهما أَنْتَ مِمَّا اسْتَنْتَنَتْ،

(١) في (د): وأكثر، وفي (ص) و(ز): وأكبر.

(٢) لطائف الإشارات للتقشيري: (٤٠٥/١).

(٣) سقطت من (د) و(ص).

(٤) في (س): ترخصت.

(٥) لطائف الإشارات للتقشيري: (٤٠٥/١)، وزاد عليه ابن العربي زيادات.

(٦) في (س) و(ف): بك.

(٧) سقطت من (د) و(ص).

(٨) في (د) و(ص) و(ز): فأنت.

(٩) في (د): رفعها.

وكما تَطَهَّرُ الرَّأْسُ عَنْ قَتَرَةٍ^(١) تَعْلُقُ^(٢) به ، فتطهيره عما في باطنك من نَحْوَةِ كَبِيرٍ^(٣) ، وَعَجْرَفِيَّةٍ عُجْبٍ ، أَوْ تَوَاضِعٍ لِمَلِكٍ ، أَوْ لَغْنِيٍّ ، أَوْ لظالم ، أَوْ فِي غَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا أَوْ كَدِّ عَلَيْكَ^(٤) ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ شَرَّفَهُ وَشَرَّفَكَ بِهِ ، فَلَا يَكُونُ لَكَ عَمَلٌ إِلَّا طَاعَةً مِنْ شَرَّفَكُمَا ، وَأَنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِغَسْلِ الرَّجْلَيْنِ ، وَهُمَا بِرِيدَاكَ ، فَصُنَّهُمَا عَنِ الثَّقَلِ فِيمَا لَا يَحِلُّ لَكَ .

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٧] ، فَأَوْجَبَ غَسْلَ جميع البدن ، فَطَهَّرَ أَنْتَ سِرَّكَ كُلَّهُ عَنْ عُمُومِهِ بِالْمُحَرَّمَاتِ ، أَوْ عِمَارَتِهِ بِالْبَطَالَاتِ ، أَوْ انسيابه فِي أَوْدِيَةِ الْعَفَلَاتِ .

وكما إِذَا لَمْ يَجِدِ الْمُتَطَهِّرُ^(٥) الْمَاءَ وَأُعْطِيَ التُّرَابَ بَدَلًا مِنْهُ ، فَكَذَلِكَ إِذَا لَمْ يَجِدِ الْمُكِبُّ عَلَى الْمَعَاصِي مُحَمَّدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ فَلْيُلْجَأْ إِلَى اسْتِغْفَارِ اللَّهِ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] ، أَوْ يَسْتَعِينُ بِإِشَارَاتِ الصَّالِحِينَ ، وَسِيَرَةِ^(٦) الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ ، فَلَنْ يَعْذَمَ مِنْ عِنْدِهِمْ تَسْلِيدًا ، وَلَنْ يَفْقَدَ مِنْ لَدُنْهُمْ مَزِيدًا إِنْ كَانَ مُرِيدًا^(٧) .

(١) فِي (د): قَتَر .

(٢) فِي (د): عَنْ قَتَرٍ يَتَعْلَقُ .

(٣) فِي (د): وَكَبِير .

(٤) سَقَطَتْ مِنْ (س) .

(٥) ضَبَبَ عَلَيْهَا فِي (د) .

(٦) فِي (د): بِسِيرَةٍ .

(٧) فِي (س) وَ(ف) وَ(ص): لَا .

(٨) يَنْظُرُ: لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ: (٤٠٥/١) .

أخبرني أبو بكر الصوفي^(١) - شيخي الأول - قال^(٢): «جاءني رجل فقال لي: إنه لم يَبْقَ ذَنْبٌ في الدنيا إِلَّا ارتكبه، ولا معصية إِلَّا أْتَيْتَهَا، ولا كبيرة إِلَّا تَلَبَّسْتُ بها، فماذا ترى لي؟ قال: ورَأَيْتُ في وجهه سُفْعَةً إصرار، وبَشَرَةً تَمَادٍ واستمرار، فقلت له: يا هذا، وهَلَّا أَبْقَيْتَ للصِّلحِ مَوْضِعًا، فَبَدَّرَنِي بالجواب قبل أن أُتِمَّ الكلام، وقال لي: وأيُّ مَوْضِعٍ للصِّلحِ أَعْظَمُ مِنْ أن^(٣) وَجْهِي لم يَسْجُدْ قَطُّ لسواه، ولا مَرَّغْتُهُ في التراب لغيره، فهالني قوله، وأعجبني لُبُّهُ^(٤)، وقلت له: أرجو لك الخير، والتَّوْبَةُ تَمْحُو جميع ما ذَكَرْتَ، ولا يَتَعَاظَمُ معها ذَنْبٌ مِمَّا وَصَفْتَ».

وقال^(٥) شيوخُ نيسابور: «إِذَا عَدِمَ المُرِيدُ صِحَّةَ الإرَادَةِ فليُثْبِلْ على وظائفِ العِبَادَةِ، فإن جوارحه إِذَا تَمَرَّنَتْ بها سَكَنَ / قَلْبُهُ إِلَيْهَا، فاستنار له ما كان أَظْلَمَ، وانشرح ما أُبْهِمَ عليه واستَعْجَمَ، فهي شِفَاءُ العليل^(٦)، وأنْسُ المُسْتَوْحِشِ^(٧)».

كان النبي ﷺ يقول: «يا بلال، أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»^(٨)، فأخبر أنه ما كان

(١) هو الإمام أبو بكر الطرطوشي، تقدّم التعريف به في السُّفَرِ الأول.

(٢) في (س): فقال.

(٣) سقطت من (س).

(٤) في (د) و(ص): ثُبُلُهُ.

(٥) في (س) و(ف): قال.

(٦) في (س) و(ص) و(ف): الغليل.

(٧) في (س): المتوحش.

(٨) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، رقم:

(٤٩٨٥-شعيب).

يَجِدُ رَاحَةً إِلَّا فِيهَا، وَلَمْ لَا؟ وَهِيَ مَنَاجَاةُ الْمَوْلَى بِأَسْرَارِ الْبَلَاءِ وَالْإِبْتِلَاءِ،
وَهِيَ غَايَةُ لَذَّةِ الْأَدَمِيِّينَ، وَمُنْتَهَى أُمْنِيَةِ الطَّالِبِينَ.
وَيَاهَا عَنِّي بَعْضُ الْبَطَّالِينَ حِينَ قَالَ^(١):

وَإِنِّي لَأَسْتَغْشِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ لَعَلَّ خَيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خَيَالِيَا
وَأَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْجُلُوسِ لَعَلَّنِي^(٢) أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ بِاللَّيْلِ^(٣) خَالِيَا^(٤)

أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرِ النَّجِيبُ بْنُ الْأَسْعَدِ^(٥) الصُّوفِي^(٦)، قَالَ^(٧): أَخْبَرَنَا^(٨)

(١) فِي (س) وَ(ف): فَقَالَ.

(٢) فِي (د): لَعَلِّي.

(٣) فِي (د): يَا لَيْلٍ.

(٤) الْأَبْيَاتُ لِلْمَجْنُونِ، وَتَقَدَّمَ تَخْرِيجُهَا.

(٥) فِي (س) وَ(ف): الْأَشْقَرُ.

(٦) الْإِمَامُ الْمُحَدِّثُ الْعَلَّامَةُ، مُحَمَّدُ بْنُ طَرْحَانَ بْنِ يَلْتَكِينَ بْنِ مُبَارِزِ بْنِ بَجْكَمِ
التركي، أَبُو بَكْرِ النَّجِيبُ بْنُ الْأَسْعَدِ الصُّوفِي الْبَغْدَادِي، (٤٤٦-٥١٣هـ)،
وَالطَّرْحَانُ: اسْمٌ لِلرَّيْسِ الشَّرِيفِ فِي قَوْمِهِ، وَضَبَطَهُ السَّيِّدُ الزَّيْدِيُّ بِالْفَتْحِ، وَغَلَطَ
مَنْ ضَبَطَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ، فَقَالَ: «وَلَا تَكْسِرْ وَإِنْ فَعَلَهُ الْمُحَدِّثُونَ، وَالصَّوَابُ الْاِقْتِصَارُ
عَلَى الْفَتْحِ»، تَاجُ الْعُرُوسِ: (٣٠٢/٧)، وَكَانَ ذَا حِظٍّ مِنْ عِبَادَةِ وَتَأْلِهِ وَزُهْدِهِ،
لَقِيَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ بِبَغْدَادَ، وَسَمِعَ مِنْهُ الْكَثِيرَ، وَمِنْ طَرِيقِهِ يَتَصَلَّى بِكِتَابِ «جَذْوَةِ
الْمُقْتَبَسِ» لِابْنِ قُتُوبِ الْأَنْدَلُسِيِّ، قَرَأَهُ عَلَيْهِ بِدَرْبِ نُصَيْرٍ، وَرَوَى عَنْهُ أَيْضًا:
«الْمَغَازِي وَالسَّيَرُ» لِابْنِ إِسْحَاقَ، وَ«أَدَبُ الدُّنْيَا وَالِدِينِ» لِلْمَاوَرِدِيِّ، وَ«كِتَابُ
الْغُرَبِيِّينَ» لِلْهَرَوِيِّ، وَغَيْرَهَا، يَنْظُرُ: قَانُونُ التَّأْوِيلِ: (ص ٢٩١) - وَلَمْ يَعْرِفْهُ
مُحَقِّقُهُ، فَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ شَيْئًا -، وَفَهْرَسُ ابْنِ خَيْرٍ: (ص ٢٨١)، وَسِيرُ النُّبَلَاءِ:
(٤٢٣/١٩)، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَةِ لِلتَّاجِ: (١٠٦/٦-١٠٧).

(٧) سَقَطَ مِنْ (س) وَ(ص) وَ(ف).

(٨) فِي (س): أَخْبَرَنِي.

أبو عبد الله الرضا في الصوفي^(١): أخبرنا^(٢) علي بن سعيد^(٣): أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوارث قال: «رأيت يحيى بن مالك بن عائذ^(٤) - وهو شيخ كبير - يَهَادِي إلى المسجد، وقد دخل والصلاة تُقام، قال: فسمعتُه يُنشدُ بأعلى صوته:

يا ربُّ لا تَسْلُبْنِي حُبَّهَا أَبَدًا وَيَرْحَمْ اللهُ عَبْدًا قال آمينًا^(٥)
قال: فلم أَشْكُ أنه يريد^(٦) الصلاة^(٧).

قال علماؤنا: وهذا كله إنما يريد الله به تَطْهِيرَنَا، وَإِنَّمَا يَرْجِعُ إلى منفعتنا؛ فإن الباري تعالى مُقَدَّسٌ أن يرجع إليه نَفْعٌ أو يَنَالَهُ مِنَّا خَيْرٌ، فَيُطَهَّرُ أبداننا عن الأقدار ليَجْعَلَ ذلك عُنْوَانًا لَنَا؛ لِنُطَهَّرَ عن المعاصي ظَوَاهِرَنَا، وعن الرذائل قُلُوبَنَا، وعن الغفلات سَرَائِرَنَا، وَنُطَهَّرَ نِيَّاتِنَا عن التَّعَلُّقِ بالأمثال، وَأَمَّا نَا عَنْ الإِكْبَابِ عَلَيْهَا فِي مُتَعَلِّقَاتِ الدُّنْيَا وَالِاشْتِغَالِ بِهَا، وَنُطَهَّرَ^(٨) عقائدنا عن تَوَهُّمِهِ أو اتِّهَامِهِ^(٩).

(١) هو الإمام العلامة المحدث، أبو عبد الله محمد بن فُتُوح الحُمَيْدي الظاهري، توفي عام ٤٨٨هـ، لم يدركه ابن العربي، وإنما أدرك تلاميذه.

(٢) (س): أخبرني.

(٣) هو الإمام الحافظ أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الظاهري، توفي عام ٤٥٦هـ بلبلة، ويتصل به ابن العربي وبمصنفاته من جهة والده الوزير أبي محمد، رحمهما الله ورضي عنهما.

(٤) في (ص) و(س): عائذ.

(٥) البيت من البسيط، وهو لمجنون ليلي في ديوانه: (ص ٣١).

(٦) في (د): أراد.

(٧) جذوة المقتبس: (ص ١٥٨).

(٨) في (د): يطهر.

(٩) في (س) و(ف): واتهامه.

قال تعالى: ﴿وَلَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٧] ، لِإِتْمَامِ^(١) النِّعْمَةِ وَجُودِهَا لَا تُخْصَى^(٢):

فمنها^(٣): التيسير للاعتمال بها.

ومنها: التماضي فيها.

ومنها: المحافظة عليها.

ومنها: القَبُولُ لها.

ومنها: الاعتصام بها.

فإنَّ المصلي في ذمة الله، وذِمَّةُ الله لا تُخْفَرُ، ولذلك ينبغي للعبد عَقْدُهَا حتَّى تشتد مرابطها، وتستحكم معاقدها، فلا يكون للشيطان مَدْخَلٌ إليها، ولا لِسُوءِ^(٤) المقدار عَمَلٌ فيها، وهذا معنى قوله: ﴿أَفِيْمُوا الصَّلَاةَ﴾؛ حيث وَقَعَ.

أي: لَا زِمُوا وأديموا^(٥) مناجاتي فيها، ولا تُخْلُوا بِشَرِّطٍ، ولا تَلَبَّسُوا بِسُوءِ أدب، وما تكرهونه فلا تأتونه.

أخبرنا الشيخ^(٦) أبو الحُسَيْن^(٧) الأَزْدِي^(٨): أخبرنا الحسن بن

(١) في (س) و(ص): إتمام.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (٤٠٦/١).

(٣) في (س) و(ف) و(ص): منها.

(٤) في (س): في خ: لسوى الله، وصحَّحه.

(٥) في (س): داوموا.

(٦) في (س) و(ف): أنا.

(٧) في (ص): الحسن.

(٨) هو الإمام ابن الطيوري، تقدَّم التعريف به في السِّفَرِ الأوَّل، ويروي عنه هنا كتاب «الزهد» للإمام أحمد بن حنبل.

علي^(١): أخبرنا ابنُ حمدان: أخبرنا عبد الله بن حنبل عن أبيه أحمد^(٢):
 حَدَّثَنَا عمر بن أيوب: أخبرنا جعفر عن^(٣) ميمون قال: «إِنَّ^(٤) حذيفة وسلمان
 نَزَلَا عَلَى قِنَطِيَّةٍ، فَلَمَّا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَالَا: أَهَاهُنَا^(٥) / مَكَانٌ طَاهِرٌ يُصَلَّى^(٦)
 فِيهِ؟ قَالَتْ: طَهَّرَ قَلْبُكَ، قَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: خُذْهَا كَلِمَةً حِكْمَةً مِنْ قَلْبِ
 كَافِرٍ، وَقَالَ لَهَا سَلْمَانُ: فَقُهِتِ^(٧)».

زِينَةُ^(٨) الصَّلَاةِ:

ولقد أَمَرَ اللهُ تعالى بالسُّتْرَةِ فيها، لما^(٩) يَنْبُحُ مطالعته من المنظر^(١٠)
 إِلَى العورة، وَمَنْ بها على الخليفة فقال: ﴿يَبْنِي عَادَمٌ فَدَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ
 لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّفَوُّيِّ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٥]،
 فَقَبَّحَهَا لَنَا، وَأَمَرْنَا^(١١) بَسْتَرَهَا بِلِبَاسٍ هَيَّأَ^(١٢) مَنَافِعَهُ، وَأَلْهَمَ استعماله.

(١) هو أبو محمد الجوهري، ينظر: فهرس ابن خير: (ص ٢٨٧).

(٢) مرضه في (د)، وفي الطرة: ابن أحمد، وصححه.

(٣) في (د): بن.

(٤) سقطت من (س) و(ص).

(٥) في (س) و(ص): هاهنا.

(٦) في (ص): نُصَلِّي.

(٧) الزهد للإمام أحمد: (ص ١٨٩).

(٨) في (د): رتبة، وفي (س): نية.

(٩) في (س) و(ف) و(ص): فيما تقبح.

(١٠) في (ص): النظر، في (س): النظرة.

(١١) في (د) و(ص): أمر.

(١٢) في (د) و(ز): مُبَيَّنًا.

ثم قال: وثوب التقوى - لاتخاذ^(١) الوقاية به من الذنوب - خير؛ فإن لباس الدنيا يقي من آفاتِها، ولباس التقوى يقي من آفات الدنيا والآخرة^(٢).
وزينة المسجد الذي جعل عبارة عن الصلاة في الظاهر منع الجاهلية من كشف العورة عند الطواف بالبيت.

وإذا كان العبد طائعاً لمولاه دائماً، وطالباً لجدواه مستمراً؛ فليتزین باللبسة المعدة لذلك، وهي حلة التقوى، وصيانة النجوى، والخروج إلى الحقيقة عن الدعوى.

مزید فضل:

ومن كرم المولى أنه ضرب لعباده ميقاتاً لمناجاته في معظم الأوقات إلا في ثلاثة؛ عند وقوف الشمس في كبد السماء، وبعد الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب.

وقد شرف موسى بأن ضرب له ميقاتاً للمناجاة، وواعده للملاقاة، وشرف موسى بالمكاشفة^(٣)؛ وأنت - أيها العبد - مخاطب أيضاً ومكلم، ولكن ستسمع^(٤) في معادك^(٤) وميقاتك في الجنة.

موعظة:

واعلموا - معشر المريدين - أن الصلاة إن لم تكن بالقلب وتقام بالجهر والسر^(٥) كانت مردودة على صاحبها، فإنها ناقصة في ذاتها، ولو

(١) في (س): لاتحاد.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٥٢٨).

(٣) في (س) - أيضاً -: بالمكالمة.

(٤) في (س): معادك. (٥) في (س): بالسر والجهر.

نَقَصَ شَرْطٌ مِنْ شُرُوطِهَا لَكَانَتْ نَاقِضَةً^(١)، فَكَيْفَ إِذَا ذَهَبَ رُوحُهَا؟ وَلَوْ أَنَّ عَبْدَكَ يَخْدُمُكَ وَقَلْبُهُ مَعَ غَيْرِكَ لَاسْتَحَقَّ عِنْدَكَ الْعُقُوبَةَ، أَوْ لَاسْتَوْجَبَ الْحَيَبَةَ.

وقد دعاك ربك إلى استغراق أوقاتك في عباداته^(٢) فقال: ﴿وَأَفِمْ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَى مِنَ اللَّيْلِ﴾ [مود: ١١٤]، فَإِنْ إِخْلَاءَ لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَانِ دُونَ خِدْمَةِ حَسْرَةٍ وَنِقْمَةٍ.

وَأَنْتَ - أَيُّهَا الْعَبْدُ - تَسْتَكْثِرُ أَوْ تَسْتَغْظِمُ أَنْ تَسْجُدَ أَوْ تُمَظِي أَوْقَاتَكَ كُلَّهَا مَعْمُورَةً بِالسَّجُودِ لَهُ، وَلَهُ ﴿يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، وَأَنْتَ إِذَا سَجَدْتَ طَوْعًا فَقَدْ حُزَّتِ الْمَرْتَبَةُ الْعُلْيَا، وَالَّذِي يَسْجُدُ كَرْهًا عِنْدَ حُلُولِ الْبَلَاءِ بِهِ خَاصَّةً هُوَ الْكَافِرُ.

فَأَنْتَ تَجَنَّبُ أَنْ تَسْجُدَ تَقِيَّةً لَشَيْءٍ، أَوْ اجْتِلَابًا لَشَيْءٍ، وَإِنَّمَا تَكُونُ طَاعَةً وَقُرْبَةً، وَيَكُونُ سَجُودُكَ بِقَلْبِكَ قَبْلَ جِسْمِكَ، وَبِقَصْدِكَ قَبْلَ وَجْهِكَ، وَذَلِكَ بَعْدَ تَحَقُّقِكَ أَنَّهُ / هُوَ^(٣) الَّذِي يَخْلُقُ سَجُودَكَ وَرُكُوعَكَ، وَقَصْدَكَ وَنِيَّتَكَ، وَجَمِيعَ أَحْوَالِكَ وَصِفَاتِكَ، فَهَذِهِ عَقِيدَةُ الْأَبِ الْأَكْرَمِ، وَخَيْرِ الْبَرِيَّةِ الْمُعْظَمِ، إِبْرَاهِيمَ الْمُقَدَّمِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُفِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٢]، فَسَأَلَهُ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ أَفْعَالَ الصَّلَاةِ، إِذِ الْجَعْلُ: الْخَلْقُ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْأَعْمَالُ الَّتِي تَقُومُ بِأَبْدَانِ الْعِبَادِ مِنْهَا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَظِيمٌ^(٤) فِي الرَّدِّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ فِي دَعْوَاهُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْلُقُ أَعْمَالَ

(١) فِي (ص) وَ(س) وَ(ف): نَاقِضَةٌ.

(٢) فِي (ص): عِبَادَتَكَ، وَفِي (س) وَ(ف): عِبَادَتِكَ.

(٣) سَقَطَ مِنْ (د) وَ(ص). (٤) سَقَطَ مِنْ (س) وَ(ز).

العباد، وهم الذين يخلقونها، تعالى الله عن^(١) أن يشدَّ شيءٌ عن علمه^(٢) وقدَّرته^(٣).

وأنت تُناجيه وهو قِبَل وجهك فلا تُعرض عنه، ولا تلتفت إلى سواه؛ فإن ذلك اختلاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشيطانُ من صلاتك^(٤)، وكان النبي ﷺ لا يلتفت؛ لا في الصلاة ولا في غيرها، وكذلك كان أبو بكرٍ لا يلتفت في الصلاة^(٥).

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: «خرج النبي ﷺ لحاجته وكان لا يلتفت^(٦)»، وقد تقدَّمت وصيَّة يحيى^(٨) عليه السَّلام عن الله: «بأن لا تلتفتوا في الصلاة»^(٩).

(١) سقط من (س) و(ز).

(٢) مرَّضها في (د)، وكتب في الطرة: خلقه، من غير تصحيح لها.

(٣) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص ٢٦١)، والأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٢٩٤).

(٤) حديث: «هو اختلاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشيطانُ من صلاة العبد»؛ أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ؓ: كتاب الأذان، باب الالتفات في الصلاة، رقم: (٧٥١-طوق).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي ؓ: كتاب الأذان، باب من دخل ليؤم الناس فجاء الإمام الأول، رقم: (٦٨٤-طوق).

(٦) قوله: «في الصلاة»، وروى البخاري عن أبي هريرة قال: خرج النبي ﷺ لحاجته وكان لا يلتفت» سقط من (س).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوضوء، باب الاستنجاء بالحجارة، رقم: (١٥٥-طوق).

(٨) في (ص): يحيى بن زكرياء عليهما السَّلام.

(٩) سبق تخريجه.

الاستراحة إلى الصلاة من أنكد الدنيا وشُغوبها:

ولقد قال الله تعالى لِنَبِيِّهِ وَصْفِيَّهِ عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨] ، فقد آتيناك من القرآن ما هو خير^(١) منهم ، حتى قال بعض الْمُتَزَهِّدَةِ^(٢): «إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ بَصَرَ مُحَمَّدٍ عَنِ الْخَلْقِ ، وَأَرْسَلَ بَصَرَ مُوسَى إِلَى الْجَبَلِ» .

وهذا تقصير ؛ إنما أرسل الله بَصَرَ مُوسَى عَلَى الْجَبَلِ دِلَالَةً وَعِبْرَةً ، وقال لرسوله عليه السَّلَام: ولا تحزن على ما فاتك منهم من إقبالٍ عليك ، وأَعْلِمُهُمْ بِأَنَّكَ^(٣) نَذِيرٌ بِعَذَابٍ يَنْزِلُ بِهِمْ كَنْزُولُهُ بِمَنْ تَقَاسَمَ مِنْ قَوْمٍ صَالِحٍ ، وبِمَنْ قَسَمَ كِتَابُنَا إِلَيْكَ ؛ فَأَمَّنَ بَعْضُهُ وَكَفَرَ بَعْضُهُ ، وَاضْدَعُ بِمَا تَوَمَّرَ ، وَأَعْرَضَ عَمَّنْ لَا يَقْبَلُ ، فَقَدْ كَفَيْنَاكَ مِنْ يَسْتَهْزِئُ بِكَ ، وَنَحْنُ عَالِمُونَ بِضَيْقِ صَدْرِكَ بِقَوْلِهِمْ ، فَإِنْ آذَوْكَ بِالْكَلَامِ الْقَبِيحِ فَأَسْمِعْنَا نَحْنُ مِنْكَ الْكَلَامَ الْحَسَنَ ، وَنَاجِنًا فِي سَجُودِكَ ، فَذَلِكَ سَلْوَةٌ لَكَ .

لَمَّا عَلِمَ اللَّهُ مِنْ اسْتِغْرَاقِ قَلْبِ مُحَمَّدٍ وَعِلْمِهِ ، بِأَنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهِ مَحَلٌّ لغيره ، قال الله له: قِفْ^(٤) فِي هَذَا الْمَقَامِ وَاسْتَمِرْ عَلَى الْعِبَادَةِ ، فَسَيَأْتِيكَ يَقِينٌ مَا عِنْدَكَ عِلْمُهُ ، أَوْ يَقِينٌ مَا أَخْبَرْنَاكَ بِهِ ، فَيَأْتِيهِمْ يَقِينُهُمْ عَلَى شَكٍّ ، وَيَأْتِي يَقِينُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى يَقِينٍ سَابِقٍ يَرْدِفُ يَقِينَ مُشَاهِدَةٍ عَلَى يَقِينٍ تَصْدِيقٍ ، وَكَذَلِكَ قَالَ لَهُ: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] .

(١) فِي (د) وَ(ص): خَيْرًا .

(٢) هُوَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ ، يَنْظُرُ: لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ: (٢/٢٨٠) .

(٣) فِي (س): أَنْكَ . (٤) فِي (س) وَ(ص): وَقِفْ .

فإذا عَمَّتْ عبادتُك جميع الأوقات أَحَلَلْنَاكَ عندنا بأعلى الدرجات ،
فينبغي لكل من نزل به مَكْرُوهٌ ، أو ضاق صدره بأمرٍ أن يلجأ إلى الصلاة ؛
فإنها رَاحَةٌ الفؤاد ، ورَأْسُ الاعتماد .

وقال الله تعالى لموسى : / ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٣] .

[١/١٠٢]

قيل : «لَتَذَكِّرُنِي فِيهَا وَأَذَكِّرُ بِهَا»^(١) .

وقيل : «عند خَلْقِ الذَّكْرِ لك بها»^(٢) .

والكلُّ صحيح .

فالأَوَّلُ : شَرَفٌ .

والثاني : شَرْطٌ .

وَشَرَفُ الشيء بِشَرْطِهِ ، وبذلك يُدْرِكُ الفوزُ والنجاة ، وَيَحْصُلُ الفلاح
والمُلْكُ ، كما قال الله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢] ، فتستوي في الشرف سرائرهم وعلايتهم ، و تخشع
بواطنهم بِخُشُوعٍ^(٣) ظواهرهم .

كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : «سبحانك اللهم وبحمدك ،
اللهم اغفر لي ؛ يتأَوَّلُ القرآن»^(٤) ، وَيُكْثِرُ من ذلك .

(١) الكشف والبيان : (٢٤٠/٦) .

(٢) الكشف والبيان : (٢٤١/٦) .

(٣) في (س) و(ص) : خشوع .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ؓ : كتاب الأذان ، باب
التسبيح والدعاء في السجود ، رقم : (٨١٧ - طوق) .

وإنما يكون خاشعاً إذا كان قلبه حاضراً، ولسانه ذاكراً، فإن الصلاة جسدٌ وروحٌ ومحاسنٌ، فجسدها الأفعال، وروحها الخشوع والإخلاص، ومحاسنها الذكر.

كان النبي ﷺ إذا كبر يقول: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» [الأنعام: ٨٠]، «إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ امْرَأَتْ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» [الأنعام: ١٦٤ - ١٦٥] ^(١)، فإذا قالها أحدكم فليقل: «وأنا من المسلمين» ^(٢).

ويقرأ ^(٣) فاتحة ^(٤) الكتاب وسورة، وإذا مرَّ بآية رحمة سأل، وإذا مرَّ بآية عذاب استعاذ، فإذا ركع لم يقرأ، ولكنه إن شاء سبَّح، وإن شاء قال ما رُوِيَ قَبْلُ، وإذا سبَّح فليقل كما ^(٥) ثَبَتَ عن النبي ﷺ: «سبحان ربي العظيم وبحمده» ^(٦)؛ ثلاث مرات، وقد تمَّ رُكُوعُهُ، وذلك أدناه.

(١) أخرجه أبو داود في السنن عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: كتاب الصلاة، باب ما يفتح به الصلاة من الدعاء، رقم: (٧٦٠-شعيب).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن عن ابن المنكدر وابن أبي فروة من قولهما: كتاب الصلاة، باب ما يفتح به الصلاة من الدعاء، رقم: (٧٦٢-شعيب).

(٣) في (س) و(ف): فيقرأ.

(٤) في (د) و(ص): الفاتحة.

(٥) في (س): ما.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن مسعود رضي الله عنه: أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود، رقم: (٢٦١-بشار)، والحديث منقطع، وصحَّ من حديث حذيفة رضي الله عنه، أخرجه الترمذي: رقم: (٢٦٢-بشار)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، رقم: (٨٧١-شعيب).

وإذا رَفَعَ رأسه من الركوع قال: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ؛ ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما»^(١)، وملء ما شئت من شيء بعد، أنت أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد»^(٢)، وكلنا لك عبد: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»^(٣)، وهو إذا قال ذلك ووافق^(٤) قَوْلَ الملائكة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه.

وإذا سَجَدَ فليَقُلْ في سجوده: «سبحان ربي الأعلى؛ سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره، وشقَّ سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين»^(٥).
وقال النبي ﷺ في سجوده: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(٦).

ولتُكثِرُوا من الدعاء في سجودكم، قال أبو هريرة: «أَقْرَبُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء»^(٧).

(١) قوله: «ملء ما بينهما» سقط من (س).

(٢) قوله: «أحق ما قال العبد» سقط من (س).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه: كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، رقم: (٤٧٦-عبد الباقي).

(٤) في (د): فوافق.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: (٧٧١-عبد الباقي).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: (٤٨٦-عبد الباقي).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: (٤٨٢-عبد الباقي).

وقد ثبت في الصحيح أنه كان يقول في سجوده: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره، وعلايته وسره»^(١).

والسجود أفضل أحوال الصلاة، فقد روى أبو فراس ربيعة بن كعب الأسلمي حديثاً^(٢) ليس له في الصحيح لمسلم^(٣) غيره، قال: «كنت أبيت مع النبي ﷺ فأتيت به بوضوء^(٤) / وحاجته، فقال لي: سل، قلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود»^(٥).

وروى معدان بن أبي طلحة قال: «لقيت ثوبان فقلت: أخبرني بعمل يدخلني الله به الجنة، فسكت، ثم سألته فسكت، ثم سألته الثالثة، فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: عليك بكثرة السجود؛ فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رَفَعَكَ اللهُ بها درجة، وحطَّ بها عنك^(٦) خطيئة، قال معدان: ثم لقيت أبا الدرداء فسألته، فقال لي مثل ما قال ثوبان»^(٧).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: (٤٨٣- عبد الباقي).

(٢) سقط من (س).

(٣) سقط من (د) و(س).

(٤) في (د) و(ص): وضوئه.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، رقم: (٤٨٩- عبد الباقي).

(٦) في (د) و(ص): عنك بها.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، رقم: (٤٨٨- عبد الباقي).

وكان النبي عليه السلام يُطِيلُ القيام، قال ابن مسعود: «صَلَّيْتُ وراءه فأطال؛ حتى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سُوءٍ، قال الراوي: فقلت له: وَبِمَ هَمَمْتَ؟ قال: هَمَمْتُ أَنْ أَدْعَهُ وَأَنْصَرِفَ»^(١).

وقد قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ أَنْتَ أَلَيْلٌ سَاجِدٌ وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ١٠] ^(٢)، ولم يذكر الركوع. وقيل: هو القنوت قبلهما^(٣).

والصحيح: أن السجود أفضل من الركوع، والركوع أفضل من القيام، وما شَرَعَ القيام عند أهل التأويل إِلَّا ليكون الركوع، والسُّجُودُ يَنْبَنِي^(٤) عليه حقيقةً وحُكْمًا.

تَمِيمٌ:

ثم قال بعد ذلك: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، وقد يكون اللَّغْوُ في الاعتقاد والقَوْلِ والعَمَلِ، والاعتقادُ أَشَدُّ، وما شَغَلَ عن الله فهو لَغْوٌ، والسَّهْوُ لَغْوٌ مَعْفُوفٌ عنه، محمودٌ إذا كان على سُنَّةٍ^(٥).

وقد يكون اللَّغْوُ كُفْرًا إذا كان في الاعتقاد عن الله، وعليه يَحُومُ الشيطان؛ فإنه يبتدئ بالسوسوسة في شُغُوبِ الدنيا، لعله أن يتعلَّقَ بِجُزْءٍ مِنَ اللَّغْوِ فِي جَنْبِ اللَّهِ تعالى.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التهجد، باب طول القيام في صلاة الليل، رقم: (١١٣٥-طوق).

(٢) في (د) و(ص): ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آتَاءُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾.

(٣) في (س): قبلها.

(٤) في (د): يَنْبَنِي.

(٥) في (ص) و(ز): أعلى منه، في (س): بأعلى منه.

وقد يكون اللغو لهواً من الدنيا، فيشغل عن الذكر خاصة، وعن الحق فعلاً، والاعتقاد سليماً، ولكنه مغمورٌ، فالأول كُفْرٌ، وهذا هُجْرٌ.

وإذا كان العبد بين سهوٍ ولغوٍ ولهوٍ وهُجْرٍ كان ممن قال الله فيه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، إلا أن تتداركه خاتمة أو حُرمة سابقة.

[منافع الصلاة]:

ومنفعة الصلاة القيام بحق العادة؛ فإنها تُستخدم فيها الأعضاء كلها؛ ظاهرها وباطنها، ولذلك قال النبي ﷺ لمولاه أفلح - وقد حَجَرَ بين وجهه^(١) التراب^(٢) -: «تَرَبَّ وَجْهَكَ يَا أَفْلَحُ»^(٣)، حديث حسن.

وانصرف النبي ﷺ - في الصحيح - من الصلاة وعلى أنفه وأرنبه أثر الماء والطين^(٤).

وقال النبي عليه السلام: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ؛ الْوَجْهِ، - وأشار بيده على أنفه -، وَالْيَدَيْنِ، وَالرَّجْلَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ»^(٥).

(١) في (س) و(ص) و(ف): بينه وبين وجهه الأرض.

(٢) سقط من (ص) و(س).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن أم سلمة ؓ: كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية النفخ في الصلاة، رقم: (٣٨١-بشار)، وضعفه أبو عيسى.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ؓ: كتاب الأذان، باب السجود على الأنف والسجود على الطين، رقم: (٨١٣-طوق).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس ؓ: كتاب الأذان، باب السجود على الأنف، رقم: (٨١٢-طوق).

وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ^(١) أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ابْنِ آدَمَ / أَثَرُ السُّجُودِ^(٢) .

كَوْنُهُ فِي خُفَارَةِ اللَّهِ:

فَيَأْمَنُ الْخُفْرَةَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ لَمْ يَزَلْ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ»^(٣) .

الوفاء بالعهد:

كما في حديث عبادة المتقدم^(٤)، وكما في حديث مُسْلِمٍ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»^(٥) .

إِدْرَارُ الرِّزْقِ:

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَرَ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَلَفَبَةُ لِلتَّفْوَى﴾ [طه: ١٣١] .

حِمَايَةُ الدِّمِّ:

قال النبي ﷺ: «أليس يصلي؟ قال: بلى، ولا صلاة له، قال: أولئك الذين نهاني الله عنهم»^(٦)، أخذته العامة من الفقهاء فقالوا: قال النبي ﷺ: «نُهِيتُ عَنْ قَتْلِ الْمُصَلِّينَ» .

(١) في (س): الأرض .

(٢) تقدّم تخريجه في السُّفَرِ الأوَّل .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله ﷺ: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، رقم: (٦٥٦- عبد الباقي) .

(٤) تقدّم تخريجه .

(٥) تقدّم تخريجه .

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الصلاة، جامع الصلاة، (٢٣١/١)، رقم: (٤٧٦- المجلس العلمي الأعلى) .

الْإِزْعَوَاءُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ:

ومن فوائد شيخنا^(١) الشهيد أبي سَعْدٍ^(٢) محمد بن طاهر الزَّنْجَانِي رحمه الله - بالمسجد الأقصى - طَهَرَهُ اللهُ^(٣) - قال: «معنى قوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النكبت: ٥٠]، المعنى: ينبغي أن تنهى عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٥]، أي: ينبغي للمؤمن أن يتوكل على الله، فإن رَأَيْتَ أَحَدًا لَا يَتَوَكَّلُ فَلَا يُخْرِجْهُ ذَلِكَ عَنِ الْإِيمَانِ، كذلك صَلَاةٌ لَا تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَا تَخْرُجُ عَنْ أَنْ تَكُونَ صَلَاةً»^(٤).

قال الإمام الحافظ^(٥) أبو بكر بن العربي رحمته الله: وكما قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(٦)، ولا يُخْرِجُهُ ذَلِكَ عَنِ الْإِيمَانِ^(٧). قال علماؤنا الْمُتَزَهِّدُونَ: «إِنَّ الصَّلَاةَ الْحَقِيقِيَّةَ هِيَ الَّتِي تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَخَبَّرَ اللَّهُ حَقًّا، وَحَقِيقَةً وَصِدْقًا، فَكُلُّ صَلَاةٍ لَا تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ فَلَيْسَتْ بِصَلَاةٍ تَامَّةٍ، كَمَا أَنَّ كُلَّ إِيْمَانٍ لَا يَغْرَى عَنِ الْكِبَائِرِ فَلَيْسَ بِإِيْمَانٍ كَامِلٍ، وَلَا يَخْلُصُ إِلَى الْإِيْمَانِ^(٨)، وَهِيَ صُورَةُ صَلَاةٍ، دُونَ رُوحٍ وَلَا مَعْنَى»^(٩).

(١) سقط من (د) و(ص).

(٢) في (س) و(ف): الشهيد أبي سعيد .. الشهيد.

(٣) في (ص): عمره الله بالإسلام، وبعدها في (د) و(ص): رحمه الله.

(٤) لطائف الإشارات: (٩٨/٣).

(٥) في (د): قال الإمام الحافظ.

(٦) تقدم تخريجه. (٧) في (د): من.

(٨) مرّضها في (ص) وفي الطرة: ظ - أي: الظاهر - أمان.

(٩) لطائف الإشارات: (٩٨/٣-٩٩).

وروى^(١) أحمد بن حنبل عن عبد الله -يعني: ابن مسعود-: «من لم تأمره الصلاة بالمعروف وتنهاه عن المنكر لم تَزِدْهُ من الله إِلَّا بُعْدًا»^(٢).

وقال أنس: «كان بعضنا يدعو لبعض: جَعَلَ الله عليكم صلاة قوم أبرار؛ يقومون الليل ويصومون النهار، ليسوا بِأَثَمَةٍ^(٣) ولا فُجَّارٍ».

وقال قَوْمٌ: «الفحشاء: الدنيا، والمنكر: النفس»^(٤).

وقيل: «الفحشاء: المعاصي، والمنكر: الاعتقاد أنك صَلَّيْتَ أو عَمِلْتَ، أو أن ترى لنفسك عَمَلًا»^(٥).

وغلا قَوْمٌ^(٦) من الصوفية فقالوا^(٧): «إن^(٨) الفحشاء رُؤْيُهَا، والمنكر طَلَبُ الْعَوَضِ عَلَيْهَا»^(٩).

وعَظَّمَ ذلك على قَوْمٍ، والأمرُ فيه قريبٌ:

إن أرادوا بَطْلَبِ الْعَوَضِ عَلَيْهَا اعتقادهم أن لا ينوي أَحَدٌ بعمله ثوابًا فلا أراه.

(١) في (د) و(ص): وقد روى.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: (٤٠٩/١٨-التركي)، ولم أقف عليه في الزهد للإمام أحمد.

(٣) في (ص): بِأَثَمَةٍ.

(٤) لطائف الإشارات: (٩٩/٣).

(٥) لطائف الإشارات: (٩٩/٣).

(٦) في (س) - أيضًا -: بعضهم.

(٧) في (س) و(ز): فقال.

(٨) سقطت من (د) و(ص).

(٩) لطائف الإشارات: (٩٩/٣).

وإن أرادوا بها استحقاقها، ويا ليتها تخلص من العقاب، فكيف أن يرجى عليها ثواب؟ فهو الدين القويم، والاعتقاد السليم.

[١٠٣/ب]

وَأَمَّا/ الذي ^(١) يُشِيرُونَ إليه ^(٢) بما تقدم عنهم من عبادة الله لذاته لا لنعيمه ^(٣) وثوابه؛ فهو باطل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنقَضُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ لِيُؤْوِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

وقيل: المعنى: أقم الصلاة بحقيقتها، فلا يبقى معها فحشاء ولا منكر، فتكون أهلاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال الحكيم لولده: ﴿يَبْنِي أَفَمِ الصَّلَاةِ وَأَمُرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [لقمان: ١٦]، فإذا فعلت ذلك كنت كما قال الحكيم الإسلامي ^(٤):

لا تَنَّهُ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَاژٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ ^(٥)
ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَإِنَّهَا عَنْ غِيَّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَنَّاكَ يَنْفَعُ إِنْ وَعَظْتَ ^(٦) وَيُقْتَدَى بِالْعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

(١) في (س): الذين.

(٢) في (ص): إليهم.

(٣) في (د): نعمه، وفي (ص): نعمته.

(٤) الأبيات من الكامل، ونسب الأوّل منها سيبويه إلى الأخطل: (٤١/٣)، وليس في ديوانه، ونُسب إلى غيره، قال البغدادي: «والمشهور أنه لأبي الأسود»، ثم ساق القصيدة برمتها، ينظر: الخزانة: (٥٦٦/٨).

(٥) سقط هذا البيت من (س) و(ص) و(ز).

(٦) في (د) - أيضاً - ما تقول، ويقْتَدَى بالفعل، وفي (ص): في خذ: بالقول.

وَيَصِحُّ ذَلِكَ فِي نَفْسِكَ وَفِي غَيْرِكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا كَسَرْتَ شَهْوَةً مِنْ شَهَوَاتِكَ انْكَسَرَتْ سَوْرَةٌ^(١) أُخْرَى ، وَتَدَاعَى الْكُلُّ لِلذَّهَابِ ، وَإِذَا كَسَرْتَ شَهَوَاتَكَ تَعَدَّى ذَلِكَ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ بِالْاِقْتِدَاءِ وَالتَّغْيِيرِ .

رَبْحُ الْعُمُرِ:

لَا سِيْمَا وَالْمَرْءُ بَيْنَ عِبَادَةٍ^(٢) وَعَادَةٍ ، يُعِينُ عَلَيْهَا سَعْيٌ فِي الرِّزْقِ ، وَمَعَاشٌ لِلْقُوَّةِ ، وَعَوْدٌ إِلَى الْأَصْلِ بِالْعِبَادَةِ ، فَإِذَا أَفْنَيْتَ عُمُرَكَ فِي هَذِهِ الْعَادَةِ وَفِي^(٣) هَذِهِ الْعِبَادَةِ كَانَ رِبْحًا كُلَّهُ ، وَكَانَ مُحْسُوبًا لَكَ لَا عَلَيْكَ ، وَالْإِقْلَالُ مِنَ النَّوْمِ رِبْحٌ بِالْإِقْلَالِ مِنَ الْأَكْلِ ؛ فَإِنَّهُ مَوْتُ قَاطِعٌ عَنِ الْعَمَلِ ، إِلَّا مَا لَا بَدَّ مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ نَوْمُهُ وَيَقْطَعُتُهُ .

فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : «أَقُومُ وَأَنَامُ ، وَأَرْجُو فِي نَوْمِي مَا أَرْجُو فِي يَقْظَتِي^(٤)»^(٥) ، وَهَذَا صَحِيحٌ ، كَمَا يَرْجُو مِنَ الْأَجْرِ فِي يَوْمِ فِطْرِهِ مَا يَرْجُو^(٦) فِي يَوْمِ صَوْمِهِ .

وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ صَعُوقُهُ إِلَى التَّعَبِ أَكْثَرَ مِنَ الرَّاحَةِ ، أَلَا تَرَى كَيْفَ وَصَفَ اللَّهُ قَوْمًا فَقَالَ : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ

(١) فِي (د) - أَيْضًا - : شَهْوَةٌ .

(٢) فِي (س) : عَادَةٌ ، وَهِيَ سَبْقُ قَلَمٍ .

(٣) فِي (د) وَ(ص) : وَهَذِهِ .

(٤) فِي (ص) - أَيْضًا - : قَوْمَتِي .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه مَوْقُوفًا : كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَعَثَ أَبِي

مُوسَى وَمَعَاذَ إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حِجَّةِ الْوُدَاعِ ، رَقْمٌ : (٤٣٤١ - طُوق) .

(٦) فِي (د) وَ(ص) : يَرْجُوهُ .

الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْبًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[السجدة: ١٥ - ١٧]﴾ ، فأخبر الله تعالى أن المؤمن هو الذي ^(١) إذا ذُكِّرَ بالله وآياته أَقْبَلَ على صلاته وَخَرَّ لله خاشعًا، وَذَكَرَ السجود لأنه مُعْظَمُ الصلاة كما قَدَّمْنَا، فيسجدون بأبدانهم خُضْعَانًا في المحاريب، وَأَعْظَمُ من ذلك ما اشتملت عليه القلوب والسرائر، ولم يستكبر عن ذلك بأن يراه مَذَلَّةً كما فَعَلَ إبليس.

قال النبي ﷺ: «إِذَا سَجَدَ ابْنُ آدَمَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَتَاهُ ^(٢)، أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بالسجود فَسَجَدَ فله الجنة، وَأُمِرْتُ بالسجود فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ» ^(٣).

١
[١٠٤/أ]

ويكون ^(٤) سجوده في وَفْتٍ يَلَاثِمُ فيه / الْمَضْجَعُ الْجَنْبَ فَيُجَافِيهِ ^(٥) هو عنه، يَنْبُو بِلَحْمِهِ عن الفراش قيامًا بحق التعبد، ووفاءً بوظيفة التهجد، وفي الباطن تتجافى القلوب عن مَهَادِ الآمال والتنعيم، بِجَوْلَانِ الخواطر في صلاح الأحوال، واقتضاء التنعيم ^(٦) بِالْبَكْرِ وَالْآصَالِ.

«كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَصْلِي صَلَاةَ الْعِشَاءِ ثُمَّ يَأْمُرُنَا أَنْ نَضَعُ عِنْدَ رَأْسِهِ تَوْرًا ^(٧) مِنْ مَاءٍ، فَيَتَعَارَّ مِنْ اللَّيْلِ فَيَضَعُ يَدَهُ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ يَدَهُ

(١) قوله: «هو الذي» سقط من (س).

(٢) في (د) و(ص): يَا وَيْلَاهُ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم: (٨١-عبد الباقي).

(٤) في (د): في خذ: وَيُكْرَّرُ.

(٥) في (س): فيجافي.

(٦) في (د) و(ص): التنعيم.

(٧) في (س) و(ف): كوزًا.

ووجهه^(١)، ثم يذكر الله حتى يُغْفِي، ثم يَتَعَارُ حتى تأتیه السَّاعَةُ التي يقوم فيها^(٢).

وكان أبو هريرة وعمرو بن دينار جَزَأَ^(٣) اللَّيْلَ ثلاثة أجزاء؛ جُزْءٌ يُصَلِّي - ثُلُثٌ -، وجُزْءٌ ينام - ثُلُثٌ -، وجُزْءٌ يَذْكُرُ فيه حديث النبي^(٤) ﷺ - ثُلُثٌ^(٥) -.

واللَّيْلُ أنْسُ الْأَحْبَابِ^(٦)، ومِيقَاتُ مُنَاجَاةِ رَبِّ الْأَرْبَابِ، قال أبو سعد^(٧) محمد بن طاهر في «فوائده المَقْدِسِيَّةِ»: «قال الله: ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [يونس: ٦٧]، أي^(٨): عَنْ كُلِّ شُغْلٍ وَحَدِيثٍ سِوَى حَدِيثٍ مَنْ يُحِبُّونَ النَّهَارَ - زَمَانَ الدُّنْيَا - مَعَاشًا، قال الله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]».

واللَّيْلُ وَقْتُ الْحُزْنِ أَوْ وَقْتُ السُّرُورِ، فَأَمَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ فَلَيْلُهُ فِي لَذَّةِ الْمُنَاجَاةِ وَطَرَبِ الْمَسَرَّةِ، كما قال شاعرهم^(٩):

(١) في (س): بوجهه، وفي (ص): وجهه ويده.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في الزهد: (ص ١٤٨).

(٣) في (ص): جزؤوا.

(٤) في (د) و(ص): رسول الله.

(٥) الزهد للإمام أحمد: (ص ٢٢١)، والحلية: (٣/ ٣٤٨).

(٦) في (س): الأخيار.

(٧) في (س) و(ف): سعيد.

(٨) سقطت من (س) و(ص) و(ز).

(٩) البيت من الخفيف، ونسبه العسكري في ديوان المعاني: (١/ ٣٥٣)، والراغب في

المحاضرات: (٢/ ١٠٦)، لإبراهيم بن العباس، ونسبه الزمخشري في ربيع الأبرار:

(١/ ٦٩)، وابن حمدون في التذكرة: (٥/ ٣٣٥)، لأبي نواس، وليس في ديوانه.

لَيْلَةٌ كَادَ يَلْتَقِي طَرْفَاهَا قِصْرًا وَهِيَ لَيْلَةُ الْمِيلَادِ
وَأَمَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ مَقَامُ الْخَوْفِ فَلَيْلُهُ أَسْفٌ وَحُزْنٌ، كَمَا يَقُولُ
شَاعِرٌ^(١):

كَمْ لَيْلَةٌ مِنْكَ لَا صَبَاحَ لَهَا أَفْنَيْتُهَا قَابِضًا عَلَى كَبْدِي
قَدْ غَصَّتِ الْعَيْنُ بِالدَّمْعِ وَقَدْ وَضَعْتُ خَدِّي عَلَى بَنَانِ يَدِي
وَهُمُ الَّذِينَ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ
رَبِّهِ﴾.

وَأَمَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ حَالُ الْجَهَالَةِ، وَخُتِمَ عَلَى قَلْبِهِ بَرَيْنُ الْبَطَالَةِ فَهُوَ
كَمَا قَالَ الْآخَرُ^(٢):

نَهَارُكَ بَطَّالٌ وَلَيْلُكَ نَائِمٌ كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ
وَمِنْ فَوَائِدِهَا فِي وَقْتِ اللَّيْلِ نَيْلُ الْمَنَازِلِ، وَالتَّرَقُّيُّ إِلَى شَرَفٍ^(٣)
الْمَطَالِبِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ أُنْبُلٍ بَتَّهَجَدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَبَسَى أَنْ
يَتَّبَعَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ بِمَا^(٤) خَصَّ بِهِ مِنْ
فَرَضِ قِيَامِ اللَّيْلِ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ بِالشَّفَاعَةِ، وَجَعَلَهُ لِلْأُمَّةِ مِيقَاتًا لِلْإِجَابَةِ.

(١) هما لأحمد بن يوسف الكاتب كما في تاريخ دمشق: (٢٣٣/٦٨)، وفي بغية
الطلب لابن العديم: (١٢٧٤/٣).

(٢) البيت من الطويل، وهو في بعض كتب التفاسير؛ كالمحرر الوجيز: (٢٦٠/٣)،
وتفسير الثعلبي: (١٨١/٣).

(٣) في (د): شريف، وضَبَّ عليها، وأثبت في الطُّرَّة ما أثبتنا، وفي (ز): أشرف.

(٤) في (د): مما.

فإذا انتصف الليل نَزَلَ اللهُ إلى السماء الدنيا يقول: «هل من داع فاستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مُسْتَغْفِرٍ فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر»^(١).

وفي رواية: «إذا ذهب ثلث الليل الأول»^(٢).

وفي رواية: «الآخر»^(٣).

والكل صحيح.

[١٠٤/ب]

وكما أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ ^(٤) المقامُ المحمود/ بصلاة الليل؛ كذلك^(٥) قال لهؤلاء الْمُتَجَافِينَ غَيْرِ الْجَافِينَ: ﴿قَلَّا تَعْلَمُ تَبَسُّ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِّنْ فُرَّةٍ أَعْيَسَ جَزَاءُ﴾^(٦) بعملهم ذلك، وهُم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَفُونَ﴾ [الدَّارِيَات: ١٧]، واقتَدُوا برسوله حين قيل له: ﴿فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا تَصْبَهُ﴾ [المزمل: ١-٢]، فكان قيامُ الليل - قالت عائشة: - «فَرَضًا»^(٧) على جميع الأمة حَوْلًا^(٨)، ثم نَسَخَهُ اللهُ تعالى بقوله: ﴿عَلِمَ أَن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب

الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم: (٧٥٨-عبد الباقي).

(٢) أخرجها والتي تليها مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب

الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم: (٧٥٨-عبد الباقي).

(٣) قوله: «الأول»، وفي رواية: الآخر «سقط من (س).

(٤) في (د): مُحَمَّدٌ.

(٥) سقطت من (س).

(٦) [السجدة: ١٧]. (٧) في (د): فُرِضَ.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة

الليل، ومن نام عنه أو مرض، رقم: (٧٤٦-عبد الباقي).

لَمْ تَحْضَوْهُ قَتَابَ عَلَيْكُمْ قَافِرًا وَمَا تَيْسَّرَ مِنَ الْفَرَاءِ [المزمل: ١٨] ، وَبَقِيَتْ فَرِيضَتُهُ ^(١) عَلَى مُبْلَغِهِ ﷺ لِيَنَالَ بِهِ دَرَجَتَهُ الْمَوْعُودَ بِهَا .

ومن فوائدها: الاستغناء من الْفَقْرِ ، كان النبي ﷺ إذا رأى أَهْلَهُ جَاعُوا قال: «الصَّلَاةُ ^(٢) الصَّلَاةُ» ^(٣) ، ذَكَرَهُ أَحْمَدُ .

[فضائل صلاة الجمعة]:

ومِمَّا يَنْبَغِي أَنْ تَحَافِظُوا عَلَيْهِ ^(٤) صَلَاةُ الْجُمُعَةِ ؛ فَإِنَّهَا خَصِيصَةٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بِيَدِ أَنْهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَهَذَا الْيَوْمَ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ، فَهَذَا اللَّهُ لَهُ ، فَالْيَهُودُ غَدًا ، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ» ^(٥) .

وَفَضِيلَتُهَا بِيَوْمِهَا ، وَسَاعَتُهَا لَا ^(٦) تُوَازِي ، وَالسَّاعَةُ الَّتِي فِيهَا خَفِيَتْ عَلَى ^(٧) كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : «أَنَّهَا مِنْ حِينَ يَضَعُ الْإِمَامُ عَلَى الْمَنْبَرِ إِلَى أَنْ يُفْرَغَ مِنْهَا» ^(٨) ، وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ مَشْهُورٌ ، خَفِيَ عَلَى أَصْحَابِنَا الْمُتَوَلِّينَ الْقَوْلَ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ ؛ لِأَنَّهُمْ جُهَّالٌ بِالصَّحِيحِ ، فَيَقْبَلُونَ عَلَى مَا لَا يَنْفَعُهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ سِوَاهُ ^(٩) .

(١) فِي (س): فَرِيضَتُهُ . (٢) فِي (س): وَ أَهْلَاهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الزَّهْدِ مَرْسَلًا: (ص ١٥) .

(٤) فِي (س) وَ (ف): يَحَافِظُ عَلَيْهَا .

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: كِتَابُ الْجُمُعَةِ ، بَابُ هِدَايَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ ، رَقْمٌ: (٨٥٥-عبد الباقي) .

(٦) فِي (د) وَ (ص): وَلَا . (٧) فِي (د) وَ (ز): عَنْ .

(٨) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه: كِتَابُ الْجُمُعَةِ ، بَابُ فِي السَّاعَةِ الَّتِي فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، رَقْمٌ: (٨٥٣-عبد الباقي) .

(٩) يَنْظُرُ: الْمَسَالِكُ: (٤٤٦/٢) ، وَالْعَارِضَةُ: (٣٩٩/٢) .

ولا تُخَصَّ ليلُتها^(١) بقيام، ولا نهارُها بصيام، فقد ثبت النَّهْيُ عن النبي ﷺ في ذلك^(٢)، وإنما هي عبادةٌ صلاة، وما رُوي أن النبي ﷺ صامها^(٣) قط، وإنما رُوي أنه كان يصوم الإثنين والخميس ويندب إليهما^(٤)، وفي غيرهما أحاديثٌ حَسَنٌ لم تصحَّ.

وأما يومُ الجمعة فالنَّهْيُ فيه صحيحٌ فلا ترتكبه، وهي بَدَلٌ عن الظُّهر؛ فإن جبريل عليه السَّلام نزل بصلاة الظهر وصلَّاهَا النبي ﷺ وأصحابُه^(٥) مُدَّةً^(٦)، وبعد ذلك عَيَّنَ له الجمعة، فالأوَّلَى^(٧) هي الأَصْلُ، والأُخْرَى هي^(٨) بَدَلٌ عنها^(٩).

ومعنى تَسْمِيَّتِهَا بَدَلًا شَيْئَانِ:

أحدهما: أَنهما لا يجتمعان، وهذا حُكْمُ البَدَلِ والمُبْدَلِ منه^(١٠).

(١) في (د): يُخَصَّ ليلُها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ؓ: كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، رقم: (١٩٨٥-طوق).

(٣) في (د) و(ص): صامه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي قتادة الأنصاري ؓ: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس، رقم: (١١٦٢-عبد الباقي).

(٥) سقط من (س) و(ز)، وبعده في (د): مرة.

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي مسعود الأنصاري ؓ: كتاب وقوت الصلاة، وقوت الصلاة، (٩٨/١)، رقم: (١-المجلس العلمي الأعلى).

(٧) في (د): الأوَّل.

(٨) سقط من (س).

(٩) ينظر: العارضة: (٤١٤/٢)، وأحكام القرآن: (١٨٠٣/٤).

(١٠) سقطت من (س) و(ص).

والثاني: أن الجمعة إذا تَعَدَّرَتْ رجعنا إلى الأصل؛ وهي الظهر.
وللمُفَرَّعَيْنِ في ذلك كَلَامٌ لَعَوٌّ لَا يُفِيدُ حُكْمًا، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مَعْنَى،
وقد وَقَعَتْ مسائلُ ظَنُّوا أنها تنبني على هذا الأصل، وليس كذلك، وقد
بينّاها في «مسائل الفروع».

حِكَايَةٌ:

ولقد كُنْتُ بالمسجد الأقصى - طَهَّرَهُ اللهُ - مع الْمُتَعَبِّدِينَ والمُرِيدِينَ
نَعْتِمِدُ^(١) الجمعة بالدعاء، ويُقِيمُونَ النهار كله في المسجد لا / يُكَلِّمُونَ [أ/١٠٥]
أَحَدًا، وكان هناك رَجُلٌ يَعِضُّهُ^(٢) الْجُمُعَاتِ؛ فَيَأْخُذُ عِصَّةً في يومٍ إلى
الضحى، وفي آخَرَ عِصَّةً إلى الزوال، وفي آخَرَ عِصَّةً إلى العصر، وفي آخَرَ
عِصَّةً إلى الليل، فتكلّمنا في ذلك يَوْمًا مع شيخنا أبي بكرٍ القُرْشِيِّ
الصُّوفِيِّ^(٣) فقال: «ولعلها في اليوم الذي عِضُّهُ فيه^(٤) من الصبح إلى
الضحى تَكُونُ من الضحى إلى الظهر، وكذلك تَتَبَدَّلُ في الجُمُعِ كما تَتَبَدَّلُ
لَيْلَةُ الْقَدْرِ في العَشْرِ الْأَوَاخِرِ^(٥) في الأعوام، فتكون^(٦) في عامٍ ليلة، وفي
آخَرَ سواها؛ على ما وردت به الآثار»، وَنَحْنُ في ذلك كُلِّهِ غَفَلَةٌ، حَتَّى
قَرَأْنَا «كتاب مُسْلِمٍ» بمكة وبغداد، فَأَلْفَيْنَاهَا فِيهَا^(٧).

(١) في (د): نَعْتِدُّ.

(٢) عِضُّهُ الْجُمُعَاتِ: فَرَّقَهَا، مِنْ عَضَيْتُ الشَّيْءَ إِذَا فَرَّقْتَهُ، تاج العروس:

(٤٤٤/٣٦).

(٣) هو الإمام أبو بكر الطرطوشي.

(٤) سقط من (س).

(٥) سقطت من (ص) و(س) و(ز).

(٧) سقطت من (س).

(٦) في (س): فيكون.

وقلتُ له: فهذا المعتكفُ نهارَه طالبًا لساعة الجمعة؛ إن خرج لوضوء
فكانت تلك الساعة فيها؟

قال لي أبو بكر المذكور: تحصل له بركتها؛ لأنه خرج في ضرورة لا
يُدَّ له منها.

[تَشْدِيدُ الوعيدِ على من ترك الصَّلَاة]:

وقد تشدَّد الوعيدُ على من تركها، ألا ترى إلى قوله تعالى مُخْبِرًا عن
سؤال المجرمين: ﴿مَا سَأَلَكُمْ فِي سَفَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾

[المائدة: ٤١ - ٤٢] .

وفي الصحيح أن النبي ﷺ رأى رجلاً يُرَضِّعُ رأسه بحجرٍ، ثم يعودُ
صحيحاً، ثم يُرَضِّعُ هكذا أبداً، فقال: «يا جبريل، ما هذا؟ قال: هذا^(١)
الذي ينام عن الصَّلَاة المكتوبة»^(٢).

فإذ^(٣) تُوعِدَت على فعلها فالزمها، ففي ذلك نزلت: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي
يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ [العلق: ٩ - ١٠]، إلى قوله: ﴿كَأَنَّهُ لَا تُطِيعُهُ وَاسْجُدْ
وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ٢٠]، والويلُ لمن تركها، أو كان ساهياً عنها مع فعلها، فأتى
بها صوراً لا معاني لها؛ إنه ليُخَافُ عليه أن يكون كما قال الله تعالى مُخْبِرًا
عن قوم: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِيَةٌ﴾ [الغاشية: ٣].

(١) في (د) و(ص): هو.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: كتاب التعبير،

باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، رقم: (٧٠٤٧ - طوق).

(٣) في (س) و(ص) و(ف): فإن.

قال لنا أبو محمد عبد الله بن^(١) عبد الرزاق بن فضيل^(٢) الدمشقي في «فوائده»: إن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]: وعيد لمن تركها، ليس لمن^(٣) ذهل فيها^(٤)، لقوله: ﴿عَنِ﴾، ولم يقل: «في صلاتهم». وهذه مُلْحَظَةٌ^(٥) ذَكَرَهَا الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَأَشَدُّهُ - عِنْدِي - أَنْ يَذْهَلَ عَنْهَا بَعْدَ التَّلْبِيسِ بِهَا، فَإِنَّهُ عَقَدَ الْإِقْبَالَ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَنَسَأَهُ سَبْحَانَهُ التَّوْفِيقَ.

فَإِنْ قَرَّطَ فِيهَا فَتَوْبَتَهُ أَنْ يَقْضِيَهَا، وَلَا يَجْعَلَ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ صَلَاةً، وَلَا يَقْطَعَ النَّوَافِلَ لِأَجْلِهَا، وَإِنَّمَا يَشْتَغِلُ بِهَا لَيْلًا وَنَهَارًا، وَيُقَدِّمُهَا عَلَى فُضُولِ مَعَاشِهِ، وَأَخْبَارِ دُنْيَاهُ، وَلَا يُقَدِّمُ عَلَيْهَا شَيْئًا إِلَّا ضَرُورَةَ الْمَعَاشِ، وَلَا يَشْتَغِلُ بِأُمُورِهِ الزَّائِدَةِ عَلَى حَاجَتِهِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ أَقْبَلَ عَلَى الْقَضَاءِ لِلْفَوَائِتِ وَتَرَكَ النَّوَافِلَ فَهَذَا مَا تُؤْمُّ.

وَقَدْ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: كَانَتْ عِثَامَةُ^(٦) أُمُّ ابْنِ^(٧) أَبِي الدَّرْدَاءِ دَخَلَ عَلَيْهَا وَلَدُهَا يَوْمًا وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهَا وَقَدْ صَلَّى، فَقَالَتْ: أَصْلَيْتُمْ يَا بُنَيَّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ^(٨): /

١
[ب/١٠٥]

(١) قوله: «عبد الله بن» سقط من (ص) و(س) و(ز).

(٢) تقدّم التعريف به في السُّفَرِ الْأَوَّلِ.

(٣) سقطت من (س).

(٤) في (س) و(ز): عنها.

(٥) في (ص): مَجْلَةٌ.

(٦) في (ص): عِثَامَةُ.

(٧) سقطت من (ص).

(٨) الأبيات من مجزوء الكامل، وهي لعثامة أم بلال بن أبي الدرداء، نسبها لها =

عِثَامَ مَالِكَ لَا هِيَةَ حَلَّتْ بِدَارِكَ دَاهِيَةَ
إِنَّكَ الصَّلَاةَ لَوْ قَتَلَهَا إِنْ كُنْتَ يَوْمًا بَاكِئَةً
وَأَنَّكَ الْقُرْآنَ إِذَا تَلَّيَ قَدْ كُنْتَ يَوْمًا تَالِيَةً
تَتْلِيَنَّهُ بِتَفَكُّرٍ وَدُمُوعٍ عَيْنِكَ جَارِيَةٍ
فَالْيَوْمَ لَا تَتْلِيَنَّهُ إِلَّا وَعِنْدَكَ تَالِيَةٌ
لَهْفِي عَلَيْكَ صَبَابَةٌ مَا عِشْتُ طُولَ حَيَاتِيَةٍ

قال الإمام الحافظ^(١) رحمه الله: ومن زعم أن من ترك الصلاة مُتَعَمِّدًا أنه لا يُقْضِيهَا فقد خرج عن الإسلام، يُسْتَتَابُ، وقد بينّاها في كتاب «العواصم»^(٢) وغيرها، وويلهم.

ثبت^(٣) في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «ما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أفضل من أداء ما افترضته عليه»^(٤)، فكيف يترك هو فرائضه ويشغل بطلب الزائد على القوت^(٥)؟ فإن قال: لعيالي، قيل^(٦) له: قَرْضُكَ أَوْ كَدُّ مَنْ عِيَالِكَ بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْأُمَّةِ، وبالله التوفيق.

= الإمام أحمد في الزهد: (ص ٢١٣)، والسنن في طبقات الصوفية:

(ص ٣٩٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق: (٢٦٧/٦٩).

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز):

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٢) العواصم: (ص ٢٦٠-٢٦٢).

(٣) سقطت من (د) و(ص).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الرقاق، باب التواضع،

رقم: (٦٥٠٢-طوق).

(٦) في (س): قال.

(٥) في (س): القرب.

[الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ]:

ومن جُمْلَةِ الصلاةِ تَخْصِيصُ مُحَمَّدٍ ﷺ بالدُّعَاءِ لَهُ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ .

قال محمد بن المَوَازِ ومحمد بن إدريس ^(١): «هي من فرائض الصلاة» ^(٢).

وهو الصحيح ، وقد بَيَّنَّاهُ فِي «مسائل الخلاف» ^(٣).

وَصُورَتُهُ مَا فِي «الموطأ»: «اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارَكْتَ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» ^(٤).

والروايات في ذلك كثيرةٌ، ولا أصل لها.

وَذَكَرُ الرِّحْمَةِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِدُعَاءٍ؛ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ سَأَلُوهُ كَيْفَ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ فَلَمْ يَجِبْهُمْ حَتَّى أُوحِيَ إِلَيْهِ بِهَذَا النَّصِّ؛ خَالِيًا عَنِ التَّرَحُّمِ عَلَيْهِ، فَذَكَرَهَا فِيهِ اسْتِقْصَارٌ عَلَيْهِ ^(٥)، وَذَلِكَ لَا يَحِلُّ، أَمَّا إِنَّهُ يَتَرَحَّمُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي كُلِّ حِينٍ ^(٦).

(١) بعده في (س) و(ص) و(ف) و(ز): الْمُطَّلِبِي، وَمَرَّضُهَا فِي (د).

(٢) ينظر: الاستذكار: (٢٥٦/٦).

(٣) ينظر: المسالك: (٣٨٩/٢).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه: كتاب قصر الصلاة، ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ، (٢٢٦/١)، رقم: (٤٥٩) - المجلس العلمي الأعلى).

(٥) سقطت من (د) و(ص).

(٦) ينظر: العارضة: (٣٩٠/٢).

والْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ^(١) وَفِي تَرْكِ التَّرَحُّمِ عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ التَّرَحُّمُ عَلَيْهِ فِي التَّشْهَدِ، فَلَا فَائِدَةَ فِي تَكَرُّرِهِ^(٢).

تَقُولُ: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، الزَّكَايَاتُ لِلَّهِ، الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(٣)، «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، أَوْ: عَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ»^(٤)، حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ، وَإِيَّاكَ وَالزِّيَادَةَ عَلَى هَذَا، فَإِنَّ الْأُمَّةَ أَجْمَعَتْ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَدْ غَلِطَ فِيهِ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي زَيْدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - غَلَطًا عَظِيمًا^(٥)؛ فَإِنَّهُ مَزَجَ تَشْهَدَ الصَّلَاةِ بِتَشْهَدِ الْوَصِيَّةِ، فَخَلَطَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مَزَجَ سَقِيمًا بِصَحِيحٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ لَمْ يُرَاعِ مَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ، وَمَا عَلِمَتْهُ الصَّحَابَةُ، حَتَّى زَادَ هُوَ فِيهِ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ مَا لَا أَصْلَ لَهُ^(٦).

(١) قوله: «في ذلك» سقط من (د) و(ص).

(٢) في (د) و(ص): تَكَرَّرَهَا.

(٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: كِتَابُ الصَّلَاةِ الْأَوَّلِ، التَّشْهَدُ فِي الصَّلَاةِ، (١/١٦٦)، رَقْمٌ: (٢٤٢)-الْمَجْلِسُ الْعِلْمِيُّ (الْأَعْلَى).

(٤) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه: كِتَابُ قَصْرِ الصَّلَاةِ، مَا جَاءَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه، (١/٢٢٦)، رَقْمٌ: (٤٥٨)-الْمَجْلِسُ الْعِلْمِيُّ (الْأَعْلَى).

(٥) كِتَابُ الرِّسَالَةِ فِي وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَةِ: (ص ٣٧)-أَصْلُ ابْنِ الْأَزْرَقِ.

(٦) يَنْظُرُ: الْقَبْسُ: (١/٢٤١)، وَالْإِسْتِذْكَارُ: (٦/٢٦٢).

وفي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفَضَائِلِهَا أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ لَمْ يَصَحَّ مِنْهَا شَيْءٌ، وَلَا شَكٌّ فِي أَنَّ لَهُ فَضْلًا لَا يُحْصَى، لَكِنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِيهِ سَنَدٌ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ^(١).

[١/١٠٦]

ذِكْرُ الدُّعَاءِ:

وَلَمَّا كَانَتِ الصَّلَاةُ مَوْضُوعَةً دِينًا، مَحْفُوظَةً شَرْعًا، مَأْمُورًا بِهَا مِلَّةً، مُعْظَمَةً عِبَادَةً؛ لَاشْتِمَالِهَا - كَمَا قَدَّمْنَا - عَلَى عَقَائِدِ وَأَقْوَالِ وَأَفْعَالِ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَتِهَا «الذِّكْرُ» وَ«الدُّعَاءُ»، وَكَانَا اسْمَيْنِ مِنْ أَخَصِّ^(٢) الْأَسْمَاءِ وَأَفْضَلِهَا^(٣) وَأَرْفَعِهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَأَدْنَاهَا مِنْهُ^(٤) مَكَانَةً؛ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا أَجَلٌ^(٥) الْعِبَادَاتِ قَدَرًا، فَهُمَا:



(١) قَصَدُ ابْنِ الْعَرَبِيِّ مِنْ هَذَا أَنَّ الْأَحَادِيثَ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا الْمِبَالِغَةُ فِي ذِكْرِ فَضْلِهَا كَثِيرٌ مِنْهَا لَا يَصَحُّ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ إِنْكَارُ ثُبُوتِ الْفَضْلِ مُطْلَقًا، فَقَدْ صَحَّحَ بَعْضُهَا مِنْهَا، يَنْظُرُ: الْعَارِضَةُ: (٢/٣٩٠).

(٢) فِي (ص): أَحْظَ.

(٣) فِي (د): أَفْضَلُهُمَا.

(٤) مَرَّضُهَا فِي (د).

(٥) فِي (ص): أَخَصَّ.

الدَّاعِي: وهو الاسم السَّابع عشر
والذَّاكِرُ: وهو الاسم الثَّامن عشر

ولمَّا كان معناهما أو أَحَدُ معانيهما^(١) - على ما بيَّناه في «كُتُبِ
الأصول والحديث والفقهِ» - الدُّعَاءُ^(٢)؛ عَطَفْنَا عليه عِنَانَ الْبَيَانِ، وأقبلنا
عليه بِنَوْعٍ من تخصيص الإيضاح والشرح والتنبيه عليه.

وهو في أَصْلِ العربية: عبارةٌ عن النداء^(٣).

وفي عُرْفِ الشَّرْعِ والعربية: عبارةٌ عن الطَّلَبِ.

وقد ذَهَبَ بَعْضُ غَلَاةِ الصُّوفِيَّةِ إلى أَنَّ الدعاء لا ينبغي، وإنما حَقُّ
العَبْدِ أَنْ يستسلمَ إلى مَجَارِي الْأَقْدَارِ^(٤)، ولا يختار على الله شيئاً، وذلك
مِمَّا يُحْكِي عن أَبِي مَنْصُورٍ، وقد كان غَيْرَ مُحَقِّقٍ ولا مَنْصُورٍ^(٥)، وَرَأَى أَنَّ
ما جاء من ذلك في لسان الشَّرْعِ القصدُ به رِفْقُ الْخَلْقِ، فكل من حَقَّقَ

(١) في (د) و(ص) و(ز): معانيها.

(٢) ضُبِّبَ عليها في (د).

(٣) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص ٣٠٦-٣٠٧)، والأمد الأقصى

- بتحقيقنا -: (١٧٥/٢)، والعارضة: (٤٩٥/١٠).

(٤) في (د) و(ص): القدر.

(٥) حكاه أبو القاسم القُشَيْرِيُّ عن أَبِي بكر الواسطي، الرسالة: (ص ٢٩٦)، وينظر:

شأن الدعاء للخطابي: (ص ٦).

القضاء والقدر فينبغي له أن يستسلم ويستأسر، وهذه سخافة تجرُّ إلى ترك العمل، فإن القضاء قد سبق، والعمل زيادة.

وقد بينّا أن الصحابة سألت النبي ﷺ عن ذلك، وأجابها بالحقيقة هنالك^(١)، وقد قيل للنبي ﷺ: «أيرد الدعاء من قدر الله شيئاً؟ قال: الدعاء من القدر»^(٢).

المعنى: أن الله إذا أراد بعبد خيراً يسره للدعاء، فدفع عنه به^(٣) البلاء، وكان ذلك من جملة القدر والقضاء.

ولهذا المعنى قال النبي ﷺ: «لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت»^(٤)، ليُعزِم المسألة؛ فإنه لا مكره له^(٥).

وفي رواية: «فإن الله^(٦) لا يتعاضمه شيء»^(٧).

(١) يقصد به حديث: «اعملوا؛ فكلُّ ميسرٍ لما خُلِقَ له»، وقد تقدّم تخريجه.

(٢) في جامع الترمذي من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه: «لا يرد القضاء إلّا الدعاء»، أبواب القدر عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء لا يرد القدر إلّا الدعاء، رقم: (٢١٣٩-بشار).

(٣) في (ص): به عنه، وسقطت من (س).

(٤) قوله: «اللهم ارحمني إن شئت» سقط من (س).

(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: ما جاء في الدعاء، (٢٦٣/١)، رقم: (٥٧٠-المجلس العلمي الأعلى).

(٦) في (ص): قال الله تعالى، ولم يرد في (س).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء، رقم: (٢٦٧٩-عبد الباقي).

وقال: «يُستجاب لأحدكم ما لم يُعجل، قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت فلم يُستجب لي، يستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»^(١).

وقال ﷺ: «دَعْوَةُ الرَّجُلِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ»^(٢)^(٣).

وقال ﷺ: «اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها»^(٤) وبين الله حجاب»^(٥).

وقال ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا على أولادكم، ولا على أموالكم، لا توافقوا سَاعَةً يُسأل فيها»^(٦) عطاء فيُستجاب لكم»^(٧).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل، رقم: (٢٧٣٥-عبد الباقي).

(٢) سقطت من (د) و(ص)، وفي (س): في خ: «الموكل: ولك بمثله».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أم الدرداء رضي الله عنها: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، رقم: (٢٧٣٣-عبد الباقي).

(٤) في (س): بينه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب المظالم، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، رقم: (٢٤٤٨-طوق).

(٦) في (س) و(ف): فيه.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر، رقم: (٣٠٠٩-عبد الباقي).

وقد قال النبي ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»^(١)»^(٢).

[١٠٦/ب]

وَبَيَّنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: / «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(٣)، وَقَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وَبَيَّنَّ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ دَاعٍ يَدْعُو إِلَّا كَانَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ؛ إِمَّا أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يُعَوَّضَ، وَإِمَّا أَنْ يُدَّخَرَ لَهُ»^(٤)»^(٥).

وَبَيَّنَّ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْعُمْرَةِ فَأَذِنَ لِي وَقَالَ: أَشْرَكْنَا يَا أَخِيَّ فِي دُعَائِكَ»^(٦).

(١) بعده في (د) و(ص): وقال: «دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة»، وقد تقدّم هذا الحديث.

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما جاء في الدعاء، (٢٦٣/١)، رقم: (٥٦٨-المجلس العلمي الأعلى).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الدعاء، رقم: (٣٣٧٢-بشار).

(٤) سقط من (س).

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (٣٧٤/١)، رقم: (٧١٠).

(٦) أخرجه أبو داود في السنن عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كتاب الصلاة، باب الدعاء، رقم: (١٤٩٨-شعيب).

إِجَابَةُ الْمُضْطَرِّ^(١):

وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [الزل: ٦٤].

وللعبد حالتان؛ حالة اختيار، وحالة ضرورة، وكل واحدة محل للعبادة، ومن عبادات الاختيار^(٢) الشُّكْرُ، ومن عبادات الضرورة الصَّبْرُ، وكل واحدة - أيضاً - محل للدعاء، فالرخاء محل دعاء العافية، والضرورة محل دعاء الكشف، وأكثر ما ينفع الدعاء في الضرورة بما تقدم من الرخاء.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْتُوْا إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا قَظَنَ أَنْ لَّنْ نُّفَدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦ - ٨٧]، وليس هاهنا صريح دعاء، وإنما هو مضمون قوله: ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، فاعترف بالظلم لأنه استغفى^(٣) منه، فكان تلويحاً، ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: نُخَلِّصُهُمْ مِنْ هَمِّهِمْ بِمَا سَبَقَ مِنْ عَمَلِهِمْ، وذلك قوله: ﴿قُلُوبًا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤]، وهذا حفظ من الله لعبده يونس؛ لأنه راعى له حقَّ تعبه، وحفظ ذِمَّامَ ما سَلَفَ له في طاعته، فقال: ﴿قُلُوبًا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

(١) قوله: «إجابة المضطر» سقط من (د) و(ص).

(٢) في (د) - أيضاً - الاختيار، وفي (ص): الرجاء.

(٣) في (س): استغفر.

قال الأستاذ أبو القاسم: «صَحِبَ ذَا النُّونِ الْحَوْتُ أَيَّامًا قَلَائِلَ، فإِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُ: ذُو^(١) النُّونِ، فَمَا ظَنُّكَ بِعَبْدٍ عَبْدَهُ سَبْعِينَ سَنَةً، أَيَبْطُلُ^(٢) هَذَا عِنْدَهُ^(٣)؟ لَا يُظَنُّ بِهِ ذَلِكَ»^(٤).

وقال أبو المعالي: «قوله: لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى^(٥)، المعنى: فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ^(٦) وَأَنَا فِي سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى بِأَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ وَهُوَ فِي قَعْرِ الْبَحْرِ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْبَارِي سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ فِي جِهَةٍ»^(٧).

(١) فِي (د) وَ(ص): ذَا.

(٢) فِي (ص) وَ(س) وَ(ف): يَبْطُلُ.

(٣) فِي (س): عَمْرَهُ.

(٤) لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ: (٥١٩/٢).

(٥) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٦) فِي (د): نَكُنْ.

(٧) قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ (الْأَحْكَامُ: ١٦٢١/٤): «أَخْبَرَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ أَبِي الْمَعَالِيِّ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ الْجَوِينِيِّ أَنَّهُ سُئِلَ: هَلِ الْبَارِي تَعَالَى فِي جِهَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، هُوَ يَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، قِيلَ لَهُ: مَا الدَّلِيلُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: الدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى»، فَقِيلَ لَهُ: مَا وَجْهُ الدَّلِيلِ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ؟ قَالَ: لَا أَقُولُهُ حَتَّى يَأْخُذَ ضَيْغِي هَذَا أَلْفَ دِينَارٍ يَقْضِي بِهَا دَيْنَهُ، فَقَامَ رَجُلَانِ فَقَالَا: هِيَ عَلَيْنَا. فَقَالَ: لَا يَتَّبِعُ بِهَا اثْنَيْنِ؛ لِأَنَّهُ يَشُقُّ عَلَيْهِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: هِيَ عَلَيَّ، فَقَالَ: إِنَّ يُونُسَ بْنَ مَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ فِي الْبَحْرِ، فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ، وَصَارَ فِي قَعْرِ الْبَحْرِ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ، وَنَادَى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ ﷺ بِأَقْرَبَ مِنَ اللَّهِ مِنْ يُونُسَ حِينَ جَلَسَ عَلَى الرَّفْرِفِ الْأَخْضَرِ، وَارْتَقَى بِهِ، =

وقال النبي عليه السّلام - واللفظ لابن عمر -: «بينما ثلاثة يمشون إذ أصابهم مطرٌ فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصّدق، فليدعُ كلُّ رجلٍ منكم بما يعلم أنه قد صدّق فيه، فقال أحدهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجيرٌ عملٌ لي على فرقٍ من أرزٍ فذهب وتركه، وإني عمدتُ إلى ذلك الفرقِ فزرعته، فصار من أمره أني^(١) اشتريتُ فيه^(٢) بقرًا، وإنه أتاني يطلب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقرِ فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فرقٌ من أرزٍ، فقلت له: اعمد إلى تلك البقرِ فإنها^(٣) من ذلك الفرقِ، / فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلتُ ذلك من خشيتك فافرج عنا، فانساخت الصخرة عنهم، وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنتُ آتيهما كل ليلة بلبنٍ غنمٍ، فأبطأتُ عنهما ليلة فنأى بي^(٤) الشجر، فجئتُ وقد رقدتا^(٥)، وأهلي يتضاغون من الجوع، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، وكرهتُ أن أوقظهما، وكرهتُ أن أدعهما فيستكيئا لشربتيهما^(٦)، فلم أزل

١
[١/١٠٧]

= وصعدَ حتّى انتهَى به إلى موضعٍ يسمَعُ منه صرير الأفلامِ، وتاجاهُ ربُّهُ بما تاجاهُ، وأوحى إلى عبده ما أوحى بأقرب من الله من يونس بن متى في بطن الحوتِ وظلمة البحرِ»، وأفاد من هذا النص الفقيه زروق في كتابه اغتنام الفوائد في شرح قواعد العقائد: (ص ٩٣-٩٤).

(١) في (س) و(ف): إلى أن.

(٢) في (د) - أيضًا -: به.

(٣) في (س): فسقها فإنها.

(٤) في (س): نأبأي، وفي (ص): فأبي، ومترضاها.

(٥) في (د): رقدوا.

(٦) في (د): لشربتيهما.

أَنْتَظِرُهُمَا^(١) حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ
فَفَرِّجْ عَنَّا ، فَانْسَاخَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ^(٢) حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ ، وَلَا
يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ ، فَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ^(٣)
عَمٌّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَإِنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَقَالَتْ : لَا ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا
بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ عَلَيْهَا ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا ، فَأَمَكَّنْتَنِي
مِنْ نَفْسِهَا ، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ : اتَّقِ اللَّهَ ، وَلَا تُفْضِرِ الْخَاتَمَ إِلَّا
بِحَقِّهِ ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ
خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا ، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَخَرَجُوا^(٤) .

فَهُؤُلَاءِ قَوْمٌ دَعَاوُا وَتَوَسَّلُوا .

وَحَقِيقَةُ الْاضْطِرَارِ : أَنْ تَنْزِلَ الشَّدَّةُ وَلَا تَكُونَ وَسِيلَةً إِلَّا لِإِقْرَارِهِ
بِالرَّبُّوبِيَّةِ ، وَإِنْ كَانَتْ وَقَعَتْ الْمَخَالَفَاتُ .

وَإِنِّي لَأَعْجَبُ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ تَفَطَّنَ لِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ فَقَالَ^(٥) :
إِنْ كَانَ لَا يَدْعُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو^(٦) الْمُجْرِمُ

(١) فِي (س) وَ(ف) : أَنْتَظِرُهُمَا .

(٢) فِي (س) وَ(ف) : الصَّخْرَةُ عَنْهُمْ .

(٣) فِي (د) : بِنْتِ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ : كِتَابُ الْأَنْبِيَاءِ ، حَدِيثُ الْغَارِ ، رَقْمُ : (٣٤٦٥) -
طَوَقَ .

(٥) هَذَا الْبَيْتُ وَالَّذِي بَعْدَهُ مِنَ الْكَامِلِ ، وَهُمَا لِأَبِي نَوَاسٍ فِي دِيْوَانِهِ : (ص ٦١٨) .

(٦) فِي (د) : فَمَنْ الَّذِي يَرْجُو الْمَسِيحَ الْمَجْرِمَ ، وَفِي (ص) : فَمَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ
الْمَجْرِمُ .

وَصَدَقَ ، ثُمَّ قَالَ :

أَدْعُوكَ رَبِّي كَمَا أَمَرْتَ تَضُرُّعًا فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
وَكَذَبَ ، مَا دَعَاهُ كَمَا أَمَرَ ، وَإِنَّمَا ^(١) دَعَاهُ كَمَا قَدَّرَ وَقُدِّرَ .

والخطباء يقولون على المنابر : «اللهم إِنَّا قَدْ دَعَوْنَاكَ كَمَا أَمَرْتَنَا ،
فَاسْتَجِبْ لَنَا كَمَا وَعَدْتَنَا ، إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ» ، وَصَدَقَ وَاللَّهُ .

وَأَمَّا هُمْ فَأَخَافُ أَنْ تَكُونَ دَعْوَى ؛ فَإِنْ شُرُوطُ الدَّعَاءِ مَعْلُومَةٌ ، وَهِيَ
عِنْدَنَا مَعْدُومَةٌ .

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي إِجَابَةِ الْمُضْطَرِّ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ ^(٢) :

الأَوَّلُ : أَنْ الْإِجَابَةَ بِالْقَوْلِ ، وَأَمَّا كَشْفُ السُّوءِ فَبِالطَّوْلِ ^(٣) .

الثَّانِي : أَنْ الْإِجَابَةَ بِالْكَلَامِ ، وَكَشْفُ السُّوءِ بِالْإِنْعَامِ .

الثَّالِثُ : أَنْ دَعَاءَ الْمُضْطَرِّ وَالْمُظْلُومِ لَا مَرَدَّ لَهُ ، وَلَكِنْ لِكُلِّ أَجَلٍ
كِتَابٌ ، كَمَا يُرَوَّى فِي دَعْوَةِ الْمُظْلُومِ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : «لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ
حِينٍ» ^(٤) .

الرَّابِعُ : قَالَ الْأَسْتَاذُ أَبُو الْقَاسِمِ : «لِلْجَنَائَةِ سِرَايَةٌ ، فَمَنْ كَانَ لِلْجَنَائَةِ
مُخْتَارًا فَلَيْسَ تَسْلَمَ لَهُ دَعْوَى» ^(٥) الْاضْطِرَارُّ عِنْدَ سِرَايَةِ جُرْمِهِ ^(٦) الَّذِي سَلَفَ

(١) فِي (د) وَ(ص) : إِنَّمَا .

(٢) تَنْظُرُ فِي : لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ لِلْقَشِيرِيِّ : (٤٤/٣) .

(٣) فِي (د) وَ(ص) : فَهُوَ بِالطَّوْلِ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : كِتَابُ الرِّقَاقِ ، بَابُ الْأَدْعِيَةِ ،
(١٥٨/٣) ، رَقْمٌ : (٨٧٤-إِحْسَان) .

(٥) فِي (د) : دَعْوَةٌ . (٦) فِي (س) : جُرْمُهُ .

وهو مختارٌ فيه ، فأكثرُ الناس يتوهمون أنهم مضطرون ، وذلك الاضطرارُ
سِرَايَةٌ^(١) ما بَدَرَ منهم / في حال وَهَمٍ^(٢) اختيارهم^(٣) ، وما دام العبدُ يتوهم من [١٠٧/ب]
نفسه شيئاً من الحَوْلِ والحِيلَةِ ، ويرى لنفسه شيئاً من الأسباب^(٤) يعتمد عليه
أو يستند إليه ؛ فليس بمضطر ، إلَّا أن يرى نفسه كالغريق في البحر ، والضلال
في المتاهة ، والمضطر يرى عِنايته بيد سيِّده ، وزِمَامه في قبضته ؛ كالمَيِّتِ بيد
غاسله ، ولا يرى لنفسه استحقاقاً [للنَّجاة^(٥)] ؛ لأنه يخاف أن يَقْرَأَ^(٦) اسمَه
في ديوان الشقاوة ، فلا ينبغي للمضطر أن يستعين بأحدٍ في أن يدعو له ؛
لأنَّ الله وَعَدَ^(٧) الإجابةَ له ، لا لمن يدعو له^(٨) .

ثم كما وَعَدَ المضطر الإجابة وكَشَفَ السُّوءَ وَعَدَهُ أن يجعله خليفةً
في الأرض ، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:ه] ، لم يقل : إزالة ، ولكن قال :
﴿مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ، كذلك قال تعالى : ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾
[النمل:٦٤] ، ثم قال^(٩) : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ فَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ [النمل:٦٤] ، فإن العبد
إذا زال عنه عُسْرُهُ وكَشَفَ عنه ضُرُّهُ كان كما قال القائل :

(١) قوله : «جُرِّحَ الذي سَلَفَ وهو مختارٌ فيه ، فأكثرُ الناس يتوهمون أنهم مضطرون ،
وذلك الاضطرارُ سِرَايَةٌ» سقط من (ص).

(٢) سقطت من (ص) و(س).

(٣) ضَبَّبَ عليها في (د).

(٤) في (س) : الأشياء .

(٥) زيادة من لطائف الإشارات : (٤٥/٣).

(٦) في (س) : يقر .

(٧) في (د) : وعده .

(٨) لطائف الإشارات للقشيري : (٤٥/٣).

(٩) قوله : «ثم قال» سقط من (س).

كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَعْرِ يَوْمًا إِذَا اكْتَسَى وَلَمْ يَكْ صُغْلُوكًا إِذَا مَا تَمَوَّلَا^(١)

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رحمته الله: ^(٢) أَمَّا الَّذِي قَالَه الْأَسْتَاذُ: «مِنْ سِرَايَةِ الْجَنَايَةِ»، فَلَيْسَ يُسَلَّمُ لَهُ؛ فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ لَهُ ذَنْبٌ، وَمَا أَصَابَهُ فَبَذَنَهُ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ.

[حَقِيقَةُ الْمُضْطَرِّ:]

وَالْمُضْطَرُّ هُوَ الَّذِي يُوقِعُهُ ذَنْبُهُ فِي أَنْشُوطَةٍ، فَيَتَطَارَحُ عَلَى رَبِّهِ وَيَتَمَلَّقُ لَهُ، وَيُرْمِي بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَسْتَسْلِمُ إِلَيْهِ، وَيَعْتَرِفُ بِالذَّنْبِ لَدَيْهِ، وَلَوْ كَانَ إِجْرَائِهِ يَقْطَعُ دَعَاءَهُ لَكَانَ ذَلِكَ يَأْسًا، وَ﴿لَا يَأْيِسُ مِ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْكَاهِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «إِنْ حَقِيقَةُ الْمُضْطَرِّ مَنْ يَرَى نَفْسَهُ كَالْغَرِيقِ فِي الْبَحْرِ، وَالضَّالِّ فِي الْمَتَاهَةِ؛ الَّذِي لَيْسَتْ^(٣) لَهُ حِيلَةٌ»، فَصَحِيحٌ، وَكَذَلِكَ هُوَ كُلُّ مُؤْمِنٍ مَعَ رَبِّهِ؛ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ شَيْئًا وَلَا لْغَيْرِهِ، وَيَرَى أَنَّهُ إِنْ عَاقَبَ فَلَهُ ذَلِكَ بِمُلْكِهِ، وَإِنْ عَفَا عَنْهُ^(٤) فَبِفَضْلِهِ، وَإِنْ أَجَابَ بِوَعْدِهِ، وَإِنْ لَمْ يُجِبِ الْعَبْدَ فِيمَا سَلَفَ مِنْ تَقْصِيرِهِ فِي حَقِّهِ؛ وَهَذَا هُوَ الْمُضْطَرُّ.

(١) الْبَيْتُ مِنَ الطَّوِيلِ، وَهُوَ مِنْ قِطْعَةِ لُجَابِرِ بْنِ ثَعْلَبِ الطَّائِي، وَهُوَ فِي دِيْوَانِ الْحِمَاسَةِ: (ص ٥٦)، وَالْكَامِلُ: (٣١١/١)، وَلَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ لِلْقَشِيرِيِّ: (٨٣/٢).

(٢) فِي (د): قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ، وَفِي (ص): قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَرَبِيِّ.

(٣) فِي (د) وَ(ص): لَيْسَ.

(٤) سَقَطَتْ مِنْ (د) وَ(ص).

ولا تعجبوا - معشر المريدين - من دُعاء ذي النون في بطن الحوت مُضْطَرًّا، فإنه قد كان على درجة عظيمة من الاختيار؛ بأن أَبْقَى معه عقله وجنانه^(١)، ودفع عنه الشيطان^(٢)، فتمكَّن من التضرع إليه كما كان يَتَمَكَّنُ في البرِّ في منزله.

[أَوَّلُ الْمُضْطَرِّينَ]:

وأَوَّلُ من دعا من المضطرين بعد ما قاسى البلاء المُبين والكَرْبَ العظيم نُوحٌ عليه السَّلام، قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنْ الْكَاثِرِينَ دَجَارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّارًا﴾ [سج: ٢٨ - ٢٩]، فاستجاب الله له، ويقول يوم القيامة: «لست لها - يعني: الشفاعة - ؛ إني دَعَوْتُ عَلَى قَوْمِي»^(٣).

١
[أ/١٠٨]

وقال بعضُ الناس: «إنه لم يَدْعُ عليهم حتى قال الله له: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾» [هود: ٣٦]»^(٤).

ولو كان^(٥) هذا هكذا لم يكن في الدعاء ما يُوقِّفه عن التقدم في الشفاعة؛ فإنه كان يكون واضحاً للدعوة مَوْضِعُهَا.

ودعا مُوسَى وهارون صلى الله عليهما^(٦) فقالا: ﴿رَبَّنَا بِطِيسٍ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

(١) في (د) و(ص): حياته.

(٢) سقط من (د) و(ص).

(٣) تقدَّم تخريجه في السفر الأوَّل.

(٤) لطائف الإشارات: (١٣٥/٢).

(٥) في (س) و(ف): عليهما السَّلام.

(٦) في (س): ولم يكن.

وقد قال بعضُ المُفسِّرينَ^(١): «إن دعوة موسى هذه كانت بإِذنٍ؛ لأن الأنبياء ضُمَّنَتْ لهم العِصْمَةُ».

فدلَّ على أن الدعاء بهذه الجملة كان^(٢) بإِذنٍ، وَيَعْضُدُهُ قوله في التخلي عن الشفاعة: «إني قتلتُ نفساً»^(٣) لم أُؤْمَرْ بقتلها»^(٤)، ولم يقل: دَعَوْتُ على فرعون وقومه.

وقد حكى رسول الله ﷺ: أن نبيًّا من الأنبياء جَرَحَهُ قَوْمُهُ، فَجَعَلَ يَسِيلُ الدَّمُ^(٥)، وَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ ويقول: «اللَّهُم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(٦).

وَأَمَّا مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَالَ حين خرجَ قَارًّا إلى الطائف وطَرَدُوهُ: «اللهم إليك أشكو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي على النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُم أنت رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ، وَأنتَ رَبِّي، إِلَى مِنْ تَكْلُفِي، إِلَى بَعِيدِ يَتَجَهَّمُنِي، أَوْ إِلَى عَدُوِّ مَلَكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي، وَلَكِنْ عَافَيْتُكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنور وجهك الذي أَشْرَقَتْ بِهِ الظُّلُمُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ أَنْ تُحِلَّ غَضَبَكَ بِي، أَوْ تُنْزِلَ سَخَطَكَ عَلَيَّ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»^(٧).

(١) هو الأستاذ أبو القاسم القشيري، ذكره في لطائف الإشارات: (١١٣/٢).

(٢) في (د): كانت. (٣) في (س): إني قتلت منهم نفساً.

(٤) سبق تخريجه. (٥) في (س) و(ف): جعل الدم يسيل.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب الأنبياء، باب، رقم: (٣٤٧٧-طوق).

(٧) أورده ابن هشام في السيرة: (٦٨/٢).

وقال ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ تَصَافُّوا: «اللهم أَحْنِهِمُ الْغَدَاةَ»^(١)، فاستُجِيبَ له .
 وقال عليه السَّلام^(٢): «اللهم الْعَنْ أَبَا جَهْلٍ بن هشام ، وَعُتْبَةَ بن ربيعة ، وشَيْبَةَ»^(٣) بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وَرِعْلًا وَذَكْوَانَ ، وَعُصَيْيَةَ عَصَتْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٤)، فاستجيب له ، وفي ذلك كَلَامٌ بَيْنَاهُ فِي «النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ»^(٥) وَ«شَرْحِ الْحَدِيثِ» .

وَحَفِيَّ عَلَى الْأَسَازِ أَبِي الْقَاسِمِ أَنَّ الْكَافِرَ الْمُضْطَرَّ^(٦) قَدْ يَسْتَجِيبُ اللَّهَ لَهُ إِمْلَاءً وَاسْتِدْرَاجًا ، فَكَيْفَ لَا يَسْتَجِيبُ لِمَنْ مَعَهُ أَصْلُ الْإِيمَانِ تَرْوِيحًا وَانْفِرَاجًا ؟

[دخول ابن العربي المُنْستِير عام ٤٩٤ هـ]:

لَمَّا^(٧) دَخَلْتُ الْمُنْستِيرَ^(٨) سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتَسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ؛ أَخْبَرَنِي^(٩) رُؤَسَاؤُهَا الْعَابِدُونَ ، وَمَشِيخَتُهَا الزَّاهِدُونَ : «أَنَّ الرُّومَ أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ وَطَلَبُوا

(١) أورده ابن هشام في السيرة: (٢/٢٦٤) . (٢) في (س) و(ص): ﷺ .

(٣) في (د): عتبة ، وسقط من (ص) .

(٤) حديث: «اللهم عليك بأبي جهل» أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود ؓ: كتاب الوضوء، باب إذا ألقى على المصلي قَدْرٌ أو جيفة لم تفسد عليه صلاته، رقم: (٢٤٠-طوق)، وحديث «اللهم الْعَنْ بني لِحْيَانَ وَرِعْلًا وَذَكْوَانَ» أخرجه مسلم في صحيحه عن حُفَافٍ ؓ: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الفنون في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة، رقم: (٦٧٩-عبد الباقي) .

(٥) الناسخ والمنسوخ: (٢/١١٤-١١٥) .

(٦) في (س): المضطر والكافر . (٧) في (د): ولما .

(٨) بعده في (س) و(ص) و(ف): رباط جُمَّة ، وضرب عليه في (د) .

(٩) في (ص): أخبروني .

شراء الماء منهم، على ما تفعله العرب معهم، فبدلوا لهم المال العظيم فيه فامتنعوا عليهم؛ لأنه عَوْنٌ لَهُمْ عَلَى غَزْوِ الْمُسْلِمِينَ، وَحَبَسَتْهُمْ الرِّيحُ عِنْدَهُمْ^(١) أَيَّامًا، حَتَّى كَادُوا يَمُوتُونَ عَطَشًا، فَأَخْرَجُوا أُنَاجِيلَهُمْ وَفَتَحُوهَا، وَجَازَوْا وَاسْتَسْقَوْا وَاسْتَشْفَعُوا^(٢)، فَأَنْشَأَ اللَّهُ السَّحَابَ / وَأَلْقَاهَا، وَأَمْطَرَهُمْ مَطَرًا عَظِيمًا، فَسَقُّوا وَشَفُّعُوا، وَنَصَبُوا الْأَنْطَاعَ، وَجَمَعُوا الْمِيَاهَ^(٣)، وَمَلَأُوا جِرَارَهُمْ وَجَرَّبَهُمْ^(٤).

قالوا لي: «فَلَمَّا رَأَيْنَا ذَلِكَ قَامَتِ الْمَشِيخَةُ الْمُخْلِصَةُ وَقَالُوا: مَعَاشِرَ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَى اللَّهِ؛ إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ كَافِرَةٌ أَخْلَصْتَ فَاسْتَجِيبْ لَهَا، فَتَعَالَي نَخْلُصْ فِيهِمْ لَعَلَّهُ يُسْتَجَابُ لَنَا، فَنَشْرِنَا الْمَصَاحِفَ وَانْتَدِبْنَا لِلدَّعَاءِ؛ أَنْ يُمْكِنَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ، وَلَا يَفْتِنَّا بِهِمْ، وَلَا^(٥) يَفْتِنَهُمْ بِنَا، فَأَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا بَحْرِيَّةً؛ فَمَحَتْ السَّحَابَ وَأَعْصَفَتْ عَلَيْهِمْ، وَهَالَ الْبَحْرُ، وَعَظَّمَ الْمَوْجُ، وَاضْطَرَبَتِ الْقِطَاعُ، فَكَلَّمَا زَادُوا مَرَسَى زَادَتِ الرِّيحُ، حَتَّى قَطَعَتْ جِبَالَهُمْ، وَرَمَتْهُمْ إِلَيْنَا وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى، تَرْمِي الْأَمْوَاجُ بِالْقِطْعَةِ عَلَى الْحِجَارَةِ فَتَنْكَسِرُ، وَيَخْرُجُونَ فَتُضْرَبُ رِقَابُهُمْ؛ وَاحِدًا بَعْدَ آخَرَ، وَيَقْذِفُ الْبَحْرُ جَمِيعَ مَا فِي الْقِطْعَةِ فَنَعْنُمُهُ هَكَذَا؛ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى، حَتَّى هَلَكَ جَمِيعُهُمْ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

(١) سقطت من (س).

(٢) سقطت من (ص) و(س) و(ز).

(٣) في (د) - أيضًا - : الماء.

(٤) وأورد هذه الحكاية أيضًا أبو بكر الفهري في سراج الملوك: (٦٦٤/٢).

(٥) في (س) و(ص): ويفتنهم.

[رَفُقُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ]:

وقد قال الله تعالى مُخْبِرًا عَنْ نَاحِيَةِ الرَّفْقِ وَجِهَةِ اللَّيْلِ مِنَ الْخَلِيلِ
إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي
فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

قال المُفسِّرون^(١): «قال: ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ ، ولم يقل: «ومن عصاك» ،
فَطَلَبَ الرَّحْمَةَ فِيمَا كَانَ مِنْ^(٢) حَقِّ نَفْسِهِ ، ولم ينتصر لها» .

وهذا ضَعِيفٌ ؛ فَإِنْ عَصِيَانَهُ عِصْيَانُ اللَّهِ حَقِيقَةً ، وقد قال النبي ﷺ يوم
بَدْرٍ لَّمَّا اخْتَارَ أَبُو بَكْرٍ الْفِدَاءَ وَعُمَرُ الْقَتْلَ: «مِثْلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ ،
فِي قَوْلِهِ^(٣): ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي﴾ الْآيَةُ ، وَمِثْلُكَ يَا عُمَرُ كَمِثْلِ
نُوحٍ ، قَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ، وَمِثْلُ مُوسَى ،
قَالَ: ﴿رَبَّنَا إِطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِيهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(٤) .

[من شروط الدعاء]:

وقد قال الله لموسى: ﴿قَالَ قَدْ اجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ بِأَسْتَفِيمَا وَلَا
تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

(١) هو الأستاذ أبو القاسم ، وذكَّرَ هذا في لطائف الإشارات: (٢٥٦/٢) .

(٢) في (س) و(ص) و(ز): حَقِّ نَفْسِهِ .

(٣) قوله: «فِي قَوْلِهِ» سَقَطَ مِنْ (س) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (١٢٨/٦) ،

رقم: (٣٢٣٢-شعيب) ، والترمذي في جامعه مختصراً: أبوابُ الجهاد عن رسول

الله ﷺ ، باب ما جاء في المشورة ، رقم: (١٧١٤-بشار) ، وفيه انقطاع .

قيل: معناه: ولا^(١) تَسْتَعْجِلَا^(٢).

وقيل: من شَرَطِ الدعاء صِدْقُ الافتقار في الابتداء، وتَرْكُ الْعَجَلَةِ في الانتهاء، وَكَمَالُ الرضا بالقضاء^(٣).

وقيل: الاستقامة أَنْ يَتَّقَ بِالْإِجَابَةِ مِنَ الثَّلَاثَةِ الْأَوْجُهَةِ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّهَا تَكُونُ بِهَا.

وما قاله الأستاذ «من أن المضطر لا يَسْأَلُ^(٤) الدعاء له»؛ فغير صحيح، هذا النبي ﷺ - في الصحيح - قد قال لعمر: «يا أخي أَشْرِكْنَا فِي دَعَائِكَ»^(٥)، وهو غير محتاج إليه، ولكنها فَضِيلَةٌ لِعُمَرِ، وَسُنَّةٌ فِي الاستعانة بدعاء الغير، والآثارُ في ذلك كثيرةٌ أوردناها في «أنوار الفجر».

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ دَعْوَةُ الدَّاعِ

[١٠٩/أ] إِذَا دَعَا ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿البقرة: ١٨٥﴾/.

وقد كُنَّا أَمَلْنَا فِي «أَنْوَارِ الْفَجْرِ» فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿إِجِيبْ﴾ عِشْرِينَ قَوْلًا، أَصَحُّهَا الْوَجْهُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي تَقَدَّمَتْ.

[المفاضلة بين الذكر والدعاء]:

وقد اختلف الناس في الذكر والدعاء أيهما أفضل^(٦)؟

(١) في (ص) و(د): لا.

(٢) لطائف الإشارات: (١١٣/٢).

(٣) لطائف الإشارات: (١١٣/٢).

(٤) في (ص): لا يقبل.

(٥) تقدّم تخريجه.

(٦) ينظر: المسالك: (٤٣٨/٣)، والعارضة: (٥٣/١٠-٥٤).

فقال قَوْمٌ: الذِّكْرُ أَفْضَلُ، وذكرُوا في ذلك حديثًا: «من شَغَلَهُ ذِكْرِي عن مسألتني أعطيتُهُ أفضل ما أعطي السَّائِلِينَ»^(١).

وهذا ممَّا لم يَصَحَّ سنَدُهُ.

ورَّده^(٢) قَوْمٌ إلى المسألة الأولى؛ من أن الدُّعَاءَ اختيَارٌ على الله، والذِّكْرَ إقبالٌ على الله.

والذي أقوله: إن الدعاء ذِكْرٌ وتَذَلُّلٌ، فإن حَضَرَتْ نِيَّةٌ قَوِيَّةٌ في الذِّكْرِ والاستكفاء به والاستغناء به فإنِّي أَرْجُوها.

قال النبي ﷺ: «لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يذكرون الله إلا حَفَّتْهُمُ الملائكة، وَغَشِيَتْهُمُ الرحمة، ونزلت عليهم السَّكِينَةُ، وذكرهم الله فيمن عنده»^(٣).

وحديث: «هذا جُمدانٌ؛ سِيرُوا، سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ، الذين أُهْتِرُوا»^(٤) بذكر الله^(٥)، قد تقدَّم^(٦).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي سعيد رضي الله عنه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب، رقم: ٢٩٢٦-بشار، ولفظه فيه: «من شغله القرآن عن ذكري ومسألتني»، قال أبو حاتم: «هذا حديث منكر، ومحمد بن الحسن ليس بالقوي»، العلل: (٤/٦٩١).

(٢) في (س): رد.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم: (٢٦٩٩-عبد الباقي).

(٤) في (د): اهتزوا.

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) قوله: «قد تقدَّم» سقط من (س) و(ص) و(ز).

وقال تعالى: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني»^(١).

وقال ﷺ: «إنَّ لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذِّكرِ، فإذا وجدوا قَوْمًا يذكرون الله تنادوا: هلمُّوا إلى حاجتكم، قال: فيحُقُّونهم بأجنحتهم إلى السَّماء، فإذا تفرَّقوا عَرَجُوا إلى السَّماء، فيسألهم ربُّهم - وهو أعلم بهم - من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض، قال: فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم^(٢) - ما يقولُ عبادي؟ قالوا: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ، ويحمدونك وَيُهَلِّلُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا، والله ما رأوك، فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: فيقولون: لو رأوك لكانوا^(٣) أشدَّ لك^(٤) عبادةً، وأشدَّ تمجيداً، وأكثر تسبيحاً، قال^(٥): فيقول: وما يسألون^(٦)؟ فيقولون: الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا، والله ما رأوها، فيقول: وكيف لو رأوها؟ قال: فيقولون: لو أنهم^(٧) رأوها لكانوا أشدَّ عليها حِرْصاً، وأشدَّ لها طَلَباً، وأعظم فيها رغبةً، قال: فمِمَّ يتعوَّذون؟ فيقولون: من النار، قال: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا، والله ما رأوها، قال: فيقول: وكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء، رقم: (٢٦٧٥- عبد الباقي).

(٢) قوله: «من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض، قال: فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم -:» سقط من (س) و(ص).

(٣) في (س): كانوا.

(٤) مرَّضها في (د).

(٥) سقطت من (س).

(٦) في (د) و(ص): يسألوني، وفي (ز): يسألونني.

(٧) سقطت من (ص) و(س) و(ز).

رأوها لكانوا^(١) أشدَّ منها فِرَارًا، وأشدَّ لها مخافةً، قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول: أشهدكم أنني قد غفرتُ لهم، وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم ممَّا استجاروا، قال: فيقول مَلَكٌ من الملائكة: فيهم فلانٌ، ليس منهم، إنما جاء لحاجته، - وفي رواية: فلانٌ خطَّاءٌ، إنما مرَّ فجلس معهم -، فيقول: وله قد غفرتُ، هم القَوْمُ لا يشقى جليسهم^(٢).

وليس بعد هذا الحديث مَطْلَبٌ لأحد، وفيه فَضْلُ الدعاء والذِّكْرِ^(٣) والاستغفار، وكلها مُرتَبِطٌ ببعضها ببعض.

وثبت أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بخير أعمالكم»^(٤)، الحديث.

وقال النبي ﷺ: «أفضل الكلام أربع: / سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولأن أقولها أحبُّ إليَّ ممَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ»^(٥).

وقال ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده في يومٍ مائة مرَّةٍ غُفرت خطاياهُ وإن كانت مثل زَبَدِ البحر، ولم يأتْ أَحَدٌ بمثل ما جاء به إلا من عَمِلَ أكثر من ذلك»^(٦).

(١) في (س): كانوا.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل مجالس الذكر، رقم: (٢٦٨٩-عبد الباقي).

(٣) سقط من (س).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي الدرداء رضي الله عنه: ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى، (٢٦٢/١)، رقم: (٥٦٦-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: (٢٦٩٥-عبد الباقي).

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى، (٢٦١/١)، رقم: (٥٦٣-المجلس العلمي الأعلى).

وقال ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبیبتان إلى الرحمن؛ سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»^(١).

وقال ﷺ: «أيعجز أحدكم أن تكتب»^(٢) له كل يوم ألف حسنة؛ يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة»^(٣).

وسئل النبي ﷺ: «أي الكلام أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لملائكته؛ سبحان الله وبحمده»^(٤).

وعن جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث: «أن النبي ﷺ خرج عنها بُكْرَةً حين صَلَّى الصبح، ووجدتها في مسجدتها بعد أن أضحى وهي جالسة، قال لها: ما زلت على هذه الحال منذ»^(٥) فارقتك؟ قالت: نعم، قال لها: لقد قلتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات؛ لو وُزِنَتْ بما قلتُ اليوم لَوَزَنَتْهُنَّ؛ سبحان الله العظيم وبحمده، عَدَدَ خَلْقِهِ، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومِدادَ كلماته»^(٦).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: (٢٦٩٤-عبد الباقي).

(٢) في (د): يكتب.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن سعد رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: (٢٦٩٨-عبد الباقي).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل سبحان الله وبحمده، رقم: (٢٧٣١-عبد الباقي).

(٥) في (د) و(ص): مذ.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، رقم: (٢٧٢٦-عبد الباقي).

وقال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمدُ، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِزْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ»^(١).

وقال ﷺ: «لا حول ولا قوة إلا بالله كَنَزَ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»^(٢).
ومن الحديث الحسن: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ»^(٣).

فاقتصروا على هذا الصحيح، ففيه كِفَايَتُكُمْ.
وليكن استخدامكم لجوارحكم^(٤) في الطاعة أَكْثَرَ مِنْ اسْتِخْدَامِكُمْ لِأَلْسِنَتِكُمْ فِي الذِّكْرِ، فَكُونُوا سُكُوتًا عُمَلًا مُطِيعِينَ، وَلَا تَقْتَصِرُوا مِنَ الْعَمَلِ عَلَى ذِكْرِ اللِّسَانِ.

وقد قال الله تعالى: ﴿بِأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١].

وقال عنه النبي ﷺ: «قال الله^(٥): مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأْ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأْ خَيْرٍ مِنْ مَلَأَهُ، وَمَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: (٢٦٩١-عبد الباقي).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ﷺ: كتاب الدعوات، باب قول لا حول ولا قوة إلا بالله، رقم: (٦٤٠٩-طوق).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن جابر بن عبد الله ﷺ: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، رقم: (٣٣٨٣-بشار).

(٤) في (س): بجوارحكم.

(٥) قوله: «قال الله» لم يرد في (س).

فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء السيئة بمثلها^(١) أو أغفر، ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا^(٢)، ومن آتاني يمشي أتيتُه هزولةً، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئةً لا يشرك بي شيئًا لقيتُه بمثلها مغفرةً، ومن عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عَبْدٌ^(٣) / بشيء أحبَّ إليَّ ممَّا افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فلو أن سألني لأعطينه، ولو أن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن^(٤) نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته^(٥).

[١١٠/أ]

وفي «فوائد أبي الفضائل بن طوق» التي أخبرنا بها بمدينة السلام، في قوله تعالى: ﴿بَاذِكُرُونِ أَذْكُرْكُمْ﴾ جملة كافية.

نُبذتُها: أن العبد يجب عليه^(٦) - بحق الإلهية وحكم العبودية - أن يكون دائم الذكر لله^(٧)، قائم الفكر في آياته، إلا أن ذلك يَفُوتُ طَوْقَ البشرية، فجعل الله تعالى للذكر أوقَاتًا، وضرب له مِيقَاتًا، وهو وإن كان يَفُوتُ طَوْقَ البشرية فإنه حق العبودية، فما للعبد وتصرفه^(٨) لنفسه التي هي مملوكة لغيره في عمل غيره.

(١) في (د) و(ص): مثلها.

(٢) قوله: «ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا» سقط من (س).

(٣) في (د): عبدي.

(٤) في (س): في، وضرب عليها في (د).

(٥) تقدّم تخريجه.

(٦) في (د): له، وسقطت من (ص).

(٨) في (د) و(ص): تصريفه.

(٧) لم يرد في (د) و(ص).

[نَقْدُ قَوْلٍ مِنْ فَرَقَ بَيْنَ الْعِبَادَةِ وَالْعِبُودِيَّةِ:]

وَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْعِبَادَةِ وَالْعِبُودِيَّةِ:

فَالْعِبَادَةُ عَنْدهُمْ هِيَ ^(١) فِي قَوْلٍ وَعَمَلٍ مُخْصُوصٌ .

وَالْعِبُودِيَّةُ هُوَ ^(٢): خَلْعُ النَّفْسِ عَنِ النَّفْسِ ، وَالِاسْتِسْلَامُ بِالْكَلِيَّةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

وَهَذَا وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا فَلَا يُمَكِّنُ ، وَمَا لَا ^(٣) يُمَكِّنُ لَا يُؤْمَرُ بِهِ شَرْعًا ، فَلَا يَتَعَاطَاهُ إِلَّا نَاقِصٌ ، وَأَنَّ الْقَدْرَ الْمَشْرُوعَ لَا يَسْتَطِيعُهُ أَحَدٌ ، فَكَيْفَ بِالزِّيَادَةِ عَلَيْهِ ، وَلَوْ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِلذِّكْرِ ^(٤) طَلَبُ الْأَجْرِ لَكَانَ أَفْضَلَ مَطْلُوبٌ ، وَأَوْفَى مَرْغُوبٌ ؛ لِمَا يُقَابَلُهُ مِنْ شَرَفِ الْمَنْزِلَةِ وَعَظِيمِ ^(٥) الْمَرْتَبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿بَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ ، فَجَعَلَ جَزَاءَ ذِكْرِهِ ^(٦) ذِكْرَهُ بِنَفْسِهِ لِعَبْدِهِ .

[تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾:]

وَفِي ذَلِكَ لِلنَّاسِ عِبَارَاتٌ كَثِيرَةٌ حَضَرْنَا الْآنَ مِنْهَا ^(٧) جُمْلَةٌ مِنْ خَمْسِينَ قَوْلًا:

(١) سَقَطَتْ مِنْ (س) وَ(ص) .

(٢) فِي (د) - أَيْضًا - هِيَ .

(٣) سَقَطَتْ مِنْ (س) .

(٤) فِي (د): الذِّكْرُ .

(٥) فِي (س) وَ(ف) وَ(ص): عِظَمٌ .

(٦) فِي (د) وَ(ص): ذِكْرُ عَبْدِهِ .

(٧) فِي (د): حَضَرَتْ الْآنَ مِنْهُ ، وَفِي (س) وَ(ف) وَ(ز): مِنْهَا الْآنَ .

الأول: اذكروني بطاعتي ، أَذْكُرْكُمْ بِرَحْمَتِي ، قاله ابن عباس وابن جُبَيْر^(١) ، يشهد له قوله عز وجل : ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢) [آل عمران: ١٣٢] .

الثاني: اذكروني بطاعتي ، أَذْكُرْكُمْ بِمَعُونَتِي^(٣) ، شاهدُه قوله : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [المنكوت: ٦٩] ، ومن حديث أبي هند الداري: قال رسول الله : «قال الله : اذكروني بطاعتي أَذْكُرْكُمْ بِمَغْفِرَتِي ، فمن ذَكَرَنِي وهو لي مطيع فَحَقَّ عَلَيَّ أَنْ أَذْكَرَهُ بِمَغْفِرَتِي ، ومن ذَكَرَنِي وهو لي عاصٍ فَحَقَّ عَلَيَّ أَنْ أَذْكَرَهُ بِمَقْتٍ^(٤)»^(٥) .

الثالث: اذكروني بالثناء بالنعمة ، أَذْكُرْكُمْ بِالثَّنَاءِ بِالطَّاعَةِ .

الرابع: اذكروني بالشكر ، أَذْكُرْكُمْ بِالثَّوَابِ .

الخامس: اذكروني بالدعاء ، أَذْكُرْكُمْ بِالْإِجَابَةِ .

السادس: قال فضيل^(٦) : «اذكروني بالطاعة ، أَذْكُرْكُمْ بِالثَّوَابِ»^(٧) ،

(١) تفسير الطبري: (٣/٢١١-شاکر) ، ولم يذكر ابن عباس .

(٢) في (س) و(د) و(ص) : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول لعلمكم ترحمون .

(٣) الكشف والبيان: (٢/١٩) ، ونسبه لابن عباس .

(٤) قوله : «ومن حديث أبي هند الداري: قال رسول الله : قال الله : اذكروني بطاعتي

أَذْكُرْكُمْ بِمَغْفِرَتِي ، فمن ذَكَرَنِي وهو لي مطيع فَحَقَّ عَلَيَّ أَنْ أَذْكَرَهُ بِمَغْفِرَتِي ، ومن

ذَكَرَنِي وهو لي عاصٍ فَحَقَّ عَلَيَّ أَنْ أَذْكَرَهُ بِمَقْتٍ» سقط من (س) و(ص) .

(٥) أخرجه ابن لال والديلمي وابن عساكر ، ذَكَرَ ذَلِكَ جلال الدين السيوطي ، ينظر:

الدر المنثور: (٢/٣٧) ، والإحالة على هؤلاء مشعرة بضعف هذا الأثر .

(٦) قوله : «قال فضيل» سقط من (س) .

(٧) الكشف والبيان: (٢/١٩) .

بيانه قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

السابع: اذكروني بالتوحيد، اذكركم بالتسديد.

الثامن: اذكروني بالإيمان، اذكركم بثواب الجنان^(١)، شاهدته قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٤] الآية.

التاسع: اذكروني بالشُّكر، اذكركم بالزيادة^(٢)، شاهدته قوله: ﴿لَيْسَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْسَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٩].

[١١٠/ب]

العاشر: اذكروني على ظَهَرِ الأرض، اذكركم/ في بَطْنِهَا^(٣).

الحادي عشر: اذكروني في الدنيا، اذكركم في العُقْبَى، قال الأصمعي: «وقفتُ بعرفات فرأيت أعرابياً واقفاً^(٤) يقول: عَجَّتْ إِلَيْكَ الأصوات، بضروب اللغات، يسألونك الحاجات، وحاجتي إليك^(٥) أن تذكرني عند البلى، إذا نَسِيتُني أهلُ الدنيا»^(٦).

الثاني عشر: اذكروني بإخلاص النية، اذكركم بأن أُحْيِيكم حياة طيبة، يشهد له قوله عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ اٰنْتَبٰى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

(١) الكشف والبيان: (١٩/٢).

(٢) الكشف والبيان: (١٩/٢)، ونسبه لكَيْسَانَ.

(٣) الكشف والبيان: (١٩/٢).

(٤) في (س): قائلًا.

(٥) سقطت من (س). (٦) الكشف والبيان: (٢٠/٢).

الثالث عشر: اذكروني في الخَلْوَةِ، اذكركم حيث الخَلْوَةُ حقيقةً،
والْعَدَمُ لِلخَلْقِ حقيقةً، والاختفاء والسرُّ حقيقةً^(١).

الرابع عشر: اذكروني في المَلَأَ، اذكركم في مَلَأَ خَيْرٍ مِنْهُمْ^(٢).

الخامس عشر: اذكروني في الرِّخَاءِ، اذكركم في الشِّدَّةِ^(٣)، دليُّه:
حديث الغار: «أَنْ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ^(٤) آوُوا إِلَيْهِ^(٥) مِنَ الْمَطَرِ، فَذَهَدَا الْمَطَرُ صَخْرَةً
عَلَى قَمِ الْغَارِ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْخُرُوجِ، وَتَوَسَّلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى اللَّهِ
بِوَسِيلَةٍ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فَأَخْرَجَهُمْ»^(٦)، وَقَدْ بَقِيَ^(٧) تَمَامُهُ فِي اسْمِ «الدَّاعِي».

وقال في يونس: ﴿قُلْ لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى
يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

وقال في فرعون: ﴿إِنِّي لَأَنْتَ أَكْبَرُ﴾ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ

[يونس: ٩١].

السادس عشر: اذكروني بالنِّعْمَاءِ، اذكركم بالجزاء^(٨).

السابع عشر: اذكروني بالتسليم لي والتفويض، اذكركم بالهداية
والتعويض^(٩).

(١) الكشف والبيان: (٢٠/٢).

(٢) في (د) و(ص): منه، ينظر: لطائف الإشارات: (١٣٧/١).

(٣) الكشف والبيان: (٢٠/٢).

(٤) سقط من (س) و(ص).

(٥) في (س) و(ص) و(ف): آووا إلى غار.

(٦) تقدَّم تخريجه.

(٧) في (د): مضى.

(٨) الكشف والبيان: (٢٠/٢).

(٩) الكشف والبيان: (٢٠/٢).

الثامن عشر: اذكروني بالمحبة ، أذكركم بالقرْبة^(١) ، قال تعالى:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٦] .

التاسع عشر: اذكروني بالتَّوبة ، أذكركم بغُفران الحَوْبَةِ^(٢) .

المُوفِّي عشرين: اذكروني بالسؤال ، أذكركم بالنَّوَالِ^(٣) .

الحادي والعشرون: اذكروني بلا غفلة ، أذكركم بلا مُهْلَةٍ^(٤) .

الثاني والعشرون: اذكروني بالمعذرة ، أذكركم بالمغفرة^(٥) .

الثالث والعشرون: اذكروني بالإرادة ، أذكركم بالإعادة^(٦) .

الرابع والعشرون: اذكروني بالتنصل ، أذكركم بالتفضل^(٧) .

الخامس والعشرون: اذكروني بالإخلاص ، أذكركم بالخلاص^(٨) .

السادس والعشرون: اذكروني بقلوبكم ، أذكركم بغُفران ذنوبكم .

السابع والعشرون: اذكروني باللسان^(٩) ، أذكركم بالإيمان .

الثامن والعشرون: اذكروني بالافتقار ، أذكركم بالاعتقاد^(١٠) .

(١) الكشف والبيان: (٢٠/٢) .

(٢) الكشف والبيان: (٢٠/٢) .

(٣) الكشف والبيان: (٢٠/٢) .

(٤) الكشف والبيان: (٢٠/٢) .

(٥) الكشف والبيان: (٢٠/٢) .

(٦) الكشف والبيان: (٢٠/٢) ، وفيه: الإفادة .

(٧) الكشف والبيان: (٢٠/٢) .

(٨) الكشف والبيان: (٢٠/٢) .

(٩) في (س) و(ص) و(ف) و(ز): بلا لسان ، وفي الكشف (٢٠/٢): بلا نسيان .

(١٠) الكشف والبيان: (٢٠/٢) .

- التاسع والعشرون: اذكروني ذِكْرًا فَانِيًا ، اذكركم ذِكْرًا باقِيًا^(١) .
- المُوَفِّي ثلاثين: اذكروني بالابتغال ، اذكركم بالإفضال^(٢) .
- الحادي والثلاثون: اذكروني بالاعتراف ، اذكركم بمحو الاقتراف^(٣) .
- الثاني والثلاثون: اذكروني بصفاء السرِّ ، اذكركم بوفاء البرِّ^(٤) .
- الثالث والثلاثون: اذكروني بالتعظيم ، اذكركم بالتقديم^(٥) .
- الرابع والثلاثون: اذكروني بالتكبير ، / اذكركم بالضمير^(٦) .
- الخامس والثلاثون: اذكروني بالتحميد ، اذكركم بالمزيد^(٧) .
- السادس والثلاثون: اذكروني بالمناجاة ، اذكركم بالنجاة^(٨) .
- السابع والثلاثون: اذكروني بتَرْكِ الجفاء ، اذكركم بحِفْظِ الوفاء^(٩) .

[١١١/أ]

-
- (١) الكشف والبيان: (٢٠/٢) .
- (٢) في (س) و(ص) و(ف) و(ز): بالاتصال ، وينظر: الكشف والبيان: (٢٠/٢) .
- (٣) الكشف والبيان: (٢٠/٢) .
- (٤) الكشف والبيان: (٢٠/٢) .
- (٥) في (س) و(ف) و(ز): اذكروني بالتحميد ، اذكركم بالمزيد ، وفي الكشف والبيان (٢١/٢): بالتكريم .
- (٦) في (س) و(ف) و(ز): اذكركم بالجزاء الكثير ، وفي الكشف والبيان (٢١/٢): بالتطهير .
- (٧) في (س) و(ف) و(ز): اذكروني بالتعظيم ، اذكركم بالتكريم ، وفي الكشف والبيان (٢١/٢): بالتمجيد .
- (٨) الكشف والبيان: (٢١/٢) .
- (٩) الكشف والبيان: (٢١/٢) .

الثامن والثلاثون: اذكروني بترك الخطأ، أذكركم بفضل^(١) العطاء^(٢).

التاسع والثلاثون: اذكروني بالجِدِّ في الخِدْمَةِ، أذكركم بنَفْيِ الحَدِّ في النِّعْمَةِ^(٣)، يَعُضُّدُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان: ١٩].

المَوْفَى أَرْبَعِينَ: اذكروني من حيث أنتم، أذكركم من حيث أنا، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(٤) [العنكبوت: ٤٥]، وَيَتَفَرَّعُ هَذَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَذْكُورَةِ فِي «قانون التأويل» بجميع المتعلقات، مما يكمل للباري وَيَجِبُ لَهُ، وَمِمَّا يَلِيْقُ بِالْعَبْدِ وَيَنْبَغِي لَهُ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِي «أَنْوَارِ الْفَجْرِ»، فَالْقَطُوعُ مِنْهَا فَإِنَّهَا طَوِيلَةٌ.

الحادي والأربعون: اذكروني بِالْقَبُولِ، أذكركم بِبُلُوغِ الْمَأْمُولِ وَإِيتَاءِ السُّؤْلِ.

الثاني والأربعون: اذكروني بِالْمُوَافَقَةِ، أذكركم بِالْمُكَارَمَةِ^(٥)، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْقَائِلِ^(٦):

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ^(٧) حَدِيثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى

(١) فِي (س): بِفَعْلٍ.

(٢) الْكَشْفُ وَالْبَيَانُ: (٢١/٢).

(٣) الْكَشْفُ وَالْبَيَانُ: (٢١/٢)، وَفِي عِبَارَةِ الْكَشْفِ تَحْرِيفٌ كَثِيرٌ.

(٤) الْكَشْفُ وَالْبَيَانُ: (٢١/٢).

(٥) لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ: (١٣٧/١).

(٦) الْبَيْتُ مِنَ الرَّجَزِ، وَهُوَ مِنْ مَقْصُورَةِ ابْنِ دُرَيْدٍ، كَمَا فِي شَرْحِهَا لِلْخَطِيبِ التَّبْرِيزِيِّ: (ص ٧٤)، وَشَرْحُهَا الْمُسَمَّى الْفَوَائِدِ الْمَحْصُورَةِ فِي شَرْحِ الْمَقْصُورَةِ

لَاِبْنِ هِشَامِ اللَّخْمِيِّ: (٥٦٣/٢).

(٧) فِي (د): إِنَّمَا النَّاسُ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الثالث والأربعون: اذكروني بقطع العلائق ، أذكركم بوصول الحقائق^(١).

الرابع والأربعون: اذكروني بترك كل خطيئة ، أذكركم بترك كل مؤاخذة ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ وَلِيكُمْ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

الخامس والأربعون: اذكروني بلا حساب ، أذكركم بلا عذاب .
السادس والأربعون: اذكروني بلا عدد ، أذكركم بلا أمد ، وما أحسن قوله^(٢):

الله يعلم^(٣) أَنِّي لَسْتُ أَذْكُرُهُ وكيف يذكرُهُ من ليس ينسَاهُ

السَّابع والأربعون: اذكروني لِذَاتِي ، أُنَلِّكُمْ لِذَاتِي .

الثامن والأربعون: اذكروني بِنِعَمِي ، أذكركم بِكَرَمِي .

التاسع والأربعون: اذكروني ، أَذْكُرْكُمْ وإن لم تذكروني ، قال علماؤنا^(٤): لأن نعمه دائمة عليه ؛ وهو ذكْرُهُ .

المُؤَفِّي خَمْسِينَ: اذكروني كيف كنتم ، أَذْكُرْكُمْ في كل حالٍ منكم^(٥).

أَمَّا المؤمن فيذكره بخير ما يُذَكَّرُ^(٦) به أَحَدٌ^(٧).

(١) لطائف الإشارات: (١/١٣٧).

(٢) من البسيط ، وهو من قطعة لعبد الصمد بن المعذل يعاتب بها أخا له ، وهي في العقد: (٢/٣٠٥) ، ونسبها في عيون الأخبار: (٣/٢٧) إلى علي بن الجهم .

(٣) في (س): أعلم .

(٤) في (د) و(ص): العلماء .

(٥) الكشف والبيان: (٢/٢١).

(٦) في (د) و(ص): يذكره .

(٧) سقط من (س) .

وأما الكافر فيرد عليه شر ما ذكره^(١) به أحد.

قال الربيع: «إني لأعلم إذا ذكرني الله، قيل له: ومن أين؟ قال: إذا ذكرته، لقوله: ﴿بَادِئُ الْوَدْعِ أَذْكَرُكُمْ﴾»^(٢).

قال الحافظ أبو بكر^(٣) رحمه الله: وهذا يعني به ذكر الإحسان، وإلا فالباري تعالى يذكر كل أحد بعمله، ولأجله غلا بعض الزهاد وقد قيل له: اذكر الله، فقال: ومثلي يذكره؟ إذا غسلت فمي بسبعين توبة متقبلة ذكرته^(٤).

وكان بعضهم ينشد إذا رأى ما هو عليه من المعصية وأراد الذكر: /
ما إن ذكرتك إلا هم تلعنني جوارحي ولساني عند ذكراك
حتى كأن رقيباً منك يهتف بي إياك ويحك^(٥) والتذكاري إياك^(٦)

وكذلك اختلفوا في الاستغفار مع الإصرار، فقال بعضهم:
أستغفر الله من أستغفر الله من لفظة صدرت خالفت معناها
وكيف أرجو إجابات^(٧) الدعاء وقد سددت بالذنب عند الله مجراها^(٨)

(١) في (د) و(ص): ذكر.

(٢) الكشف والبيان: (٢/٢١)، ونسبه لأبي عثمان النهدي.

(٣) في (د): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٤) رسالة القشيري: (ص ٢٥٦).

(٥) في (س) و(ف): إياك، وفي (ص): إياك تذكره إياك إياك.

(٦) من البسيط، وهما في الرسالة القشيرية: (ص ٢٥٦)، وطبقات الأولياء لابن الملتن: (ص ١٤٨)، وتاريخ دمشق: (٦٦/٦٦)، أنشدهما أبو بكر الشبلي.

(٧) في (د): إجابة.

(٨) من البسيط، وهما في تفسير ابن رجب: (١/١٥٢)، وجامع العلوم والحكم له: (٢/٤١٠).

وقال الآخرون^(١): «بل يستغفر».

ومن الحكمة^(٢): «ما أَصْرَّ من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة». وبه أقول.

ومن^(٣) الحق لكل مُذْنِبٍ أن يستغفر، وإن عَلِمَ من نفسه أنه مُصِرٌّ، وإني لأعجب من تَوَفِيقِي يُسِّرَ له شَيْخُ الْبَطَّالِينَ فقال:

إِنْ كَانَ لَا يَدْعُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَمَنْ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْمُجْرِمُ^(٤)

وفي الحديث: «إذا أذنب العبدُ ثم استغفر قال الله تعالى: عَلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ، قَدْ غَفَرْتُ لَهُ»^(٥)، ولم يَذْكُرْ تَوْبَةً؛ فدلَّ على أن التوبة منزلةٌ أخرى، زائدةٌ عليها عالية.

فالتزموا - ألزمكم الله تحقيقه، ويسر لكم توفيقه - ما ألزمكم الشرع، وانتهجوا السبيل التي شرع لكم، وخذوا من الذِّكْرِ والدعاء الصحيح، وأعرضوا عما سواه.

شِعْرٌ^(٦):

فَالْعُمَرُ أَنْفُسُ مَنْ أَنْ تُنْفِقُوهُ سُدَى فِي غَيْرِ مَا صَحَّ مِنْ وَحْيٍ وَقُرْآنٍ
فَاسْتَنْجِدُوهُ لِمَا تَرْجُونَ مِنْ أَمَلٍ وَاسْتَمْجِدُوهُ بِغُفْرَانٍ وَرِضْوَانٍ

(١) في (ص): الآخر.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، رقم: (٣٥٥٩-بشار)، وضعفه.

(٣) في (د) و(ص): فمن.

(٤) تقدّم تخريجه.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، رقم: (٢٧٥٨-عبد الباقي).

(٦) سقطت من (س) و(ف) و(ص) و(ز).

وَاسْتَسْمِنُوهُ وَعُوجُوا عَنْ غَفَائِهِ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ تَلْبِيسِ شَيْطَانٍ^(١)
[الاعتداء في الدعاء]:

وقد انتدب قَوْمٌ تَجَرَّدُوا للخير بزعمهم، لم يكن لهم عِلْمٌ بالحديث،
فَذَكَّرُوا^(٢) كل^(٣) مُتَرَدِّيةً وَنَطِيحَةً فِي الذِّكْرِ والأدعية وغير ذلك، كابن
نَجَّاح^(٤) والسَّمَرْقَنْدِي^(٥)، ولا عجب إِلَّا من إمامنا وشَيْخِ العَصْرِ نَصْرِ بْنِ
إِبْرَاهِيمَ المَقْدِسِيِّ؛ فإنه جَمَعَ كِتَابًا فِي الزُّهْدِ^(٦)، فجعل يُرْتَّبُ صلاة الأيام
والأدعية، وهي كلها موضوعةٌ لَا أَصْلَ لَهَا، مناكيرٌ لَا يُعْرَفُ رَاوِيهَا^(٧).

(١) من البسيط، ولعله من شعر ابن العربي رحمه الله.

(٢) في (س) و(ف): ذكروا.

(٣) في (د): لكل.

(٤) الفقيه العلامة، الواعظ الزاهد، يحيى بن نجاج القرطبي، أبو الحُسَيْن بن
الفَّلَّاس، نزل مصر وبها توفي، وكانت وفاته عام ٤٢٢هـ، وكتابه الذي يشير إليه
ابن العربي هو كتاب «سُبُل الخيرات»؛ في المواعظ والزهد والرقائق، انتشر
بأيدي الناس في زمانه، وُسِّمَ منه بمكة المعظمة، ينظر: الصلة: (٣١١/٢)،
وفهرس ابن خير: (ص ٣٦٠).

(٥) الإمام الفقيه، العلامة الزاهد، نصر بن محمد بن إبراهيم الحنفي، أبو الليث
السمرقندي، توفي عام ٣٧٥هـ، له من الكتب في الرقائق والزهد: «تنبيه
الغافلين»، وهو منشور، ترجمته في: سير النبلاء: (٣٢٢/١٦-٣٢٣)، والجواهر
المضية: (٥٤٤/٣-٥٤٥).

(٦) يقصد به كتابه «المصباح والداعي إلى الفلاح»، سمعه ابن العربي منه عام
٤٨٩هـ، قُبِّلَ وفاته بيسير، ينظر: العارضة: (٣٠٨/٣)، وفهرس ابن خير:
(ص ٢٠٣).

(٧) في (ص) و(د): لا تعرف روايتها.

واعتمدى^(١) الناس على شريعتهم، واغتمدوا^(٢) إلى صحائف ليست في تأليف، «كدعاء»^(٣) فلان، و«تسبيح فلان»، فالله الله عباد الله، أقبلوا على دينكم، واقبضوه بيده، وعولوا على عمده، واقتدوا بأئمتهم؛ مالك، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وأبي داود، والنسائي، وهي توصيتي إليكم^(٤)، وحجتي عليكم، وفريضتي التي تعينت علي أديتها إليكم، وفائدة رحلتي التي نأيت بها عنكم، والله خليفتي عليكم، وهو حسبنا ونعم الوكيل^(٥).

نكث القرآن في الصلاة:

ومن غريب منزلتها ما ركب الله فيها وعليها في كتابه، وذلك كثير، الحاضر/ منها الآن قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ١-٢] الآية، فجعل الله القرآن هدى لمن أقام الصلاة وآتى الزكاة، كما جعله هدى للمؤمنين، وشفاء لمن طلب^(١) الأمان، وحقق ذلك بالقول والفعل فاهتدى، وكان ذلك له^(٧) سراجاً، فيقيم صورها^(٨) بجسده، ويحفظ معانيها ومقاصدها بقلبه.

(١) في (د): احتدى.

(٢) في (د): عمدوا، وفي (ص): عدوا.

(٣) في (د): فدعا فلان.

(٤) في (د) و(ص): لكم.

(٥) في (س) - أيضاً -: وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(٦) في (س) و(ص): فطلب.

(٧) في (س) و(ف): له ذلك.

(٨) في (د): صورتها.

وقد قرنها الله بالصَّبْرِ في قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٤] ، فالصَّبْرُ فَطْمُ النفس عن المعتادات ، والصَّلَاةُ استخدام الجوارح في المشقَّات ، والتردد بين اختلاف الحالات حتى تَتَمَرَّنَ بِتَرْكِ الشهوات^(١) .
ومن تعظيمها اتخاذ الأوطان لها ؛ وهي المساجد ، أذن الله في ترفيعها ، وقد ذكرنا فيها في «شرح الحديث» نَحْوًا من مائة حُكْمٍ ، فَلتُطَلَّبْ^(٢) هنالك .

ولم تَزَلِ الشرائع على هذا حتى أَكْرَمَ الله هذه الأمة بأن جعل الأرض لها مسجدًا ، ولم يكن ذلك لمن قبلها ، فالوقتُ كُلُّه لها ، والمحلُّ كُلُّه لها ، إلَّا ما استثنى من ذلك ، وهو قليل ، وجَعَلَ بَيْتَهُ^(٣) قِبْلَةً ، وما مَكَّنَ من ذلك أَحَدًا قبل هذه الأمة ، وطَهَّرَهُ حين^(٤) خَلَقَهُ ، وأَوْعَزَ^(٥) بذلك إلى خَلْقِهِ ، وفي ذلك فوائدٌ بينهاها في «أنوار الفجر» .

وكرَّرَ الاستعانة بالصبر والصلاة عند حلول المكاره ، والصَّبْرُ آخِرُ الأمرِ يَأْسًا^(٦) ؛ فَقَدَّمَهُ الله بالأمرِ في أوْلِهِ أَجْرًا ، وَقَرَنَهُ بالصَّلَاةِ استدفاعًا لغير ما نَزَلَ ، وَتَخْفِيفًا مِمَّا^(٧) وقع ، فَيُكَافَأُ بِصَلَاةِ الله عليه ، فما جَعَلَ الله جَزَاءَ الصَّلَاةِ إِلَّا الصَّلَاةَ ، كما جعل جَزَاءَ الذِّكْرِ الذِّكْرَ ، فقال تعالى: ﴿اذْكُرُونِي

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٨٧) .

(٢) في (د): فليطلب .

(٣) في (ص): نَبِيِّهِ .

(٤) في (س): حتى .

(٥) في (د) و(س): أوعد .

(٦) في (س) و(ف): بأَسًا .

(٧) في (د) - أيضًا -: لما .

أَذْكُرْكُمْ» [البقرة: ١٥١] ، وَجَعَلَ جَزَاءَ^(١) الْإِنْفَاقِ الْإِنْفَاقَ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :
«يَا بَلَاءُ ؛ أَنْفَقْ ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا»^(٢) ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
«أَنْفِقْ يُنْفِقْ»^(٣) عَلَيْكَ .

وبذلك يتم الهدى الذي قَدَّمناه ، كما قال : ﴿وَأَوَّلِيكَ هُمْ
الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] ، ولذلك أَمَرَ بالمحافظة عليها فقال : ﴿حَظِّطُوا عَلَى
الصَّلَواتِ﴾ [البقرة: ٢٣٦] ، والمحافظةُ عليها دُخُولُهَا بِنِيَّةِ الْهَيْبَةِ ، والخروجُ عنها
بِنِيَّةِ التَّعْظِيمِ ، وَبَيَّنَّ أَنَّ فِيهَا صَلَاةً^(٤) مُعْظَمَةً ، وَأَبْهَمَهَا حَتَّى يَعْمَهَا التَّعْظِيمُ ،
فَقَالَ : ﴿وَالصَّلَاةُ الْوُسْطَى﴾^(٥) [البقرة: ٢٣٦] .

ثم أخبر الله أَنَّ آكَلَ الرَّبَّاءَ مُعْتَلُّ الْعَقْلِ^(٦) ، مُخْتَلُّ الْأَمَلِ ، مُتَّصِرٌ فِي
خَبَلٍ ، ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ
الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٤] الآية^(٧) .

ثم قال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا
الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٦] ،

(١) قوله : «فقال تعالى : اذكروني أذكركم ، وَجَعَلَ جَزَاءَ» سقط من (ص) و(س) ،
و(ز) .

(٢) تقدَّم تخريجه .

(٣) في (ص) و(د) : أَنْفَقْ .

(٤) في (س) : هَيْئَةً ، وسقطت من (ص) .

(٥) قوله : «فقال : والصلاة الوسطى» لم يرد في (س) و(ص) و(ز) .

(٦) في (د) : العمل ، وأشار إليها في (س) ، وصحَّحها .

(٧) قوله : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ﴾ الآية ، ثم قال «لم يرد في (ص) و(س) و(ز)» .

أي^(١): لَهُمُ الْأَمْنُ وَالْعَوْضُ عَمَّا أَنْفَقُوا، وهذا الذي تراه للمُربّي من ثَمَرِ مَمْحُوقٍ، والذي ترى من عَدَمِ الْمُتَصَدِّقِ^(٢) بَاقٍ مَوْجُودٌ، والمعاني بذواتها لا بِصُورِهَا.

وكذلك رُدُّ من الكفر إلى الإيمان، ومن الخَوْضِ في الباطل إلى الصلاة؛ لترتفع الْحَيْرَةُ، وتُغْفَرَ الزَّلَّةُ، كما قال: ﴿وَدَّرِ لِلَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْ أَفِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [الأنعام: ٧٠ - ٧٢]، أي: [١١٢/ب] الزُّمُوا المناجاة والتقوى.

وقال الخليل^(٣): ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي بَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٨٠].

وقال مُحَمَّدٌ ﷺ^(٤): ﴿قُلْ إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٤ - ١٦٥]، يعني: في زمانكم.

وقال: ﴿إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٥) [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]؛ على^(٦) صراط مستقيم، وهو أن لا ترى من دونه شَيْئًا.

(١) قوله: ﴿إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: «لم يرد في (ص) و(س) و(ز)».

(٢) في (س): الْمُصَدِّقِ.

(٣) بعده في (ص): صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه وعلى جميع النبيين.

(٤) في (د): عليه السلام.

(٥) في (س): دينا قيما ملة أبيكم على صراط مستقيم، وفي (ص) و(ز): دينا قيما ملة إبراهيم على صراط مستقيم.

(٦) في (د): إلى.

والدين القيم: ما لا تمثيل فيه ولا تعطيل؛

والحنيف: المائل إلى الحق، الزائل عن الباطل^(١)، وهو من غريب الأسماء؛ فإنه عند الناس في العاهات، وهو عند الله في أعلى الدرجات.

مسألة:

وقد حضرت مثله^(٢) في بغداد، في قصة غريبة ذكرتها في كتاب «ترتيب الرحلة للترغيب في الملة».

[عظمة الصلاة]:

ولما استقام النبي ﷺ على الطريقة، وكوشف بالحقيقة، وارتقى إلى أعلى الدرجات؛ قال: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ امْتَرَزْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣)، شهد أن القادر^(٤) عليه، والمُجْرِي لأُمُورِهِ، والمُصَرِّف له، والمُنْقِل من حالٍ إلى حالٍ، ومن وَصَفٍ إلى وَصَفٍ، ومُصَرِّفُهُ في العبادات حال الحياة، وفي الدرجات بعد الممات؛ هو الله وحده، لا يُشاركه في ذلك أحدٌ، وهذه نهاية التوحيد وإخلاص العبادَة.

وقد وَصَفَ الله المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ وَكَيِّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ

(١) معاني القرآن للزجاج: (٢٢٢/٣). (٢) سقطت من (س).

(٣) في (س) و(ف) و(ز): استقام الأمر للنبي.

(٤) بعده في (ص): الآيتين.

(٥) في (ص) و(س): للقادر، ولم ترد أن فيهما.

حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ»^(١) [الأنفال: ٢٠-٤] بأنهم إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قلوبهم، لغلبة مقام الخوفِ عليهم، وأدأبوا أنفسهم في العبادة بإقامة الصلاة، وأنفقوا المال من غير ادّخار؛ لأن قلوبهم غَنِيَّةٌ من المعرفة، وأبدانهم مشغلة بالخدمة، فمن أَحَسَّنَ منهم فهو في أعلى الدرجات، ومن أساء فله مغفرة السيئات، وكذلك من أناب إليها بعد الفرار منها، كان مع من ابتدأ عملها، لقوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

ومن فَضِّلَهَا سُمِّيَتْ جَمِيعُ الأعمال بها، قال الله تعالى مُخْبِرًا عن حال شُعَيْب عليه السَّلام: ﴿أَصْلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧]، أي: أعمالك الصالحة؛ وذلك أنه كثيراً^(٢) ما كان يصلي؛ بِحَمَلٍ سائر فِعْلُهُ على مُعْظَمِهِ، وهي الصلاة.

وقيل: أُطْلِقَ على كُلِّ عَمَلٍ اسْمُ الصَّلَاةِ تَشْرِيفًا، كما أُطْلِقَ عليه اسمُ الإيمان، إذ المعنى في الكلِّ وَاحِدٌ.

ولأنها عبادةُ الملائكة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقال تعالى في جميع الخلق^(٣): ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٦]، ثم ميّز^(٤)

(١) لم ترد الآيتان في (س) و(ص) و(ف) و(ز)، واجتهدت في قراءتها، وإن كانت الطرة بـ (د) لا تُعَيَّن؛ لسوء التصوير.

(٢) في (ص) و(د): كان كثيراً، وسقطت «ما» من (ص).

(٣) قوله: «في جميع الخلق» سقط من (س).

(٤) في (س) و(ف) و(ص): فسّر.

بَعْضَهُمْ وَفَصَّلَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، فَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ﴾^(١) [الحل: ٩٠].

[١١٣/أ]

وَالسُّجُودُ بِالْإِعْتِقَادِ/ وَالْقَوْلُ وَالْفِعْلُ وَالْحَالُ، وَهِيَ الدَّلَالَةُ عَلَى الْوَحْدَانِيَةِ بِحَالِهِ^(٢)، فَإِذَا حَصَلَهَا رَجَعَ الْأَجْرُ إِلَى الْأَوَّلِ فَاسْتَقَرَّتْ فِي قَلْبِهِ، وَتَحَقَّقَتْ بِهَا إِعْتِقَادُهُ، وَاسْتَمَرَّتْ^(٣) صِفَاتُهَا عَلَى وَجْهِ بَيِّنَاتٍ مِنْ قَبْلُ، وَيَأْتِي مَزِيدٌ بَيِّنٌ فِيْمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

صَلَاةُ النَّافِلَةِ:

وَإِذَا أَحْكَمَ الْفَرَائِضَ فَلْيُعْطَفْ عَنَّا الْاجْتِهَادَ إِلَى النُّوَافِلِ، وَأَوْكَدَهَا السُّنَنُ الَّتِي نَدَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا أَوْ^(٤) أَوْجَبَهَا، عَلَى اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ، وَلْيُعْطَفْ عَلَى مُجَرَّدِ الْفَضْلِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهِيَ اثْنَتَا عَشْرَةَ رَكْعَةً: أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَانِ قَبْلَ الْعَصْرِ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ فِي بَيْتِهِ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ فِي بَيْتِهِ، وَرَكْعَتَانِ عِنْدَ حُلُولِ الشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ بِالنِّسْبَةِ الَّتِي تَجِبُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فِي كَوْنِهَا مِنَ الْمَغْرَبِ؛ وَهُوَ الضُّحَى؛ الَّذِي مِنْ أَتَى بِهَا^(٥) كَانَ مِنَ الْأَوَّابِينَ^(٦)، وَحَمَى ثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتِّينَ عَظْمًا فِيهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ ابْنِ آدَمَ

(١) قَوْلُهُ: «فَقَالَ: وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ» لَمْ يَرِدْ فِي (س) وَ(ص).

(٢) فِي (ص): بِجَلَالِهِ، وَسَقَطَتْ مِنْ (د).

(٣) فِي (د): اسْتَمَرَّتْ.

(٤) فِي (ص): تَحْتَ.

(٥) فِي (د): بِهِمَا.

(٦) فِي (س) وَ(ز): الْأَوَّلِينَ.

صدقة»، وذكر الحديث: «فأمره بالمعروف صدقة، ونهيّه عن المنكر صدقة^(١)»، وذكر خصالاً؛ إلى أن قال: «وركعتا الضحى تجزئان من ذلك»^(٢)، فإن قدر فإحدى عشرة ركعة من الليل، وأقلها ثلاث؛ إن شاء أول الليل، وإن شاء آخره، فقد كان أبو بكر رضي الله عنه يؤتّر أوله، ويقول: «واحرزاه، وأبتغي النوافل»^(٣)، وكان عمر رضي الله عنه يؤتّر آخره^(٤)، وكل على قدر ما يعلم من نفسه.

[صلاة الجنازة]:

وصلاة الجنازة فرض على الكفاية، يأخذها الناس هيئة، وما أعظمها، تجمع ثلاث عشرة خصلة:

العبرة؛

النصرة؛

العوضيّة؛

التذكرة؛

الموعظة؛

الكرامة؛

(١) قوله: «وذكر الحديث: فأمره بالمعروف صدقة، ونهيّه عن المنكر صدقة» سقط من (س).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: (١٥/٣)، ومن طريقه الخطّابي في غريب الحديث: (١٤/٢).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب صلاة الليل، الأمر بالوتر، (١/١٩٤)، رقم: (٣٢٤) - المجلس العلمي الأعلى).

الراحة؛

المثوبة؛

الدعاء؛

الشركة في الرحمة؛

الأنس من الوحدة؛

الوفاء بعد الوفاة؛

التعزية.

فَأَمَّا الْعِبْرَةُ فَهُوَ مِثْلُكَ ، وَكَأَنَّ بِكَ مِثْلَهُ :

فَمَا نَحْنُ إِلَّا مِثْلُهُمْ غَيْرَ أَنَّنَا أَقْمَنَّا قَلِيلًا بَعْدَهُمْ وَتَقَدَّمُوا^(١)

وَأَمَّا النَّصْرَةُ فَإِنَّ الْمُسْلِمَ يَتَّعِيْنُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَنْصُرَهُ حَيًّا فِيمَا يَنْزِلُ بِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ ، وَبِهِ كَلَامٌ وَحِرَاكٌ وَعَقْلٌ ، فَكَيْفَ بِهِ^(٢) إِذَا ذَهَبَ ذَلِكَ^(٣) كُلُّهُ ؟ فَلَمْ يُعَبِّرْ بِلِسَانِهِ عَنْ حَاجَتِهِ^(٤) ، وَلَا تَحَرَّكَ لِمُتَاوَلَتِهِ^(٥) ، وَلَا عَقَلَ شَيْئًا مِنَ الَّذِي كَانَ فِيهِ فِي حَيَاتِهِ .

وَأَمَّا الْعَوَاضِيَةُ ؛ فَإِنْ غَسَّلتَ غُسَّلتَ ، أَوْ حَمَلْتَ وَدَفَنْتَ ، حُمِلْتَ وَدُفِنْتَ ، لَمْ أَرْ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ الْكَرِيمَةِ^(٦) اسْتِجَارًا عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ،

(١) البيت من الطويل ، وهو في الأغاني : (٣٨٩/٢١) ، وكأنه نسبه للفرزدق ، وليس في ديوانه ، والكامل : (٣٧٠/٢) ، وعيون الأخبار : (٦١/٣) .

(٢) سقط من (ص) و(د) و(ز) .

(٣) سقط من (ص) و(س) و(ز) و(ف) .

(٤) في (د) : حاجة .

(٥) في (ص) : لمثاوبته . (٦) في (ص) : المكرمة .

إِنَّمَا يُغَسِّلُ الرَّجُلَ جَارُهُ، أَوْ صَاحِبُهُ، أَوْ قَرِيبُهُ، فَإِذَا كُفِّنَ قَالَ قَائِلٌ: «اَحْمِلُوا تُحْمَلُوا»، فَانْتَدَبَ إِلَى حَمْلِهِ كُلٌّ مِنْ حَضَرَ أَوْ عَبَرَ^(١).

وَأَمَّا التَّذْكَرَةُ فَإِنَّ الْمَرْءَ فِي غَفْلَةٍ، حَتَّى إِذَا رَأَى الْجَنَازَةَ ثَابَ إِلَيْهِ ذُكْرُهُ^١ الَّذِي ذَهَلَ عَنْهُ، وَقَدْ^(٢) كَانَ النَّبِيُّ ﷺ/ إِذَا رَأَاهَا قَامَ إِلَيْهَا، وَقَالَ: «إِنْهَا لَنَفْسٍ^(٣) أَوْأَنْهَا فَرَعٌ^(٤)»^(٥)، ثُمَّ نُسَخَ ذَلِكَ^(٦)، وَبَقِيَ الْقِيَامُ إِلَيْهَا بِالْقَلْبِ. وَأَمَّا الْمَوْعِظَةُ؛ فَبِالْحَذَرِ مِنْ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ^(٧) مِثْلُ ذَلِكَ، فَتُعَدَّ لَهُ بَوْصِيَّةٌ وَعَمَلٌ وَاسْتِدْرَاكٌ فَأَيْتٌ مِنْ تَوْبَةٍ وَاسْتِغْفَارٍ.

وَأَمَّا الْكَرَامَةُ؛ فَلَهُ بَسْتَرُهُ^(٨)، فَإِنَّهُ جِيفَةٌ كَمَا سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمُؤْمِنِ، فَكَيْفَ غَيْرُهُ؟

وَلَكِ بَالًا تَرَى مَا تَكْرَهُ^(٩) فِيهِ أَوْ مِنْهُ، وَبِذَلِكَ تَحْصُلُ الرَّاحَةُ لَكَ وَلَهُ؛ فَإِنَّكَ تَقْدُمُهُ إِلَى مَدْفَنِهِ؛ وَهُوَ مَوْضِعُ إِطْلَاعِهِ عَلَى مَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ.

(١) قَالَ فِي الْعَارِضَةِ (٤/٣٤٤): «وَلَيْسَ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ أَحَدٌ لِحَمْلِ الْجَنَائِزِ، وَلَكِنْ يُبْرَزُ الْمَيِّتُ عَلَى الطَّرِيقِ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: اَحْمِلُوا تُحْمَلُوا، فَيَبَادِرُ النَّاسُ إِلَيْهِ حَتَّى يَنْضَاطِقُوا عَلَيْهِ».

(٢) فِي (س): فَقَدْ.

(٣) فِي (س) وَ(ف) وَ(ص): إِنَّهُ نَفْسٌ.

(٤) فِي (س) وَ(د): فَرَعٌ، وَفِي (ص): فَرَعٌ.

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ الْقِيَامِ لِلْجَنَازَةِ، رَقْمٌ: (٩٦٠-عَبْدُ الْبَاقِي)، وَلَفْظُهُ فِيهِ: «إِنْ الْمَوْتَ فَرَعٌ».

(٦) يَنْظُرُ: الْمَسَالِكُ: (٣/٥٦٢).

(٧) فِي (س): بِهَا، وَفِي (ز): عَلَيْكَ، وَضُرِبَ عَلَيْهَا فِي (د).

(٨) فِي (ص): فَإِنَّهُ يَسْتَرُهُ.

(٩) فِي (د): يُكْرَهُ.

وَأَمَّا الْمَثُوبَةُ؛ «فَمَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ اتَّبَعَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ؛ أَصْغَرُهُمَا مِثْلُ أُحُدٍ»^(١).

وَأَمَّا الدُّعَاءُ؛ فَإِنْ عَلِمْتَ فِيهِ^(٢) خَيْرًا قُلْتَ: «هَذَا عَبْدُكَ فُلَانٌ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ، فَاعْفِرْ لَنَا وَلَهُ»^(٣)، وَلَا تَقُلْ: «إِلَّا مَا تَعْلَمُ»، كَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

قال العلماء: «إِنْ عَلِمْتَ غَيْرَهُ؛ فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ قُلْتَ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَفِيهِمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٦]، وَإِنْ كَانَ عَاصِيًا قُلْتَ - إِنْ أَرَدْتَ لَهُ الْخَيْرَ -: اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا يَتَعَاطَمُكَ ذَنْبٌ، وَلَا تَنْقُصُكَ رَحْمَةٌ، وَلَا تَغِيضُ خَزَائِنَكَ مِنْ مَوْهَبَةٍ، فَارْحَمْهُ وَهَبْ^(٤) لَهُ عَفْوَكَ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفْوُ الْغَفُورُ». فَإِنَّكَ إِذَا دَعَوْتَ لَهُ أَخَذْتَ حَظَّكَ مِنْهُ، وَأَخَذَ حَظَّهُ مِنْكَ، مَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَصْلَحُ انْتَفَعُ بِصَاحِبِهِ^(٥).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنابة واتباعها، رقم: (٩٤٥-عبد الباقي).

(٢) في (س) و(ف): فيها.

(٣) أخرجه بنحوه الطبراني في الدعاء من قول عمر رضي الله عنه: (١٣٦٠/٣)، رقم: (١١٩٤).

(٤) في (د) و(ص): هبه.

(٥) قوله: «فإنَّكَ إِذَا دَعَوْتَ لَهُ أَخَذْتَ حَظَّكَ مِنْهُ، وَأَخَذَ حَظَّهُ مِنْكَ، مَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَصْلَحُ انْتَفَعُ بِصَاحِبِهِ» موضعه في (د) و(ص) بعد قوله: «وَأَمَّا الدُّعَاءُ»، وفي طرَّة في (س): «هنا موضعه في أخرى»، فدلَّ على اختلاف النسخ بين التقديم والتأخير، ولعل ما أثبتناه يكون أوفق وأقوم.

وَأَمَّا الشَّرِكَةُ فِي الرَّحْمَةِ ؛ فِيمَا يَكُونُ مِنَ الْقَبُولِ لِلدَّعَاءِ ، أَوْ بِمَا^(١) يَكُونُ لَهُ^(٢) مِنْ قَبُولِ شِفَاعَتِكُمْ فِيهِ ، أَوْ بِمَا يَعُودُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَرَكَتِهِ .

وَأَمَّا الْأَنْسُ مِنَ الْوَحْدَةِ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا أُنْزِلَ فِي قَبْرِهِ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَجْلِسَ عَلَيْهِ سَاعَةً يَسْتَأْنِسُ الْمَيِّتُ بِهِمْ ؛ حَتَّى يُرَاجَعَ الْمَلَائِكَةُ^(٣) رُسُلَ رَبِّهِ .

وَأَمَّا الْوَفَاءُ ؛ فَلِأَنَّهُ^(٤) كَانَ لَهُ صَاحِبًا ، وَالْمُسْلِمُ لِلْمُسْلِمِ ذُخْرٌ فِي الْمُلَمَّاتِ ، وَهَذَا آخِرُ مَا يَكُونُ بَيْنَهُمَا ، فَيَجِبُ أَنْ يَفِي^(٥) بِهِ ، وَهُوَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقٍ .

وَأَمَّا التَّعْزِيَةُ ؛ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ عَزَّى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ »^(٦) .
قِيلَ : دَعَا لَهُ^(٧) .

وَقِيلَ : قَالَ^(٨) كَلَامًا حَسَنًا ؛ يُسَلِّيهِ بِهِ^(٩) وَيَقْعُ مِنْهُ^(١٠) مَوْقِعَهُ^(١١) .

(١) قوله: «فيكون من القبول للدعاء ، أو بما» سقط من (ص).

(٢) سقطت من (س).

(٣) سقط من (د) و(ص).

(٤) في (س) و(ص) و(ف): فإنه .

(٥) في (د): يفيء له .

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن مسعود رضي الله عنه: أبواب الجنائز عن رسول الله

ﷺ ، باب ما جاء في أجر من عزى مصابًا ، رقم: (١٠٧٣-بشار) ، وضعف أبو

عيسى هذا الحديث ، ورجح وقفه ، وضعفه ابن العربي في العارضة: (٣٩٦/٤) .

(٧) العارضة: (٣٩٦/٤) .

(٨) سقطت من (س).

(٩) سقط من (س) و(د) .

(١٠) في (س): مثله .

(١١) العارضة: (٣٩٦/٤) .

وقد عَلِمَ كُلُّ مُسْلِمٍ أَنَّ لِلْبَارِي سُبْحَانَهُ عَلَى الْعَبْدِ نِعَمًا لَا تُحْصَى ،
 فَمِنْهَا: نِعْمَةُ الْبَدَنِ ، وَهِيَ الصَّحَّةُ وَالسَّلَامَةُ ، وَمِنْهَا: نِعْمَةُ الْمَالِ ، وَهِيَ الْغِنَى
 وَالثَّرْوَةُ ، فَجَعَلَ شُكْرَ نِعْمَةِ الْبَدَنِ الصَّلَاةَ ، وَجَعَلَ شُكْرَ نِعْمَةِ الْمَالِ
 الصَّدَقَةَ^(١) ، فَكَانَ:

* * * * *

(١) ينظر: المسالك: (١٠/٤).

الاسم التاسع عشر: المُصَدِّقُ^(١)

وهو يَرْجِعُ إِلَى الصِّدْقِ؛ كما تقدَّم في تفسيره، لِمُوَافَقَةِ إنْفَاقِهِ لاعتقاده^(٢)، وَيُسَمَّى «المُرَكِّي».

* * * * *

(١) في (س) و(ص) و(ف) و(ز): المتصدق، ومرَّضها في (د).

(٢) ينظر: المسالك: (١٠/٤).

[المُزَكِّي]: وهو الاسمُ المُوَفِّي عَشْرِينَ

والمُزَكِّي أَعَمُّ من المُصَدِّق^(١)؛ لأن متعلقاته في العريّة أكثر، وقد بيّنا ذلك في موضعه.

والمُصَدِّق والمُزَكِّي: هو/ الذي يُقْضِي ما لله عليه من حَقٍّ في ماله لأزواجه الذين أحالهم عليه به، حسبما بيّناه في «قِسْمِ الْمَقَامَاتِ الْأَوَّلِ»^(٢).

ويزيدُ المُزَكِّي عليه بأنه الذي يُطَهِّرُ نفسه من أدناسِ الذنوب، كما يُطَهِّرُ ماله من أدناسِ الحقوق، فالصَّدَقَةُ أَوْسَاخُ النَّاسِ، كما رُوِيَ^(٣) في الحديث الصحيح^(٤).

ولمّا كانت النِّعْمَتَانِ فِي الْبَدَنِ وَالْمَالِ مُقْتَرِنَتَيْنِ؛ بهما يَتِمُّ لِلْمَرْءِ وجودُهُ ومَعاشُهُ واستقلالُهُ، قَرَنَ اللهُ بينهما فِي الْفَرَضِ وَالشُّكْرِ، وَالْعَوَضِ وَالْأَجْرِ، فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [المائدة: ٥٧].

(١) في (س) و(ص): المتصدق.

(٢) في السُّفْرِ الْأَوَّلِ.

(٣) في (د) و(ص) و(ز): ورد.

(٤) حديث «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد؛ إنما هي أوساخ الناس»، أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة، رقم: (١٠٧٢-عبد الباقي).

وأفرد أيضاً الصَّلَاة في موضع لُرْكُنِيَّتِهَا، وأفرد الصدقة في موضع آخر لركنيتها، وذكر التزكية في مَوْضِعٍ آخَرَ عُمُومًا، وتولَّى بيان ذلك بعلمه وحُكْمِهِ وَحِكْمَتِهِ^(١)، بأَبْدَعِ وَصْفٍ وَأَعْظَمِ وَصْفٍ، ولولا التَّطْوِيلُ لَتَبَعْنَاهَا لكم على نَظْمِ القرآن آيَةً آيَةً، كما فعلنا في الصَّلَاة، لكن ذلك الدُّسْتُورُ الذي قَدَّمْنَاهُ^(٢) في الصَّلَاة اجعلوه في الزَّكَاة بأفهامكم، وبما رَتَّبْنَا^(٣) في «قانون التأويل»^(٤)، وَسَبَّيْنُ نَحْنُ من هذه المعاني في بقية الكتاب ما يُعِينُ على معرفة الطريق إليه إن شاء الله.

[فوائد الصدقة:]

وبالْجُمْلَةِ فلا مَزِيَّةَ^(٥) في الصدقة أَعْظَمَ من التَّحَلِّي بأوصاف الإلهية؛ أن تُقَسِّمَ الرِّزْقَ نَائِبًا عن الله، كما يُقَسِّمُهُ الله.

فإن كنت عالمًا وَتَحَلَّيْتَ بهذا الاسم؛ فَقَسَّمْتَ الْعِلْمَ وَبَثَّثْتُهُ في الناس، وكان لك بَذْلُ الْعِلْمِ وَقِسْمَتُهُ، ونَثَرُ^(٦) المال وهَبُّهُ؛ فقد تَمَّ لك شَرَفُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قال النبي ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ؛ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يُقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»^(٧).

(١) سقطت من (د) و(ص).

(٢) في (س) و(ف): قَدَّمْنَا.

(٣) في (ز): رَتَّبْنَاهُ، وفي (ص): دَلَّلْنَاهُ.

(٤) قانون التأويل: (ص ٢٩٧-٣٠٧).

(٥) في (س) و(ف) و(ص) و(ز): تَرِيدُ.

(٦) في (د): نَشْرُ.

(٧) تَقَدَّمَ تخريجُه.

وَلِصِحَّةِ تَدَاخُلِهِمَا وَانْتِظَامِهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٤] الآية .

وَالصَّلَاةُ مَنَمَةٌ لِلْمَالِ ، وَالصَّدَقَةُ مَحَمَاةٌ لِلْبَدَنِ ، مَنَجَاةٌ وَتَقْوَى لَهُ ^(١) ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ^(٢) فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» ^(٣) ، وَهِيَ ^(٤) عِصْمَةٌ لِمَالِهِ ^(٥) ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ عِصْمَةٌ لِبَدْنِهِ ، وَهُمَا «الْأَخْتَانِ» فِي أَلْسِنَةِ الْفُقَهَاءِ ^(٦) .

وَالْوَجْهُ الْعَظِيمُ فِي تَطْهِيرِ الزَّكَاةِ لِلْبَدَنِ قُلْعُ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ مِنَ الْقَلْبِ ، وَتُزَكِّيهِمْ ^(٧) - أَيْضًا - عَلَى ^(٨) أَنْ يَلْحَظُوهَا ، أَوْ يَنْظُرُوا إِلَيْهَا ، أَوْ يَعْتَدُّوا بِهَا ، وَإِنَّمَا يَجْعَلُونَهَا وَسِيلَةً بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، وَذَخِيرَةً لَهُمْ فِي اسْتِقْرَارِهِمْ .

وَمَنْ شَرَفَهَا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتَقْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ قَبْلَ أَنْ تَقْعَ فِي كَفِّ السَّائِلِ» ^(٩) ، وَهُوَ ^(١٠) عِبَارَةٌ عَنِ الْقَبُولِ ، فَإِنَّ السَّائِلَ إِذَا قَبِلَ [١١٤/ب]

(١) فِي (س) وَ(ف): وَالصَّلَاةُ مَنَمَةٌ لِلْمَالِ ، وَالزَّكَاةُ مَحَمَاةٌ لِلْبَدَنِ ، وَمَنَجَاةٌ وَتَقْوَى ، وَفِي طَرَةِ بـ(س): وَالصَّلَاةُ مَنَمَةٌ لِلْبَدَنِ ، وَالصَّدَقَةُ مَنَمَةٌ لِلْمَالِ وَتَقْوَى لَهُ ، وَصَحَّحَهُمَا .

(٢) فِي (د) وَ(ز): تَجِدْ ، وَفِي (ص): تَجِدُوا .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ ، رَقْمٌ: (١٠١٦-عَبْدُ الْبَاقِي) .

(٤) سَقَطَتْ مِنْ (س) وَ(ص) وَ(ف) وَ(ز) .

(٥) فِي (د): مَالِهِ .

(٦) فِي (ص): الْعُلَمَاءُ . (٧) فِي (د) وَ(ص): يَزْكِيهِمْ .

(٨) فِي (ص): عَنْ ، وَسَقَطَ مِنْ (س) وَ(ف) .

(٩) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي التَّفْسِيرِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْقُوفًا: (٢٨٧/١) ،

وَالطَّبْرَانِيُّ فِي أَكْبَرِ مُعَاجِمِهِ: (١١٤/٩) .

(١٠) سَقَطَ مِنْ (د) وَ(ص) .

مَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَ الصَّدَقَةَ وَجَمَعَ عَلَيْهَا كَفَّهُ، فَكَانَ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَى قَبُولِهَا، وَحَوَظُهَا^(١) مِلْكٌ لَهُ^(٢)، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَبُولِهِ وَأَدَّخَارِهِ لَهَا عِنْدَهُ لِمُصَاحِبِهَا بِحَالِ الْقَبْضِ لَهَا، وَالِاحْتِيَازِ^(٣) فِي الْكَفِّ، وَهُوَ هَيْئَةُ التَّمْلِكِ^(٤) وَالْقَبُولِ، وَالْإِخْبَارُ بِلِسَانِ الْحَالِ عَنِ الْمَقَالِ وَالْمَقَالِ عَنِ الْحَالِ أَصْلُ الْفَصَاحَةِ، وَهُوَ كَثِيرٌ مُتَقَرَّرٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ^(٥).

وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ قَوْمًا عَلَى النِّفْقَةِ فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يَنْهِفُونَ فِي السَّرَّاءِ

وَالصَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وَالْمَعْنَى: «لَا يَدَّخِرُونَ شَيْئًا عَنِ اللَّهِ، وَيُؤْثِرُونَهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، يُنْفِقُونَ أَبْدَانَهُمْ فِي الطَّاعَاتِ، وَيُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي اقْتِنَاءِ الْخَيْرَاتِ، وَابْتِغَاءِ الْقُرْبَاتِ^(٦)، وَوُجُوهِ الصَّدَقَاتِ^(٧)»^(٨)، فَيَقُومُونَ بِحَقِّ النُّعْمَتَيْنِ. وَأَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه؛ جَاءَ بِمَالِهِ كُلَّهُ فَقُبِلَ مِنْهُ، وَجَاءَ عُمَرُ رضي الله عنه بِنِصْفِ مَالِهِ فَقُبِلَ مِنْهُ^(٩).

(١) فِي (د): حَوْزُهُ.

(٢) فِي (د) وَ(ص): لَهَا.

(٣) فِي (س) وَ(ز): الْإِخْتِيَارُ.

(٤) فِي (د): التَّمْلِكُ.

(٥) يَنْظُرُ: الْقَبْسُ: (٢/٤٥٢).

(٦) قَوْلُهُ: «وَابْتِغَاءِ الْقُرْبَاتِ» سَقَطَ مِنْ (ص).

(٧) فِي (س) وَ(ف): الصَّدَقَةُ.

(٨) لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ: (٢/٢٧٧-٢٧٨).

(٩) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: أَبْوَابُ الْمُنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ

اللَّهِ ﷺ، بَابٌ، رَقْمٌ: (٣٦٧٥-بِشَار).

وروى عبد الرزاق - في تفسیر سورة التَّوْبَةِ -: «أَنَّ عبد الرحمن بن عوف جاء بنصف ماله فقبل منه»^(١).

وجاء كعب بن مالك^(٢) وأبو لبابة^(٣) - كما بيناه في «أنوار الفجر»^(٤) - بأموالهما، فقبل منهما الثلث.

وقيل فيهما وفي بقية الخلق: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، ولا تأخذ أموالهم؛ فإن قلوبهم لا تحمله، ونفوسهم لا تطيب بأخذ أموالهم^(٥)، فصار ذلك سنة حسبا بيناه في «كتب الفقه»^(٦).

ومن فضلها تعيين باب لها في الجنة، فإن للجنة ثمانية أبواب، أحدها باب الصدقة^(٨).

وإذا قامت الصلاة بشكر نعمة البدن، وقامت الصدقة بشكر نعمة المال؛ وقع الثناء^(٩) في شكر نعمة البدن في الصيام، فكان:

(١) تفسير عبد الرزاق: (٢٨٣/١).

(٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، رقم: (٤٤١٨-طوق).

(٣) تفسير عبد الرزاق: (٢٨٦/١)، وينظر: أحكام القرآن: (١٠١٠/٢).

(٤) قوله: «في أنوار الفجر» سقط من (د) و(س) و(ز).

(٥) في (د) و(ص): بإخراجه.

(٦) في (ص): كتاب. (٧) أحكام القرآن: (١٠١٠/٢).

(٨) الإشارة هنا إلى حديث: «من كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة»،

أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجهاد، ما جاء في

الخيال والمسابقة بينها والإنفاق في الغزو، (٤٩٠/١)، رقم: (١٣٤٧)-المجلس

العلمي الأعلى).

(٩) في (د) الكلمة غير واضحة.

الصَّائِمُ: وهو الاسمُ الحادي والعشرون

مُقَامًا^(١) لَشُكْرِ نِعَمِهِ^(٢)، بِتَسْوِيعِ الغذاء من الطعام والشراب؛ فإنَّ الصحة واستواء الأعضاء لا يعادلها شيء، وبالحَرَى أن تقوم بها الصلاة بِفَضْلِ اللَّهِ، فبتبقى نعمة الغذاء وهي مادة البقاء، شَرَعَ اللَّهُ له الإمساك عنها بنية العبادة شُكْرًا، ووعد عليه مثوبة وأجرًا، وأَوْسَعَهُ ثَنَاءً وَفَضْلًا، ولو لم يَكُنْ إِلَّا قوله تعالى: «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»^(٣).

وقد كان الصَّوْمُ في شَرْع من مضى على أَصْلِهِ في العربية: الإِمْسَاكُ عن الكلام والشراب والطعام^(٤)، قال الله تعالى مُخْبِرًا عن الصَّالِحَةِ: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

وكان الصَّوْمُ في أَوَّل الإسلام الليل والنهار إِلَّا سَاعَةَ الْفِطْرِ قبل النَّوْمِ، ثم رَحِمَ اللَّهُ هذه الأمة فجعل للصَّوْمِ النَّهَارَ دون اللَّيْلِ. وقالت الصُّوفِيَّةُ: «الصَّوْمُ على ثلاثة أقسام؛ صَوْمٌ عن الطعام والشراب والوَطْءِ، وَصَوْمٌ عن جميع الْمُحَرَّمَاتِ، وَصَوْمٌ عَمَّا سِوَى اللَّهِ تعالى، فلا يَنْظُرُ إلى غيره، وليُمْسِكْ عَمَّنْ سِوَاهُ»^(٥).

(١) خبر فكان، وفي (د): فقَامًا، وفي (ص): قِيَامًا.

(٢) في (د): نعمة.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الصيام، جامع الصيام، (١/٣٥٦)، رقم: (٨٦٤-المجلس العلمي الأعلى).

(٤) ينظر: شرح ابن بطال: (١١/٣)، والعارضة: (٢٣٠/٣).

(٥) ينظر: لطائف الإشارات: (١/١٥٢)، والإحياء: (ص ٢٧٧)، وقوت القلوب:

(١٢٤٥/٣)، وينظر - أيضًا - العارضة: (٢٣١/٣).

وهذا كله له وَجْهٌ صَحِيحٌ؛ فَإِنْ تَعَلَّقَ الْقَلْبُ / بِغَيْرِ اللَّهِ، وَجَزِيَ اللِّسَانُ بِذِكْرِ سِوَاهُ، وَاسْتَعْمَالَ الْجَوَارِحِ فِي عَمَلٍ لَا يَكُونُ لَهُ لَا يَنْبَغِي، وَكَذَلِكَ الْمُحَرَّمَاتِ، مَعْلُومٌ قَطْعًا أَنَّ الْخَطَابَ بِهَا مُسْتَمِرٌّ عَلَى الْعِبَادِ دَائِمًا، وَيَتَأَكَّدُ ذَلِكَ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنْ ائْتَهَكَ الْحُرْمَةُ فِي غَيْرِ الصَّوْمِ ذَنْبٌ، وَائْتَهَاكُمَا^(١) فِي الصَّوْمِ ذَنْبَانِ، وَتَتَضَاعَفُ السَّيِّئَاتُ بِتَضَاعَفِ الْحُرْمَاتِ.

قال النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»^(٢).

وقد قال جماعة من السلف: «إِنَّ الْغِيْبَةَ تُفْطِرُ الصَّائِمَ وَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ لِأَجْلِ هَذَا الْحَدِيثِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَجْرَ الصَّائِمِ لَا يَفِي بِإِثْمِ الْغِيْبَةِ لِأَنَّهَا مِنَ الْكِبَائِرِ، وَالْكِبَائِرُ مِنَ الْعِبَادَاتِ لَا تُكَفِّرُ الْكِبَائِرُ مِنَ السَّيِّئَاتِ إِلَّا بِالْمَوَازَنَةِ»^(٣).

وقال النبي ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتُحْتِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ - وَقِيلَ: الرَّحْمَةُ -، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»^(٤).

ومن الحديث الحسن: «صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَّةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا

(١) في (د): انتهأكه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم: (١٩٠٣-طوق).

(٣) ينظر: قوت القلوب: (١٢٤٧/٣)، والإحياء: (ص ٢٧٧)، وفتح الباري: (١٠٤/٤)، وهو قول الأوزاعي وسفيان.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، رقم: (١٠٧٩-عبد الباقي).

باب ، وَيُنَادِي مُنَادِي: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ ، وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»^(١).

[فضائل الصوم^(٢)):

وَقَالَ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ^(٣): كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ ، فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي ، وَقَالَ: لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ ، فَرْحَةٌ عِنْدَ إِفْطَارِهِ ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ ، وَلِخُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَالصَّيَامُ جَنَّةٌ»^(٤).

فهذه أَحَدَ عَشَرَ^(٥) خصلة ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ^(٦) تُؤَازِي الدُّنْيَا:

الْخِصْلَةُ الْأُولَى: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ» فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: يَعْلَمُ مَقْدَارَ ثَوَابِهِ .

وَالثَّانِي: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ»، أَي: صِفَتُهُ ؛ لِأَنَّهَا^(٧) حَرَكَاتٌ

وَسَكَنَاتٌ ، وَتِلْكَ لَا تَلِيقُ بِاللَّهِ .

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَبْوَابُ الصَّوْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، رَقْمٌ: (٦٨٢-بِشَار) .

(٢) يَنْظُرُ: الْعَارِضَةُ: (٣٢٤/٣-٣٢٧) ، وَالْقَبْسُ: (٤٨١/٢-٤٨٢) ، وَالْمَسَالِكُ:

(٢٤٢-٢٣٦/٤) .

(٣) قَوْلُهُ: «قَالَ اللَّهُ» لَمْ يَرِدْ فِي (د) وَ(ص) .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الصَّوْمِ ، بَابُ هَلْ يَقُولُ

إِنِّي صَائِمٌ إِذَا شِئْتُ؟ رَقْمٌ: (١٩٠٤-طُوق) .

(٥) فِي (س) وَ(ص): إِحْدَى عَشْرَةَ ، وَفِي (ف): إِحْدَى عَشْرَ .

(٦) فِي (س): خِصْلَةٌ مِنْهَا ، وَفِي (س) - أَيْضًا -: وَفِي خ: وَاحِدَةٌ .

(٧) فِي (د) وَ(ص): فَإِنَّهَا .

الخصلة الثانية: «إِلَّا الصَّوْمُ»؛ وَيَتَرَكَّبُ الْقَوْلَانِ عَلَى الْقِسْمِ الْأَوَّلِ فِي الْخَصْلَةِ الْأُولَى، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّ الصَّوْمَ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَقْدَارَ مَا يُثَابُ^(١) عَلَيْهِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِيهِ: «الْحَسَنَةُ بَعَشْرُ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضَعْفٍ، إِلَّا الصَّوْمُ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»^(٢).

أَوْ يَكُونُ الْمَعْنَى: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِي، إِذْ لَا يَطْعَمُ، وَأَنَا الَّذِي لَا يَطْعَمُ بِحَالٍ^(٣)، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ يَطْعَمَ، فَإِذَا تَكَلَّفَ ذَلِكَ الْعَبْدُ وَتَعَاطَاهُ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ قَدْرَ ثَوَابِهِ.

الخصلة الثالثة: قَوْلُهُ: «لِي»؛ وَفِيهِ أَقْوَالٌ، لُبَّابُهَا سَبْعَةٌ^(٤):

الْأَوَّلُ: «لِي»^(٥)، أَي: صِفَتِي، كَمَا تَقَدَّمَ، فَمَنْ تَعَاطَاهُ فَثَوَابُهُ غَيْرُ مُحْصَلٍ لِأَحَدٍ.

الثاني: أَضَافَهُ إِلَيْهِ إِضَافَةً تَشْرِيفٍ - وَإِنْ كَانَتْ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا لَهُ - / [١١٥/ب] كَمَا قَالَ: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٤]، تَنْبِيْهُاً عَلَى شَرْفِهِ^(٦).

الثالث: أَي: لَا يَعْلَمُهُ غَيْرِي^(٧)؛ فَإِنْ كُلَّ عَمَلٍ لَا يُمَكِّنُ الْعَبْدَ أَنْ يَسْتَرَهُ^(٨) إِلَّا الصَّوْمَ، فَيُمْكِنُ أَنْ لَا يَطَّلِعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ^(٩).

(١) فِي (ص): مَقْدَارُ ثَوَابِهِ.

(٢) أَخْرَجَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: كِتَابُ الصِّيَامِ، جَامِعُ الصِّيَامِ، (١/٣٥٦)، رَقْمٌ: (٨٦٤-المجلس العلمي الأعلى).

(٣) يَنْظُرُ: التَّوْضِيحُ لِابْنِ الْمَلْقَنِ: (٢٧/١٣).

(٤) يَنْظُرُ: الْقَبْسُ: (٢/٤٨١)، وَالْعَارِضَةُ: (٣/٣٢٤).

(٥) سَقَطَتْ مِنْ (س) وَ(ص).

(٦) فِي (ص): شَرْفُهَا. (٧) فِي (س) وَ(ف): غَيْرِهِ.

(٨) فِي (س): يَشْهَرُهُ.

(٩) غَرِيبُ الْحَدِيثِ لِابْنِ سَلَامٍ: (٣/٣٢٩)، وَشَرْحُ الصَّحِيحِ لِلخَطَّابِيِّ: (٢/٩٤٠).

الرابع: من صفة ملائكتي؛ لأن العبد إذا لم يأكل تشبّه بالملائكة، وهو^(١) أقوى من الأول عندي وأولى، فعليه ينبغي أن يكون المعول.

الخامس: أنا الذي أعلم مقدار ثوابه، وقد تقدّم ذكره في الأقوال.

السادس: أن معنى قوله: «الصوم لي»، أي: يَقمَعُ عَدُوِّي، وهو الشيطان؛ لأن سَبِيلَ الشيطان إلى الآدمي الشهوات، فإذا تُركت خاب^(٢) وذلك، وانحسر^(٣) وانخنس.

السابع: رُوي - ولم يصحّ، فربّك أعلم -: «أنَّ غُرَمَاءَ العبد لا يُجْعَلُ لهم إلى الصوم سَبِيلٌ»^(٤)، وذلك عندي - والله أعلم - إذا لم يكن معلوماً لأحد، ولا مكتوباً في الصُّحُفِ، فيستره الله له ويخبّؤه عليه رِقَقاً به، حتى

(١) في (د) و(ص): هذا.

(٢) في (د) و(ص): ذاب.

(٣) مرّضها في (د)، وفي (ص): انحسر، وفي (ز): انخسر.

(٤) قال ابن العربي (المسالك: ٢٤١/٤): «رُوي في بعض الآثار: أن العبد يأتي يوم القيامة بحسناته؛ ويأتي قد ضرب هذا، وشتّم هذا، وأخذ مال هذا، فتدفع حسناته لغرمائه، إلا الصيام، يقول الله: هو لي، ليس إليه سبيل»، وقال ابن حجر (الفتح: ١٠٩/٤): «روى البيهقي من طريق إسحاق بن أيوب بن حسان الواسطي عن أبيه عن ابن عُيينة: إذا كان يوم القيامة يُحَاسِبُ الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من عمله، حتى لا يبقى له إلا الصوم، فيتحمّل الله ما بقي عليه من المظالم، ويُدْخِلُهُ بالصوم الجنة»، وصحّحه من قول ابن عُيينة، واعترض أبو العباس القرطبي قول ابن العربي وردّه في المُفْهِم: (٢١٢/٣)، وردّ ابن حجر ما ذهب إليه أبو العباس، ومال إلى ما قرّره ابن العربي، ينظر: الفتح: (١٠٩/٤)، والتوضيح لابن الملتن: (٢٦/١٣).

يكون له جُنة من العذاب، فيطرح^(١) أولئك عليه سيئاتهم، فتذهب عنهم ويقيهم الصوم، فلا تضر^(٢) لأصحابها لزوالها عنهم ولا له؛ لأن الصوم جُنة^(٣).

الخصلة الرابعة: قوله: «وأنا أجزي به»، إشارة إلى أنه لا يتولى ذلك نائبٌ؛ من مَلِكٍ أو سِوَاهُ تَشْرِيفًا له^(٤).

الخصلة الخامسة: قوله: «يَدْعُ شهوته من أجلي»، ولم يقل: تُعَدِّمُ ولا تُضْعِفُ^(٥)، كما تقول الصوفية، وإنما قال: يَدْعُ شهوته مع وجودها وقوتها، وذلك أَعْظَمُ في المجاهدة وأكثرُ في الثواب.

الخصلة السادسة: قوله تعالى: «وطعامه وشرابه»، بَيَّانٌ بأن الشهوة متروكة مَقْمُوعَةٌ، والطعام والشراب متروك، فهما متروكان:

أحدهما: نَفْسِيٌّ.

والآخر: بَدَنِيٌّ.

وهناك من لا تقوى شهوته للطعام، فتكون له الخصلة الواحدة؛ وهي الترك، فإذا اجتمعتا^(٦) كان أفضل، إلا أن يكون ضَعِيفُ^(٧) الشهوة لَحَرْمَةٍ في ذلك، واعتماد وارتياض، فيكون لها من الفضلِ مثلُ الأوَّلِ.

(١) في (س) و(ف) و(ص): فيطرحون.

(٢) في (س): تصبر، وفي (ص): تصر، وفي (ز): تضير.

(٣) في (س) و(ف) و(ص): جنة.

(٤) هو قولُ أبي نصر الداودي، ينظر: التوضيح لابن الملقن: (٢٧/١٣).

(٥) في (ص) و(ز): يُعَدِّمُ ولا يُضْعِفُ.

(٦) في (د) و(ص): اجتماعًا.

(٧) في (س) و(ف): ضعف.

الخصلة السابعة: قوله: «من أجلي»، أي: امتثالاً لأمرى، وانقياداً لحكمى، بيان الفرق^(١) بين العبادة والعادة^(٢).

الخصلة الثامنة: قوله: «للصائم فرحتان^(٣)؛ فرحة عند إفطاره»، قال عامة العلماء: فرحة بالأكل لشوقه إليه وصبره عنه، ويعضد هذا قوله: «يدع شهوته»، أي^(٤): يدعها^(٥) لله تعالى، حتى إذا انتهى الأمد^(٦) المحدود اقتضى شهوته بعد ما قضى عبادته، وأين أفضل من هذا؟

وقالت الصوفية - وساعدهم على ذلك بعض المتفهمة -: معناه: «الفرح بتمام العبادة؛ سليمة من^(٧) نواقصها^(٨)».

وقلت أنا: إنها^(٩) فرحة لها مفروحان^(١٠)؛ قضاء الشهوة، وسلامة العبادة، ولا تعارض بينهما حتى يمتنع اجتماعهما.

الخصلة التاسعة: «فرحة عند لقاء ربه»، لما يرى من ثوابه.

(١) في (س) و(ف): للفرق.

(٢) في (س) و(ف): العادة والعبادة.

(٣) سقطت من (ص) و(د).

(٤) سقطت من (ص) و(س) و(ز).

(٥) في (س) و(ف) و(ص): فيدعها.

(٦) في (ص) و(س) و(ز): الأمر.

(٧) في (ص) و(د): عن.

(٨) في (س) و(ص) و(ف): نواقصها.

(٩) سقطت من (ص) و(د).

(١٠) في (د): مفروحان، وفي الطرة: في خ: وجهان، وفي (ص): فرحتان.

الخصلة العاشرة: / قوله: «وَلْخُلُوفٍ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»، يريدُ أَنْ تَغْيِرَ فَمِ الصَّائِمِ إِلَى الرَّائِحَةِ الْكَرِيهَةِ أَطِيبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ طِيبِ رِيحِ الْمِسْكِ عِنْدَكُمْ^(١)، الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ الْعِبَادَ يَسْتَحِبُّونَ رَائِحَةَ الْمِسْكِ الطَّيِّبَةِ^(٢)، وَلَا يَسْتَحِبُّونَ الدَّفْوَرةَ، وَهَذِهِ الرَّائِحَةُ الْكَرِيهَةُ هِيَ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ، وَضَرَبَ الطَّيِّبَ مَثَلًا لِلْمَحَبَّةِ، وَالْمَحَبَّةُ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَثُوبَةِ.

الخصلة الحادية عشر: قوله: «وَالصَّيَامُ جُنَّةٌ»، وَهَذَا نَصٌّ فِي أَنَّهُ وَقَايَةٌ، مِنَ الْمِجَنِّ، وَهُوَ مَا يُتَّقَى بِهِ فِي الْحَرْبِ مِنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ^(٣).

قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ^(٤) أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَنَاهَيْكَ بِهَذَا فَضْلًا، وَإِنَّهُ لَكَافٍ فِي شَرَفِ الصَّوْمِ، فَلَا تَطْلُبُوا بَعْدَهُ فَضْلًا فَإِنَّهُ يُجْزِئُكُمْ.

وَفَائِدَةُ الصَّوْمِ تَكْثُرُ وَجُوهُهَا، وَقَدْ مَضَتْ مِنْهَا فِي هَذَا الْكَلَامِ جُمْلٌ.

وَقَدْ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الزَّهَّادِ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٢]، أَيُّ: تَضَعُفُ شَهَوَاتِكُمْ^(٥).

وَقِيلَ: لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ الْجَائِعِينَ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ لَهُ - فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ -: إِنْ شِئْتَ أَنْ تُعَوِّضَ عَنْ^(٦) الصَّيَامِ إِطْعَامَ الْمَسَاكِينِ فَافْعَلْ.

(١) شرح الصحيح للخطَّابي: (٢/٩٤٠).

(٢) ضَبَّبَ عَلَيْهَا فِي (د).

(٣) شرح الصحيح لابن بطَّال: (٣/٨).

(٤) فِي (د): قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ، وَفِي (ص): قَالَ الْإِمَامُ، وَفِي (ز): قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْقَاضِي.

(٥) أَحْكَامُ الْقُرْآنِ: (١/٧٥)، وَيَنْظُرُ: الْجَامِعُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيِّ: (٣/١٢٦).

(٦) فِي (ص) وَ(د): عَلَى.

وقيل: لَتَقِلَّ مَؤُونَتُهُ؛ فَيَقِلُّ^(١) كَسْبُهُ، فَيَتَفَرَّغُ^(٢) زَمَانُهُ لِلْعِبَادَةِ.

وقيل: ليرتدع عن المعاصي، فَإِنْ حَالَةً قَدْ^(٣) تُحَرِّمُ عَلَيْهِ الْمَبَاحَ أُخْرَى أَنْ تَمْنَعَهُ مِنَ الْمَحْظُورِ.

فَرَكَّبُوا عَلَى هَذَا الْأَنْمُودَجِ مَا قَرَّرْنَاهُ فِي «قَانُونِ التَّأْوِيلِ» مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَافِ الَّتِي تَحْتَمِلُهَا.

وَالسَّحُورُ سُنَّةٌ؛ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ^(٤): «تَسَحَّرُوا، فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً»^(٥)، وَوُجُوهُ بَرَكَتِهِ^(٦) كَثِيرَةٌ، وَفَائِدَتُهُ^(٧) أَنْ يُقَسِّمَ غِذَاءَهُ بَيْنَ وَقْتَيْنِ، حَتَّى لَا يَلْحَقَهُ ضَجَرٌ بِالصَّوْمِ، وَلَا يَنَالَهُ مَرَضٌ^(٨)، وَلِذَلِكَ مُنِعَ مِنْ^(٩) الْوَصَالِ.

وَأَرَادَتِ الصَّحَابَةُ أَنْ تُوَاصِلَ فَمَنْعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ رِفْقًا بِهِمْ^(١٠)، ثُمَّ

(١) فِي (ص): يَثْقُلُ.

(٢) فِي (ص): يَفْرُغُ زَمَانُهُ.

(٣) سَقَطَتْ مِنْ (ص) وَ(د).

(٤) سَقَطَ مِنْ (س).

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ بَرَكَةِ السَّحُورِ، رَقْم: (١٩٢٣-طوق).

(٦) فِي (د) وَ(ز): بَرَكَتُهَا.

(٧) فِي (ص) وَ(ز): فَائِدَتُهَا.

(٨) فِي (س): مَرَضٌ.

(٩) سَقَطَتْ مِنْ (ص) وَ(س) وَ(ز).

(١٠) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ الْوَصَالِ، رَقْم: (١٩٦١-طوق)، وَلَفْظُهُ فِيهِ: «لَا تُوَاصِلُوا، قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ؛ إِنِّي أُطْعِمُ وَأُسْقِي».

وَاصِلَ بِهِمْ مُنْكَلًا لَهُمْ^(١)؛ لَتَعَرِّضِيهِمْ لِفِعْلٍ مَا لَمْ يُفَرِّضْ^(٢) عَلَيْهِمْ، تَشْبِيهًا
بِالْأَمِّ الْخَالِفَةِ^(٣)، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَزِيدُ فِي الْفَرَضِ، ثُمَّ تَعَجَزُ عَنِ الْجَمِيعِ،
وَالنَّاسُ مَنْقَسِمُونَ فِي ذَلِكَ، فَمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ فليُفْعَلْهُ، وَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلَا أَقْلَ
مِنْ تَمَرَّةٍ اتِّبَاعًا^(٤) لِلسُّنَّةِ، وَاجْتِنَامًا لِلْبَرَكَةِ، وَاعْتِقَادًا لِلْفَرْقِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ
الْكِتَابِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَرَكَةِ السَّحُورِ إِلَّا أَنْ فِي الصَّحِيحِ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«لَا تَوَاصِلُوا، فَأَيْتُكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ حَتَّى السَّحْرِ»^(٥).

وَتَعْجِيلُ الْفِطْرِ سُنَّةٌ^(٦)؛ فِي الصَّحِيحِ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا
الْفِطْرَ»^(٧)، «وَإِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ
الصَّائِمُ»^(٨)، أَيْ: دَخَلَ فِي وَقْتِ الْفِطْرِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ التَّنْكِيلِ
لِمَنْ أَكْثَرَ الْوَصَالِ، رَقْمٌ: (١٩٦٥-طُوق)، وَلَفْظُهُ فِيهِ: «فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهَوْا عَنْ
الْوَصَالِ وَاصِلَ بِهِمْ يَوْمًا، ثُمَّ يَوْمًا، ثُمَّ رَأَوْا الْهَلَالَ، فَقَالَ: لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُمْ،
كَالتَّنْكِيلِ لَهُمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهَوْا».

(٢) فِي (ص) وَ(د): يَفَرِّضُ اللَّهُ.

(٣) فِي (ص) وَ(د) وَ(ز): الْمَاضِيَّةُ، وَأَشَارَ إِلَيْهَا فِي (س).

(٤) سَقَطَتْ مِنْ (ص) وَ(د) وَ(ز).

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ
الْوَصَالِ إِلَى السَّحْرِ، رَقْمٌ: (١٩٦٧-طُوق).

(٦) قَوْلُهُ: «فِي الصَّحِيحِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَوَاصِلُوا، فَأَيْتُكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ
حَتَّى السَّحْرِ. وَتَعْجِيلُ الْفِطْرِ سُنَّةٌ» سَقَطَ مِنْ (ص).

(٧) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ تَعْجِيلِ
الْفِطْرِ، رَقْمٌ: (١٩٥٧-طُوق).

(٨) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ مَتَى
يَحِلُّ فِطْرُ الصَّائِمِ؟ رَقْمٌ: (١٩٥٤-طُوق).

ورأيت المدينة المقدسة في غربيها^(١) جبل أحد، فلا يمكن أحد أن يتحقق^(٢) - وخاصة/ في أيام الشتاء - غروب الشمس، لأنها تسكن وراء^(٣) [١١٦/ب] ذلك الجبل العظيم، ولكن ينظر طلوع الليل من المشرق، وسقوط الشمس عن عمائم الجبال، ولذلك كانوا إذا اغتاموا^(٤) ربما يفطرون في زمان النبي ﷺ وأبي بكر^(٥) وعمر، ثم تطلع الشمس^(٦).

ولا يتقدم الشهر بصوم، قال النبي ﷺ: «لا يتقدم أحدكم الشهر بيوم ولا بيومين، إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه، فليصم ذلك اليوم»^(٧).

وفي سنن أبي داود وغيرها: «إذا انتصف شعبان فلا يصومن أحدكم حتى يدخل رمضان»^(٨).

(١) في (ص): غربها.

(٢) بعدها في (س): غروبها.

(٣) في (د): من وراء.

(٤) في (س) و(ف): أغاموا، وفي (ص): غاموا.

(٥) قوله: «وأبي بكر» سقط من (د) و(ص).

(٦) أخرج البخاري من حديث أسماء بنت أبي بكر ؓ: «أفطرنا على عهد النبي ﷺ يوم غيم ثم طلعت الشمس»، كتاب الصوم، باب إذا أفطر في رمضان ثم طلعت الشمس، رقم: (١٩٥٩-طوق).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ؓ: كتاب الصوم، باب لا يتقدم رمضان بصوم يوم ولا يومين، رقم: (١٩١٤-طوق).

(٨) أخرجه أبو داود في السنن عن أبي هريرة ؓ: كتاب الصوم، باب في كراهية ذلك، رقم: (٢٣٣٧-شعيب).

[صِيَامُ سِتٍّ مِنْ شَوَّالٍ^(١)]:

وَلَا يُشَيِّعُهُ بِصَوْمِ سِتَّةِ أَيَّامٍ وَلَا سِوَاهَا؛ فَإِنَّ الْعِلَّةَ الَّتِي^(٢) نُهِيَ عَنْ سَبْقِهِ بِصَوْمِ هِيَ الْعِلَّةُ بَعَيْنَهَا مَوْجُودَةٌ مُتَمَكِّنَةٌ فِي التَّشْيِيعِ، وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ حَدَّ حُدُودًا وَوَضَعَ وَظَائِفَ^(٣) لِكُلِّ أُمَّةٍ، وَنَهَاها عَنِ الزِّيَادَةِ فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَوْ النِّقْصِ لَهَا، وَأَمَرَ بِالمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا، فَغَيَّرَتِ الْأُمَمُ وَزَادَتْ وَنَقَصَتْ، وَتَرَهَّبَتْ وَابْتَدَعَتْ، وَحَذَّرَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنْ ذَلِكَ؛ إِقَامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ فَاعِلُونَ لِيَنْقُذَ الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «لَتَرْكِبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِنْزًا بِشِنْزٍ، وَزِرَاعًا بِزِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحَرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»^(٤)، وَأَبَى اللَّهُ لِمَنْ سَبَقَ إِلَّا أَنْ يُبَدِّلُوا الصُّومَ^(٥)، فَحَذَّارٍ - أَيْتَهَا الْأُمَّةُ المَرْحُومَةُ - مِنْ ذَلِكَ، فَلَا تَصُومُوا قَبْلَ رَمَضَانَ وَلَا بَعْدَهُ، وَأَقْبِلُوا^(٦) عَلَى مَا أَلْزَمَكُمْ اللَّهُ بِالْإِمْتِثَالِ، وَخُذُوا مَا أَعْطَاكُمْ؛ فَإِنَّهُ بِكُمْ رَوْفٌ رَحِيمٌ.

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَسِتًّا مِنْ شَوَّالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ»^(٧)؟

(١) ينظر: العارضة: (٣/٣٢٢).

(٢) سقطت من (س).

(٣) في (ص): وُضِفَ وَضَائِفٌ.

(٤) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الْإِعْتِصَامِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، رَقْمٌ: (٧٣٢٠- طوق).

(٥) في (د): الصِّيَامُ.

(٦) في (د) و(ص): وَاقْبِلُوا مَا.

(٧) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الصِّيَامِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ صَوْمِ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ إِتْبَاعًا لِرَمَضَانَ، رَقْمٌ: (١١٦٤- عبد الباقي).

قلنا: الفائدة في ذلك: أن الله أعلم العبد بأن سِتَّة^(١) وثلاثين يوماً في الفضل^(٢) تعدل ثلاثمائة وستين يوماً في الأجر، تأكيداً وتنبهًا، لما أعلمنا به عن ربنا في القرآن بقوله: ﴿مَسَّ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ قَلْبُهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦١]، وأنت فصم سِتَّةَ أَيَّامٍ من أيِّ شهرٍ كان مع رمضان، قبله أو بعده، فإنك حائزٌ لتلك الفضيلة.

فإن قيل: لفظ الحديث: «ثم أتبعه سِتًّا من شَوَّالٍ»؟

قلنا: بإجماع من^(٣) الأمة أن غير شَوَّالٍ أفضل من شَوَّالٍ.

فإن قال: أخاف أن أموت قبل أن أصومها فأتعجل؟

قلنا له^(٤): ولم لا تخاف أن تموت قبل أن يخرج الوقت للصلاة؟ وأنت تؤخرها عن أوّل الوقت، وصلاة واحدة تفوتك أعظم عند الله^(٥) إثمًا وأحسن أجرًا من رمضانين، فأنت تتوانى في الصلاة، وتُعجل^(٦) ستة أيام من شَوَّالٍ، تالله ما هذا إلا من الشيطان.

وما رأيت أحدًا من أشياخي كلهم يفعلها، إلا واحدًا^(٧)؛ كان يُصْبِحُ / [١١٧/١]

(١) في (س) و(ف) و(ص) و(ز): سِتًّا.

(٢) في (ص): الفصل.

(٣) لم ترد في (س).

(٤) سقط من (س) و(ص).

(٥) قوله: «عند الله» لم يرد في (د).

(٦) في (ص): تتعجل، وفي (د): تُعجلُ بستة.

(٧) لعله يقصد شيخه الفقيه الحافظ أبا عامر محمد بن سعدون البصري، الداودي، ثم الشافعي، الأندلسي، نزيل بغداد، فقد ذُكر عنه تنقصه من الإمام مالك بن أنس رحمهما الله، ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخه، وأما نسبته إلى البدعة فقد شهر =

ثَانِي الْفِطْرِ صَائِمًا لَهَا، وَكَانَتْ عَلَيْهِ رَائِحَةٌ بِدْعَةٍ وَكَرَاهَةٍ^(١) لِمَالِكٍ، فَكَانَ يَعْتَمِدُ ذَلِكَ لَذَلِكَ، وَمَا كُنْتُ أَرَاهَا خَالِصَةً، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِهِ.

[من آداب الصيام]:

وَمَنْ آدَابُهُ إِذَا أَكْمَلَ صَوْمَ الشَّهْرِ امْتِثَالُ مَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: قُتِمْتُ رَمَضَانَ كُلَّهُ، وَلَا صُئِمْتُ رَمَضَانَ كُلَّهُ»^(٢)، وَرَكَّبَ^(٣) النَّاسُ عَلَى هَذَا: «لَا يَقُولَنَّ صَلَّيْتُ»، وَزَادَ فِيهِ بَعْضُهُمْ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، وَذَلِكَ كُلُّهُ خَطَأٌ، إِنَّمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَجْتَنِبَ قَصْدَ التَّزَكِّيَّةِ، فَإِذَا قَالَ: صَلَّيْتُ أَوْ صُئِمْتُ، فَقَدْ صَدَقَ، حَسْبُهُ^(٤) مَا اسْتَطَاعَ، وَلَا يَقُولُ: صَلَّيْتُ كَمَا يَجِبُ، أَوْ الصَّلَاةَ كُلَّهَا، وَلَا صُئِمْتُ أَيْضًا كَمَا يَجِبُ، وَلَا رَمَضَانَ كُلَّهُ، لِأَنَّهُ قَدْ يَغْفُلُ، أَوْ يُقَصِّرُ، فَكُرِهَ لَهُ لِأَجْلِ ذَلِكَ، فَأَمَّا لِأَجْلِ الْقَبُولِ فَلَا يَدْخُلُ ذَلِكَ فِيهِ.

= عَنْهُ الْقَوْلُ بِالتَّجْسِيمِ، تُوْفِي عام ٥٢٤هـ، قَالَ فِيهِ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: «لَمْ أَرِ بِبَغْدَادَ أَنْبَلَ مِنْهُ»، وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا: «هُوَ ثِقَّةٌ حَافِظٌ مُقَيَّدٌ»، سَمِعَ مِنْهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ «سَنَنَ أَبِي دَاوُدَ»؛ رَوَايَةُ اللَّوْلُؤِيِّ، تُوْفِي عام ٥٢٤هـ، تَرْجَمْتُهُ فِي: الصَّلَاةِ: (١٩٧/٢)، وَتَارِيخِ دِمَشْقَ: (٥٣/٥٩-٦١)، وَسِيرِ النِّبَلَاءِ: (١٩/٥٧٩-٥٨٣)، وَيَنْظُرُ: فَهْرَسِ ابْنِ خَيْرٍ: (ص ١٤٣).

(١) فِي (د): كَرَاهِيَةٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي السَّنَنِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ مَنْ يَقُولُ: صُمْتُ رَمَضَانَ كُلَّهُ، رَقْمٌ: (٢٤١٥-شُعَيْبٌ).

(٣) فِي (ص): رَتَبَ.

(٤) فِي (د) وَ(ص): حَسَبَ.

[صَوْمُ النَّفْلِ:]

وَصَوْمُ النَّفْلِ مُرَغَّبٌ فِيهِ ، وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ الشُّهُورَ الْمُمَدَّحَةَ فِي الصُّومِ وَالْأَيَّامَ ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَثِيرَ الصِّيَامِ ، وَلَكِنَّهُ مَا اسْتَكْمَلَ صَوْمَ شَهْرِ قَطُّ ، وَكَانَ أَكْثَرَ مَا يَصُومُ فِي شَعْبَانَ^(١) ، وَكَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا .

وَقَالَ ﷺ لِعِمْرَانَ: «أَصُمْتَ مِنْ سَرَرِ^(٢) شَعْبَانَ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا ، - يَعْنِي: مِنْ وَسْطِهِ - قَالَ: فَإِذَا أَفْطَرْتَ فَصُمْ يَوْمَيْنِ»^(٣) ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِسِتٍّ مِنْ شَوَّالٍ مَا قَدَّمَاهُ^(٤) مِنْ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ أَيَّامِ الْفِطْرِ ، أَيْ شَهْرٍ كَانَ .

وَقَالَ ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ»^(٥) .

«وَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَحَرَّى صَوْمَ يَوْمٍ يُفْضِلُهُ عَلَى سَائِرِ الْأَيَّامِ إِلَّا يَوْمَ^(٦) عَاشُورَاءَ»^(٧) .

(١) حَدِيثُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرِ قَطِّ إِلَّا رَمَضَانَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرِ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ» ، أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ: كِتَابُ الصِّيَامِ ، جَامِعُ الصِّيَامِ ، (١/٣٥٦) ، رَقْمٌ: (٨٦٢-المجلس العلمي الأعلى) .

(٢) قَالَ الْكِسَائِيُّ: السَّرَارُ آخِرُ الشَّهْرِ ، لَيْلَةُ يَسْتَسِرُّ الْهَلَالُ ، غَرِيبُ الْحَدِيثِ لِابْنِ سَلَامٍ: (٤/٢٤) ، وَرَدَّهُ فِي الْمَشَارِقِ ، وَقَالَ: إِنَّهُ وَسْطُهُ ، (٢/٢١٢) .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الصِّيَامِ ، بَابُ صَوْمِ سَرَرِ شَعْبَانَ ، رَقْمٌ: (١١٦١-عبد الباقي) .

(٤) فِي (ص): قَدَرْنَا ، وَفِي (د): قَدَمْنَا .

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الصِّيَامِ ، بَابُ فَضْلِ صَوْمِ الْمُحَرَّمِ ، رَقْمٌ: (١١٦٣-عبد الباقي) .

(٦) سَقَطَ مِنْ (د) .

(٧) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كِتَابُ الصُّومِ ، بَابُ صِيَامِ عَاشُورَاءَ ، رَقْمٌ: (٢٠٠٦-طوق) .

وقال ﷺ: «لئن عِشْتُ إلى قَابِلٍ لأصومنَّ التاسع»^(١).

«وَصَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ يَكْفُرُ سَنَةً قَبْلَهُ وَسَنَةً بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ يَكْفُرُ سَنَةً قَبْلَهُ»^(٢).

وُسئِلَ ﷺ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ فَقَالَ: «فِيهِ وَلِدْتُ، وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ»^(٣).

وكان ﷺ يصوم ثلاثة أيام من الشهر، لا يبالي أيها كانت^(٤).

وقال أبو هريرة: «أوصاني خليلي بثلاث»^(٥)؛ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتين من الضحى^(٦)، ولا أنام إلا على وتر^(٧).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء؟ رقم: (١١٣٤-عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي قتادة رضي الله عنه: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس، رقم: (١١٦٢-عبد الباقي).

(٣) هو حديث أبي قتادة السابق.

(٤) هو حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس، رقم: (١١٦٠-عبد الباقي).

(٥) سقطت من (س) و(ص) و(ز).

(٦) قوله: «وركعتين من الضحى» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم: (٧٢١-عبد الباقي).

١ ودخل النبي ﷺ على جُؤَيْرِيَةَ يوم الجمعة وهي صائمة، فقال: «أَصُمْتَ أُمْسٍ؟ قالت: لا، قال لها^(١): أتريدين / أن تصومي غداً؟ قالت: [١١٧/ب] لا، قال: فأفطري»^(٢).

وفي الصحيح: «أن النبي ﷺ نهى عن صَوْمِ يوم الجمعة»^(٣)، وروى في الحسن أنه كان يَصُومُهُ^(٤)، والنهي أَصَحُّ.

وفي الحَسَنِ: أن النبي ﷺ قال: «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترضَ عليكم، وإن^(٥) لم يجدْ إلا لِحَاءَ عِنْبَةٍ^(٦) أو عُودَ شَجَرَةٍ فليمضغه»^(٧)، ولم يصح.

وفي الصحيح: «ما من أيام أحبُّ إلى الله العمل فيها من عَشْرِ ذي الحجة»^(٨).

(١) سقط من (س).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، فإذا أصبح صائماً يوم الجمعة فعليه أن يفطر، رقم: (١٩٨٦-طوق).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، فإذا أصبح صائماً يوم الجمعة فعليه أن يفطر، رقم: (١٩٨٥-طوق).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الصوم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صوم يوم الجمعة، رقم: (٧٤٢-بشار).

(٥) في (د) و(ص): فإن.

(٦) في (ص): نخاعته.

(٧) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الصوم، باب النهي أن يخص يوم السبت بصوم، رقم: (٢٤٢١-شعيب)، قال أبو داود: «قال مالك: هذا كذب».

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه: كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق، رقم: (٩٦٩-طوق).

وفي الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه من النار سبعين خريفاً»^(١).

وفي الصحيح عن عائشة: «ما رأيت رسول الله ﷺ صائماً في العشر قَطُّ»^(٢).

وقال ﷺ - في الصحيح من طُرُقٍ - : «ما أفطر»^(٣) ولا صام من صام الدهر»^(٤)، وهو مكروه، والمأذون فيه صَوْمُ داود، «كان يصوم يوماً ويُفطر يوماً، ولا يفِرُّ إذا لاقى»^(٥)»^(٦).

والنَّاسُ في العبادات أقسامٌ، منهم من تَسَهَّلَ عليه الصلاة، ومنهم من يَخِفُّ عليه الصوم، ومنهم من تخف عليه الصدقة، فيأخذ كلُّ أحدٍ قِسْمَهُ الذي كُتِبَ له^(٧)، فيدخل على بابه الذي وُعِدَ^(٨) به، قال النبي ﷺ: «فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الرِّيَّانِ»^(٩).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﷺ: كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله، رقم: (١١٥٣-عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه أم المؤمنين عائشة ﷺ: كتاب الاعتكاف، باب صوم عشر ذي الحجة، رقم: (١١٧٦-عبد الباقي).

(٣) قوله: «ما أفطر» سقط من (س) و(ف).

(٤) هو حديث أبي قتادة ﷺ، تقدّم تخريجه.

(٥) في (ص): لَقِيَ.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن عمرو ﷺ: أبواب الصوم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في سرد الصوم، رقم: (٧٧٠-بشار).

(٧) سقط من (س).

(٨) في (ص): وعده.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب فضائل الصحابة، باب، رقم: (٣٦٦٦-طوق).

[الاعتكاف]:

وللصَّومِ أَخٌ كَرِيمٌ، وَصَاحِبٌ شَرِيفٌ، وَمُنَاسِبٌ رَفِيعٌ^(١)، وهو الاعتكافُ، ولم يَتَفَتَّنْ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّلَاصُّقِ إِلَّا مَالِكٌ - رحمه الله - وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ، حِينَ قَالَ: «لَا يَكُونُ الْاِعْتِكَافُ إِلَّا بِصَوْمٍ^(٢)»^(٣)، وَلَيْسَ فِيهِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، لَا فِي نَفْيِهِ وَلَا فِي إِثْبَاتِهِ^(٤)، إِلَّا أَنْ فِي الصَّحِيحِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ عُمَرُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: أَوْفِ بِنَذْرِكَ»^(٥).

وإنما جُعِلَ اللَّيْلُ عِبَارَةً عَنِ الْيَوْمِ؛ عَلَى عَادَةِ عَرَبِيَّةٍ مَشْهُورَةٍ، نَقَلَهَا أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي كُتُبِهِمْ، وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ: صُمْنَا خَمْسًا، فَيَعْبُرُونَ بِاللَّيَالِي عَنِ الْأَيَّامِ؛ لِأَنَّهَا عِنْدَهُمُ الْمُتَقَدِّمَةُ لَهَا الْمُعَبَّرَةُ^(٦)، وَبِهَا الْحِسَابُ، وَلَمْ يَفْهَمْ حَقِيقَةُ الْاِعْتِكَافِ مَنْ قَالَ: «إِنَّهُ بَغَيْرِ صَوْمٍ»^(٧)، فَإِنْ مَعْنَاهُ الْقِيَامُ عَلَى بَسَاطِ

(١) سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٢) في (ص): في المسجد.

(٣) الموطأ: كتاب الاعتكاف، ما لا يجوز الاعتكاف إلا به، (١/٣٦٥)، رقم: ٨٨٨-المجلس العلمي الأعلى).

(٤) ينظر: المسالك: (٤/٢٥٤)، وفيه: «فليس لأحد من علمائنا فيه على وجوب الصيام دليلٌ به احتفال».

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاعتكاف، باب من لم ير عليه صومًا إذا اعتكف، رقم: (٢٠٤٢-طوق).

(٦) في (د): لها العبرة، وضُيِّبَ عَلَى الْعِبْرَةِ، وَفِي (ز): وَلَهَا الْعِبْرَةُ، وَسَقَطَتْ مِنْ (ص).

(٧) هو قول الإمام الشافعي، ينظر: الإشراف للقاضي عبد الوهَّاب: (١/٤٥٢).

الْقُرْبَةَ لِرَبِّ الْعِزَّةِ عَلَى الدَّوَامِ، بِاللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَقَطَعَ علائق المباحات، حتى يكون مُقْبِلًا بقلبه بالنية، وَبَدَنِهِ ^(١) بالخدمة لله رب العالمين ^(٢).

وَإِذَا كَانَ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِالذِّكْرِ ^(٣)، فَكَذَلِكَ لَا يُقْبَلُ عَلَى طَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ؛ لِأَنَّ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ مُعْظَمُ مَقْصُودِ الدُّنْيَا أَوْ كُلِّهَا، وَإِذَا لَمْ يُجَامِعْ - بِاجْتِمَاعٍ - فَأَوْلَى أَنْ لَا يَأْكُلَ، أَوْ هُوَ مِثْلُهُ، إِلَّا أَنْ قَطَعَ الْجَمَاعَ دَائِمًا، لِأَنَّ مِثْلَهُ شُرْعٌ ^(٤) فِي الْإِحْرَامِ فِي الْحَجِّ، وَدَوَامُ قَطْعِ الْأَكْلِ لَمْ يُشْرَعْ مِثْلُهُ، وَلَا ^(٥) يَصَحُّ أَنْ يُشْرَعَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْهَلَكَةِ، فَكَانَ الصَّوْمُ وَالْفِطْرُ فِي وَقْتَيْهِمَا جَمِيعًا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ؛ فِي حَقِّ الْعِبَادَةِ، / وَحَقِّ النَّفْسِ الْمُتَعَبِدَةِ، فَيُؤَفِّي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

[١١٨/أ]

وَتَبَيَّنَ ^(٦) أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْإِعْتِكَافِ تَفْرِيعُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ بِالْكُلِّيَّةِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي الْمَحَلِّ الْمَخْصُوصِ بِالْعِبَادَةِ، وَلِهَذَا قَالَ مَالِكٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٧) - : «لَا يَقْرَأُ الْعِلْمُ» ^(٨)، لِأَنَّهُ عِنْدَهُ مِنْ أَسْبَابِ ^(٩) الدُّنْيَا، وَقَالَ غَيْرُهُ:

(١) فِي (د) وَ(ص): بِبَدَنِهِ.

(٢) يَنْظُرُ: الْمَسَالِكُ: (٤/٢٥٣).

(٣) فِي (د): بِذِكْرِ اللَّهِ، وَفِي (ص): بِذِكْرِ.

(٤) سَقَطَ مِنْ (س) وَ(ص) وَ(ز).

(٥) فِي (د): لَمْ.

(٦) فِي (س) وَ(ف): يَبَيَّنُ.

(٧) قَوْلُهُ: «رَحِمَهُ اللَّهُ» لَمْ يَرِدْ فِي (د) وَ(ص).

(٨) الْمَدُونَةُ: (١/٢٢٩)، وَيَنْظُرُ: الْمَسَالِكُ: (٤/٢٥٤).

(٩) فِي (ص): بَابٍ.

«يقرأ»^(١)»^(٢)، وما قاله^(٣) مالكٌ أولى، وإنما ينبغي أن يُقبلَ على كل ما يُكسبه رغبةً أو رهبةً، فإمّا أن يذكر ما ترك، أو يُقبل بالذِّكر على ما أعرض عنه^(٤)، فذلك تقارض^(٥) وتناقض.

[المعتكفون]:

وقد رأيتُ^(٦) من المعتكفين والمعتكفات ما لا يُحصي عددهم إلا خالقهم، وقد كانت مريمُ رضوانُ الله عليها^(٧) منهم، وليست نبيّةً في الأصح من الأقوال، ولكنها لما لَزِمَتْ بَيْتَ رَبِّهَا، واستغرقت أوقاتها في طاعته، وأعرضت عن الدنيا وأبنائها^(٨)؛ تَكَفَّلَ اللهُ لها بالرزق؛ من غير أن يجري على يدي أحدٍ من الخلق، فكان؛ ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُيْمُ آتَىٰ لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وكان زكرياء نبيّاً، فقيّضه الله لها كافلاً، ونالته بركتها، واشتملت عليها الدعوة المباركة من أمها، وإنما كان سؤالُ زكرياء لها^(٩) لأنه ظن أن غيره من أوليائها وقرباتها يأتيها به، فأخبرته أنه لا يدخل عليها أحدٌ،

(١) في (ص): يقرأه.

(٢) وهو قول ابن وهب، ينظر: المسالك: (٤/٢٥٤).

(٣) سقط من (س). (٤) سقطت من (س).

(٥) في (د): تفارض، وفي (ص): تعارض.

(٦) بعده في (د): جماعة، ومَرْضُهَا.

(٧) قوله: «رضوان الله عليها» لم يرد في (د) و(ص).

(٨) في (ص) و(ز): أبنائها.

(٩) بعدها في (د) لَحَقَّ، ولم يظهر لي شيء.

ولكنها تجده موضوعاً في مكانه ، فتعلم أنه من عند الله ، لأنَّ أَحَدَ الْقِسْمَيْنِ إذا انتفى ؛ وهو أن يجري على يَدَيَّ أَحَدٍ من الخلق ، وَجَبَ أن يكون من جهة الخالق ، وكلُّ قِسْمَيْنِ عقليين إذا زال أحدهما تَعَيَّنَ الآخرُ .

[تفسير قوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ آذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ﴾]

وقد قال الله تعالى في صِفَةِ قَوْمٍ التزموا بابَه واغتلقوا^(١) حِجَابَه : ﴿ فِي بُيُوتٍ آذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٧] .

واختلَفَ في قوله : ﴿ تُرْفَعُ ﴾^(٢) :

ف قيل : مفعوله مُضْمَرٌ فيها^(٣) ، التقديرُ : ترفع فيها الحوائج إلى الله عز وجل .

وقيل - وهو الأصح - : تُرْفَعُ عن شأن الدنيا ، وتُجَرَّدُ للآخرة ، فإنها سُوقُهَا ، وهي منافضةٌ لسوق الدنيا .

قال النبي ﷺ : « أَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا ، وَأَحَبُّهَا إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا »^(٤) ، والمساجد بيوت العبادة ، والقلوب بيوت الإيمان والإرادة .

(١) في (س) و(ف) : اخترقوا ، وفي (س) - أيضاً - : في خد : اعتلقوا ، وصحَّحها .

(٢) ينظر : أحكام القرآن : (٣/١٣٨٩) ، وتفسير الطبري : (١٧/٣١٧) - (التركي) .

(٣) سقطت من (س) و(ص) و(ز) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ؓ : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد ، رقم : (٦٧١) - (عبد الباقي) .

﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا﴾: أي: يلتزمونها^(١) للتسبيح والتقديس.

١
[١١٨/ب] هؤلاء الرجال الذين ﴿لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾، أي: لا يشغلهم^(٢) عن ذكر الله تجارة في الدنيا، أي: عملاً يطلبون به أكثر ممّا هم فيه/ منها، ولا مبايعة، أي: لا يشغلهم طلب ربح في الدنيا، ولا بذل عَيْنٍ بَعَيْنٍ، فقد يكون للرجل عَرَضٌ في الربح في البيع^(٣) والتجارة، وقد يكون له عَرَضٌ في عَيْنٍ^(٤) الشيء المطلوب، ولا عن الصلاة ولا عن الصدقة.

[نكتة]:

قالوا^(٥): «وفي قوله: ﴿لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ﴾، ولم يقل: لا يتجرون؛ نكتة، هي أن الجمع بينهما مُمَكِّنٌ، فهذا يقتضي أن يجمع بين تجارته وعبادته^(٦) من غير أن تُلْهِيه، ولكن فيما^(٧) لا بدّ له^(٨) منه فيه». وهذا معنى قول مالك: «إن المعتكف لا بأس بأن يبتاع الشيء اليسير لَعْدَائِهِ أو لِعَشَائِهِ»^(٩) (١٠).

(١) في (د): يلتزمها، وفي (ص): يلتزمونها.

(٢) قوله: «لا يشغلهم» سقط من (ص).

(٣) في (س): والبيع.

(٤) في (س): غير.

(٥) هو قول الإمام أبي القاسم القشيري، ينظر: لطائف الإشارات: (٦١٤/٢).

(٦) في (د) و(ص): تجارة وعبادة.

(٧) في (س): فيها.

(٨) سقطت من (س) و(ص).

(٩) في (س) و(ف): عشائه، وفي (ص): ولعشائه.

(١٠) المدونة: (٢٢٨/١).

والأوَّلُ أقوى لا مِرْيَةَ فيه .

وقيل: إن^(١) المراد بقوله ذلك: «الذين إذا^(٢) سَمِعُوا صَوْت^(٣) المؤذن «حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح^(٤)»؛ تركوا ما هم فيه^(٥) من التجارة والبيع، وأقبلوا إلى العبادة، وأجابوا داعي الله، وقاموا لأداء حقه^(٦)»^(٧).

[حكاية]:

وقد كان من أصحابنا بتلك الديار^(٨) رَجُلٌ صَالِحٌ حَدَّادٌ؛ إذا صَلَّى الصبحَ قَعَدَ يذكُرُ الله، ثم يحضر مجلس الذكر، ثم يقومُ إلى حَدَادَتِهِ، فإذا سمع النداء؛ إن كان والمِطْرَقَةُ مرتفعةً بيده لِيَصُبَّهَا على السَّنْدَانِ رَمَى بها، ولم يوصلها إليه^(٩)، وخرج وتوضأ^(١٠)، وجاء المسجد فصلَّى الظهر، وأقام في حِلَقِ الذِّكْرِ والصلاة إلى العصر، ثم يخرج بعد الصلاة لِلنَّظَرِ في فِطْرِهِ، ويُصَلِّي المغرب في المسجد، ويُفْطِرُ في منزله، ويَخْرُجُ فَيُصَلِّي إلى أن يُصَلِّي العشاء الآخرة^(١١)، ثم يرجع إلى منزله فينام حتى السَّحَرِ، فيقومُ

(١) سقطت من (س) و(ص) و(ز).

(٢) سقطت من (س) و(ز).

(٣) في (د) - أيضاً -: قول.

(٤) قوله: «حي على الفلاح» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٥) في (د): فيها، وأشار إلى ما أثبتناه.

(٦) سقط من (س).

(٧) لطائف الإشارات: (٦١٤/٢).

(٨) بالإسكندرية، ينظر: الأحكام: (١٨٧٣/٤).

(٩) في (س): إليها.

(١٠) في (ش) و(ف): فتوضأ.

(١١) سقطت من (د) و(ص).

يُصَلِّي^(١) حتى الفجر، ثم يخرج إلى المسجد لمثل حاله في يَوْمٍ قبله، هكذا عُمُرُه.

[حقيقة الاعتكاف]:

وفي الحديث الصحيح: قال النبي ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فذكر: وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ»^(٢)، من حين يخرج منه حتى يعود إليه، فهو أبداً في اعتكاف.

وبهذا كله يظهر لك أن الاعتكاف ترك ما سوى الله من الشهوات والمباحات، والإقبال عليه بالطاعة، فإن ترك الأهل والولد والمال فذلك على قسَمَيْنِ:

أحدهما: أن يتركه بِنِيَّةٍ أن لا يعود إليه فهو:



(١) في (س) و(ص) و(ف): فيصلِّي.

(٢) تقدّم تخريجه.

المُهَاجِرُ: وهو الاسمُ الثاني والعشرون

صِفَةُ كَرِيمَةٍ، وَخِطَّةٌ شَرِيفَةٌ، تَمَنَّاها النَّبِيُّ ﷺ كَرَامَةً لِلْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «لَوْلا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ»^(١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلْمُفْرَّاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾ [التوبة: ٢٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَلْعَبُدُونِي أَلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي بَاغِبُكُمْ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْحَالَةُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَلَمْ يَحْفَظُوا رَسْمَهَا^(٢)، وَلَا أُعْطُوا اسْمَهَا.

وَالْهَجْرَةُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِمَعَانٍ كَثِيرَةٍ؛ مَرَجْعُهَا إِلَى الْبَعْدِ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا فِي «شرح الحديث» و«كتاب الأحكام»^(٣) مُوَعَبَةً. [أ/١١٩]

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، بَابُ

قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْلا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ مِنَ الْأَنْصَارِ»، رَقْمُ: (٣٧٧٩-طوق).

(٢) فِي (د): رَتَبْتُهَا.

(٣) أَحْكَامُ الْقُرْآنِ: (١/٤١٨-٤١٩).

وَالْحِكْمَةُ فِي ذِكْرِهَا بِلَفْظِ ^(١) الْمُفَاعَلَةِ مَا فِيهَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ ^(٢) مِنَ الْمَنَازَعَةِ ، حَسْبَمَا بَيَّنَّا قَبْلُ فِي قَوْلِهِ ﷺ : «قَعَدَ الشَّيْطَانُ لِابْنِ آدَمَ» ^(٣) فِي طَرِيقِ الْإِيمَانِ ، وَقَعَدَ لَهُ فِي طَرِيقِ الْهَجْرَةِ ؛ فَقَالَ لَهُ : أَتَهَاجِرُ وَتَذَرُ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ وَمَالَكَ ، فَخَالَفَهُ فَهَاجَرَ ، إِلَى قَوْلِهِ : فَحَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ .

وَفِي ^(٤) أَصْلِ الْهَجْرَةِ الَّتِي نَشَأَتْ ^(٥) عَنْهُ وَجْهَانِ :

أَحَدُهُمَا : خَوْفُ الْمُحِقِّ مِنَ الْمُبْطِلِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ .

وَالثَّانِي ^(٦) : قَلَّةُ الْمَعِينِ عَلَى الْحَقِّ ، وَعَدَمُ الْقَابِلِ ^(٧) لَهُ ، فَيُخْرِجُ إِلَى مَوْضِعٍ يَأْمُرُ فِيهِ ^(٨) ، وَيُبْلَغُ ، وَيُقْبَلُ قَوْلُهُ ^(٩) فَيَنْتَشِرُ ، وَيَقُومُ الْحَقُّ ، وَيَشِيعُ الْخَيْرُ ، وَتَعْمُ الطَّاعَةُ ، وَيَتَّبِعُ ^(١٠) ، وَيُقْضَى فَرَضُ الْعِبَادَةِ الْمُسْتَحَقَّةُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَهَذَا مِمَّا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ .

(١) فِي (س) وَ(ف) : بِمَعْنَى .

(٢) فِي (د) وَ(ص) : بَيْنَ الْعَبْدِ وَالشَّيْطَانِ .

(٣) قَوْلُهُ : «لِابْنِ آدَمَ» سَقَطَ مِنْ (س) .

(٤) فِي (د) وَ(ص) : وَأَصْلُ الْهَجْرَةِ .

(٥) فِي (د) وَ(ص) : تَنَشَّأَتْ ، وَفِي (ص) : نَشَأَتْ عَلَى .

(٦) فِي (د) وَ(ص) وَ(ز) وَ(س) : أَوْ قَلَّةُ الْمَعِينِ ، مِنْ غَيْرِ قَوْلِهِ : وَالثَّانِي ، وَمَا أُثْبِتْنَاهُ صَحَّحَهُ فِي (د) .

(٧) فِي (د) وَ(ص) : الْقَابِلُ .

(٨) سَقَطَتْ مِنْ (د) وَ(ص) .

(٩) سَقَطَ مِنْ (س) وَ(ص) وَ(ز) .

(١٠) سَقَطَتْ مِنْ (د) وَ(ص) .

[العلة في بقاء الطرطوشي بمصر^(١)]:

وقد كنتُ أَتَكَلَّمُ كثيرًا بعد انكِفائي عن العراق إلى الثَّغَرِ مع شيخنا أبي بكر الفهري في معنى مُقامه بتلك الأرض التي غلبت فيها المناكير على الجماهير، وتعدَّى إلى التوحيد وأصل الدين، وأُشِيرُ عليه بالخروج، وتتناظر^(٢) في ذلك، وأحتجُّ عليه بالهجرة فيقول لي: «إني لا أخاف على نفسي شيئًا، وأدفع عن قلوب المؤمنين بمقامي هذا كثيرًا من الشُّبُه، وأُقيِّمُ بين قَوْمٍ لهم قَبُولٌ لِلْعِلْمِ، وحرصٌ على الطلب، ومعرفةٌ بالنظر، فأما بلاد المغرب - وإن كانوا على طريقة واحدة - فقد استولى عليهم الجهلُ، وفشا فيهم التقليدُ، وزهدوا في النظر، وحجَّرتْ أُمَلَّاكُهُمْ^(٣) عليهم في^(٤) ذلك، سيرة أُمُويَّة، ونشأة تقليدية، فإن سَلِمْتُ^(٥) بينهم عِشْتُ ضَائِعًا عندهم»، وجرى بيني وبينهم في ذلك كلام كثير، بدأته^(٦) في «الأُمالي^(٧)»، واستوفيته^(٨) في كتاب «ترتيب الرِّحَلَةِ لِلتَّرْغِيبِ فِي الْمِلَّةِ^(٩)».

(١) ينظر: أحكام القرآن: (٤٨٥/١).

(٢) في (د): تناظروا، وفي (ص): تتناظر معه.

(٣) قوله: «وحجَّرتْ أُمَلَّاكُهُمْ» في موضعه بياض بـ (ص).

(٤) سقطت من (ص).

(٥) في (د) و(ص): سكنت.

(٦) في (ص): بدأناه.

(٧) في (د): الأول، وما أثبتناه أشار إليه في طرته.

(٨) في (د): أستوفيه، وفي (ص): استوفيناه.

(٩) بعده في (د) قوله: «وَعَالَيْتُ الْأَقْدَارَ فَعَلَبْتُ عَلَيَّ بِحَيَاةِ الْوَالِدَةِ؛ التي لم يكن

لها غيري، وكانت لَهُمُ حَسْرَى بَاكِئَةً عَلَيَّ، فتعَيَّن في الدِّينِ أَنْ أَكْرَّ =

[مناقبُ أبي القاسم السُّيُوري]:

وقد كان أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث السُّيُوري^(١) زاهداً عالماً، وكان مقيماً بالقيروان مع شَحْنِهَا بالبدع، وظهور ما ظَهَرَ فيها من الفتن، ولكن كان فيها قَوْمٌ فضلاء يَأْنَسُ^(٢) بهم، وَيَسْكُنُ إليهم، وكان يُثَبِّتُ قلوب المؤمنين، وَيَدْفَعُ في شُبُه المبتدعين.

[من ضوابط الهجرة]:

وكلُّ بُقْعَةٍ اليوم مشحونة بالبدع والمظالم والمناكير، ولكن هي دركات^(٣)؛ فَأَيُّهَا كان أَحَقَّ كانت الهجرة إليه أَوْجَبَ، إِذْ عَدَمَ بعض الشرِّ خَيْرٌ، وتخفيفُ بعضه خَيْرٌ، ولو لَزِمَ الإنسانُ بَيْتَهُ في داره ولم يخرج كما فعل جماعةٌ بمصر حين دخلها الْمُغِيرُونَ^(٤) لكان ذلك رأياً، والأمر مشهورٌ، والله أعلم.

= عليها راجعاً، مُمَثِّلاً لأمر الله، وله في حِكْمَةٍ بعد انقيادي لطاعته واطاعتها، ثم ماتت وقد وترني الأهل والولد، وانتهى كل شيء إلى ما كتب له من الحال والأمد، وليس لأحد عن قضاء الله ملتحداً. اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ دَرْكِ الشَّقَاءِ، وسوء القضاء، وَجَهْدِ البلاء، وشماتة الأعداء»، وأشار الناسخ إلى ما أثبتناه.

(١) الإمام الفقيه، العلامة المستبحر، عبد الخالق بن عبد الوارث التميمي القُرَوي، أبو القاسم السُّيُوري، ت ٤٦٠ هـ، قرأ على أبي عمران الفاسي، والأدري، واعتنى بالأصلين، وكان فقيهاً نظَّاراً، ينظر في ترجمته: ترتيب المدارك: (٦٥/٨-٦٦)، ومعالم الإيمان: (١٨١/٣-١٨٤)، والعُمُر: (١٨٧/٢-١٨٨).

(٢) في (د) و(ص): أُنْسَ بهم وسَكَنَ.

(٣) في (س) و(ف): درجات.

(٤) يقصد بهم العبيديين.

[الباعثُ على رجوع ابن العربي إلى الأندلس]:

وَعَالَيْتُ الْأَقْدَارَ فَغَلَبْتُ عَلَيَّ بِحَيَاةِ الْوَالِدَةِ؛ الَّتِي لَمْ يَكُنْ لَهَا^(١) غَيْرِي، وَكَانَتْ لَهْفِي حَسْرَى بَاكِئَةً عَلَيَّ، فَتَعَيَّنَ فِي الدِّينِ أَنْ أَكْرَرَ عَلَيْهَا رَاجِعًا، مُمْتَثِلًا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَلَهُ فِي حِكْمَةٍ^(٢) بَعْدُ / انْقِيَادِي لَطَاعَتِهِ وَطَاعَتِهَا، ثُمَّ مَاتَتْ وَقَدْ وَتَرَنِي^(٣) الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ، وَانْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَا كُتِبَ^(٤) لَهُ مِنَ الْحَالِ^(٥) وَالْأَمَدِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَنْ قَضَاءِ اللَّهِ مُلْتَحَذٌ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَجَهْدِ الْبَلَاءِ، وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ.

[أقسامُ الهجرة^(٦)]:

وَالْهَجْرَةُ عَلَى أَقْسَامٍ، رُؤُوسُهَا ثَمَانِيَّةٌ:

الْأَوَّلُ: الْهَجْرَةُ مِنَ الْخَوْفِ عَلَى الدِّينِ وَالنَفْسِ، كَهَجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ آخِرًا أَوَّلًا، فَإِنَّهُ وَأُمَّتُهُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ، نَبِيُّ بَنِيٍّ، وَأُمَّةٌ بِأُمَّةٍ، فَكَانَتْ لَهُ وَلَهُمْ لِلْخَوْفِ^(٧)، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي دَارٍ وَأَمِنَ الذَّرَا^(٨)، وَعَمَرَ الْحَرَا^(٩)؛ تَعَيَّنَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ الْقَصْدُ إِلَيْهِ، وَحَرَمَ عَلَيْهِ الْبَقَاءُ دُونَهُ، إِلَّا لِمَنْ أُذِنَ لَهُ، تَحْرِيمًا

(١) سقطت من (س).

(٢) في (د) و(ص): حكمه.

(٣) في (ص): وتد بي.

(٤) في (ص): كنت.

(٥) سقطت من (ص). (٦) ينظر: أحكام القرآن: (١/٤٨٤).

(٧) في (ص): هجرة الخوف.

(٨) في (ص): الردى، وينظر في معاني الذَّرَا: تاج العروس: (٣٨/٩٠).

(٩) ينظر: تاج العروس: (٣٧/٤١٨).

يَقْتَضِي لَهُ إِنْ لَمْ يَجْتَنِبْهُ^(١) تَحْرِيمَ الْجَنَّةِ، إِذْ كَانَ مِنْ شُرُوطِ الْإِيمَانِ حِينَئِذٍ
الَّتِي لَا يَجْزِي إِلَّا بِهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا أَلْمَلِكَةَ ظَالِمًا
أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ
أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْسَ بِأُولَئِكَ مَا نُنَاجِيهِمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا
الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ
سَبِيلًا قَالُوا لَيْسَ بِأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٦-٩٨] .

قال ابن عباس: «كنتُ أنا وأُمِّي من المُستضعفين»^(٢)، فإنها أَسَلَمَتْ
وتبعها في الإسلام، وخرج عن حُكْم أبيه على ما يجب في الدين، خلافاً
لمن قال: «إنه لا يتبع إلا أباه»، وليس ذلك بصحيح، ولا يُعَوَّلُ^(٣) عليه^(٤).

فلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ مَكَةَ أَسْقَطَ الْهَجْرَةَ، [قال رسولُ اللهِ ﷺ:
«لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية»^(٥)]^(٦)، وقال عليه السَّلام: «اعمل
من وراء البحار، فإن الله لن يترك من عملك شيئاً»^(٧).

(١) في (ص) و(د): يجبه .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وما لكم لا تفاتلون
في سبيل الله﴾، رقم: (٤٥٨٧-طوق).

(٣) في (د): بمعول .

(٤) ينظر: العارضة: (١٠٤/٩).

(٥) قوله: «قال رسول الله ﷺ: لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية» لم يرد في
(ص) و(س) و(ز).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة ؓ: كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح
مكة على الإسلام والجهاد والخير، رقم: (١٨٦٤-عبد الباقي).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ؓ: كتاب الإمارة، باب
المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير، رقم: (١٨٦٥-عبد الباقي).

الثاني: الخُرُوجُ من أرض يُسَبُّ فيها^(١) السَّلَفُ، وقد قال مالك: «لا يَحِلُّ لأحد أن يُقيمَ بأرضٍ يُسَبُّ فيها^(٢) السَّلَفُ»^(٣)، وهذا الفقه صحيح؛ وذلك أن المُتَكَرِّرَ إذا كان معك لم يَحِلَّ لك أن تكون معه إذا لم تَقْدِرْ على تغييره، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

[سَجَنُ الطرطوشي خمس سنين]:

وقد كُنْتُ أَكَلَمُ شيخنا الفَهْرِيِّ في مُقامه بها، فيقول: «لا آمَنُ من^(٤) الإِذَايَةِ»، فلم يَمُرَّ به إلا قَلِيلٌ فَقَصِدَ بالمطالبة، وَسَجَنَ خمسة أعوام، في صُورَةٍ بَرٍّ وإِكْرَامٍ، والله يرفعه في أعلى الدرجات بِحُسْنِ نيته، وسَدَادِ طريقته بِرَحْمَتِهِ.

[تنمة أقسام الهجرة]:

الثالث: الخروج من أجل الإِذَايَةِ على النفس، وهي وإن كانت داخلة في القسم الأول، ولكنها تَنفَرِدُ عنها بأن النبي ﷺ خرج^(٥) خائفًا، وإلى بقعة تمهَّد^(٦) فيها الإسلام، وهذا يَخْرُجُ لِمُجَرَّدِ^(٧) الخَوْفِ.

(١) في (س): فيه.

(٢) في (س): فيه.

(٣) الانتقاء لابن عبد البر: (ص ٧٢)، وينظر: أحكام القرآن: (١/ ٤٨٤).

(٤) سقطت من (ص) و(د) و(ز).

(٥) في (ص) و(ف) و(س): في القسم، وضرب عليها في (د).

(٦) في (ص): يتمهد. (٧) في (ص) و(د): بمجرد.

وَأَوَّلُ مَا يُرَوَّى ذَلِكَ / عن الخليل عليه السَّلام؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا آتَاهُ رُشْدَهُ [١/١٢٠]
وَيَسَّرَ لَهُ مِنَ السَّدَادِ وَالتَّوْحِيدِ سَبِيلَهُ وَقَضَدَهُ؛ حَتَّى بَلَغَ مِنَ الْهُدَايَةِ إِلَى أَنْ
يَعْلَمَ أَنَّ مَنْ يَنْتَقِلُ وَيَزُولُ وَيَتَصَرَّفُ بَيْنَ الطُّلُوعِ وَالْأُفُولِ لَيْسَ بِرَبٍّ، وَلَوْلَا مَا
كَانَ سَبَقَ^(١) لَهُ مِنَ الرُّشْدِ^(٢) مَا عَرَفَهُ مُحَدَّثًا قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ مُنْتَقِلًا^(٣)، وَلَمَّا كَانَ
مُحْتَجًّا عَلَى قَوْمِهِ بِمَا لَمْ يَعْرِفْ مِنْ حَالِهِ، وَلَكِنْ لَمَّا سَبَقَتْ لَهُ الْمَعْرِفَةُ
بِالْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا، وَأَنَّهَا صَادِرَةٌ عَنِ الْخَالِقِ وَحْدَهُ؛ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ
بِالْحَالَاتِ، وَلَا يُشَبِّهُهُ الْمُحَدَّثَاتِ، حِينَئِذٍ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى الْحِجَاكِ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ
مِنَ الدَّلِيلِ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى
قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٤] .

وَمِثْلُهَا فِي الدَّلِيلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٤] ،
فَغَيَّرَ الْمُنْكَرَ بِالْحَقِّ، وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِالدَّلِيلِ الْحَقِّ، وَهُوَ دَلِيلُ الْخُلْفِ؛ الَّذِي
يَنْفَعُ فِي قُلُوبِ الْمُبْتَدِّئِينَ^(٤) أَعْظَمُ مِمَّا يَنْفَعُ الدَّلِيلُ الْمُطَرِّدُ، فَإِنَّكَ تُرَى
الْجَاهِلُ فِي الْجِدَالِ أَنَّكَ مَعَهُ؛ حَتَّى تَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يُمْكِنُهِ الْإِطْرَادُ
إِلَيْهِ^(٥)، فَتَدْعُوهُ الضَّرُورَةُ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ مَعَكَ إِلَى هَذِهِ مَا بَنَى، وَحَلَّ مَا
عَقَدَ، فَتَبْلُغَ الْمُرَادَ فِي لُطْفٍ بِحِكْمَةٍ^(٦) اللَّطِيفِ وَحُكْمِهِ .

(١) فِي (س): سَنَن .

(٢) فِي (س): رَشْد .

(٣) فِي (ص): مُسْتَقْبَلًا .

(٤) فِي (د): الْمَهْتَدِينَ ، وَفِي (ص): الْمُبْتَدِّعِينَ .

(٥) فِي (ص) وَ (د) وَ (ز): عَلَيْهِ .

(٦) فِي (د): لِحِكْمَةٍ .

وَرَمَوْهُ فِي النَّارِ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْهَا ، وَرَأَى أَنَّهُ فِي مَحْنٍ مُتَوَاتِرَةٍ فَقَالَ :
 ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهْدِي ﴾ [الصفات: ٩٩] ، فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِهِمْ إِلَى اللَّهِ بِبَدَنِهِ ،
 كَمَا كَانَ أَبَدًا ذَاهِبًا إِلَى اللَّهِ بِقَلْبِهِ ، فَذَهَابُهُ فِي طَاعَتِهِ أَوْجَبَ ذَهَابَهُ إِلَيْهِ .
 وَاخْتَلَفَ فِي الْهَدَايَةِ الَّتِي طَلَبَ ، وَكَانَتْ حَاصِلَةً لَهُ مِنْ قَبْلُ ، إِذْ لَوْ لَمْ
 تَكُنْ ^(٢) هَدَايَةً لَمَا دَعَا إِلَى التَّوْحِيدِ ، وَلَا كَانَتْ مِنْهُ الْحِجَاجُ ، وَلَا طُولَبَ فِي
 نَفْسِهِ .

فَقِيلَ : طَلَبَ الْهَدَايَةَ فِي الْإِسْتِقْبَالِ ، وَسَأَلَ أَنْ تَسْتَمِرَّ لَهُ ^(٣) .

وَقِيلَ : سَأَلَ الْهَدَايَةَ إِلَى مَوْضِعٍ يَأْمَنُ فِيهِ .

وَقِيلَ : إِلَى أَعْوَانٍ يَكُونُونَ مَعَهُ .

فَأَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ .

تَوَطُّئَةً لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَتَأْسِيسُ الْحَالِ لَهُ ^(٤) :

وَسَارَ هُوَ وَزَوْجُهُ لَا ثَالِثَ مَعَهُمَا ، فَلَمَّا دَخَلَ مِصْرَ تَحَدَّثَ النَّاسُ
 بِجَمَالِ سَارَةَ ، فَبَلَغَ خَبَرُهَا جَبَّارَهَا ؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ يَبْعَثَ بِهَا ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى
 الْإِمْتِنَاعِ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ لَهَا : « إِنْ سَأَلْتُ فَقُولِي لَهُ : إِنَّكَ أُخْتِي ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَى
 الْأَرْضِ أَحَدٌ يَعْبُدُ اللَّهَ غَيْرِي وَغَيْرِكَ ^(٥) » ^(٦) ، وَقَدْ بَيَّنَّا فَوَائِدَ الْحَدِيثِ فِي
 « أَنْوَارِ الْفَجْرِ » ، وَفِيهِ بَدَائِعُ وَحِكَمٌ .

(١) فِي (د) وَ(ص) وَ(ز) : إِلَيْهِ .

(٢) فِي (د) : يَكُنْ .

(٣) لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ : (٢٣٧/٣) .

(٤) فِي (س) : « تَوَطُّئَةً .. تَأْسِيسٌ » ، مُتَّصِلَةٌ بِمَا قَبْلُهَا ، وَلَمْ يَجْعَلْهَا تَرْجُومَةً مُفْرَدَةً .

(٥) بَعْدَهُ فِي (ص) : حَقِيقَةُ الْإِكْرَاهِ .

(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كِتَابُ الْأَنْبِيَاءِ ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ

تَعَالَى : ﴿ وَاتَّخِذِ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ، رَقْمٌ : (٣٣٥٨ - طُوق) .

ونهاها^(١) أن تُقَرَّ بالزوجية، فلمَّا دَخَلَتْ^(٢) عليه تَنَاوَلَهَا^(٣) فغَطَّ^(٤) واضطرب، فقال: «ادْعِي الله لي ولا أضرك، فدَعَتْ فَحُلَّ، ثم عاد إليها فأخَذَ، حتى عاد^(٥)/ثلاث مرات، فقال للذي جَاءَهُ^(٦) بها: لم تأتني بإنسان، إنما أتيتني^(٧) بشيطان، فأخدمها هاجر، فانصرفت وإبراهيم يصلي، فقالت: أشعرت أن الله كَبَتَ^(٨) الكافر وأخدم وليدة؟ قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء»^(٩).

وَوَهَبَتْهَا سَارَةً لإبراهيم، فَحَمَلَتْ مِنْهُ بِإِسْمَاعِيلَ، فلمَّا ولدته غَارَتْ بها، فخرج بها إبراهيم مأموراً من السماء في القفار والقيافي، إلى أن أنزَلَهُ الله على عُقْرَةٍ^(١٠) زَمَزَمَ تحت سَرَحَةٍ، فتركها وولَّى عنها، وكان من الحديث ما عَلِمْتُمْ^(١١)، وآل^(١٢) الحال إلى عمارة البيت وتبيين الأثر^(١٣) لِنَبِيِّنَا ﷺ.

(١) في طُرة منقولة من خَطِّ القاضي بـ (س): بَوَّب البخاري عليه تبويباً في كتاب النكاح لم أر من يعرفه.

(٢) في (د) و(ز): أدخلت.

(٣) في (د) و(ز): تناولنا.

(٤) في (ص): سقط.

(٥) سقط من (د) و(ص)، وفي (ص): من ثلاث مرات.

(٦) في (ص): جاء.

(٧) في (د) و(ص): جئتني.

(٨) في (ص): أكتبت.

(٩) هو حديث أبي هريرة السابق.

(١٠) في طُرة بـ (س): عقرة الحوض: مقام الشارب منه.

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب الأنبياء، باب يزفون،

رقم: (٣٣٦٤-طوق).

(١٢) في (ص): آلت.

(١٣) في (ص) و(د): الأمر.

وكذلك خَرَجَ موسى خائفاً يَتَرَقَّبُ فَأَرَّا مِنْ الرَّهَبِ ، واختلَفَ في خوفه على ما بيَّناه في «المُشْكِلِينَ»:

وأقواه: خوفه على نفسه ، يَتَوَقَّعُ أَنْ يُقْتَصَّ أثره ، ويتَرَقَّبُ ^(١) النصره من الله له ^(٢) ، قال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الفصل: ٢٠] ، ولم يَكُ ^(٣) بعدُ نبيًا ، فتعسًا لمن يَنْسُبُ الأنبياء قبل البعثِ إلى جهلٍ بالله وبأحكامه .

ولقد كان مُحَمَّدٌ ﷺ أَعْلَمَ بالله من موسى قَبْلُ وَبَعْدُ ، وخرج أيضًا مُتَرَجِّيًا كما خرج مُتَرَقِّبًا ، وخرج بعد ذلك مُهَاجِرًا إلى موضع الخوف بعد التأمين والنصرة .

وسأل ^(٤) الرَّفْقَ بأن يُشْرِكَ معه أخوه في الرسالة ، فأُعطي سؤله ، ولمَّا وَاَعَدَّهُ اللهُ ليلقاه لم يسأل أن يَحْمِلَ معه أخاه ، واستخلفه بعده فلم يقدر على الوفاء .

قال الناس: «ولو استخلف موسى الله لما أَحَدَتْ بنو إسرائيل شيئًا ، كما لو لم يَسْتَحْفِظْ يعقوبُ على يوسف ^(٥) الإخوة لما وقع في الذَّلَّةِ والهِلَكَةِ ، كما لو لم يستخلف - على ما ذكره أهل التفسير - آدَمُ قَابِيلَ على أهله وولده لما قُتِلَ هابيل» .

(١) في (ص) و(د): يرقب .

(٢) لطائف الإشارات: (٥٩/٣) .

(٣) في (د): يكن .

(٤) في (ص) و(د): فسأل .

(٥) في (س): يعقوب .

ألا ترى إلى هاجر^(١) كيف قالت لإبراهيم حين قَفَى^(٢): «آلله أمرك أن تتركنا هاهنا^(٣)؟ قال لها: نعم، قالت: إذا لا يُضَيِّعُنَا الله»^(٤)، فسَارَ واستخلفه عليهم.

[السُّرُّ في عدم استخلاف رسول الله:]

وكذلك لم يستخلف رسولُ الله ﷺ على الأمة أحمداً، والسُّرُّ في ذلك غريبٌ، وهو أنه ﷺ لما تلا قول الله تعالى في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ قَمَسَ تَبَعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٨]، وقال عيسى: ﴿إِن تَعِدُّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، فرفع يديه وقال: «اللهم أُمِّتِي أُمِّتِي، وبكى، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد ﷺ - وربُّك أعلم - فاسأله: ما يبكيك؟ فأتاه جبريل وسأله^(٥)، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم -، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى مُحَمَّدٍ ﷺ فقل له^(٦): إنا سَنَرْضِيكَ فِي أُمِّتِكَ / ولا نسوؤك»^(٧).

(١) في (د) و(س): سارة.

(٢) في (ص) و(د): فقأ.

(٣) في (ص): آلله أمرك بهذا.

(٤) هو حديث ابن عباس السابق.

(٥) في (ص) و(د): فسأله.

(٦) سقطت من (ص) و(د).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأُمَّته وبكائه شفقة عليهم، رقم: (٢٠٢-عبد الباقي).

فلما تحقق الإرضاء له وثق بذلك وسكت عنهم ، وهذا المعنى هو الذي أشار إليه المُفسِّرون في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥] ، قال: «والله لا يَرْضَى مُحَمَّدٌ وَوَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِهِ فِي النَّارِ» .

[تتمة أقسام الهجرة]:

الرابع: الخُرُوجُ من أَرْضِ الكُفْرِ ، فلا يَحِلُّ لمُسلمٍ أن يبقى فيها بإجماع من الأمة ، وإن اختلفوا في حُكْمِهِ مع مُقامِهِ فيها ؛ هل له حُرْمَةٌ المسلم أم لا ؟ حسب ما بيَّناه في «مسائل الخلاف»^(١) .

الخامس: الهِجْرَةُ في طَلَبِ الدِّينِ ، وقد فَعَلَهُ قَوْمٌ^(٢) في الجاهلية ، فَمِمَّنْ أَنْجَبَ فِيهِ وَرَقَةُ بْنُ نُوْفَلٍ^(٣) وَزَيْدٌ ، وَمِمَّنْ خُذِلَ عَنْهُ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيُّ ، وَفَعَلَهُ فِي الشَّرِيعَةِ جَمَاعَةٌ أَوَّلُهُمُ الْكَلْبِيُّ ؛ الْجَلِيلُ الْقَدَرِ الْعَظِيمُ ، فَإِنَّهُ رَحَلَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَمَاذَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ ! وَلَكِنْ تَعَطَّشَ إِلَى الْمَزِيدِ ، كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُحَقِّقُ الْمَرِيدُ ، فَكَيْفَ مِنْ بَلَغَ إِلَى غَايَتِهِ ؟

وقد قال الله تعالى: ﴿قُلُوبًا نَّغَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَّبِعُوهَا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٣] .

وقد رَحَلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ مَسِيرَةَ شَهْرٍ لِّيَسْمَعَ مِنْهُ حَدِيثًا وَاحِدًا^(٤) .

(١) ينظر: تفسير الطبري: (١٧٩/٢٠) - التركي).

(٢) في (ص) و(د) و(ز): جماعة ، وأشار إليها في (س).

(٣) قوله: «ابن نوفل» لم يرد في (ص) و(د).

(٤) الجامع الصحيح: (٢٦/١) - طوق).

ولا يَتِمُّ طَلَبُ الْعِلْمِ وَالْهَجْرَةُ فِيهِ إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إسماعيلَ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ؛ ذَكَرَ فِيهِ رُبَاعِيَّاتٌ كَثِيرَةٌ؛ فِيهَا: «أَنْ يَطْلُبَ الْعِلْمَ بِأَرْبَعٍ؛ بِالْبِلَادِ، وَالْجِبَالِ^(١)، وَالْبَرَارِي، وَالْبَحَارِ، إِلَى قَوْلِهِ: فَإِذَا صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ ابْتِلَاهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا بِأَرْبَعٍ؛ بِشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَمَلَامَةِ^(٢) الْأَصْدِقَاءِ، وَطَعْنِ الْجُهَلَاءِ، وَحَسَدِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ أَكْرَمَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا بِأَرْبَعٍ؛ بِعِزِّ الْقَنَاعَةِ، وَبِهَيْبَةِ النَّفْسِ^(٣)، وَلَذَةِ الْعِلْمِ، وَجِبَرَةِ^(٤) الْأَبَدِ، وَأَثَابِهِ فِي الْآخِرَةِ بِأَرْبَعٍ؛ بِالشَّفَاعَةِ لِمَنْ أَرَادَ مِنْ إِخْوَانِهِ، وَبِظُلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، وَيَسْقِي مَنْ أَرَادَ مِنْ حَوْضِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِجَوَارِ النَّبِيِّينَ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ»^(٥).

وَقَدْ ذَكَرَ^(٦) اللَّهُ هَذَا الْأِسْمَ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَشَرَّفَهُمْ بِهِ، وَاخْتَصَّصَهُمْ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأُمَمِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِنُفَقِّرَآءَ الْمُتَحِدِّينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ قَضَاءً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر: ٨]، وَقَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا

(١) سقطت من (ص).

(٢) في (ص): بملازمة.

(٣) في (ص): بتهنية العيش.

(٤) في (ص): خيرة.

(٥) أخرجه القاضي عياض عن ابن العربي في الغنية: (ص ٦٩)، وابن بشكوال في الفوائد المنتخبة: (١/٤٠٣-٤٠٦)، وذكر أنه سمعه منه بإشبيلية عام ٥١٦ هـ، وفي الإسناد أبو عصمة نوح الجامع، متهم متروك.

(٦) في (ص): ذكر.

وَأَنْبَأَيْنَا ﴿البقرة: ٢٤٤﴾ ، فلم يُسَمِّوا به ، لأنه كان مَذْخُورًا لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ
فَحُرِّمَتْهُ (١) .

حكاية:

وقد رُوي أن بعض الطلبة قال لأُمِّه: «إِنِّي» (٢) أردتُ طلب العلم
[فَدَرَيْني] (٣) لله (٤) ، قالت له: قد فعلت (٥) ، فخرج مُهَاجِرًا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا تَعَلَّمَ
عاد فَدَقَّ الباب عليها ، فقالت: من؟ قال لها: ابنك ، قالت: وما أردت؟ قد
تركناك (٦) لله ولا نعود فيما تَرَكْنَا (٧) له (٨) .

[١٢١/ب]

السَّادِس: الهِجْرَةُ فِي طَلَبِ الْحَلَالِ ، / قال الله تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦] ، فالدنيا أَوْسَعُ مِنْ أَنْ
يَضِيقَ بِمُرِيدٍ مَوْضِعَ ، فَإِنْ نَبَأَ بِهِ مَنْزِلٌ لَوْجِهٍ مِنَ الْوُجُوهِ الصَّادَةِ عَنِ الْعِبَادَةِ
فَسَبِيلُهُ أَنْ يَرْتَحِلَ عَنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ إِلَى سِوَاهُ .

(١) فِي (س) وَ(ف): فَحَرَمْتُ ، وَفِي (ز): بِحَرَمَةٍ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، وَفِي (س) -
أَيْضًا -: فِي خ: بِحَرَمَتِهِ .

(٢) فِي (س): إِنْ .

(٣) فِي (س) وَ(د): فَدَرَيْني ، وَفِي (ص): فَهَبَعَيْني بِاللَّهِ ، وَمَرَّضَهَا ، وَفِي الطَّرَةِ:
فَتَسْتَعِينِي ، وَصَحَّحَهَا ، وَالْمَثْبُتُ مِنَ الْأَحْكَامِ: (٢٧٠/١) .

(٤) فِي (س): لَهُ .

(٥) فِي (ص): وَهَبْتُكَ لَهُ .

(٦) فِي (ص): وَهَبْنَاكَ .

(٧) فِي (ص): وَهَبْنَا ، دُونَ قَوْلِهِ: لَهُ .

(٨) فِي الْأَحْكَامِ (٢٧٠/١): «قَالَ رَجُلٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ لِأُمِّهِ» .

وإذا ما جُفِيتُ كُنْتُ حَرِيًّا أَنْ أُرَى غَيْرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُمْسِي^(١)
 السَّابِعُ: الهِجْرَةُ مِنْ أَرْضِ الْفِتْنَةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ
 غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ»^(٢) وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»^(٣).
 وَقَدْ قَالَ ثَوْبَانُ لِأَبِي عَامِرٍ: «اسْجِنْ نَفْسَكَ، وَاتَّخِذْ^(٤) حَمُولَةً وَأَنْسَاعًا،
 وَأَرْبَعِينَ عَنَزًا شُقْرًا»^(٥)، فَكَأَنِّي بِكَ قَدْ أَخْرَجْتَ مِنْهَا كَفْرًا كَفْرًا، قَالَ:
 وَحَذَّرَنِي^(٦) فَضَّلَ الْمَالَ»^(٧).

فَهَذِهِ حَالَةٌ؛ فَإِذَا ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فَلْيَقْصِدْ أَمْثَلَ الْبِلَادِ؛ فَإِنَّ
 اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَا يُسَوِّي بَيْنَهُمَا فِي الْفُسَادِ أَبَدًا، إِلَّا عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ.
 وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ فِي اعْتِزَالِهِ فِي الْفِتْنَةِ^(٨)، وَكَذَلِكَ
 فَعَلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ لِأَنَّ الْفِتْنَةَ ظُلْمَةٌ، وَقَدْ يُنِيرُ فِيهَا التَّوِيلُ، وَقَدْ
 يُظْلِمُ، وَظُلْمَتُهُ أَكْثَرُ، فَكَانَ الْحَزْمُ تَرْكُهَا وَهَجْرَتُهَا.
 قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُهَاجِرُ مِنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»^(٩).

-
- (١) الْبَيْتُ مِنَ الْخَفِيفِ، وَهُوَ لِلْبَحْثِ مِنَ قَصِيدَتِهِ السِّينِيَةِ الْعَصْمَاءِ فِي وَصْفِ إِيوَانَ
 كَسْرَى، وَهِيَ فِي دِيْوَانِهِ: (١١٥٤/٢)، وَفِيهَا: «جَدِيرًا» بَدَلُ «حَرِيًّا».
- (٢) سَقَطَ مِنْ (س).
- (٣) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.
- (٤) فِي (س) وَ(ف): وَأَعِدَّ.
- (٥) فِي (ص) وَ(ز): شَعْرًا.
- (٦) فِي (س) وَ(ف): وَحَذَّرَنِي حَذَّرَنِي.
- (٧) الْفِتْنَةُ لِنُعَيْمِ بْنِ حَمَادٍ: (ص ٤٠٥)، وَفِيهِ: اشْحَذْ سَيْفَكَ.
- (٨) فِي السُّفْرِ الْأَوَّلِ.
- (٩) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

يعني: أن المهاجر لوطنه وماله^(١) وإن كان مُهَاجِرًا؛ فلا يَتِمُّ له ذلك إلا بعد أن يَبْعَدَ عَمَّا نَهَاها الله عنه^(٢)، كما أن المؤمن وإن كان من شَهِدَ شهادة الحق، فإن المؤمن بالحق من أَمِنَ النَّاسُ شَرَّهُ، وذلك باستكمال الشرائع، والمحافظة على الشعائر أبدًا؛ أَمْرًا بالامتنال، ونَهْيًا بالاجتناب، والمُهَاجِرُ من هَجَرَ الشُّبُهَاتِ^(٣) والمباحات من الشهوات.

قال ابن سيرين: «إِنْ رَجُلًا قَالَ لابن عمر: اجعل لك^(٤) جَوَارِشَ، قال: وأَيُّ شَيْءٍ الجوارش؟ قال: شَيْءٌ إِذَا كَظَّكَ الطَّعَامُ فَأَصَبْتَ مِنْهُ سَهْلَ عَنكَ^(٥)، فقال له ابن عمر: مَا شَبِعْتُ مُذْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَمَا بِي إِلَّا أَكُونَ وَاحِدًا، وَلَكِنْ^(٦) عَهِدْتُ قَوْمًا يَشْبَعُونَ مَرَّةً وَيَجُوعُونَ أُخْرَى^(٧)».

ثم قال بعد: «وَاللَّهِ مَا شَبِعْتُ مُذْ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَلَا مَرَّةً وَاحِدَةً^(٨)».

الثامن: وقد ذَكَرَ بَعْضُهُمُ الْهَجْرَةَ^(٩) مِنْ بَلَدِ الْغَلَاءِ إِلَى بَلَدِ الرِّخَاءِ.

(١) في (د): حاله.

(٢) قوله: «يعني: أن المهاجر لوطنه وماله وإن كان مُهَاجِرًا؛ فلا يَتِمُّ له ذلك إلا بعد أن يَبْعَدَ عَمَّا نَهَاها الله عنه» سقط من (ص).

(٣) بعده في (س) و(ص) و(ف) و(ز) قوله: «والمهاجر من هجر»، وضرب عليه في (د).

(٤) سقطت من (س).

(٥) بعده في (س) و(ف) و(ص): قال، وضرب عليها في (د).

(٦) في (ص) و(د) و(ز): لكنني.

(٧) الزهد للإمام أحمد: (ص ٢٣٧).

(٨) الزهد للإمام أحمد: (ص ٢٤١).

(٩) في (س) و(ف): الخروج.

قال سفيان الثوري: «كُنْ في موضع تَمَلُّاً فيه جِرَابُكَ خُبْرًا بَدْرَهُمْ»^(١).

وقال بشر: «إذا اهتممت بالغلاء أو رخص السَّعْرِ فاذكر الموت؛
فإنك لا تهتم بغلاء السَّعْرِ ولا رخصه»^(٢) /^(٣).

١
[١٢٢/أ]

ومن الهجرة الواجبة^(٤) للأهل والوطن الخروج إلى الحج، وهو:



(١) قوت القلوب: (١٢٦٨/٣).

(٢) بعده في طرة بـ (د): انتهى الجزء الرابع، بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله وسلَّم تسليمًا.

(٣) حلية الأولياء: (٣٤٧/٨).

(٤) قوله: «ومن الهجرة الواجبة» سقط من (ص).

الاسم الثالث والعشرون: الحاج^(١)

إذا تَعَيَّنَ فَرَضُهُ^(٢)، وفي وَقْتٍ تَعَيَّنَ فَرَضُهُ خِلَافٌ بين العلماء وفي شروطه^(٣)، وهو أَحَدُ أركان الإسلام^(٤)، ودِعَامَةٌ من دعائم الإيمان، يُتْرَكُ له الأهلُ والولد، ولا يُشَاوَرُ^(٥) فيه^(٦) الأب والأم، وما رأيت من أنه يُشَاوَرُ أباه فإنما ذلك إذا لم يَجِبْ^(٧)، فيكون قَضَاءُ حَقِّ الأب في تأنيسه أولى منه، ولو وَجَبَ^(٨) عليه^(٩) ما كان للأب فيه رأي؛ كالصيام والزكاة والصلاة^(١٠).

(١) قوله: «وهو الاسم الثالث والعشرون: الحاج» سقط من (س)، وسقط الحاج من (ص) و(ز).

(٢) سقط من (ص).

(٣) في (ص): باب الحج وشروطه.

(٤) ينظر: القبس: (٢/٥٣٩).

(٥) في (س): يتشاور.

(٦) سقط من (ص) و(د) و(ز).

(٧) ينظر: المقدمات الممهدة: (١/٢٨٢).

(٨) في (س): وأوجب.

(٩) سقط من (س) و(ف) و(د).

(١٠) ينظر: أحكام القرآن: (١/٢٨٨-٢٨٩).

صَحَّ أَنْ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانُ بِاللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: جِهَادٌ»^(١) فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ»^(٢).
وَقَالَ ﷺ: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٣).

وَالْحَجُّ^(٤) هُوَ الْقَصْدُ؛ فَلَا تَقْصِدُ بَيْتَ رَبِّكَ حَتَّى تَقْصِدَ إِلَى رَبِّكَ^(٥)، وَلَا يَتَحَرَّكَ بَدَنُكَ إِلَيْهِ^(٦) حَتَّى تُقْبَلَ بِقَلْبِكَ عَلَيْهِ، وَإِذَا أَقْبَلْتَ بِبَدَنِكَ عَلَيْهِ فَأَحْرَمْتَ وَلَكَيْتَ فَحِلَّكَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ، وَإِذَا أَحْرَمْتَ وَلَكَيْتَ بِقَصْدِ الْقَلْبِ إِلَيْهِ فَحِلَّكَ أَنْ تَرَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَجَعَلَ تَرْكَ الْحَجِّ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ كَتَرَكَ الصَّلَاةَ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ كَفَرَ»^(٧)، كَذَلِكَ قَالَ تَعَالَى فِي تَارِكِ الْحَجِّ^(٨): ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وَهَذِهِ زِيَادَةُ تَهْدِيدٍ^(٩) تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ تَخْصِيصٍ.

(١) فِي (س) وَ(ف) وَ(ص): الْجِهَاد.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ فَضْلِ الْحَجِّ الْمَبْرُورِ، رَقْمٌ: (١٥١٨-طوق).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَيَوْمِ عَرَفَةَ، رَقْمٌ: (١٣٤٩-عبد الباقي).

(٤) سَقَطَ مِنْ (س).

(٥) قَوْلُهُ: «إِلَى رَبِّكَ» سَقَطَ مِنْ (ص).

(٦) سَقَطَتْ مِنْ (س) وَ(ص)، وَفِي (س): بِذَلِكَ، وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا.

(٧) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٨) قَوْلُهُ: «فِي تَارِكِ الْحَجِّ» سَقَطَ مِنْ (س).

(٩) فِي (س): شَدِيدَةٌ.

وَالْعَجَبُ مِمَّن يَقُولُ^(١): «إن الحج لا يجب على أهل المغرب»، وهو يسافر من قُطْرٍ إلى قُطْرٍ، ويخرق البحار، ويقطع المخاوف؛ في مقاصد دينية أو دنيوية، والحال واحدة؛ في الخوف والأمن، والحلال والحرام، وإنفاق المال وإعطائه في الطريق وغيره لمن لا يرضى^(٢).

فإن قيل: فإن طَلَبَ منه الظالم في الطريق أو في دخول مكة مالا؟
قُلْنَا: قال بعض الناس: «لا يدخل، ولا يعطيه، وليرجع»^(٣).

والذي أراه أن يعطي، ولا ينبغي أن يكون في ذلك خلاف؛ فإن الرجل بإجماع من الأمة يجوز له أن يمنع عَرْضَهُ مِمَّن ينتهكه بماله، وقالوا:

(١) يقصد به الإمام ابن رشد الكبير، وقد قال ذلك بعد أن استفتاه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، فقد كتب إليه يسأله: «هل الحج أفضل لأهل الأندلس أم الجهاد؟ فأجابه ابن رشد بقوله: فَرَضُ الْحَجِّ سَاقِطٌ عَلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي وَقْتِنَا هَذَا لِعَدَمِ الْإِسْطَاعَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ شَرْطًا فِي الْوُجُوبِ؛ لِأَنَّ الْإِسْطَاعَةَ هِيَ الْقُدْرَةُ عَلَى الْوُصُولِ مَعَ الْأَمْنِ عَلَى النَّفْسِ وَالْمَالِ، وَذَلِكَ مَعْدُومٌ فِي هَذَا الزَّمَانِ، فَإِنَّ أَنْ الْجِهَادِ الَّذِي لَا تُحْصَى فُضَائِلُهُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَالْأَثَارِ أَفْضَلُ مِنْهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ أَبِينُ مَنْ أَنْ يَحْتَاجَ فِيهِ إِلَى السُّؤَالِ عَنْهُ»، روضة النسرین لابن صَعْدٍ: (ص ٧١-٧٢)، وَمِمَّنْ قَالَ بِقَوْلِ ابْنِ رُشْدٍ مِنْ أَكْبَارِ الْمُفْتِينَ: عَبْدُ الْحَقِّ الصَّقْلِيُّ، وَابْنُ حَمْدِينَ، وَابْنُ الْحَاجِّ الْقُرْطُبِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ الطَّرُوشِيُّ، وَالْمَازَرِيُّ، وَاللَّخْمِيُّ، وَغَيْرُهُمْ، يَنْظُرُ: المعيار: (١/٤٣٢-٤٣٦).

(٢) أفاد من قول ابن العربي هذا ابنُ صَعْدٍ فِي رُوضَةِ النَّسْرِينِ: (ص ٧٢)،
وَالْوَنْشَرِيسِيِّ فِي الْمَعْيَارِ: (١/٤٣٣).

(٣) هو قول الإمام أبي طالب المكي، قوت القلوب: (٣/١٢٥٥)، ويشبه أن يكون قول الإمام الشافعي، ينظر: الجامع للقرطبي: (٥/٢٢٦-التركي).

«ما وقى المرء به عِرْضَه فهو صدقة»^(١)، وكذلك ينبغي أن يشتري دينه ممن يمنعه^(٢).

ولو أن ظالمًا قال لرجل: لا أمكنك من الوضوء والصلاة إلا بجُعْلٍ؛ لَوَجَبَ عليه أن يُعْطِيَهُ، وهل كانت الهجرة وترك الأموال والأهل والوطن إلا للسَّيْفِ^(٣)؟ وهي اليوم باقية على من آمن في دار الحرب، أن يشتري^(٤) الدين بترك الأهل والمال والولد، فتَقَطُّوا لهذا فإنه دَقِيقٌ غابت عنه قلوب الغافلين.

[المجاورة بمكة]:

والمُجاوَرَةُ بِمَكَّةَ لها فَضْلٌ عَظِيمٌ، وإنِّي لأستحبُّها، / ومن يجاور العبد [١٢٢/ب] مثل ربه، ولمن يأوي أكرم منه، وما أدري كيف قَدَرَ من يقول: «تُكْرَهُ المجاورة بمكة»^(٥)؟ ولقد سمعتُ في ذلك تعليقات لا تساوي سماعها،

(١) أخرجه الدارقطني في سننه عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا: كتاب البيوع، باب الصلح، رقم: (٢٨٩٥-شعيب)، والبغوي في شرح السنة: كتاب الزكاة، باب كل معروف صدقة، رقم: (١٦٤٦-شعيب)، وفي إسنادهما عبد الحميد بن الحسن الهلالي، وثقه ابن معين، ينظر: الكامل: (٣٢٢/٥)، وساق له هذا الحديث، فعله ممَّا أنكر عليه، والله أعلم.

(٢) في (ص) و(د): منعه.

(٣) في (س) و(د) و(ص): السلف، وما أثبتناه صححه في (د) و(ص) في طريههما.

(٤) في (ص): اشترى، وفي (س) و(ف) و(ز): إلا شراء.

(٥) هو قول جماعة من أهل العلم، منهم الإمام أبو حنيفة النعمان، والإمام سفيان الثوري، والإمام ابن عُيَيْنَةَ، قوت القلوب: (١٢٦٥-١٢٦٦/٣)، وينظر في اعتلالات الكارهين: المسالك: (١٦٦/٧).

نعم؛ يمكن أن يُنكَلَمَ بين مكة والمدينة وأيهما ^(١) أفضل ^(٢)، ومجاورة من هي أكرم، فأما أن تُكْرَهَ واحدة منهما ^(٣) فحاشا لله.

[أقسام الحاج]:

والحاجُّ قِسْمَانِ؛ رِجَالٌ وَرُكْبَانٌ ^(٤)، كما قال الله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٥].

قال المفسرون: «أَذَّنَ إبراهيم بالحج فأسمعه الله عز وجل جميع الخلق؛ بأن أحياهم له، فمن أجاب حجًّا، ومن سَمِعَ ولم يُجِبْ أو لم يَسْمَعْ لم يُحِجَّ» ^(٥).

وقال المحققون: «معناه» ^(٦): أَعْلَمَ بالفرض عليهم جَمِيعَهُمْ، فيأتي من كُتِبَ حَاجًّا منهم، فهو لفظ عموم، والمرادُ به الخصوص» ^(٧).

وهذا التأويل الأخير أقوى ^(٨)، وإن كان الأول مُمَكِّنًا.

ولقد رأيتُ الجَهْلَ قد انتهى بَقَوْمٍ إلى أن يقولوا ليلة المزدلفة قائمين على سَطْحِ مَسْجِدِ المشعر الحرام: «يا فلان: حجَّ»، فيُتَّادِي كُلُّ واحد باسم

(١) في (س) و(ف): أيهما.

(٢) ينظر: المسالك: (١٦٣/٧-١٧٣).

(٣) في (ص): منهن، وفي (ز): منها.

(٤) ينظر: شرح الصحيح لابن بطال: (١٨٨/٤).

(٥) لطائف الإشارات: (٥٣٩/٢).

(٦) سقط من (س).

(٧) تفسير الطبري: (٥١٧/١٦-التركي).

(٨) في (ص) و(د) و(ز): وبهذا التأويل الأخير أقول.

حَبِيبِهِ أَوْ جَارِهِ، وَيَقُولُ: «إِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ»^(١) حَجَّ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ جِيرَانِي: هَذَا بَاطِلٌ، نَادٍ^(٢) حَتَّى تَرَى، فَنَادَى مَعِيَ، وَانْقَلَبْنَا إِلَى الْبَلَدِ^(٣)، فَمَا حَجَّ مِنْ نُودِيٍّ بِاسْمِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ.

قَالَ عِلْمَاؤُنَا: قُدِّمَ الرَّجَالَةُ عَلَى الرُّكْبَانِ لَوْجِهَيْنِ:
أَحَدُهُمَا: أَنَّ الرَّاجِلَ أَكْثَرُ^(٤).

[الثاني]: وَقِيلَ: لِأَنَّهُ أَفْضَلُ^(٥).

وَرَوَى ابْنُ حَنْبَلٍ عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ: «أَنَّهُ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي الصَّلَاةِ قَائِمًا، وَقَرَأَهُ رَاكِعًا، وَقَرَأَهُ سَاجِدًا، وَحَجَّ خَبِيًّا»^(٦)^(٧).

وَبَنَى بِشْرُ بْنُ كَعْبٍ^(٨) قَبْرًا؛ وَقَرَأَ فِيهِ الْقُرْآنَ، وَدُفِنَ^(٩) فِيهِ.

وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ الْفُسْطَاطِيُّ الصُّوفِيُّ^(١٠) أَنَّهُ حَجَّ مَعَ أَبِي الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيِّ، فَقَالَ: «قَالَ لَنَا أَبُو الْفَضْلِ يَوْمًا فِي الطَّرِيقِ، كُنْتُ أَرَى الْبَارِحَةَ

(١) سَقَطَتْ مِنْ (ص) وَ(س) وَ(ز).

(٢) فِي (ص) وَ(د): فَنَادَ.

(٣) فِي (ص) وَ(س) وَ(ف): الْبِلَادِ.

(٤) لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ: (٢/٥٣٩).

(٥) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ: (١٦/٥١٨-التركي).

(٦) فِي (د): مَشْيًا، وَفِي (س): خَسًا.

(٧) الزَّهْدُ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ: (ص ٢٤٨).

(٨) فِي (د): بِشِيرُ بْنُ كَعْبٍ، وَفِي (ص): كَعْبُ بْنُ بَشْرٍ.

(٩) فِي (د): فَدْفَنَ.

(١٠) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ التَّنِيسِيِّ الْمِصْرِيِّ، صَاحِبُ أَبِي الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيِّ، تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.

بَابًا مِنْ ^(١) السَّمَاءِ قَدْ ^(٢) فُتِحَ ^(٣) ، فَنَزَلَ مِنْهُ ^(٤) ثَلَاثَةُ أَمْلَاقٍ ، بِيَدِ أَحَدِهِمْ طُسْتُ ، وَبِيَدِ الْآخَرِ إِبْرِيْق ، وَبِيَدِ الْآخَرِ مِنْدِيلٌ ، فَانْتَهَوْا إِلَى طَرَفِ ^(٥) الْقَافِلَةِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : خُذْ رِجْلِي ذَلِكَ الرَّجُلَ ^(٦) ، قَالَ : نَعَمْ ، فَأَخْرَجَهَا مِنْ تَحْتِ الثِّيَابِ ثُمَّ وَضَعَهَا فِي الطُّسْتِ ، وَصَبَّ صَاحِبُ الْإِبْرِيْقِ عَلَى الرَّجُلَيْنِ ^(٧) ، وَجَعَلَ صَاحِبُ الطُّسْتِ يَغْسِلُهَا ، حَتَّى إِذَا انْتَضَفَتْ أَخَذَهَا صَاحِبُ الْمَنْدِيلِ وَجَفَّفَهَا ، ثُمَّ رَدَّهَا فِي دِثَارِهَا ، وَجَاءَ آخَرُ لِيَأْخُذَ رِجْلِي ^(٨) آخَرَ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : لَا تَأْخُذْهَا ، هُوَ رَاكِبٌ ، وَتَتَّبِعُوا جَمِيعٌ مِنْ فِي الْقَافِلَةِ هَكَذَا ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَيَّ ، فَمَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَ رِجْلِي ؛ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : هُوَ رَاكِبٌ ، فَلَمَّا فَرَّغُوا بِجَمِيعٍ مِنْ فِيهَا صَعِدُوا عَلَى مَرَقَاهُمْ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى غَابُوا فِيهَا .

[حَجَّةُ ابْنِ الْعَرَبِيِّ وَمَا لَقِيَ فِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ:]

فَتَفَسَّرَ لِي أَمْرٌ كُنْتُ مِنْهُ مُتَعَجِّبًا ، وَذَلِكَ أَنِّي خَرَجْتُ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى مَكَّةَ سَنَةً تِسْعَ وَثَمَانِينَ رَاكِبًا مُعَادِلًا لِأَبِي / - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ^(٩) - ، حَتَّى بَلَّغْنَا مَكَّةَ فَقَضَيْنَا حَجَّنا ، ثُمَّ عُدْنَا إِلَيْهَا ، فَلَمَّا كُنَّا بِبَطْنِ نَخْلَةٍ ضَرَبَنَا بَرْدٌ

١
[١/١٢٣]

(١) فِي (د) : فِي .

(٢) سَقَطَ مِنْ (س) وَ(ف) .

(٣) فِي (ص) : فَتَحَتْ .

(٤) سَقَطَتْ مِنْ (س) ، وَفِي (ص) : قَدْ فَتَحَتْ فَنَزَلَ مِنْهَا .

(٥) سَقَطَ مِنْ (س) وَ(د) وَ(ز) .

(٦) سَقَطَ مِنْ (ص) وَ(س) وَ(ز) .

(٧) قَوْلُهُ : «عَلَى الرَّجُلَيْنِ» سَقَطَ مِنْ (د) .

(٨) فِي (د) وَ(ز) : رَجُلِيهِ .

(٩) فِي (س) وَ(ف) : رَحِمَهُ اللَّهُ .

عَظِيمُ الْجَزْمِ، قَتَلَ كَثِيرًا مِنَ الْإِبِلِ وَالنَّاسِ، وَحَمَلَ وادي نخلة علينا، وكُنَّا
 فِيْمَنْ بَكَرَ فَعَبَّرَ، فَمِنْ صَادَفَهُ السَّيْلُ فِيهِ حَمَلَهُ إِلَى الْبَحْرِ فَلَمْ يُرْ أَبَدًا، وَعُدْنَا
 نَقْرًا قَلِيلًا، وَحَدَّثَ فِي الْجَمَالِ طَاعُونَ؛ تَرَى الْجَمَلَ يُبْتَاعُ بِخَمْسِينَ دِينَارًا،
 فَتَأْخُذُهُ ^(١) الْغُدَّةُ فَيَصِيحُ وَيُرْمِي بِنَفْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ، فَيُنْحَرُ ^(٢) وَيَقْتَسِمُهُ النَّاسُ،
 وَيَرْمُونَ رِحَالَهُمْ فِي الْبِيدَاءِ وَيَتَعَرَّوْنَ ^(٣) مِنْ ثِيَابِهِمْ، وَمَضَتْ جَمَالُنَا هَكَذَا؛
 فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ بَيَّنَّاهُ فِي كِتَابِ «تَرْتِيبِ الرِّحْلَةِ»، وَدَعَتِ الضَّرُورَةُ إِلَى أَنْ
 أَمْشِيَ رَاجِلًا مِنْ فَيْدٍ إِلَى الْكُوفَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرْحَلَةً لِمَوْتِ الْجَمَالِ، وَمَعْنَا
 الْكِرَاءِ لَوْ وَجَدْنَا الْجَمَالَ، لَكِنِ الطَّاعُونَ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا ^(٤)، وَرَمَيْنَا جَمِيعَ مَا
 كَانَ مَعَنَا، وَلَمْ يَبْقَ عَلَيَّ إِلَّا لِبَاسِي، وَكُنْتُ أَمْشِي مَعَ أَصْحَابِنَا مِنَ الطَّلَبَةِ
 نَتَذَاكِرُ وَنَتَنَاطَرُ ^(٥) وَنَتَسَلَّى عَلَى ^(٦) الرَّجُلَةِ النَّهَارَ كُلَّهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ
 وَقَعْتُ عَلَى اسْمِ الْمَيِّتِ، وَأَوْقَدْنَا النَّارَ، وَقَطَعْنَا لَحْمَ أَرْجُلِنَا، وَكُوَيْنَاهَا
 بِالشَّحْمِ، وَرَبَطْنَاهَا بِالْخَرِقِ، وَكُنْتُ أَضْطَجِعُ وَأَقُولُ: هَذَا مَرْقَدِي الَّذِي
 يَبْعَثُنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ وَأَنَامُ، فَإِذَا أَصْبَحْتُ وَجَدْتُ خِفَةً، وَكَأَنِّي لَمْ أَكُنْ
 رَجُلًا الْبَارِحَةَ، فَإِذَا أَخَذْتُ فِي الْمَشْيِ عَادَتْ قُوَّتِي، وَتَصَلَّبَ لَحْمِي ^(٧)
 الْأَحْمَرُ عِنْدَ مِشْيَتِي، وَكَانَتْ هَذِهِ عَادَتِي فِي نَهَارِي وَلَيْلَتِي ^(٨)، وَأَنَا أَتَعَجَّبُ

(١) فِي (ص) وَ(د): ثُمَّ تَأْخُذُهُ.

(٢) فِي (د): فَيُخْرُ.

(٣) فِي (س): يَتَبَرَّوْنَ، وَفِي (ز): يَتَبَرَّوْنَ، وَفِي (ص): يَنْبِرُونَ.

(٤) فِي (د): اسْتَوْلَى عَلَى الْجَمَالِ.

(٥) فِي (س) وَ(ف): نَتَنَاطَرُ وَنَتَذَاكِرُ.

(٦) فِي (د): عَنْ.

(٧) فِي (ص) وَ(د): اللَّحْمِ.

(٨) فِي (ص) وَ(د): لَيْلِي.

من وُثِبَ تَجَلَّدِي^(١)، وقُوتِي بعد ذهاب لَحْمِي وَجِلْدَتِي، حَتَّى حُدِّثْتُ بهذا الحديث، فَعَلِمْتُ يَقِينًا صِحَّةَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ للأشعرين: «لَسْتُ أَنَا حَمَلْتُكُمْ^(٢)، وَلَكِنَّ اللَّهَ^(٣) حَمَلَكُمْ»^(٤).

وَرَأَيْتُ قَوْلَ الْبُخَارِيِّ فِي^(٥) بَابٍ مِنْ حَدِّثٍ^(٦) عَنْ مَشَاهِدِهِ فِي الْحَرْبِ - وَأَدْخَلَ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَنَّهُ تَرَسَّ عَلَى^(٧) النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ^(٨) - فَحَدَّثْتُ.

وَمِنْ^(٩) الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَةَ أَفْضَلُ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا غَبَرْتُ قَدَمًا عَبْدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا حَرَّمَهُمَا اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(١٠).

فَإِنْ رَكِبَ فَلْيَرْكَبْ عَلَى رَحْلٍ مُخْتَصِرٍ، فَقَدْ قَالَ الْبُخَارِيُّ: «حَجَّ أَنَسٌ عَلَى رَحْلٍ، وَلَمْ يَكُنْ شَحِيحًا»^(١١).

(١) فِي (ص): ثُبُوتٌ خَلْدِي.

(٢) فِي (ص): أَحْمَلَكُمْ.

(٣) فِي (د): اللَّهُ تَعَالَى.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالنُّذُورِ، بَابُ لَا تَحْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ، رَقْمٌ: (٦٦٤٩-طُوق).

(٥) سَقَطَتْ مِنْ (د) وَ(ص) وَ(ف).

(٦) فِي (س) وَ(ف): يَحْدُثُ.

(٧) فِي (ص) وَ(د): عَنْ.

(٨) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابُ مَنْ حَدَّثَ بِمَشَاهِدِهِ فِي الْحَرْبِ، رَقْمٌ: (٢٨٢٤-طُوق).

(٩) فِي (د) وَ(ص): وَالِدِيلِ.

(١٠) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(١١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

المعنى^(١): أنه أثر التواضع؛ لأنه مَوْضِعُ شَعَثٍ وَخَشْيَةٍ، وَخُرُوجًا^(٢) عن الهيئة والبرّة.

قال علماؤنا: «وإنما حَجَّ النبي عليه السَّلام رَاكِبًا لِّئَلَّا يَشُقَّ عَلَى أُمَّتِهِ، وَطَافَ رَاكِبًا لِّيُرِيَ جَمِيعَ النَّاسِ فِعْلَهُ ﷺ».

وقد روى الترمذي: نا محمود^(٣) بن غيلان: نا أبو داود الحَقْرِي^(٤) عن سفيان عن الربيع بن صَبِيح عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك^(٥) / قال: [١٢٣/ب] «حَجَّ رسول الله ﷺ عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ، وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ لَا تَسَاوِي أَرْبَعَةَ دِرَاهِمٍ، قَالَ^(٦): اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ^(٧) حَجًّا لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةً^(٨)».

وحجَّ بعض^(٩) الصوفية^(١٠) سبعين حَجَّةً ماشيًا، فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِهَا قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ آخِرُ حَجَّتِي، فَإِنْ كُنْتُ قَبِلْتُهَا أَوْ قَبِلْتُ مِنْهَا

(١) في (ص) و(د): يعني.

(٢) في (ص) و(د) و(ز): خروج.

(٣) في (س) و(د) و(ز): محمد، وهو سبق قلم.

(٤) في (س) و(ف): الحميري.

(٥) قوله: «نا محمود بن غيلان: نا أبو داود الحَقْرِي عن سفيان عن الربيع بن صَبِيح

عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك» ضرب عليه في (د).

(٦) في (د): فقال، وفي (ص): وقال.

(٧) سقط من (س).

(٨) الشمائل: (ص ٢٠٧)، رقم: (٣٣٢)، وضعف إسناده ابن حجر في الفتح:

(٣٨١/٣).

(٩) هو أبو تراب النخشي، تـ ٢٤٥هـ، ترجمته في: تاريخ بغداد: (١٤/٢٦٦-٢٦٨).

(٢٦٨).

(١٠) في (س) و(ف): المتصوفة.

شيئاً؛ فإني أشهدك أنني قد تصدّقتُ بها على المذنبين من أمة محمد ﷺ،
أو من أهل الموقف، فرأى الله تعالى في المنام، فقال له: أعلينا تتسحّى؟
أشهدك أنني قد غفرتُ لهم ولك»^(١).

وقد قيل لابن عمر: «ما أكثر الحاج! فقال: ما أقلهم»^(٢).

نَظَرَ الأوَّلُ إلى كثرة الرَّاكِبِ؛ ونظر ابنُ عمر إلى قلة المُخْلِصِ.

وكان الدّامغانِي^(٣) بعرفة إذا رأى ذلك الجمع العظيم يَخْرُونَ يقول:
«اللَّهُمَّ اقْبَلْنِي معهم وإن كنت زائفاً، فقد يسمَحُ الناقد وإن كان عارفاً»^(٤).

[حقيقة الحاج]:

والحاجُّ^(٥) - عند الجميع - من عَقَدَ^(٦) بقلبه رَفَضَ^(٧) الدنيا كما
رفضها بلباسه، وأن يتجرّد للمولى كما تجرّد عن هيئة الدنيا، وينبذ كل
طريق، ويرجع إليه بالتحقيق، وإذا اغتسل من الأدناس الظاهرة فليغسل قلبه

(١) تاريخ بغداد: (٢٦٨/١٤)، ونحوها في قوت القلوب: (١٢٦٤/٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: كتاب المناسك، باب ما أقل الحاج،
(١٩/٥)، رقم: (٨٨٣٦).

(٣) الإمام الفقيه العلامة، محمد بن علي بن حُسُويّه، أبو عبد الله الدامغانِي الحنفي،
(٣٩٨-٤٧٨هـ)، ترجمته في: تاريخ بغداد: (١٨٣/٤-١٨٤)، والأنساب:
(٢٥٩/٥)، وسير النبلاء: (٤٨٥/١٨-٤٨٧).

(٤) ذكر ابنُ العربي في القبس (٥٧٧/٢) أن الفقيه القاضي أبا المعالي عَزِيزِي بن
شَيْدَلَةَ أخبره بهذا الذي حكاه عن الإمام الدامغانِي.

(٥) ينظر: القبس: (٥٧٦-٥٧٧).

(٦) في (ص): عمر.

(٧) في (ص): ورفض.

من الأضرار^(١) الباطنة، وإذا استجاب لسانه^(٢) بالتلبية فينبغي أن يستجيب كلُّ عَضْوٍ من أعضائه بالخضوع له، وإذا بَلَغَ الموقف وَقَفَ بقلبه عليه، فلم يَسْرَحْ كما لا يسرَحُ بدنه، وإذا عَرَّفَ تعرَّفَ إلى الله بتبرئة عن كل شيء إلا هو، واعترف بتقصيره عن حقه، فيتعرَّفَ الله إليه بأفضاله عليه، فإذا بَلَغَ المَشْعَرَ الحرام استشعر المِنَّةَ في التيسير لسلوك^(٣) تلك المقامات، واستشعر القبول أو الرد، وإذا بلغ مَنَى نَفَى عن نفسه كل هَوًى ومُنَى، إلا^(٤) المولى جلَّ وتعالى^(٥)، وإذا رمى الجمار فليُلْزِم^(٦) نفسه الأمانة بالسوء بخَلْع كل هوى^(٧) يتعلق بها، وشهوة تنزع إليها، فإذا دخل الحَرَمَ فلا يصح له بعدُ أن يقرب إلى مُحَرَّم؛ وهو أحد التأويلين في قوله ﷺ: «الحجُّ المبرور ليس له عند الله جزاءٌ إلاَّ الجنة»^(٨).

فَقِيلَ: يَبْرُهُ^(٩) بَأَنْ^(١٠) لا يعصي بعده^(١١).

(١) في (د): الأضرار، وفي الطرة: لعله: الأدران.

(٢) في (س): بلسانه.

(٣) في (د): بسلوك، وسقط من (ص).

(٤) في (س): إلى.

(٥) قوله: «جل وتعالى» لم يرد في (د) و(ص).

(٦) في (د) و(ز): فليرم، وفي (س): يلزم.

(٧) في (د) و(ص) و(ز): لهو.

(٨) تقدَّم تخريجه.

(٩) في (د): برُّه.

(١٠) في (د): أَنْ.

(١١) يشبه أن يكون قول الحسن البصري، ينظر: قوت القلوب: (١٢٥٩/٣).

وقيل: أن لا يعصي فيه^(١)، لقوله: ﴿فَلَا رَقَبَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وإذا رأى البيت بعينه فليَرَّ رَبَّ البيت بقلبه، وإذا حَلَّ^(٢) من إحرامه بالطواف فلا يَحُلُّ عَقْدَ القلب إلا بأن تُدار عليه الأكواس في الجنة ويطاف، وكما خرج من بيته إلى بيت ربه^(٣)، فليخرج من البيت إلى الله تعالى بقلبه^(٤).

والحاجُّ هو: الأشعث الأغبر في لباسه وجلده، وهو الأشعث القلب الأغبر؛ الذي لا يميل إلى مناظر^(٥) الدنيا.

[١٢٤/أ]

وقد قال فَتَحَّ الموصلي في هذا المعنى أبياتاً، وهي^(٦):

إليك حَجِّي لا لليت والأثر وفيك سعي لا للركن والحجر
صفاء وُدِّي صَفَايَ حين أعبره وزمزم دمعتي تجري مع المطر^(٧)
عرفائه عرفاتي والمُنَى بمنى وموقفي ومقامي دونهم خطري^(٨)

(١) ينظر: قوت القلوب: (٣/١٢٥٩).

(٢) في (ص): انحل.

(٣) في (د): ربه عز وجل.

(٤) سقطت من (د) و(ص).

(٥) في (ص): خاطر.

(٦) من البسيط، وهي من جملة أبيات أوردها ابن الجوزي في المدهش:

(ص ١٤٩)، وفي مثير الغرام: (١٣/٢)، ونسبها لمحمد بن أحمد الشيرازي.

(٧) في (د): البصر.

(٨) في طرة بـ (د):

عرفانكم عرفاتي إذ مِنَى مِنَّنْ وموقفي وقفه في الخوف والخطر

وَجَمْرٌ قَلْبِي جِمَارِي حِينَ أَقْدَفَهُ وَالْهَدْيُ جِسْمِي الَّذِي يَغْنِي عَنِ الْجُزْرِ
زَادِي رَجَائِي لَهُ وَالشُّوقُ رَاحِلَتِي وَالْمَاءُ مِنْ عِبْرَاتِي وَالْهُوَى سَمَرِي
وقد قال^(١) بعض^(٢) العلماء: إنه لا تُعَارِضُ التَّجَارَةُ نِيَّةَ الْحَجِّ، لقوله
تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قالوا: هي التجارة في مواسم الحج^(٣).

وقد روى أبو داود وغيره؛ عن أبي أمامة التَّيْمِي^(٤) قال: «كنتُ رجلاً
أُكْرِي فِي هَذَا الْوَجْهِ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: لَيْسَ لَكَ حَجٌّ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ
فَقَالَ: أَلَسْتُ تُحْرِمُ وَتُلَبِّي، وَتَطُوفُ بِالْبَيْتِ، وَتُفِيضُ مِنْ عَرَفَاتٍ، وَتَرْمِي
الْجِمَارَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ لَكَ حَجًّا؛ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
فَسَأَلَهُ عَنْ مِثْلِ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ، فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يُجِبْهُ حَتَّى
نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَكَ حَجٌّ»^(٥).

وَمَنْ قَطَعَ مَسَافَةً مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ أَوْ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى
الْمَشْرِقِ لِقَصْدِ الْبَيْتِ؛ فَإِنْ قَطَعَ الْعُمْرَ قَطَعَ^(٦) مَسَافَةً إِلَى لِقَائِهِ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهَا
إِلَّا الْأَحْبَابَ، وَلَا يَسْتَقْصِرُهَا إِلَّا الَّذِينَ لَا يَوْفِقُونَ بِهَذَا الثَّوَابِ^(٧).

(١) سقطت من (س).

(٢) سقطت من (ص).

(٣) تفسير الطبري: (٤/١٦٥-شاكر).

(٤) في (ص): الباهلي.

(٥) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب المناسك، باب الكَرِيِّ، رقم: (١٧٣٣)-
شعيب).

(٦) سقطت من (س).

(٧) قوله: «بهذا الثواب» لم يرد في (د) و(س) و(ز).

فإذا^(١) وصلت إلى البيت لتشهد منافع لك ؛ فالمنافع التي تشهدها من ربك أعظم من التي تشهدها^(٢) من بيته ، ولا يعرف^(٣) أحدٌ قَدَرَ الحب ولا سببه إلا من حجَّ فدخل مكة ؛ فيرى وادياً غير ذي زرع ؛ رَمْلٌ مُنْهَالٌ ، وبَلَدٌ غير مِيهال^(٤) ، في وسطه بيتٌ مبنيٌّ من حجارة سود ، غير عالي البناء^(٥) ، ولا مرصوف البناء ، في أحد أركانه حَجَرٌ أَسود أَملس ، قد حَفَّه جبلان أسودان من حجارة حُرْشٍ ، لا ماء ولا مرعى ، فيدخل القلب من محبته ما لا يَقدِرُ أحدٌ على صفته ، ويغلب النفس من هيئته^(٦) ما يكاد يقع من خشيته ، فيجري الدمع على وجنته ، ولا يدري ما هذه العلاقة بمهجته ، وكلما أتبعه البصر تضاعفت فيه البصيرة .

أخبرني^(٧) محمد بن عبد الملك الصوفي قال : حَجَجْنَا مع الشيخ أبي الفضل الجوهري ؛ وذكر حديثاً طويلاً ، بيأنه^(٨) في كتاب «ترتيب الرحلة» ، فلَمَّا دخلنا معه^(٩) مكة وولَّجْنَا من باب بني شَيْبَةَ وعَيْنَ الْبَيْتِ ؛

(١) في (ص) : وإذا .

(٢) في (د) : تشهد .

(٣) في (د) : يعلم .

(٤) في (س) : مهيال .

(٥) في (ص) : غير مُحْكَمَةِ النَّجْرِ ، ولا عالي البناء .

(٦) في (س) : هيأته .

(٧) في (س) و(ف) : أنا ، أي : أخبرنا .

(٨) في (ص) : أثبتناه .

(٩) سقطت من (س) ، وفي (ص) : أثبتناه في كتاب ترتيب الرحلة للترغيب في الملة .

(١٠) سقطت من (ص) و(س) .

أخضِلَ الدَّمْعُ شَيْبَتَهُ^(١) ، وطفق يمشي إليه خاشعاً ، ويتوقل متواضعاً ، / فلمَّا
دنا منه وعاین ما علیه من الحُلَلِ الدِّبَاجِيَّةِ والأنمَاطِ الإسْتَبْرَقِيَّةِ أنشدَ:
ما عُلِّقَ الدُّرُّ على نحرها إلا لما يُخشى من العینِ
تقول والدُّرُّ على نحرها: من علق الشَّيْنُ على^(٢) الزَّيْنِ^(٣)

فوالذي يعلم خائنة الأعین وما تخفي الصدور ؛ إنها متجردة^(٤) أجمل
منها في تلك^(٥) الحال مكسوة ، وما شَبَّهَتْها^(٦) في فَضْلِ جمالها متجردةً على
جمالها مكسوةً إلا بما قال عليُّ بن العباس :

وأحسنُ من عَقْدِ العقيلة جیدُها وأحسنُ من سِرْبِالها المتجردُ^(٧)
ولقد كنت أُلْصِقُ خَدِّي بجُدْرَاتِها مع قِصَّتِها ؛ وكأنها^(٨) خَدُّ جارية
زهراء .

وأما استلامُ الحجر ؛ فوالذي خَلَقَ الماء والحجر ، إنه لألذُّ في قلبي^(٩)
من رَشْفِ رُضَابِ الكواعب للعازب ، ولا يمكنكم أن تدركوا حقيقة ذلك

(١) في (ف) : شَيْبَتِهِ .

(٢) في (د) : من ، وفوقها : على ، وصَحَّحَها .

(٣) تقدَّم تخريجُهما في السفر الأوَّل .

(٤) في (د) و(ص) : لمتجردة .

(٥) في (د) و(ص) : بتلك .

(٦) في (ص) : أُشَبَّهَتْها .

(٧) تقدَّم تخريجُه في السفر الأوَّل .

(٨) في (د) و(ص) : كأنه .

(٩) في (د) : القلب ، وسقط من (ص) .

بالصفة والتمثيل^(١) حتى تباشروه^(٢)، كما لا يمكن تعريف العَيْنِ لَذَّةِ الجماع بالوصف والتمثيل حتى يباشره.

وقال أبو سَعْدٍ الشهيد الصوفي: كان الأستاذ أبو القاسم القشيري يُنشد:

لستُ من جملة المحبين إن لم أجعل القلب بيته والمقاماً
وطوافي إجلالة السر فيه وهو ركني إذا أردتُ استلاماً^(٣)

ولو لم يكن من فضل البيت إلا استواء الخلق فيه؛ قال الله تعالى: ﴿سَوَاءٌ أَلْجِئَ فِيهِ وَالْبَاءُ﴾ [الحج: ٢٣]، «وإنما يعتبر^(٤) فيه السَّبْقُ والتَّقدُّم^(٥)»^(٦).

قال النبي ﷺ: «مَنْ مَنَّاخٌ مِنْ سَبَقٍ»^(٧)، فلا منزلة هنالك^(٨) إلا للسابقين.

(١) سقط من (س) و(ص).

(٢) في (ص) و(س) و(د): تعابونه، ومَرَضُها في (د)، وأثبتنا ما أثبت في طَرَّتِه، ورمز لها بـ: خـ.

(٣) البيتان من الخفيف، أنشدتهما أبو القاسم في لطائف الإشارات: (٥٣٩/٢)، وساقهما ابن عساكر في تاريخ دمشق: (٧٢/٦٦)، وابن الجوزي في مثير الغرام: (١١/٢)، في ترجمة أبي بكر الشُّبلي.

(٤) في (س) و(ف): تعتبر.

(٥) مَرَضُها في (د)، وفي الطرة كلمة لم أتبينها لسوء التصوير.

(٦) لطائف الإشارات: (٥٣٧/٢).

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه عن أم المؤمنين عائشة ؓ: كتاب الحج، باب ما جاء أن منى مَنَّاخٌ من سبق، رقم: (٨٨١-بشار).

(٨) في (س) و(ف): هناك.

ومنازل الكرام تستوي فيها الأقدام؛ فلا ترتيب فيها إلا بالأعمال، ولا صد ولا طرد^(١)، وإنما هو كله وصال واتصال، فإذا وصل العبد إليه فليكثر من ذكر من قصد إليه، وليستوف منافع بنيّة خالصة؛ كما قدمنا وجوها، وهي منافع الآخرة ليس للدنيا في ذلك حظ، ولينحروا^(٢) هداياهم ليطعموها الفقراء إحياء لسنة نبيهم، وصاحب ملتهم، ومعرفهم^(٣) بتسميتهم، وأبي^(٤) حبيبهم وصفيهم، وتكون مطاياهم يوم رجلتهم، ويأخذوا في قضاء التفث، وهذا حرف لم يعلمه^(٥) إلا قليل، منهم مالك بن أنس رحمته الله^(٦).

وحقيقته عندي: تمام العبادة لتطهير البدن والقلب، وفي ذلك الوفاء بالنذر؛ لأنه عقد النية بقلبه^(٧) في الإحرام ونطق بلسانه، فإن عقد التوبة فلا يحلها^(٨) ولا ينقضها/ فيرجع إلى العصيان.

[١٢٥/أ]

ومن عقد اعتناق الطاعة فلا يحل يداً عن عاتق، وإذا طاف بالبيت فمعناه قُصورُ الآمال عليه، فليقتصر بأمله على الله عز وجل، ولا يعلقه^(٩) بسواه، وليعظم حرّات الله تعالى.

(١) قوله هذا اقتبس من لطائف الإشارات: (٥٣٧/٢).

(٢) في (س) و(ف): ليتحروا.

(٣) مرّضها في (د)، وفي الطرة كلمة لم أثبتها لسوء التصوير.

(٤) في (د) و(ص): أي.

(٥) في طرة بـ (س): يعقله، وصحّحها، كما صحّح ما أثبتنا.

(٦) قال الإمام مالك: «التفث حلق الشعر، ولبس الثياب، وما أتبع ذلك مما يحل به

المُحرم»، ينظر: أحكام القرآن: (١٢٨٢/٣-١٢٨٣).

(٧) في (س): بقلب.

(٨) قوله: «فلا يحلها» سقط من (د) و(ص).

(٩) في (د): يسأله سواه.

ومن الحكمة: «ما زنى غيور قط، ولا فَجَرَ صاحب حُرْمَةٍ»^(١).

وقال أهل الزهد: «تَزَكُّ الخدمة يوجب العقوبة، وهَتَكُ الحُرْمَةِ يوجب النقمة»^(٢).

ولا يُرَجَى^(٣) هاتك الحُرْمَةِ، فإن فيه استخفافاً يرجع إلى الإنكار، والتعظيم من تقوى القلب، كما أن الكف عن ملابسة الفواحش من تقوى الجوارح.

ومن لُطْفِ الباري تعالى وتمكين الشرائع في القلوب وتحبيبها إلى الخلق تَعْلِيْقُهَا بالعبادة، فإنَّ النفس القاصرة لها أُلْفَةٌ، والنفسُ الكريمة هي التي تعرف مقادير المِنَّة^(٤) المستأنفة، فقال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا بِاسْمِ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ إِنْ أَنْعَمَ﴾ [الحج: ٣٢].

والشرائع متفقة على المعارف، مختلفة في الطاعات؛ بحسب ما عَلِمَ الله من المصالح، فقَوْمٌ ثَقُلَ عليهم وضاعف الإِضْرَ، وقَوْمٌ خَفَّفَ عنهم^(٥) وضاعف الأجر.

(١) لطائف الإشارات: (٥٤١/٢).

(٢) لطائف الإشارات: (٥٤١/٢).

(٣) في (د): يرتجي.

(٤) في (د) و(س): المُنَى، ومرَّضها في (د)، والمثبت من الطرة، وصَحَّحه.

(٥) سقطت من (د) و(س).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٢] ، أمرٌ منه للكل بأن^(١) يستسلموا لحُكْمِهِ ؛ بلا استكراه ولا ضَجَرٍ في القلب ولا في الكلام^(٢) ، وذلك بتصفية^(٣) الأعمال من الآفات ، وتصفية الأخلاق من الكدورات ، وتصفية الأحوال من التفریطات^(٤) ، حتى يكون من الْمُحْبِتِينَ^(٥) .



(١) في (د): أن .

(٢) قوله: «بأن يستسلموا لحُكْمِهِ ؛ بلا استكراه ولا ضَجَرٍ في القلب ولا في الكلام» سقط من (ص) .

(٣) في (د): بتصفيته .

(٤) لطائف الإشارات: (٥٤٤/٢) .

(٥) في (س): المُجِبِّينَ .

وهو الاسمُ الرَّابِعُ والعشرون: الْمُخْبِتُ^(١)

وهو: «المستديمٌ للطاعة بشرط الاستقامة ؛ على^(٢) الاستطاعة^(٣)»^(٤).

وعلامته الوجل عند ذكر الله ؛ مخافة الرد ، أو حذرًا من سوء العاقبة ، أو توقعًا للخروج من الدنيا على غفلة من غير استعداد وأهبة ، أو حياء من الله تعالى إذا ذكر اطلاعه عليه ، وقد يقع منه ما لا يحبه أو يغفل عنه ، وهو لا ينساه بنعمه ولطفه ، أو خوفًا من المكر والاستدراج^(٥) ، وأقرب الخلق إلى الله تعالى قلبًا أكثرهم له خوفًا^(٦).

ومن علامة الْمُخْبِتِينَ^(٧) الصَّبْرُ على ما أصابهم ، خَمَدُوا^(٨) تحت جريان المقادير ، ولم يكرهوا ما نزل بهم من التقدير^(٩).

(١) سقط من (ص). (٢) أي: على قدر الاستطاعة.

(٣) في (د) - أيضًا - قوله: «على الاستطاعة»، ضرب عليه، وقال: كذلك في خ.

(٤) لطائف الإشارات: (٥٤٤/٢).

(٥) لطائف الإشارات: (٥٤٤/٢).

(٦) في (س) و(ف): وأقرب القلوب إلى الله أكثرهم له خوفًا، وفي (ص): وأقرب الخلق إلى الله أكثرهم له خشية.

(٧) في (س): المجيبين ، ورمز لها ب:خ.

(٨) في (ص): خمدًا ، وأشار إليها في (د)، وفي (س): خمرُوا.

(٩) لطائف الإشارات: (٥٤٤/٢).

وفي طلب الفرج منه اختلافٌ بينهم ، فمنهم من سأله ، ومنهم من سأل الزيادة فيه ، ومنهم من توقّف على المقدار ، وذلك كله بطرقه وأخباره المذكور في «أنوار الفجر» .

وتحقيقه عندي : أن سؤال الفرج جائز على الإطلاق ، فإن كان لإقالة العثرة واستدراك ما فرط من زلّة ، أو وقّع من غفلة ؛ فإنه عبادة ، ومن علاماته الفرع إلى الصلاة / عند الخوف والرجاء ، والوقوف أبداً على باب النجوى ، ويا^(١) ما أحسن قول القائل^(٢) :
إذا ما تمنى الناس^(٣) رَوْحاً وراحةً تمنيتُ أن أشكو إليك وتسمعا^(٤)
وقال آخر^(٥) :

إذا ما تمنى الناس رَوْحاً وراحةً تمنيتُ يا ربّاه ألقاك خالياً^(٦)

(١) سقط من (س) و(ص) و(ف) .

(٢) من الطويل ، ووقع فيه دمج ، فصدره للمجنون ، وتماؤه :

تمنيتُ أن ألقاك يا ليل خالياً

وهو في ديوانه : (ص ٥٧) ، وعجزه للعبّاس بن الأحنف ، وأوله :

تمنى رجالاً ما أحبوا وإنما

وهو في ديوانه : (ص ١٧١) ، وإنما أورده ابنُ العربي هكذا لأنه كذلك هو

باللطف لأبي القاسم القُسيري : (٢/٥٤٥) .

(٣) في (د) - أيضاً - : المرء .

(٤) في (س) : تسمع ، وفي (ص) : تشهد .

(٥) في (د) : غيره ، وسقط من (ص) .

(٦) من الطويل ، لمجنون ليلي ، ديوانه : (ص ٥٧) .

غيره^(١):

أحبُّ المكانَ الفقْرَ من أجلِّ أنِّي به أتمنَّى باسمه غير مُعْجَمٍ^(٢)

فخذُه منه ، وضعه في موضعه بدلاً عنه..

ومن علاماته إنفاقُ المال في مرضاته ؛ فيُسَلِّمُ بدنه للعبادة ، وماله للصدقة ؛ كما فعل أبو بكر الصديق^(٣) رضي الله عنه ، فإنه جاء بجميع ماله إلى الله تعالى فقَبِلَه الله تعالى منه^(٤) ، وجاء غيره به فقبل منه الثُلُثُ^(٥) ، وعُوْمِلَ كُلُّ أحد على مقدار قلبه .

ومن جملة الإنفاق وأشرفه البُذْنُ^(٦) التي جعلها الله تعالى من الشعائر ، وقد بيَّناها في القسم الثالث من «الأحكام»^(٧) ، وحَظُّ القسم الرابع منها ما أشرنا إليه في «التذكير» الآن .

[منافع البُذْن]:

وقد جعل الله عز وجلَّ فيها خيراً من وجوه كثيرة ، منها^(٨):

(١) سقط من (س) و(ص) .

(٢) من الطويل ، وهو من قصيدة لذي الرِّمَّة في ديوانه: (١١٧٢/٢) ، وفيه: «أُتَغْنَى» بدل «أتمنى» .

(٣) لم يرد في (د) .

(٤) تقدَّم تخريجه .

(٥) تقدَّم تخريجه .

(٦) بيَّض لها في (س) .

(٧) أحكام القرآن: (١٢٨٨/٣) .

(٨) لطائف الإشارات: (٥٤٥/٢) .

الركوبُ لها .

الحملُ عليها .

الشرب لألبانها .

أكلُ لحومها .

الانتفاعُ بوبرها .

الاعتبار بخُلُقِها ؛ كيف سُخِّرَتْ على قوتها وعِظَمُ ^(١) جثتها ؟ كيف تنقاد للصغير مع كبرها ؛ تنويحاً وركوباً ، وحَمَلاً ونُزُولاً ونَحْراً ، لا تستطيع نفعا ولا ضرا ، صبرها على العطش عشراً ، اجتزاؤها بالعلف اليسير ، سرورها بالحداء ^(٢) ، واستراحتها ونشاطها بالصوت الحسن ؛ مع كثافة أبدانها ، وغِلْظِ أكبادها ، إلى غير ذلك من غرائبها ، وهي مستوفاة في «أنوار الفجر» ، هذه نبذة منها ، وفائدة نُحَرِّها ما قدَّمناه .

ومن فوائدها ^(٣) : إطعامُ القانع ؛ وهو عند الزهاد الذي ألقى جلباب الحياء ، وكشف صفحة ^(٤) وجهه للسؤال ^(٥) .

والمُعْتَرِّ : الذي يَتَحَمَّلُ وَيَتَجَمَّلُ ، وقلبه من الحاجة قائم ^(٦) ، وهو لسِرِّه كاتم ^(٧) .

(١) سقطت من (س) و(ص) .

(٢) في (س) : الحُرا ، وفوقه كذا .

(٣) في (د) : فوائده .

(٤) في (د) و(ص) : صفحته .

(٥) لطائف الإشارات : (٥٤٦/٢) .

(٦) في (ف) : قائم ، وفي (ص) : قائم .

(٧) لطائف الإشارات : (٥٤٦/٢) .

وفائدتها أيضاً: ظهور التقوى منكم بامثال أمره، واجتناب نهيه، والمبادرة إلى حدوده؛ حتى يتحقق إكباركم له، لِيُكَبِّرَكُمْ^(١) لِدِكْرِهِ، فيبشركم رسوله صلى الله عليه إذا أحسنتم، بأن يستوي ما أسررتم وما أعلنتم.

[من علامات المختبين]:

ومن علامته العظمى عند أهل الزهد أن لا يشغل قلبك عن^(٢) أمر ربك، وأن يكون عملك كله له^(٣) بِلَذَّةٍ من نفسك، كما كنت تَلَذُّ قبل ذلك بِذِكْرِ آبائك ومناقبهم، وسَلَفِكَ وَأَيَّامِهِمْ، فإن كان لآبائكم حقُّ التربية فأنا ربُّهم وربُّكم، وإن كان للفخر فيي فليفتخروا، وبما عندي فلتفرحوا وتذخروا^(٤)، وإن كان للبرِّ فأنا البرُّ، وهو لي أوجب، وإن كان لأسلافكم مناقبُ فأنا الله الذي لا إله إلا هو^(٥)، له الأسماء الحسنى، وإن كنتم لا تَمْلُونَ من ذِكْرِ آبائكم فأنا أحقُّ أن لا يُمَلَّ من ذِكْرِي، فإنَّ أباك قد ينساك، وقد يعجز عن حالك، وأنا لا أنساك وأحفظك وأتولَّاك^(٦).

١
[١٢٦/أ]

وقد قال بَعْضُهُمْ هاهنا: «قوله تعالى: ﴿كَذِكْرِكُمْ وَأَبَاءَكُمْ﴾» [البقرة: ١٩٩]، ولم يقل: أمهاتكم؛ لأن الأب يُذكر احتراماً، والأم شفقةً، والله تعالى هو الذي يَرْحَمُ ولا يُرْحَم، وَيُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ^(٧).

(١) في (د) و(ص): لتكثيركم بذكره.

(٢) في (ص): من.

(٣) سقط من (ص) و(س).

(٤) في (س): تذخروا.

(٥) قوله: «لا إله إلا هو» لم يرد في (د) و(ص).

(٦) لطائف الإشارات: (١/١٦٧).

(٧) لطائف الإشارات: (١/١٦٧).

وعندي: أن القوم لا^(١) يذكرون امرأة، ولا يفخرون بها، وإنما كان فخرهم بآبائهم؛ فالمناقب للرجال، والعفة والستر للنساء.

وقوله: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾؛ أمرهم بأن يتَعَوَّضُوا من ذِكْرِ الآباءِ ذِكْرَ اللَّهِ وتكبيره، أو يزيدون على ذلك، وهو أفضله.

وأخبر تعالى أن الناس على قسمين:

منهم: من يقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾، أي: حظّه كلّهُ في الدنيا؛ لأنه لا يعرف غيرها بذلك، ما له في الآخرة من خلاق.

ومنهم: من يحفظ الدارين، ويسأل في المنزِلَتَيْنِ؛ دار العمل، ودار الجزاء.

[معاني الحسنة المرجوة]:

وللعلماء في ذلك أقوال كثيرة؛ أمهاتها ستة:

الأول^(٢): آتِنَا حسنة تنظم بها جميع الحسنات؛ وهي الإيمان المتصل بالمآل، فإن من حصلت له هذه الصفة لم يُخَلَّدْ في النار، وحسنة الآخرة المغفرة، فإذا غُفِرَ له فليس^(٣) بعده إلا كل خير، ولذلك بدأ الله الخلق عند الإفاضة بالاستغفار^(٤).

الثاني: الحسنة في الدنيا العزوف عنها بمعرفة قدرها، والحسنة في الآخرة الأمن من الفزع^(٥).

(١) في (د) و(ص): ما.

(٢) في (س): الأولى.

(٣) في (د): فبعده ليس.

(٤) لطائف الإشارات: (١٦٨/١).

(٥) لطائف الإشارات: (١٦٨/١).

الثالث: الحسنه في الدنيا معرفته، والحسنه في الآخرة صفته.

الرابع: الحسنه في الدنيا أن يغنيك عن خلقه، وفي الآخرة أن يهب ما قبلك^(١) من حقه.

الخامس: الحسنه في الدنيا التوفيق للخدمة، وحسنه الآخرة تحقيق الوصلة^(٢).

يعني: بالرضا عنكم، فلا يسخط أبداً عليكم^(٣).

السادس: الحسنه في الدنيا العافيه، والحسنه في الآخرة الأمن^(٤).

وقد روي أن النبي ﷺ دخل على رجل يعود فوجده مثل الفرخ، فقال له: «هل كنت تقول شيئاً؟ قال: كنت أقول: اللهم ما كنت مُعاقبي به في الآخرة فعجله لي^(٥) في الدنيا، فقال له النبي ﷺ: إنك لا تستطيعه، هلاً قلت: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ١٩٩] الآية^(٦).

وبهذا أقول.

(١) في (ص): كان.

(٢) لطائف الإشارات: (١/١٦٩).

(٣) سقط من (س) و(ص).

(٤) الكشف والبيان: (٢/١١٦).

(٥) سقطت من (س).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا، رقم: (٢٦٨٨- عبد الباقي).

ذِكْرُ اللَّهِ فِي الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ:

ثم قال سبحانه: وإذا كنتم ذاكرين فحُصُّوا الأيامَ المعدودة، وهي أيامُ الرَّمْيِ، على ما بيَّناه في «الأحكام»^(١)، فإنَّ ذلك آخِرُ نُسُكِكُمْ.

﴿بِمَسِّ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَسِّ إِتْفَى﴾ [البقرة: ٢٠١]؛ خَفَّفَ على الخلق الرجوع عنه إلى الأهل والوطن؛ لِمَا علم من علاقة قلوبهم، فأعادهم بأبدانهم، وعَلَّقَ قلوبهم بما عاينوه من مكانهم.

وذلك قوله: / ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلِبَيْتٍ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، فلا يراه أحدٌ إلا تمنَّى أن يعود إليه، وإن حَمَلَهُ شَوْقُ الأهل وحب الوطن على أن يفارقه.

وقد رأيتُ الفراق وذُقتَه، وأكلتُه وشربتُه، وساورني وساورتُه؛ فما رأيتُ فراقًا أبعد مُلتَقَى، ولا استفالًا أَقْصَى مُرْتَقَى من فراق المُحْصَبِ.

فريقان: منهم جازعٌ بَطْنِ نَخْلَةٍ وآخرٌ منهم قاطعٌ نَجْدَ كَبْكَبٍ^(٢)

منهم مُشَرِّقٌ إلى الغاية، ومُغْرَبٌ إلى النهاية، وشَمَالِيٌّ بغير موعِد، وجَنُوبِيٌّ ولات حين مرصد، ولا شك - والله أعلم^(٣) - أنه عِيَارٌ^(٤) لفراق^(٥) يوم الموقف، فإنه بين أخذٍ إلى الجنة، ومَحْمُولٍ إلى النار، ولا ملتقى أبدًا.

(١) أحكام القرآن: (١/١٤٠).

(٢) من الطويل، وهو لامرئ القيس من قصيدة في ديوانه: (ص ١٤).

(٣) قوله: «والله أعلم» لم يرد في (س).

(٤) في (ص): عيان، وأثبت الناسخ: عنوان.

(٥) في (د): بفراق يوم، وفي (س): ليوم الموقف.

وقال تعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّنُ لَكُمْ نَصِيبَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: ٢٠٠]؛ إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشرّاً، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾؛ للكل في القيامة، ولمن اصطفى في كل نفسٍ، ويأتي^(١) بيانه إن شاء الله تعالى.

تقسيم^(٢):

قال المُفسِّرون: «ذَكَرَ اللَّهُ مَنْ يَسْأَلُ^(٣) الدُّنْيَا وَحَظَّهَا، وَمَنْ يَسْأَلُ^(٤) الآخِرَةَ وَفَضَّلَهَا، وَلَمْ يَذْكُرِ الرَّاضِينَ بِالْقَضَاءِ، الْمُسْلِمِينَ^(٥) لِلْأَمْرِ، السَّاكِنِينَ^(٦) عَنْ كُلِّ دَعَاءٍ»^(٧).

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي^(٨) رحمته الله: وهذا ممّا لم أعلمه، ولا أقول به، ولا يُتصوّر له معنى، وإنما هو من تلك الأغراض؛ في أن الدعاء تَحَكُّمٌ عَلَى اللَّهِ، وَذَلِكَ لَعَوٌّ، أَمَّا إِنَّهُ قَدْ يَكُونُ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ فِي بَعْضِ أَحْوَالِ الْعَبْدِ، وَذَلِكَ لَا يَمْنَعُ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي غَالِبِ أَحْوَالِهِ مِنْ أَهْلِ السُّؤَالِ وَالِدَعَاءِ.

(١) في (د) و(س) و(ف): سيأتي.

(٢) بيّض لها في (س).

(٣) في (ص): سأل.

(٤) في (ص): سأل.

(٥) في (ص): المستسلمين.

(٦) في (س) و(د): السّاكّنين، وفي طرة بـ (س): في خ: النّاكّيين.

(٧) لطائف الإشارات: (١٦٩/٢).

(٨) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي الطرة: قال القاضي أبو بكر، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر العربي.

[الهجرة إلى رسول الله ﷺ]:

وَيُعَقَّبُ^(١) الْحَجَّ الْهَجْرَةَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْوُقُوفُ بِبَابِهِ الْكَرِيمِ، وَمَنَاجَاتُهُ عَلَى قُرْبٍ، وَالتَّشَرُّفُ^(٢) بِرُوضَتِهِ الْمَقْدَسَةِ.

قال علماؤنا: «هم أحياء؛ يعلمون الدَّاخلَ والخَارِجَ^(٣)».

وقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تحسِرُ خمارها أيان كان النبي ﷺ وحده، فلمَّا صار فيه من صار كانت تَتَسَتَّرُ دائِماً^(٤).

ومن طَيِّبٍ ما سمعت^(٥) من الكلام قَوْلُ خَطِيبٍ «الْحَلِيلِ» - رحمة الله عليه^(٦) - في مسجده بإزاء^(٧) قبره في خُطْبَتِهِ^(٨): «اللهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ، كما صَلَّيتَ على خَلِيلِكَ إبراهيم^(٩) هذا»، وَيُشِيرُ إلى قبره

(١) في (د): تعقب.

(٢) في (س): التشريف.

(٣) في (ص): هم أيضاً يعلمون الداخل عليهم والخارج.

(٤) في (د): عليه السلام.

(٥) حديث «كنت أدخل بيتي الذي دُفن فيه رسول الله ﷺ وأبي فأضع ثوبي وأقول:

إنما هو زوجي وأبي، فلمَّا دُفن عمر معهم فوالله ما دخلته إلا وأنا مشدودة عليّ

ثيابي، حياء من عمر»، أخرجه الإمام أحمد في المسند: (٤٤١/٤٢)، رقم:

(٢٥٦٦٠-شعيب).

(٦) في (د) و(ص): سمعته.

(٧) في (ص): عليه السلام، وأشار إليه في (د).

(٨) في (د): إزاء.

(٩) في (د): خطبة.

(١٠) لم يرد في (س).

أمامه من غَرْبِيَّ المسجد في وسطه ، وقول خطيب المدينة: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيكَ هَذَا - ويشير إليه وهو من ^(١) شَرْقِيَّ المنبر - كما صَلَّيتَ عَلَى إبراهيم» .

أخبرني محمد بن عبد الملك ^(٢) التَّيْسِي قال: لَمَّا وصلنا مع الشيخ أبي الفضل الجَوْهَرِي إلى المدينة ، وأشرفنا على الثَّنِيَّة ، ورأينا ^(٣) القُبَّة ، وأشرق لنا نورُها السَّاطِع الطَّالِع المتصل بالسماء في منتصف النهار ، وقد أربى ^(٤) على نُورِ الشمس ؛ وَثَبَ الشيخ أبو الفضل عن بَعِيرِهِ وأنشد:

نزلنا عن الأكوار ^(٥) نَمْشِي كرامةً لمن بان عنه أن يُلِمَّ ^(٦) به رَكْبًا ^(٧)

ومَشَيْنَا حتى بلغنا إلى المسجد ، والشيخ أبو الفضل يُنْشِدُ هذه ^(٨) الأبيات ^(٩):

(١) في (د) و(ص): في ، وأشار إليها في (س) .

(٢) بعدها في (ص): الصوفي .

(٣) في (د) و(ص): فرأينا .

(٤) في (ص): رَبًّا .

(٥) في (س): الأكوان .

(٦) في (ص): نُلِمَّ .

(٧) البيت من الطويل ، وهو من قصيدة للمتنبى يمدح فيها سيف الدولة ، ديوانه: (١٣٥/١) .

(٨) قوله: «هذه الأبيات» سقط من (س) و(ص) و(ف) .

(٩) من الخفيف ، وهي في المنشور لابن الجوزي: (ص ٢١) ، ونفح الطيب: (٤٠/١) ، والبيت الثاني في المدهش لابن الجوزي: (ص ١٤٧) ، لأبي بكر الشُّبْلِي .

قلت للقلب إذ تراءى لعيني رَسْمُ دار لَهُمْ فَهَاجَ اشْتِياقي^(١)
 هذه دارهم وأنت مُحِبٌّ ما احتباسُ الدموعِ في الآماقِ^(٢)
 والمغاني للصبِّ فيها معانٍ هي تُدْعَى مصارعِ العُشَّاقِ
 حُلَّ عِقْدِ الدموعِ واخْلُلْ رُبَّاهَا واهْجُرِ الصبرِ واقْضِ حَقَّ الفِرَاقِ

[مناجاةُ ابنِ العربي لرسولِ الله]:

ولقد وصلتُ إليها والحمد لله ، وأشرفتُ من الثَّنِيَّةِ ، ورأيتُ النور
 ساطعاً إلى السماء بفضلِ الله تعالى ، وصليتُ في الروضة ، وناجيتُ الرسول
 وَحْدِي لَيْلًا من جهة رأسه ، وتسمَّيتُ له ، وتشقَّعتُ به ، فنسألُ الله الذي
 يختص برحمته من يشاء ، ويمنُّ على من يشاء من عباده ؛ أن لا يجعل ذلك
 عناءً ، ولا يُصَيِّرَهُ هباءً ، بفضلِهِ ورحمته .

قال الإمام الحافظ^(٣) رحمته : ولَمَّا كان الذِّكْرُ من الأسماء المتقدمة مع
 أصحابه ، وكان على وجهين ؛ منه ما يكون في الخلوة ، كما جاء في
 الحديث^(٤) : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، فذكر : ورجلٌ
 ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» ، وقد يَذْكُرُ^(٥) مع غيره ، كما جاء عنه عليه السلام أنه
 قال^(٦) : «من ذَكَرَنِي في نفسه ذَكَرْتُهُ في نفسي ، ومن ذَكَرَنِي في مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ في

(١) سقط هذا البيت من (د) و(س) .

(٢) في (د) - أيضاً - : ما بقاء هذه الأبيات في الآماق .

(٣) في (ص) : قال الإمام أبو بكر العربي .

(٤) تقدَّم تخريجه .

(٥) في (س) و(ف) : نذكره ، ومرَّضها في (د) .

(٦) تقدَّم تخريجه .

مَلَأَ خَيْرٍ مِنْ مَلَائِهِ»، فهذا الذَّاكِرُ مع غيره هو مُذَكِّرٌ^(١) أيضاً؛ لأنَّ (٢) الله تعالى عند سماع من معه يذكره يَخْلُقُ له العلم الثاني به^(٣)؛ الذي هو الذُّكْرُ، كما بيَّناه في حقيقته، فصار المُذَكِّرُ من الأسماء المذكورة^(٤).



(١) في (ص): مذكور.

(٢) في (س) و(ف): لآلاء.

(٣) في (س): له، وسقط من (ف).

(٤) في (ص) و(س) و(ف): فصار من الأسماء المُذَكِّر.

وهو الاسمُ الخامسُ والعشرون: المَذْكُرُ^(١)

لقوله تعالى: ﴿بَذِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١] ، وقوله: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّمٍ إِلَهٍ﴾ [إبراهيم: ٧] ، وقوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْبَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الدَّارِيَات: ٥٥] .

فأخبر الله تعالى أنه أرسل مُحَمَّدًا رسوله مُذَكِّرًا؛ فذَكَرَ العاصين بالعقوبة والتخويف ليرتدعوا، وَذَكَرَ المطيعين بالثواب ليزدادوا رغبة؛ فَيُكْثِرُوا من الطاعات والعبادات، وَذَكَرَ العالمين فيما صرفت عنهم من مَحَنٍ، وما أَسَدِيَتْ إليهم من مِئِنٍ، وما أَنْلَتْهُمْ من الفِعْلِ الحسن، وَذَكَرَ الأغنياء بما أَفْضَتْ عليهم^(٢) من الأرزاق، وَذَكَرَ الفقراء بعظيم ما صرفت عنهم لما^(٣) عَوَّضَتْهم به^(٤)، وَذَكَرَ المبتلين بما أَلْزَمَتْهم من الصبر، وَذَكَرَ المصابين بما وَعَدَتْهم من الأجر، وَذَكَرَ الداعين بما أَخْبَرَتْهم به من الإجابة، وَذَكَرَ المجتهدين بما أَعَدَّتْ لهم من المثوبة^(٥)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(٦) [ق: ٣٧] .

(١) سقط من (س) و(ص) .

(٢) في (د) - أيضاً - : فيهم .

(٣) في (د) : وما .

(٤) في (ص) : وَذَكَرَ الفقراء بما صرفت عنهم لعظيم ما عَوَّضَتْهم .

(٥) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٤٧٠) .

(٦) في (س) و(ف) : إِنَّ فِي ذَلِكَ كَلِمَةً، وَمَرَّضَ «كَلِمَةً» فِي (د)، وَخَلَّتْ مِنْهَا (ص) .

قيل: عقل حاضر^(١)./

وقيل: قلب غير لاهٍ، ولا مُشْتَغِلٍ بما لم يُنْدَبْ إليه.

﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾، أي: أصغى إلى ما يُقال له بباطنه، ولم يكن حيران من خِلَطِ الدنيا، ولا سكران من شرابها؛ بل كان على نُورٍ من ربه، فهو في اعتبار واستبصار^(٢).

ومن^(٣) الحديث الصحيح: «قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»^(٤)، تارة يدفع عنها^(٥) البلاء، ويُفِيضُ عليها^(٦) النعماء^(٧)، وتارة يغمسها^(٨) في الظلماء، وَقَلْبٌ يُكْسِبُهُ النِّعَاتُ الْحَمِيدَةُ، وَقَلْبٌ يَكْسُوهُ الصِّفَاتُ الذَّمِيمَةُ، فهو الذي قال فيه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(٩)، أي: يَسَّرَتْهُ لِقَبُولِهِ، وَطَهَّرَتْهُ مِنْ تَضْلِيلِهِ.

ومن الحكمة المبثوثة في القراطيس: «إِنَّ الْقُلُوبَ أَوَانِي، فَأَوْعَاهَا لِلْخَيْرِ أَنْوَرُهَا، وَأَجْلَاهَا مَا رَقَّ وَصَفَا مِنْهَا، وَقَلْبُ الْكَافِرِ إِنَاءٌ مَنْكُوسٌ، لَا

(١) لطائف الإشارات: (٤٥٦/٣).

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (٤٥٦/٣).

(٣) في (د) أيضاً: في.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَبْوَابُ الْقُدْرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعِي الرَّحْمَنِ، رَقْمٌ: (٢١٤٠-بشار).

(٥) في (ص): عنه، وأشار إليه في (د) و(س).

(٦) في (ص): عليه، وأشار إليها في (د) و(س).

(٧) سقطت من (س).

(٨) في (د) و(س) - أيضاً: يغمسه، وفي (ص): يغييه.

(٩) ينظر: لطائف الإشارات: (٤٥٦/٣).

يدخل فيه شيء ، وَقَلْبُ المنافق إناء مكسور ، ما يلتقى في أوله يخرج من أسفله ، وقلب المؤمن إناء صحيح غير منكوس ولا مكسور^(١) ، يدخل فيه الإيمان ويبقى^(٢) .

ولكن هذه القلوب مختلفة ؛ فمنها مُلَطَّخٌ بالغفلات وفنون الآفات ، ومنها صَافٍ عن الكدورات^(٣) .

[أحاديثُ القلوب]:

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي^(٤) رحمته الله : الصَّحِيحُ في أحاديث القلوب أربعة :

الأوَّل : قوله رحمته الله : «ألا إن في الجسد بَضْعَةً^(٥) ، إذا صلحت صلح الجسد^(٦) ، وإذا فسدت فسد الجسد^(٧) ؛ ألا وهي القلب»^(٨) .
 الثاني : قوله : «إنه بين أَصْبَعَيْنِ من أصابع الرحمن»^(٩) .
 الثالث : قوله رحمته الله : «لا ، ومقلب القلوب»^(١٠) ، في يَمِينِهِ .

(١) لم يرد في (س) ، وفي (ص) : إناء صحيح غير مكسور .

(٢) لطائف الإشارات : (٤٥٦/٣) .

(٣) لطائف الإشارات : (٤٥٦/٣) .

(٤) في (د) : قال الإمام الحافظ ، وفي (ص) : قال الإمام .

(٥) في (د) و(ص) : مضغة ، وأشار إليها في (س) .

(٦) في (ص) : سائر الجسد .

(٧) في (ص) : سائر الجسد .

(٨) تقدّم تخريجه .

(٩) تقدّم تخريجه .

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب التوحيد ، باب مقلب القلوب ، رقم : (٧٣٩١-طوق) .

الرابع: قوله: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكَّتَتْ فِيهِ نَكْتَةُ سُودَاءَ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكَّتَتْ فِيهِ نَكْتَةُ بَيْضَاءَ؛ حَتَّى يَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلَ الصِّفَاءِ، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرَبَّدٌ^(١) كَالْكُوزِ مُجَحَّيًّا^(٢)، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مَنكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ»^(٣).

وهذه تكفيكم^(٤)، فلا تلتفتوا بعدها إلى سواها.

[أَيَّامُ اللَّهِ]:

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى لِمُوسَى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾؛ يَرِيدُ أَيَّامَ الْعَافِيَةِ وَالنَّعْمِ، وَهِيَ الْأَيَّامُ^(٥) الَّتِي يَعُدُّهَا الْحَازِمُ، وَأَيَّامُ الطَّاعَةِ الَّتِي يَعُدُّهَا الْعَالَمُ.

قَالَ لِي عَطَاءُ الْمَقْدِسِيِّ: «كَانَ شَيْخٌ صُوفِي إِذَا كَانَ لَهُ يَوْمٌ صَالِحٌ خَالِصٌ جَعَلَ جَوْزَةً فِي بُرْيَةٍ، فَإِذَا سَأَلَ عَنْ عَمْرِهِ أَخْرَجَ الْبُرْيَةَ وَحَلَّ شَنَاقَهَا، وَعَدَّدَ^(٦) الْجَوْزَ، وَقَالَ: هَذَا عُمْرِي»^(٧).

وَكَذَلِكَ - لَعَمْرُ أَبِيكُمْ - هُوَ، فَإِنَّ يَوْمَكَ هُوَ الَّذِي لَكَ، وَيَوْمُكَ الَّذِي عَلَيْكَ لَا يُضَافُ / إِلَيْكَ. [١٢٨/ب]

(١) فِي (س): مَرَبَاد.

(٢) فِي (س): مَخْجِيًّا.

(٣) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٤) فِي (س) وَ (ص) وَ (ف): هَذَا يَكْفِيكُمْ.

(٥) سَقَطَتْ مِنْ (س).

(٦) فِي (ص): عَدَّ.

(٧) ذَكَرَهَا ابْنُ الْعَرَبِيِّ - أَيْضًا - فِي الْأَحْكَامِ: (٣/١١١٦).

وَأَيْنَ ^(١) أَيَّامِي الَّتِي كَانَتْ لِي؟ وَيَا أَسْفِي عَلَيْهَا، وَإِنِّي لَأَقُولُ فِيهَا مَا أَخْبَرْنَا بِهِ أَبُو الْفَضَائِلِ ^(٢) بَن طُوق قَالَ: أَنْشَدْنَا الْأَسْتَاذَ أَبَا الْقَاسِمِ ^(٣):

سَقِيًّا لَهَا وَلَطِيْبِيهَا وَلَحُسْنِيهَا ^(٤) وَبِهَائِهَا
أَيَّامَ لَمْ تَلِجِ النَّوَى بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا

وَقِيلَ ^(٥): أَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يُذَكِّرَهُمْ أَيَّامَ الْعَدَمِ؛ أَيَّامَ لَمْ تَكُنْ ^(٦) لِلْعَبِيدِ ^(٧) عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ، وَلَا لِمَخْلُوقٍ خَيْرٌ وَلَا وَفَاقٌ، وَلَا وَفَاءٌ وَلَا نَقْضٌ عَهْدٍ ^(٨)، وَلَا ذَنْبٌ وَلَا تَوَاءٌ، كَانَ مُتَعَلِّقَ الْعِلْمِ مُتَنَاوِلَ الْقُدْرَةِ، مُقْصُورَ الْحُكْمِ عَلَى الْإِرَادَةِ، وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ آيَاتٌ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ، رَضِيَ بِحُكْمِهِ ^(٩)، بَدَلٌ لَذِيذِ الْعَيْشِ بِأَشْرِهِ ^(١٠)، وَلِكُلِّ شَكُورٍ غَرَقٌ فِي الْمِنَنِ، وَلَمْ يَخْرُجْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنْ حُدِّهِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ دَعَاءٌ إِلَى الْحَقِّ، وَاسْتِنْهَاجٌ

(١) فِي طَرَةِ بـ (د): فِي خـ: وَإِنْ.

(٢) فِي (س): الْفَضْلُ.

(٣) الْبَيْتَانِ مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ، وَأَنْشَدَهُمَا أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ فِي لَطَائِفِ الْإِشَارَاتِ: (٢٤٠/٢).

(٤) سَقَطَتْ مِنْ (ص).

(٥) لَطَائِفِ الْإِشَارَاتِ: (٢٤٠/٢).

(٦) فِي (د): يَكُنْ.

(٧) فِي (ص): الْعَبْدُ.

(٨) فِي (د): فِي خـ: وَلَا نَقْضٌ وَلَا عَهْدُ.

(٩) فِي (د): بِحُكْمَتِهِ.

(١٠) فِي (س) وَ(ص): بِشَرِّهِ، وَمَرَضُهَا فِي (د)، وَأَثْبَتْنَا مَا أوردَهُ فِي طَرَّتِهِ وَصَحَّحَهُ.

لسبيل الله؛ كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم مَّا يَتَّبِعُونَ﴾ [النحل: ١٢٥].

والدعاء إلى سبيل الله ما حثَّ^(١) على طاعة الله، وزجر^(٢) عن
المخالفة^(٣).

والحكمة هي أن لا يخالف قوله فعله^(٤)؛ فيُدعى بالحكيم.



(١) في (س) و(د): بالحث، ومَرْضُها، وفي (ص): والحث، والمثبت ما صحَّحه
ناسخ (د) بطرته.

(٢) في (س) و(ص): زجرهم.

(٣) لطائف الإشارات: (٣٢٩/٢).

(٤) لطائف الإشارات: (٣٢٩/٢).

[الْحَكِيمُ]: وهو الاسم السادس والعشرون

والموعظة: هو ^(١) كل ^(٢) كلام يَخْلُقُ الله عنده قَبُولَ القلب لما يُلقَى إليه من الخير.

والحسنة: هي ما صَدَرَتْ عن عِلْمٍ وصواب، بِرَفْقٍ وَلِينٍ، دون أن يكون فيه تَعَسُّفٌ ولا تَغْيِيرٌ ولا إِخْجَالٌ ^(٣).

ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿قُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾ [طه: ٤٣]، فصار هذا أصلاً في الرَّفْقِ في الموعظة.

قال علماؤنا: «وإنما أمرهما بالمُلَايَنَةِ معه في الخطاب لأنه كان أوَّل ما دعوهُ إلى الدين، وفي حال الدعوة يجب التمكين؛ فإنه وَقْتُ الْمُهِلَةِ، فلا بدَّ من الإمهال، ريثما يَنْظُرُ؛ ألا ترى إلى قوله لِنَبِيِّنَا ﷺ ^(٤): ﴿وَجَدَلْهُمْ بِالتَّيِّهِ هِيَ أَحْسَنُ﴾، وهو الإمهال، حتى ينظروا ويستدلُّوا، وذلك حسب ما اقتضته صِفَةُ الْحِلْمِ ^(٥)، فإن الخلق على حُكْمِ صِفَاتِهِ ^(٦) العُلَى وأسمائه

(١) في (د) - أيضاً -: هي، وسقطت من (ص).

(٢) في (د): قل.

(٣) ينظر: لطائف الإشارات: (٣٢٩/٢).

(٤) قوله: «لِنَبِيِّنَا ﷺ» لم يرد في (س) و(ز).

(٥) في (ص): العلم.

(٦) في (س) و(ف) و(ص): صفات الباري.

الحسنى يُجْرُونَ، وكذلك قال الله تعالى: قل لهم^(١): ﴿إِنَّمَا أُعْطِيَكُمْ
يَوْمَاحِدَةً أَوْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَيْ وَفْرَادٍ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾
[سبا: ٤٦]، فإذا ظهر من المدعو العناد والإباء حينئذ يُقَابَلُ بِالْغُلْظَةِ^(٢).

وقد^(٣) قال بعض علمائنا^(٤): «علمهما لقاء الأكابر وإن كانوا كُفَّارًا،
فلهم رُتْبَةٌ^(٥) التسليط^(٦) على عباد الله»^(٧).

وبهذا استدلل جماعة من الزهاد على رَفَقِ الله بالمؤمنين^(٨) عند
السؤال؛ فإنه إذا كان يُشْرَعُ الرَّفْقُ فِي سِوَالِ الْأَعْدَاءِ الْكَافِرِينَ، فذلك أخرى
من لُطْفِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ، فيكون ذلك عُنْوَانًا عَلَى سِوَالِ الْمَلِكِ فِي الْقَبْرِ؛ فإنه
إذا رَفَقَ بِمَنْ جَحَدَهُ، فأولى أَنْ يَرْفُقَ بِمَنْ وَحَدَهُ^(٩)./

ومن أحسن عبارة فيه قول بعضهم: «ألا ترى إلى رَفَقِهِ بِمَنْ قَالَ: أنا،
فكيف ترى رَفَقَهُ بِمَنْ قَالَ: أنت»^(١٠).

(١) في (س) و(ف): قال الله له.

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٤٥٩).

(٣) سقطت من (س).

(٤) في (س) و(ف) و(ص): بعضهم، ومَرْضَاهَا فِي (د)، وما أثبتناه أشار إليه في
(س).

(٥) في (د) و(ص): رِفْقَةٌ.

(٦) في (ص): التسليط.

(٧) لطائف الإشارات: (٢/٤٥٩).

(٨) في (د): المؤمن.

(٩) لطائف الإشارات: (٢/٤٥٩).

(١٠) لطائف الإشارات: (٢/٤٥٩).

وقيل: «رَفَّقَ بِمُوسَى فِي تَرْبِيَّتِهِ فَقِيلَ لَهُ: اِرْفُقْ بِهِ»^(١) حَتَّى تَقْضِيَ حَقَّهُ فِي الدُّنْيَا؛ فَلَا يَبْقَى لَهُ فِي الْآخِرَةِ مَكَافَأَةٌ»^(٢).

وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى كَسَا النَّبِيُّ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي قَمِيصَةَ، وَإِنْ مَاتَ مُنَافِقًا، مَكَافَأَةٌ لَقَمِيصِهِ الَّذِي كَسَاهُ هُوَ^(٣) يَوْمَ بَذْرِ الْعَبَّاسِ^(٤)؛ حَتَّى يَمُوتَ وَلَا يَدَّ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْآخِرَةِ.

وَالْحِكْمَةُ الْعُظْمَى^(٥) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٣]؛ أَنَّهُ لَمْ يُعْلِمْهُمَا أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ، لئَلَّا تَلْحَقَهُمَا فِتْرَةٌ فِي الدَّعْوَةِ^(٦).

وكَذَلِكَ شَأْنُ «الْمُذَكَّرِ»، يَعُمُّ بِذِكْرِهِ^(٧)، وَالْبَارِي تَعَالَى يَخْلُقُ الْقَبُولَ لِمَنْ أَرَادَ، وَمِنْ هَذَا كُلُّهُ يَكْتَسِبُ وَصَفَ «الْوَاعِظِ».



(١) مَرَّضَهَا فِي (د).

(٢) لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ: (٢/٤٥٩).

(٣) سَقَطَ مِنْ (ص).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ هَلْ يَخْرُجُ الْمَيِّتُ مِنَ الْقَبْرِ وَاللَّحْدِ لِعَلَّةٍ؟ رَقْمٌ: (١٣٥٠-طوق).

(٥) فِي (س) وَ(ف): الْعَظِيمَةُ.

(٦) لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ: (٢/٤٦٠).

(٧) فِي (س) وَ(ص) وَ(ف): بِذِكْرِهِ.

[الْوَاعِظُ]: وهو الاسم السَّابِع والعشرون

وفي صَحِيحِ الْحَدِيثِ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا»^(١).

وَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الْعِيدَ ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى النِّسَاءِ فَذَكَرَهُنَّ وَوَعَّظَهُنَّ، فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ، وَطَفِقَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي قُرْطَهَا وَسِحَابَهَا وَخَدَمَتَهَا فِي ثَوْبٍ بِلَالٍ^(٢).

فَكَانَ هَذَا دَلِيلًا عَلَى سَوَالِ الْكَبِيرِ لِلْفَقِيرِ النَّاسِ، وَجَمَعَهُ عِنْدَهُ حَتَّى يُفَرِّقَهُ، وَقَدْ فَسَدَ النَّاسُ فَزَالَتْ هَذِهِ الْحَالُ؛ لَمَّا يَلْحَقُ فِي ذَلِكَ مِنَ الظَّنَّةِ، وَيَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ مِنَ التُّهْمَةِ، وَدَخَلَهُ مِنَ الْفُجَارِ مِنَ الْخِيَانَةِ وَالْإِحْتِجَانِ دُونَ مَنْ جُمِعَ لَهُ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْخَصْلَةُ^(٣) مَخْتَصَّةٌ بِمَنْ يُبَشِّرُ وَيُنْذِرُ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، دُونَ مَنْ يُبَيِّنُ الْأَحْكَامَ، وَيَرْجُرُ عَنْ مَخَالَفَةِ السُّنَّةِ^(٤) وَتَعْدِي الْمَصْلَحَةِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ الْمَوْعِظَةِ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ، رَقْمٌ: (٦٤١١-طُوق).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ الْعِيدَيْنِ، بَابُ مَوْعِظَةِ الْإِمَامِ النَّسَاءِ يَوْمَ الْعِيدِ، رَقْمٌ: (٩٧٨-طُوق).

(٣) فِي (د): الْحَلِيَّةِ، وَضَبَّ عَلَيْهِ.

(٤) قَوْلُهُ: «وَدَخَلَهُ مِنَ الْفُجَارِ مِنَ الْخِيَانَةِ وَالْإِحْتِجَانِ دُونَ مَنْ جُمِعَ لَهُ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْخَصْلَةُ مَخْتَصَّةٌ بِمَنْ يُبَشِّرُ وَيُنْذِرُ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، دُونَ مَنْ يُبَيِّنُ الْأَحْكَامَ، وَيَرْجُرُ عَنْ مَخَالَفَةِ السُّنَّةِ» سَقَطَ مِنْ (ص).

ففي الصحيح عن ابن مسعود: «أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر ممّا يُطوّلُ بنا فلانٌ فيها، فغضب رسول الله ﷺ، ما رأيته غَضِبَ في موعظةٍ^(١) كان أشد منها^(٢) يومئذٍ^(٣)، ثم^(٤) قال: أيها الناس، إن منكم منفرين، فمن أمّ الناس فليَتَجَوّزْ، فإن خَلَفَه الضعيف والكبير وذا الحاجة»^(٥).

وقال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِقَاقٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

فالموعظة للعامة، والشفاء للخاصة، فهناك من يُصغي بظاهره فلا يتأثر بذلك قلبه، ومنهم من يُصغي بسرّه فيبلغ إلى قلبه فيُشْفَى من دائه على حسب دوائه^(٦)، فشفاء المذنب الرحمة، وشفاء المطيع النعمة، وشفاء العلماء بالله تعالى القُرْبَةُ، وشفاء العاصين التوبة، وشفاء المُجِبِّين لَذَّةُ المناجاة بالحكمة^(٧)، فيفرح السامع بذلك كله، وهو الذي ينبغي أن يُفْرَحَ به، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ بَيِّنًا لِّكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

(١) في (س): موضع، ومرّضها في (د)، وفي (ص): مكان.

(٢) في (س): فيه، وأشار إليه في (د).

(٣) سقط من (س).

(٤) سقط من (س) و(ف).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه: كتاب الأذان،

باب تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع والسجود، رقم: (٧٠٢-٧٠٣-٧٠٤).

(٦) في (ص): دائه، وفي (د): خائنه، كذا قرأتها، والله أعلم.

(٧) ينظر: لطائف الإشارات: (١٠٢/٢).

يعني^(١) ﴿بِقَبْضِ اللَّهِ﴾: أي: بإحسانه؛ الذي ليس بواجب عليه عند أهل السنة^(٢).

وَالرَّحْمَةُ: إمَّا إرادة النعمة، وهي الأصل، أو نَفْسُ النعمة، وذلك لا يُحصى، كما أخبر الله تعالى^(٣).

وقيل: فضل الله: ما أتاح لهم من الخيرات، ورحمته: ما أزاح عنهم من الآفات^(٤).

وقيل: فضل الله: ما أكرمهم به من الطاعات، ورحمته: ما حماهم به من الزلاّت^(٥).

وقيل: فضل الله: ابتداء^(٦) التوفيق، ورحمته: دوام^(٧) التحقيق، ما لم يسلبه عنهم.

وقيل: فضل الله: أَنْ عَرَفَهُمْ بِنَفْسِهِ أَوَّلًا بِالْأَدْلَةِ، ورحمته: أَنْ أَرَاهُمْ نَفْسَهُ مُعَايِنَةً^(٨).

وقيل: فضل الله: ما وَعَدَ به أهل الطاعة من إحسانه، ورحمته: ما خَصَّ به أهل المعاصي من غفرانه^(٩).

(١) في (د) - أيضًا -: معنى.

(٢) لطائف الإشارات: (١٠٢/٢).

(٣) لطائف الإشارات: (١٠٢/٢).

(٤) لطائف الإشارات: (١٠٢/٢).

(٥) لطائف الإشارات: (١٠٢/٢).

(٦) في اللطائف (١٠٢/٢): دوام.

(٧) في اللطائف (١٠٢/٢): تمام.

(٨) لطائف الإشارات: (١٠٣/٢).

(٩) لطائف الإشارات: (١٠٣/٢).

وقيل: فضل الله: الجنة، ورحمته: الرؤية^(١).

وقيل: رحمته: رضاه الذي لا سَخَطَ بعده^(٢).

﴿بِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من مَالِ الدنيا، أو عَمَلِ الآخِرَةِ^(٣).

وَيُعْزَدُ ذَلِكَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ الَّذِي كَانَ يَقُولُهُ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ تَمَامِهِ مِنَ الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٤)، وهذا من الأسماء الإلهية، وهي أشرفها، فَإِنَّ كُلَّ اسْمٍ لِلرَّبِّ إِذَا^(٥) أُذِنَ فِيهِ لِلْعَبْدِ فَقَدْ شَرَّفَهُ^(٦)، فَمَا أَبْقَى الْمَوْلَى لِلْعَبْدِ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالشَّرَفِ وَجْهًا إِلَّا أُذِنَ لَهُ فِيهِ؛ حَتَّى^(٧) فِي التَّسْمِيِ^(٨) بِاسْمِهِ، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ اسْمَ^(٩) الْحَكِيمِ^(١٠) يَرْجِعُ إِلَى الْعَالَمِ^(١١)، وَالْعَاقِلِ عَالَمِ^(١٢)؛ فَيُسَمَّى حَكِيمًا،

(١) لطائف الإشارات: (١٠٣/٢).

(٢) قوله: «وقيل: فضل الله: ما وَعَدَ بِهِ أَهْلُ الطَّاعَةِ مِنْ إِحْسَانِهِ، وَرَحْمَتِهِ: مَا خَصَّ بِهِ أَهْلُ الْمَعَاصِي مِنْ غَفْرَانِهِ. وَقِيلَ: فَضْلُ اللَّهِ: الْجَنَّةُ، وَرَحْمَتُهُ: الرُّؤْيَا. وَقِيلَ: رَحْمَتُهُ: رِضَاهُ الَّذِي لَا سَخَطَ بَعْدَهُ» تَقَدَّمَ فِي (س) وَ(ف) وَ(ص) وَ(ز) عَنْ مَوْضِعِهِ هُنَا.

(٣) فِي (س) وَ(ف) وَ(ص): دُنْيَا .. آخِرَةٌ.

(٤) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٥) ضَبَبَ عَلَيْهَا فِي (د)، وَفِي الطَّرَةِ كَلِمَةٌ لَمْ نَتَبَيَّنْهَا، وَصَحَّحَهَا.

(٦) فِي (ص): فَهُوَ شَرَّفَهُ.

(٧) قَوْلُهُ: «فِيهِ حَتَّى» سَقَطَ مِنْ (س) وَ(ص) وَ(ف).

(٨) فِي (س): فِي خ: بِالتَّسْمِيِ.

(٩) سَقَطَ مِنْ (س).

(١٠) فِي (س): الْحَكَمَ.

(١١) يَنْظُرُ: الْأَمْدُ الْأَقْصَى - بِتَحْقِيقِنَا -: (٢٣٠/٢).

(١٢) سَقَطَ مِنْ (س).

وَالْفَهْمُ عَالِمٌ ، وَعِلْمٌ^(١) التَّبَوُّةُ عِلْمٌ شَرِيفٌ ؛ فَهُوَ حَكِيمٌ ، وَالْعَمَلُ بِمَا عِلْمٌ
عِلْمٌ^(٢) ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣) : « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ
مُؤْمِنٌ »^(٤) .

وَيُسَمَّى الْفِعْلُ الْمُنْتَظَمُ بِهِ^(٥) حِكْمَةً ، وَالْقَوْلُ الصَّائِبُ ؛ لِأَنَّهُ عَنِ الْعِلْمِ
يَصْدُرُ ، كَمَا يُسَمَّى الْمَقْدُورُ قُدْرَةً ، وَالْبَارِي تَعَالَى حَكِيمٌ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُوقِعُ
أَفْعَالَهُ إِلَّا عَلَى مَقْتَضَى إِرَادَتِهِ ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ مَا عِلْمٌ ، وَلَا يَكُونُ مَوْجُودٌ^(٦)
إِلَّا أَنْ يَرِيدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، كَيْفَ مَا كَانَ ؛ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ .

وِغَايَةُ الْحِكْمَةِ أَنْ يَعْمَلَ الْمَرْءُ بِمَا عِلْمٌ ، كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرُهُ	هَلَّا لِنَفْسِكَ ذَلِكَ التَّعْلِيمُ ^(٧)
تَصِفُ الدَّوَاءَ مِنَ الظُّلْمِ وَمِ-	نَ الضُّلْمِ وَدَوَاهِ أَنْتَ سَقِيمٌ ^(٨)
أَبْدَأَ بِنَفْسِكَ فَانْهَئَهَا عَنْ غِيَّهَا	فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَنَّاكَ يَنْفَعُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى ^(٩)	بِالْعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ ^(١٠)

(١) سقط من (س).

(٢) في (ص): والعمل بها علم.

(٣) في (س) و(ف) و(ص): ﷺ .

(٤) تقدّم تخريجه .

(٥) لم ترد في (ص) و(د).

(٦) في (س) و(ف) و(ص): موجوداً .

(٧) لم يرد في (د) و(س).

(٨) لم يرد في (د) و(س).

(٩) في (ص): يهتدى .

(١٠) تقدّم تخريجها .

وفي معارضته قال سفيان بن عيينة:

اعْمَلْ بِعِلْمِي وَلَا تَنْظُرْ إِلَى عَمَلِي يَنْفَعَكَ عِلْمِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي^(١)
وفي ذلك كلام طويل ذكرناه^(٢) في^(٣) مواضعه ؛ حسبما أشرنا إليه في
«قانون التأويل»^(٤).

والصحيح هو الأول ، ولكن إذا سمعت حَقًّا فَخُذْهُ ، وإن كان من
لسان مُبْطِلٍ ، وَاسْتَنْزِ أَنْتَ بِهِ ، وإن احترق هو فيه ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ كُلُّ
أَحَدٍ ، وإنما يكون كذلك من خَصَّه الله به ، كما قال تعالى: ﴿يُوتِي
الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّا أَلْفًا وَلَوْ أَتَى الْبَلَّ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فأخبر أن الحكمة يؤتيها من يشاء ، ولا يتذكر بالذكري إلا من كان له
لُبٌّ ، أي: من^(٥) كان علمه^(٦) حاضرًا ، ولم تَلْحَقْهُ غفلة.

وأصل الحكمة أن تحكم نفسك ، فمن لم يحكم نفسه فليس بقوي
ولا ذي^(٧) حِكْمَةٍ ، ولهذه الحكمة طَهَّرَ الله نبيَّه داود مِمَّا نَسَبَهُ إِلَيْهِ أَهْلُ
التفسير ؛ مِمَّا كَذَبَتْ عَلَيْهِ الْإِسْرَائِيلِيَّةُ ؛ من أنه شَغِفَ بالمرأة ، وعَرَّضَ

(١) من البسيط ، وهو للخليل بن أحمد الفراهيدي في المعارف لابن قتيبة:
(ص ٥٤٢) ، ولباب الآداب للثعالبي: (ص ١٦١) ، وَسِمَطُ اللَّكَلِيِّ: (١/٨١٥).

(٢) في (س): اذكروه ، وفي (ص): مذكور.

(٣) في (س) و(ص): من.

(٤) قانون التأويل: (ص ٢٥٤-٢٥٥).

(٥) في (د): كمن.

(٦) في (ص): عقله.

(٧) في (د): ذا.

زَوْجَهَا لِمَيِّتَةٍ، وَخَلَقَهُ عَلَيْهَا، وَهَذَا افْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ، وَقَدْ بَيَّنَّاهُ فِي «أَنْوَارِ الْفَجْرِ»^(١)، وَ«الْأَحْكَامِ»^(٢)، وَ«كِتَابِ الْأَنْبِيَاءِ».

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ: ﴿وَإِذْ كُنَّا عَبْدًا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٦٠].

يعني: ذَا الْقُوَّةِ.

فَأُثْبِتَ لَهُ الْقُوَّةَ، وَلَا قُوَّةَ لِمَنْ غَلِبَتْهُ نَفْسُهُ فِي الْهَوَى، فَاقْتَضَى هَذَا الْقَوْلُ نَفْيَ مَا نَسَبَهُ^(٣) إِلَيْهِ الْجَهْلَةُ عَنْهُ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ١٩]، وَأَصْلُهَا كَمَا بَيَّنَّا أَنْ يَحْكُمَ نَفْسَهُ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَوِيٌّ حَكِيمٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَكَيْفَ تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ^(٤) عَلَى عِلَاقَةِ حُبِّ امْرَأَةٍ وَمَعَهُ مِنْهُمْ تِسْعٌ^(٥) وَتَسْعُونَ امْرَأَةً؟ هَلْ هَذَا إِلَّا عَيْنُ الْمَحَالِ عَلَى ذَوِي^(٦) الْهَيْئَاتِ وَالْمَرْوَاتِ؟ فَكَيْفَ عَلَى أَهْلِ النَّبَوَاتِ؟ وَمَا عَمِلَ دَاوُدُ إِلَّا مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَا عَاتَبَهُ إِلَّا عَلَى مَا أَخْبَرَ أَنَّهُ فَعَلَهُ، فَاقْرَأِ الْقِصَّةَ وَاعْلَمْ مَا قَالَهُ اللَّهُ فَاعْتَقِدْهُ، وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ الصَّادِقُ، وَهُمْ الْكَاذِبُونَ.

وَإِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَكُونُوا حُكَمَاءَ فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ؛ فَهِيَ الْغَايَةُ، وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْكُتُبُ الَّتِي تُنْسَبُ إِلَى الْحِكْمَةِ، فَإِنَّهَا مَجْمُوعَةٌ

(١) فِي (س) وَ(ف): الْأَنْوَارِ.

(٢) أَحْكَامُ الْقُرْآنِ: (٤/ ١٦٣٤).

(٣) فِي (س) وَ(ف): نَسَبَ.

(٤) فِي (س) وَ(ف): نَفْسَ.

(٥) فِي (د): تِسْعَةٌ.

(٦) فِي (ص): ذِي.

من أقوال الفلاسفة^(١) والمُعْطَلَة ؛ ككتاب «دِمْنَة وَكَلِيلَة» الذي^(٢) تَرْجَمَهُ الملحدون ، والكتب التي جمعها الملحدة ؛ كالجاحظ وغيره ، لِيُشْغَلَ^(٣) بها الخلق عن كلام الله وكلام نَبِيِّهِ^(٤) ، ودُسَّ فيها من كلام الله تعالى وكلام نَبِيِّهِ ما لم يصح ؛ ليصيد^(٥) بذلك قلوب الفتيان ، ويجذب إليها أعناق الرُّعْثَانِ^(٦) ، حتى يكون الْمُتَحَذِّقُ منهم في جملة أهل الغفلة من^(٧) الرُّعْثَانِ .

[التَّعْرِيفُ بِأَبِي الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيِّ وَنَوَادِرِهِ:]

ولم يكن في المتأخرين من الصَّالِحِينَ أعظم رتبة^(٨) من أَبِي الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيِّ ، وإن كان لم يكن عنده عِلْمٌ ، ولكن^(٩) كان عنده طَبْعٌ . أخبرني الحاجُّ أحمد بن محمد اليميني^(١٠) ، قال لي^(١١) : دخلتُ عليه فقلتُ له : أريد أن أحج ، وقد تردَّدت بين الجادَّة أو الصعيد ، فعلى أيهما تَدُلُّني ؟ فقال لي : ارفع يديك فقل :

(١) في (ف) و(د) : الفسقة ، ومرَّضها .

(٢) في (س) و(ف) : التي .

(٣) في (س) و(ف) : لَتُشْغَلَ .

(٤) في (د) : كلام الله تعالى ورسوله .

(٥) في (د) و(ص) : لِيَتَصَيَّدَ ، وضعفها في (د) ، وكتب في طرته : ليتعد ، من غير تصحيح .

(٦) في (س) و(ف) : الرعثان .

(٧) قوله : «ويجذب إليها أعناق الرُّعْثَانِ ، حتى يكون المتحذلق منهم في جملة أهل

الغفلة من» سقط من (ص) .

(٨) في (ص) : وثبة .

(٩) في (س) : لا .

(١٠) لم أهتم إلى معرفته ، وهو من أصحاب أبي الفضل الجوهري ، وغالب الظن أن

يكون لقيه بمصر ، فقد أخذ ابنُ العربي عن عَدَدٍ من أصحاب الجوهري ، والله أعلم .

(١١) ضَبَّبَ عليها في (د) .

يا لطيفاً بعبده أنت تعطي وتمنع
قد تحيّرْتُ سيدي دُلّني كيف أصنع^(١)

[١٣٠/ب] فقلّتها، ففتح الله لي ورَكِبْتُ الصَّعِيدَ؛ / فصعدت على حاجتي،
وقضيتُ حاجتي.

وأخبرني محمد بن عبد الملك التَّيْسِي، قال لي^(٢): كان الشيخ أبو
الفضل الجوهري^(٣) وإن لم يكن عنده^(٤) عِلْمٌ، فكان عنده دِينَ وَفَهْمٌ وَطَبْعٌ؛
أصبح يوماً فقال في مجلسه: أرسلتُ البارحة في سَكَّرٍ يُبْتَاعُ لي، فجاء^(٥) به
الرسول، فلما أَدْنَيْتُهُ مني وجدت عليه رائحة الصَّيْرِ^(٦)، فقلت له: ما هذه
الرائحة^(٧) عليه؟ فقال لي: ما أدري، فقلت له: ارجع فانظرها، فرجع إلى
الفامي^(٨) فوجد زِيرَ^(٩) زجاج كان فيه السُّكَّرُ يجاور زِيرَ زجاج كان فيه الصَّيْرُ
المُمْلَحُ، وذكر أنه تعلق به من ذلك، فقلت: آه^(١٠)، أَوْصَلَ إِلَيْهِ الْأَذَى مِنْ
وراء حجاب، وبقيتُ مُتَمَلِّمًا على الفراش أعجبُ من خَرْقِ الرائحة

(١) البيتان من مجزوء الخفيف، ولم أقف عليهما في غير هذا الديوان.

(٢) ضَبَّبَ عليها في (د).

(٣) سقط من (د) و(ص).

(٤) في (د): له.

(٥) في (د) و(ص): فجاءني.

(٦) في (د) و(ص): صير.

(٧) في (د): الرائي.

(٨) الفامي: بائع القُوم؛ وهي الحنطة والحمص، تاج العروس: (٢٢٢/٣٣).

(٩) الزِيرُ: الدُّن، تاج العروس: (٤٨٣/١١).

(١٠) في (ص): إِذَا.

للحُجُبِ ووصولها إلى قلب الشُّكْرِ^(١)؛ وتأثيرها فيه بكثرة الملازمة، وطول المجاورة، وتمادي الصبغة، وجعل يضرب لذلك مثلاً للقلب وتأثيره بما عليه^(٢) من الحُجُبِ بما يُلْقَى^(٣) إليه، حتى مضى أكثر النهار، وما انقطع له الكلام بكل نادرة.

أخبرني أبو عبد الله محمد بن قاسم العُثماني^(٤)، قال لي: إن مصر كما تراها من غلبة الفجور، واستيلاء الفسق، وعلانية الملاهي، وتجرُّم الخلق، وانهماكهم^(٥) في كل معصية، ولا يقدرُ أحدٌ من خَلْقِ الله على التغيير، وما كان أبو الفضل الجوهري ولا غيره ممن يستجري على الخروج منها، فاتَّفَقَ ليلة أن يَبِيتَ في جواره دَسْتُ عظيم^(٦)؛ من زَمَرٍ وطَبَلٍ ودُكٍّ، فشغله ذلك عن العبادة، وأصبح إلى المجلس وقال: يا أصحابنا^(٧)،

(١) في (د): قُب.

(٢) في (د): ضرب عليه، وعلى «ضرب» تضييب.

(٣) في (د): يلقي.

(٤) الفقيه الشَّهيد، محمد بن قاسم العُثماني، أبو عبد الله الكاتب، نزيل بيت المقدس، روى عنه ابنُ العربي «نوادِر أبي الفضل الجوهري»، و«قصيدة ابن عبد الصمد السرقسطي» في إكرام الشيوخ والبرِّ بهم، وسمعا منه بيت المقدس، وروى عنه «قصيدته في مناسك الحج»، وسمعا منه بمصر، ويُفهم من نعتِ ابن العربي له بالشَّهيد بأنه من جُمْلَةٍ من اسْتُشْهِدَ من المرابطين ببيت المقدس، فتكون وفاته في شعبان من عام ٤٩٢ هـ، عند دَخَلَةِ الصَّلَيبِيِّينَ، ينظر: قانون التأويل: (ص ٨٩)، وأحكام القرآن: (١٧٤٢/٤)، وفهرس ابن خير: (ص ٥٠٧).

(٥) في (د) و(ص): انهماكهم.

(٦) سقط من (س).

(٧) في (س) و(ف) و(ص): «وقال: أصحابي».

جاورني البارحة وُعَاطُ ملؤوا مسامعي حكمةً الليل كله ؛ صاحبُ نايٍ ،
وصاحبُ قرقرة ؛ وهي التي تُسَمَّى هاهنا أَجْوَالٌ^(١) ، وصاحبُ كَبَرٍ ، قال :
فأَمَّا صاحبُ النَّايِ ففَتَحَ بابَ الدَّعْوَى ؛ فكان يقول : « لي ، لي ، لي » ، فيقول
له صاحبُ القرقرة : « لي ولك ، لي ولك » ، فيقول له صاحبُ الكَبَرِ : « ستعلم
ستعلم ، إذا كُشِفَ الغطاء فتندم ، رَمَ رَمَ ، رَمَ رَمَ »^(٢) ، فكان ذلك مثلاً لتنازع
رجلين في الدنيا ؛

أحدهما : يريد^(٣) أن يختص بها^(٤) قَسْرًا .

والآخر : يريد أن يُداريها ، ويتمتع بها شركة .

والثالث : زاهد فيها ، عارف بها^(٥) ، يقول لكل واحد منهما : « ما^(٦)
أنت اليوم إِلَّا^(٧) في عَمَى ، وسينكشف لك الغطاء غدًا ؛ فتبصر حين لا
تنفعك تَبْصِرَةُ الهدى » .

وقُضِيَ^(٨) المجلس من^(٩) هذا الفن^(١٠) في غرائب .

(١) في (ص) : الدف ، وفي (د) : أغوال ، وما زال هذا اللفظ يستعمل عندنا بشمال
المغرب .

(٢) قوله : « رم رم ، رم رم » سقط من (ص) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) سقطت من (س) .

(٥) في (ص) : بقدرها .

(٦) سقطت من (س) و(ف) و(ص) .

(٧) سقطت من (س) و(ف) و(ص) .

(٨) في (س) : قضى ، وفي (ص) : مضى .

(٩) في (ص) : في .

(١٠) سقط من (د) و(س) .

فانظروا - رحمكم الله - إلى فهم هذا الرجل وسعة ذهنه، كيف غلب على سماع المنكر، ولم يستطع أن يُغيّر ولا أن يُصمّ أذنيه، فقبله^(١) على^(٢) الحق وردّه إلى الخير، واتعظ به اللئيل كله، فكأنه كان صاحب مجلس / يُلقى إلى الخلق^(٣) الخير^(٤)، وهذا حكمٌ ضروري، كشف سريرة من علم ديني.

١
[١/١٣١]

وقد كنتُ أعجبُ من هذا^(٥) حتى علّمتُ من أين أخذها، أو من وافق فيها إن كان لم يرها؛ وهو علي بن أبي طالب عليه السلام، فإن^(٦) في «كتب الزهد» أن علياً عليه السلام سمع ناقوساً يُطنطنُ، فقال: «أتدرون ما يقول هذا الناقوس؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: كذا، وذَكَرَ^(٧) تقديساً للباري وتعظيماً»^(٨).

وكنْتُ أعجبُ أيضاً^(٩) من ذلك حتى تبيّنتُ^(١٠) قولَ الله تعالى: ﴿وَإِنْ

مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

(١) في (س): في خ: فقبله، وأشار إليها في (د).

(٢) سقط من (ص).

(٣) في (س): الناس، وما أثبتناه صححه في طرته، وهو الذي في (د).

(٤) قوله: «واتعظ به اللئيل كله، فكأنه كان صاحب مجلس يُلقى إلى الخلق الخير» سقط من (ص).

(٥) قوله: «من هذا» سقط من (س).

(٦) في (س): قال.

(٧) في (ص) و(ف) و(س): وكذا.

(٨) رسالة القشيري: (ص ٣٨٢).

(٩) في (س) و(ف) و(ص): أيضاً أعجب.

(١٠) في (ص): تلوّث.

قال ابن عباس: «كُفِّرَ الكافر تسبيحُ الله وتقديسُهُ».

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ^(١) رحمته الله: المعنى ^(٢) فيه: أنه أمرُ جرى بقدرِ الله وإرادته، مع ما فيه من مخالفة أمره، وتعدّي حده، وذلك دليلٌ على سعة ملكه، وبديع حكمته، وانفراذه بعلمه، وإلزامه الخلق التسليم لأمره، والإقرار بالعجز عن ذكره.

قال الإمام الحافظ أبو بكر ^(٣) رحمته الله: وذلك لما قدّمنا بيانه؛ بأنه ^(٤) ما من شيء إلا يُسَبِّحُ بحمده ^(٥)؛ يعبد الله كما يجب للمولى على عبده، ويُسَبِّحُ كما يستحق ^(٦) بحمده، «ومن لم يُسَبِّحْ تَسْبِيحَ قَالَةٍ، سَبَّحَ تَسْبِيحَ حَالَةٍ» ^(٧) ^(٨).

فإذا رتب هذا من قوله ونظّمه من كلامه سُمِّيَ «القاص».

* * * * *

(١) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام.

(٢) بيّض لها في (د).

(٣) في (د): قال الإمام الحافظ، ولم يرد في (ص).

(٤) في (ص): لأنه.

(٥) قوله: «يسبح بحمده» سقط من (د) و(ص).

(٦) في (ص): سبق.

(٧) في (س) و(ص) و(ف): دلالة.

(٨) لطائف الإشارات: (٣٥٠/٢).

[القاصُّ]: وهو الاسمُ الثامن والعشرون

وحقيقته: هو الذي يُتَّبَعُ الْقَوْلَ الْقَوْلَ، والقَصَصُ هو القول الثاني، كما أنه في الفعل: وَضَعَ الأثر على الأثر، وهو من أسماء الباري من حيث الأفعال.

قال الله سبحانه: ﴿وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيْنَكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِهُ بُرْءَاكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١١٩]، ففُتِحَ بين الثلاثة الأسماء؛ «القاصُّ»، و«المذكر»، و«الواعظ».

وفي الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «يرحم الله موسى؛ ودَدْنَا لو صبر حتى يَقْصَّ الله علينا من أمرهما»^(١)»^(٢).

فعرفه الله تعالى أخبار^(٣) النبيين، وسيرة المرسلين^(٤) الماضين، ومقاساتهم للأمم، وصبرهم على الأذى، ونصرهم على الأعداء، ليُنَبِّتَ نفسه؛ لما يُقَاسِي من عنادهم، وليتعلَّقَ بالرجاء في إرشادهم، ويسعد^(٥)

(١) بعده في (س) و(ف): شيئاً.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي بن كعب رضي الله عنه: كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله، رقم: (١٢٢) - طوق).

(٣) في (د): بأخبار.

(٤) سقطت من (س)، وفي (ص): سيرة الصالحين.

(٥) في (س) و(ف): يصعد.

بمنزلة^(١) عند الله بما ولّاه^(٢) من ذلك وتولّاه، وليكشف له^(٣) بذلك عن شريف منزلته التي رقاها^(٤) إليها، ممّا لم يَرْتَقِ إليها^(٥) أحد^(٦).

ومن عظيم تشريفه أنه أطلّعه على أخبار من مضى، ولم^(٧) يطلّع على خبره^(٨) أحد^(٩)، وقد نالت هذه البركة أمته، فإنها عرفت أخبار الماضين، ولم يعرف لها أحد خبراً^(١٠) سواها.

وقد قيل: «إن ثبوته بمن يُسمع كان أكثر من ثبوته واعتداده^(١١) بما يُسمع، وأنسه بالمُحدّث كان أكثر من أنسه بالحديث»^(١٢).

والقصص والتذكير^(١٣) سيرة سابقة؛ لم تزل في عهد الخلفاء، وبحضرة الصحابة والعلماء، وكان يدخل فيها من ليس من أهلها فيصدّ

(١) في (س) و(ف) و(ص): منزلته.

(٢) في (ص): والاه.

(٣) سقطت من (س).

(٤) في (س) و(ف) و(د): أرقاه، ومرّضها في (د).

(٥) في (ص): إليه.

(٦) لطائف الإشارات: (١٦٣/٢).

(٧) في (ص): لا.

(٨) في (د): أخباره.

(٩) لطائف الإشارات: (١٦٣/٢).

(١٠) قوله: «وقد نالت هذه البركة أمته، فإنها عرفت أخبار الماضين، ولم يعرف لها

أحد خبراً» سقط من (س).

(١١) في (س): اعتذاره، وهو تصحيف.

(١٢) لطائف الإشارات: (١٦٣/٢).

(١٣) في (ص): الحديث، وفي (س): التذكير، وكتبه بلون أحمر، كأنه ترجمة من

تراجم الكتاب.

وَيُمنَعُ، ثم اتَّسَعَ الحَرْقُ على / الرَّاقِعِ، وجاء من اختلال^(١) الحال ما ليس له [١٣١/ب] دافع^(٢)، وانتهت الحال إلى أن يُقَصَّ بأقبح القصص؛ من الكذب والمحال وما لا أصل له في الدين، وباض الشيطان وفرَّخ، وسلخ^(٣) من الإسلام من سلخ، حتى لم يَبْقَ للعلم طَبَاخٌ^(٤) بما اعتجن من الباطل واطْبَخَ، ودعا إلى مَأْدَبَتِهِ الجَفَلَى، فعمَّ بهذه الحادثة في الأقطار كلها البلاء، ودخل فيه المَدْعُونُ على العلماء، والسفهاء على الحكماء^(٥).

كنتُ يومًا بمسجد^(٦) «بَابِ^(٧) أَبْرَزَ»^(٨) في مجلس^(٩) أبي عبد الله^(١٠) بن أبي نصر التَّمِيمِي المُتَكَلِّم^(١١)؛ ونحن نقرأ في

(١) في (د) و(ص): انحلال.

(٢) في (ص): ليس بدافع.

(٣) في (س): سرخ.

(٤) في (س): طبخ، وفي (ص): طباخًا.

(٥) في (د): الحكمة.

(٦) في (د) - أيضًا - : بدمشق، وسقط من (ص).

(٧) في (د): بباب.

(٨) باب أبرز: أحد أبواب بغداد.

(٩) في (ص): مسجد، وأشار إليه في (د).

(١٠) في (ص): محمد.

(١١) الإمام الحافظ، المقرئ المتكلم، محمد بن عتيق بن محمد بن أبي نصر التَّمِيمِي القُرَوِي، أبو عبد الله بن أبي كُدَيْة، أخذ بالقيروان عن الإمام أبي عبد الله الأذري، صاحب القاضي أبي بكر الباقلاني، دَرَسَ عليه عام ٤٤٣هـ، وهذا يُفيد أن الأذري كان حيًّا في ذلك التاريخ، وهو تاريخ ابتداء دراسته للكلام، وقد اختلف الناس في تاريخ وفاته، فذكر الرُّشَاطِي أنه توفي =

سقيفة^(١) المسجد ، وفي صَدْرِهِ واعظ ، وقد اغتصَّ المسجد بأهله ، ولمَّا
انقضت القراءة لَفَتْ إِلَى سَمَاعِهِ لَحْظَةً مِنْ خَاطِرِي ، فَسَمِعْتُهُ يَنْشُدُ النَّاسَ^(٢) ،
وَجَعَلَ يَقُولُ^(٣) :

جُرْحُ قَلْبِي مِنَ الْهَوَى لَيْسَ يَبْرَأ كيف يبرا وقد تعشَّق^(٥) بَدْرًا
أَنَا إِنْ مُتُّ فَاحْفَرَا^(٤) لِي قَبْرًا عند دار الحبيب يَا لَكَ قَبْرًا
وَاكْتَبَا مِنْ دَمِي عَلَى لَوْحِ قَبْرِي رَحِمَ اللَّهُ عَاشِقًا مَاتَ صَبْرًا^(٦)

= عام ٤٢٣ هـ (تراجم المؤلفين التونسيين: ٤٥/١) ، وأَرَّخَهُ ابْنُ الذَّهَبِيِّ ضَمَنَ
مَنْ تُوُفِّيَ قَرِيبًا مِنَ الْأَرْبَعِ مِائَةِ وَالْأَرْبَعِينَ (تاريخ الإسلام: ٦٠٠/٩) ، وَهَذَا
التَّارِخُ الَّذِي أوردناه يُؤَكِّدُ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الذَّهَبِيِّ ، وَقَدْ أَخَذَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِالْأَنْدَلُسِ
عَنْ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ ، وَسَمِعَ بِمِصْرَ مِنَ الشَّهَابِ الْقُضَاعِيِّ ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ قَبْلَ عَامِ
ثَمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ ، لَقِيَهِ ابْنُ الْعَرَبِيِّ بِبَغْدَادَ ، وَأَخَذَ عَنْهُ وَاخْتَصَّ بِهِ ، وَكَانَ أَبُو
عَبْدِ اللَّهِ قَائِمًا بِعِلْمِ الْكَلَامِ ، مَنَاطِرًا فِيهِ ، مُسْتَوَلِيًا عَلَى مَبَاحِثِهِ وَمَطَالِبِهِ ، فَتَصَدَّرَ
بِالنِّظَامِيَّةِ ، وَأَخَذَ النَّاسَ عَنْ ذَلِكَ ، وَرَمَتْهُ الْحَبْلِيَّةُ بِمَا هُوَ بَرَاءٌ مِنْهُ ، وَجَرَتْ لَهُ
مَعَهُمْ فِتْنٌ وَمِحَنٌ ، مَاتَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَامَ ٥١٢ هـ ، وَقَدْ نَيَّفَ عَلَى التَّسْعِينَ ،
وَدُفِنَ فِي تَرْبَةِ إِمَامِ أَهْلِ السَّنَةِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ ، تَرْجَمْتُهُ فِي: تَارِخِ دِمَشْقَ:
(١٨٨/٥٤ - ١٩٠) ، وَمَعْجَمِ الْبُلْدَانِ: (٤٢١/٤) ، وَسِيرِ النِّبَلَاءِ: (٤١٧/١٩) -
(٤١٨) ، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ: (٥٩/٤) .

(١) فِي (د): سَقِيفَ .

(٢) سَقَطَتْ مِنْ (ص) .

(٣) قَوْلُهُ: «وَجَعَلَ يَقُولُ» سَقَطَ مِنْ (س) وَ(ص) وَ(ف) .

(٤) فِي (ص): فَاحْفَرُوا ، وَفِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ: وَاكْتَبُوا .

(٥) فِي (س): تَعَشَّقْتُ .

(٦) الْأَبْيَاتُ مِنَ الْخَفِيفِ ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهَا فِي دِيْوَانِ آخَرِ .

وإذا به يتكلم في الزيارة ويَشَوِّقُ^(١) إليها، ويتمنى أن يكون بها، وأن يموت عندها؛ فيدفن^(٢) في ذلك الجوار الكريم.

[نَقْدُ إطلاق العشق على الله تعالى]:

وللصوفية في إطلاق العشق على الله تجاوزٌ عظيم، واعتداء كبير، ولولا إطلاقه للمحبة ما أطلقناها عليه^(٣)، فكيف أن نتعدّاها^(٤) إلى سواها من ألفاظ المُجَانِ^(٥)؟ وليس لها^(٦) أصل في الشريعة، وقد يكون لانتزاع المعاني من الشعر^(٧) وَجْهٌ، ولكن ليس بهذا^(٨) الإفراط الذي لا يَحِلُّ.

[حكاية]:

وكان ببغداد واعظ^(٩) يقال له ابن عطاء^(١٠)؛ يتكلم على الخاطر، ذَكَرَ

(١) في (ص): يتشوق.

(٢) في (ص): ويدفن.

(٣) سقط من (د) و(س).

(٤) في (س) و(ف) و(ص): تتعدّاها.

(٥) في (س): المجاز، وفي (ص): المحال.

(٦) في (د) و(ص): له.

(٧) في (ص): السر.

(٨) في (د): إلى هذا.

(٩) في (ص): وعاظ منهم.

(١٠) الإمام الزاهد، العالم العابد، أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء، أبو العباس الأدمي الصوفي، من طبقة الجُنَيْد، ومن أنبل متصوفة بغداد، له لسانٌ في فهم القرآن، ويؤثر عنه كلمات لطائف في الأحوال والمقامات، توفي ببغداد عام ٣٠٩ هـ، ترجمته في: طبقات الصوفية للسُّلَمي: (ص ٢٦٥-٢٧٢)، وحلية الأولياء: (٣٠٥-٣٠٢/١٠)، وتاريخ بغداد: (١٦٤/٦-١٧٠)، ورسالة القشيري: (ص ٧٤).

يومًا على المنبر قصة يوسف؛ وبرّاه ممّا نسب إليه المبطلون وجّهله المفسرون، فقام رَجُلٌ من أفناء^(١) الناس في آخر المجلس فقال له: يا سيدنا الإمام؛ فإذا يوسف همّ وما تمّ، فقال له على البديهة: نعم؛ لأن العناية جاءت من ثمّ، ورفع يده^(٢) إلى السّماء^(٣).

[من آفات الوُعَاظ]:

ولهم في الكذب تَلْفِيقَاتٌ مُزَوَّرَةٌ يقصدون بها التَّمْلِيحَ^(٤)؛ هي^(٥) تُكْبِهِمْ^(٦) على وجوههم في النار، سمعتُ واعظًا منهم بالرَّيْحَانِيِّينَ تحت المنطرة بالدار العزيزة، وهو يقول: «لَمَّا كَسِيَ آدَمُ الْحُلَّةَ، وَوُضِعَ عَلَى رَأْسِهِ التَّاجُ؛ خطا ثلاث خطوات، فأخذت الخطوة الأولى الملوك فَتَجَبَّرَتْ^(٧)، وأخذت الثانية أهل المعاش فَسَعَتْ في الآفاق واضطربت^(٨)، وأخذت الخطوة الثالثة الصوفية فتواجهت»، فهذه كذبة شنعاء؛ لأن آدم لم يفعل شيئًا من ذلك، ولا رواه بَشَرٌ، وما كان له^(٩) ليتكَبَّرَ في حال من الأحوال، ولا في موضع من/ المواضع، فكيف في الجنة؟ ولا بين الخطأ والسَّفَرِ^(١٠) [١/١٣٢]

(١) في (ف): أبناء.

(٢) في (د) و(ص): يديه.

(٣) ينظر: أحكام القرآن: (١٠٨٢/٣-١٠٨٣).

(٤) في (ص): الملح، وفي (د): التلويح.

(٥) في (س): حتى.

(٦) في (س): يكبهم.

(٧) في (ص): فتبخترت بها.

(٨) قوله: «في الآفاق واضطربت» سقط من (ص).

(٩) سقط من (د) و(ص).

(١٠) في (ص): السعي.

وَالْوَجْدِ نِسْبَةً ، وَكَانَتْ ^(١) هَذِهِ كَذِبَةٌ فَاتِرَةٌ غَيْرُ مُنَاسِبَةٍ ^(٢) ، مُؤَثِّمَةٌ غَيْرُ مُسْتَحْسِنَةٍ عِنْدَ الْجَاهِلِ وَلَا مُسَلِّمَةٌ .

[طَرَائِقُ الْوُعَاظِ] :

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا شَاهَدْتُ مِنْهُمْ ^(٣) أَنْ عَالَمًا عَتَبَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ، وَهُمْ بِعَقُوبَتِهِ ، وَحَجَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ وَالْخُلُقَ ، ثُمَّ عَفَا عَنْهُ ، وَأَذِنَ لَهُ فِي الْجُلُوسِ ، فَلَمَّا رَقِيَ الْمَنْبَرُ وَقَرَأَ الْقَارِئُ ؛ فَلَمَّا أَكْمَلَ عُشْرَهُ قَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ وَأَنْشَدَ ^(٤) :

أَلَمِ مِثْلَهُ أَلَمْ وَسَقَامِي دُونَهُ السَّقَمُ
هَكَذَا فِي الْبِرِّ ^(٥) يُفْعَلُ بِي كَيْفَ لَوْ زَلَّتُ بِي الْقَدَمُ

ثُمَّ زَهَقَ ^(٦) عَلَى الْمَنْبَرِ وَتَدَحَّرَجَ عَلَى دَرَجَاتِهِ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْأَرْضِ عَلَى قَدَمَيْهِ مُسْتَقْبِلًا ، لَمْ تَتَغَيَّرْ لَهُ هَيْئَةٌ مِنْ لِبَاسِهِ ، ثُمَّ عَادَ مُسْرِعًا إِلَى الْمَنْبَرِ ، وَأَنْشَأَ الْقَوْلَ فِي وَعْظِهِ .

وَرَأَيْتُ مِنْهُمْ ^(٧) رَجُلًا يَتَكَلَّمُ عَلَى مُحَاسِبَةِ الْعَبْدِ عَلَى الذُّنُوبِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ، وَتَقْرِيرِهِ عَلَيْهَا ^(٨) ذَنْبًا ذَنْبًا ؛ عَبْدِي تَذَكَّرْ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ؛

(١) فِي (د) وَ(ص) : فَكَانَتْ .

(٢) فِي (د) وَ(ص) : مُنَاسِبَةٌ .

(٣) سَقَطَ مِنْ (س) .

(٤) الْبَيْتَانِ مِنَ الْمَدِيدِ ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِمَا فِي كِتَابِ آخِرِ .

(٥) فِي (ص) : بِالْبَرِّ .

(٦) فِي (ص) : زَعَقَ عَنْ .

(٧) فِي (س) وَ(ف) : مِنْهَا ، وَسَقَطَتْ مِنْ (ص) .

(٨) فِي (ص) : عَلَيْهِ ، وَسَقَطَتْ مِنْ (س) .

إذ فعلت كذا وكذا، فقام رجل من الصوفية مُتَعَبِّدٌ؛ ورمى بنفسه بين يديه،
وطَرَخَ ثيابه مِنْ عليه، وجعل يقول: أنا هو ذاك، بالله نَادِ عَلَيَّ، فلم يبق
أَحَدٌ إِلَّا تَخَيَّلَ الحالة وبكى، وعلا^(١) ذلك في المجلس حتى وجدتُ قلبي
على جموده^(٢) قد لَانَ، وانحللتُ حتى وقعتُ على حائط المقصورة بظَهْرِي
من رِقَّةِ القلب.

[مجلسُ الإمام أبي منصور الشيرازي]:

وحضرتُ يوماً مجلس شيخنا الإمام أبي منصور الشيرازي بنهر
مُعَلَّى، وعادةُ الوُعَاظِ أَلَّا يرقى المنبر إلا عالم يجيب عن كل سؤال،
ويستوي على المنبر، ويأخذ^(٣) القراء القاعدون بين يديه في القراءة، فترمى
الرقاع بالأسْوَلةِ^(٤) من كل جانب، وتتداولها الأيدي حتى تبلغ إليه، فيجعلها
تحت ركبتيه، فإذا تَمَّ القارئون أخذها واحدة واحدة، وقال: هذا يسأل
عن^(٥) كذا، وجوابه كذا، فلا يتلعثم في واحدة منها، ويأتي بكل ما يَحْسُنُ
ويُشْفِي الصدور ويكمل، فكتبتُ له - وأنا صغير السن - رُقْعَةً أقول له: ما
الحكمة في أن الله قال^(٦) - مخبراً عن إبليس -: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾، ولم يقل: من فوقهم، ولا من

(١) في (ص): وعلا البكاء في ذلك المجلس.

(٢) في (د): جمود فيه.

(٣) في (ص) و(د): ثم يأخذ.

(٤) في (س) و(ف): الأسئلة.

(٥) سقطت من (د).

(٦) في (ص): يقول.

تحتهم؟ وَرَمَيْتُهَا^(١) فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ^(٢) فِي جَمْلَةِ الرَّقَّاعِ؛ فَلَمَّا تَكَلَّمَ عَلَيْهَا، وَبَلَغَتِ الدَّوْلَةَ إِلَى رُقْعَتِي، وَلَيْسَ لَهُ عِلْمٌ بِصَاحِبِ وَاحِدَةٍ مِنْهَا، وَقَالَ^(٣): هَذَا^(٤) يَسْأَلُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ كَذَا، يَا حَبِيبِي؛ هَذَا وَقَدْ مَكَّنَّهُ اللَّهُ مِنْ أَرْبَعِ جِهَاتٍ يَكُونُ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعُونَ لِلنَّارِ، وَوَاحِدٌ لِلْجَنَّةِ، فَكَيْفَ لَوْ جَاءَ مِنَ الْجِهَاتِ كُلِّهَا؟ مَا رَأَى أَحَدٌ الْجَنَّةَ أَبَدًا، / وَلَكِنْ إِذَا غَشِيَ مِنَ الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ غَشِيَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ فَوْقِنَا، وَثَبَّتَتِ السَّكِينَةُ أَقْدَامَنَا فَنَجُونَا، فَعَجِبْتَ مِنْ قَوْلِهِ: يَا حَبِيبِي، وَنَادَانِي مَنَادَاةَ الصَّبِيَّانِ، وَهَذَا فَنٌ يُسَمُّونَهُ الْكَلَامَ عَلَى الْخَوَاطِرِ.

[الْكَلَامُ عَلَى الْخَوَاطِرِ:]

قَالَ لِي بَعْضُ أَشْيَاخِي بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى مِنَ الصُّوفِيَّةِ: كُنْتُ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ أَبِي سَعِيدِ الصُّوفِيِّ^(٥) بَنِي شَاغُورَ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ فِي حَفْلِ عَظِيمٍ، فَرَأَيْتُهُ يَصْنَعُ شَيْئًا عَلَى الْمَنْبَرِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: يَا لَيْتَ شَعْرِي، إِنْ كَانَ^(٦) هَذَا الَّذِي يَفْعَلُ^(٧) الشَّيْخَ يَجُوزُ أَمْ لَا؟ فَصَرَفَ وَجْهَهُ إِلَى جِهَتِي وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ مِنَ الْخَلْقِ^(٨)، وَجَعَلَ يَقُولُ: «رُؤَاسَتْ، رُؤَاسَتْ»، يَعْنِي: يَجُوزُ، يَجُوزُ.

(١) فِي (س): رَمَيْتُهُ.

(٢) قَوْلُهُ: «فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ» سَقَطَ مِنْ (س).

(٣) فِي (ص) وَ(د): قَالَ.

(٤) فِي (ص): وَهَذَا.

(٥) وَرَدَّ ذِكْرُهُ فِي سَرَاةِ الْمُلُوكِ لِأَبِي بَكْرٍ الْفَهْرِيِّ: (٥١٦/٢-٥١٧)، وَذَكَرَ هُنَا أَنَّهُ بَانِي الْمَدْرَسَةِ النَّظَامِيَّةِ لَخَوَاجَا بُزْرُكَ، وَذَكَرَ سِيرَتَهُ فِي شِرَاءِ الْخَانَاتِ وَالذُّوَرِ وَالْبَسَاتِينِ، وَقَدْ جَعَلَ كُلَّ ذَلِكَ مُحَبِّسًا عَلَى الصُّوفِيَّةِ وَالْفُقَرَاءِ.

(٦) قَوْلُهُ: «إِنْ كَانَ» سَقَطَ مِنْ (ص).

(٧) فِي (ص) وَ(د): فَعَلَهُ.

(٨) فِي (د): الْحَلْقَةُ.

ولهم في ذلك كراماتٌ في مقامات لا يعلمها أهل هذه البلاد^(١).

أخبرني أبو الحسين^(٢) المبارك بن عبد الجبار بمنزله بالقطيعة وأنا أقرأ عليه «غريب الحديث» لابن قتيبة، قال لنا: كنت أختلف إلى سماع هذا الكتاب على أبي الحسن علي بن عمر^(٣) القزويني^(٤) الحربي^(٥)، بالحريّة^(٦) من الجانب الغربي كل يوم؛ من الظهر إلى العصر، فصرتُ يوماً^(٧) مع صاحبي من القطيعة إلى الحريّة^(٨) في القائلة، ولطول الطريق استعنا^(٩) بالحديث، فقلنا: إن شيخنا أبا الحسن لا يُخرج أبداً يده من كُمّه، وإنما يُمسك الأجزاء بأكمامه، ويُناولها^(١٠) بأكمامه^(١١)، ولا يَطْلُعُ له أحدٌ على يد، فقال لي صاحبي: ولعل به برصاً، فهو يستره، وبلغنا المسجد بالحريّة^(١٢)، ودخلنا وركعنا، وانتظرنا حتى خرج فصلّى بنا، فلما فرغنا تحلقنا إليه^(١٣)،

(١) يقصد بلاد الأندلس.

(٢) في (س) و(ف) و(ص): الحسن.

(٣) ترجمته في: تاريخ بغداد: (٤٩٨/١٣)، وسير النبلاء: (٦٠٩/١٧-٦١٣).

(٤) في (د): الغزوني، وفي (ص): الغروي.

(٥) في (س): الحربي.

(٦) في (د): الخريّة.

(٧) في (د) و(ص): مع صاحبي يوماً.

(٨) في (س): الخريّة.

(٩) في طرة بـ (د): اشتغلنا.

(١٠) في (د): تناوله، وسقطت من (ص).

(١١) سقطت من (س) و(ص).

(١٢) في (س): الحديث.

(١٣) في (د) و(ص): عليه.

فمدَّ يده وتناول بها جُزءَ «الغريب» الذي كنا نقرأ فيه ، ثم أخرج يديه^(١) من كُمَيْهِ ، وفتحهُ وحَوَّلَ ورقه يطلبُ المَوْقِفَ ، وهو يقول: الحمد لله على العافية ، ثم أعطانا الجزء ، وصرف يديه في كُمَيْهِ ، وما رأيناها قبل ذلك ولا بعده .

[اعتناءُ الوُعَاظِ بالشعر:]

وسمعتُ محمد بن عبد الملك الواعظ^(٢) وهو على المنبر^(٣) ، في الملتزم بين الركن والمقام ، وهو يَعِظُ في ليلة من ليالي كانون الأوَّل^(٤) ؛ من حين فراغنا من صلاة العتمة إلى الفجر ، ما نزل ولا انقطع له كلام في التملق لله والتحب والتعطف^(٥) ، وأنشد في تلك الليلة نحوًا من ألف بيت ، وقد قيَّدنا منها كثيرًا في «ترتيب الرحلة» ، وكان من جملتها هذه الأبيات^(٦) :

بسطُ نحو الحبيب كفا أسأله بالغداة عطفًا
وقلتُ: يا سيدي تراني وليس^(٧) ما بي عليك يخفى

(١) في (د): يده .

(٢) هو محمد بن عبد الملك التَّيْسِي المصري الصوفي ، تقدَّم التعريف به .

(٣) بعده في (س) و(ف): يقول .

(٤) قَصَدَ الإمام ابن العربي أن يُظهر طُولَ الزمان الذي تحدَّث فيه وذكر ووعظ وابتهل ، من غير انقطاع ، فليالي كانون الأوَّل طويلة ، والمدة الزمنية بين العتمة والغداة ما يقارب عشر ساعات ، لهذا ذَكَرَ الشهر الأعجمي ؛ لأنه أبلغ في الإفادة .

(٥) في (س) و(ف): التعطف والتحب .

(٦) قوله: «هذه الأبيات» سقط من (د) و(ص) .

(٧) في (د): فليس ، وفي (ص): وليس حالي .

ولم أزل دائماً لما بي أذرفُ دمع الجفون^(١) ذَرْفَا
حَتَّى أَتَانِي الْجَوَابُ مِنْهُ وقيل لي في الجواب: تُكْفَى^(٢)

وهو رافعٌ يديه يقول: «يا سيدي تراني، يا سيدي تراني^(٣)»، والخلق
يجأرون^(٤)، والمسجد الحرام قد امتلأ بالأصوات^(٥) والجوار والبكاء،
والناس يتساقطون يميناً وشمالاً، صَعَقًا وإغماءً/.

١
[١٣٣/أ]

وسمعتُ الرازي الإمام على المنبر بمدينة السلام يتكلم على الحج
وفضائله، وَيُحَرِّكُ النَّاسَ لِلْحَجِّ مَعَهُ، وقد كان قَدِمَ مِنَ الرَّيِّ^(٦) بتلك النِّيَّةِ،
فأنشد يصفُ خروجه من بلده:

جعلوا الحج حجةً للفراق واستحلّوا خيانة الميثاق
وأراقوا دَمَ القلوب اشتياقاً حين ولّت ركبهم للعراق^(٧)
وطوّوا نشرهم فَهُمْ نَشْرُ الْمَسْ لكِ عليهم مُبَشِّرًا بالتلاق^(٨)
قُلْ لحاديهم: رُويِدًا فقلبي كلما سُقَّتْ عَيْسَهُمْ فِي السِّياقِ
فوق تلك الجمال من لو أقاموا لحملناهم على الأحداقِ
وتمنيّتُ أَنْ أَكُونَ بَعِيدًا والذي بيننا مِنَ الْوُدِّ بَاقِ

(١) في (ص): العيون.

(٢) الأبيات من مخلع البسيط، ولم أقف عليها في كتاب آخر.

(٣) قوله: «يا سيدي» سقط من (س) و(ص).

(٤) في (ص): يخرون.

(٥) في (د): في خ: بالصوات والخوات.

(٦) قوله: «من الري» سقط من (ص).

(٧) في (د): الفراق.

(٨) سقط هذا البيت وما يتلوه من (د) و(س).

رُبَّ هَجْرٍ يكون من خوف هَجْرٍ وفِرَاقٍ يكون خَوْفُ الفِرَاقِ^(١)

[من تفسير أهل الإشارة]:

وسمعتُ القاضي المُرشِدَ النَّسَوِيَّ^(٢) شيخَ الصوفية بمَهْدِ عيسى صلوات الله عليه؛ في ليلة النصف من رمضان، في أوَّلِ ختمات المسجد الأقصى، والكَازَرُونِي مقرئ الأرض يقرأ بين يديه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرِ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، بمجلس ذكرناه في كتاب^(٣) «ترتيب الرحلة» كله مُسْتَوْفَى، ومن^(٤) جملته أمور صوفيَّة لا معنى لها عندي، وعقليَّة لا مردَّ لها مِنِّي، وأدبيَّة يحتمل^(٥) أن تكون، وشعريَّة^(٦) على طريقة القوم.

قال: قَوْلُهُ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾، قال: «جاء موسى ولم يَبْقَ شيء من موسى لموسى»^(٧).

وقال: آلاُفُ الآلاُفِ^(٨) خَطُّوا خُطَى كثيرة ولم يُذكروا، واختصَّ له بفضلِه موسى، فذكر خُطاه في إقباله للمواعدة تشريعاً، يختص برحمته من

(١) الأبيات من الخفيف، والأول والخامس في ديوان الوأواء الدمشقي: (ص ١٦٠)، وأربعة أبيات منها في آداب الصحبة للسُّلَمي: (ص ٩٧)، باختلافٍ في الترتيب.
(٢) ذكره ابنُ العربي أيضاً في الناسخ والمنسوخ: (٢/١٦٥)، ولم أهتمد لما يفيد في التعريف بحاله.

(٣) سقط من (ص) و(ف) و(س).

(٤) في (د) و(ص): من.

(٥) في (د): تحتل.

(٦) في (ص): شعريَّة.

(٧) لطائف الإشارات: (١/٥٦٤).

(٨) في (د) و(ص): آلاُف.

يشاء^(١)، ولمَّا جاء موسى للميقات بسط الله له الكرامة، وأسمعه كلامه، فلم يتمالك أن قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ﴾، غلبه^(٢) الحب، وأدَّله بالقرب، فسأل الرؤية^(٣).

وأبرح ما يكون الشوق يومًا إذا دنت الخيام من الخيام^(٤)

وكان موسى في أيام المُواعدة يقول: «من كانت له إلى الله حاجة فليذكرها لي»، فلمَّا أسمعه الكلام استولت عليه العظمة فنسي ما كان حُمِّلَ، وغلبه^(٥) الشَّوْقُ فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ﴾^(٦).

فيا لَيْلَ كم من^(٧) حاجة لي مُهِمَّةٌ إذا جئتكم يا لَيْلَ^(٨) لم أدْرِ ما هيا^(٩) ثم أنشد^(١٠):

أَرْوِّي^(١) ما أقول إذا افترقنا وأجمع دائبًا^(٢) حُجَجَ المقال
فأنساها إذا نحن التقينا وأنطق^(٣) حين أنطق بالمُحال^(٤)

(١) لطائف الإشارات: (٥٦٤/١).

(٢) في (د) و(ص): غلب عليه.

(٣) لطائف الإشارات: (٥٦٤/١).

(٤) من الوافر، وهو لإسحاق الموصلي، وهو عند القالي مُسْتَدًّا في أماليه: (١١٠/١)،

وفي الموشَّح للمَرْزُبَانِي: (ص ٣٧٣)، ويُروى - أيضًا -: إذا دنت الديار من

الديار، وإنما أخذه القاضي النَّسَوِي من لطائف الإشارات: (٥٦٥/١).

(٥) في (د): غلب عليه.

(٦) لطائف الإشارات: (٥٦٥/١).

(٧) سقطت من (د).

(٨) في (س): بالليل.

(٩) من الطويل، للمجنون في ديوانه: (ص ١٢٢).

(١٠) قوله: «ثم أنشد» سقط من (س).

ثم قال^(٥): اقرأ يا أستاذ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾، فقرأه^(٦)
القارئ، فأنشد^(٧):

لو عَلِمْنَا مَجِيئَكُمْ لَنَثَرْنَا مُهَجَ النَّفْسِ أَوْ سَوَادِ الْعَيُونِ
وَبَسَطْنَا عَلَى الطَّرِيقِ جُثُونًا لِيَكُونَ الْمَمَرُّ فَوْقَ الْجَفُونِ^(٨)
وأنشد^(٩):

قالوا: تَوَقَّ رجالَ الحيِّ إن لهم
عينًا عليك إذا ما نِمْتَ لم تَنِمِ
فقلتُ: إن دمي أَقْصَى مرادهم
وما غَلَتْ نظرةٌ منهم بِسَفْكِ دَمٍ
والله لو علمتُ نفسي بمن هَوَيْتُ
جاءت على رأسها فضلًا عن^(١٠) القَدَمِ^(١١)

(١) في (س): أروني. (٢) في (س): دانيًا.

(٣) في (س): فأنطق.

(٤) من الوافر، وهو في الرسالة القشيرية: (ص ١٥٢)، والزهرة للظاهري: (١٢/١)،
غير منسوبين.

(٥) في (ص): «يا قارئًا بالعشر، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾».

(٦) في (ص): فقرأ.

(٧) في (ص): ثم أنشد، وتأخر البيتان اللذان بعده عمّا في (س) و(د).

(٨) البيتان من الخفيف، وهما في سِلْكِ الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: (٢٣٩/٣).

(٩) في (ص): ثم أنشد.

(١٠) في (س) و(ف): على.

(١١) الأبيات من البسيط، وهي في مواهب الجليل: (٤٩٨/٢)، والأوّلان منها في
البدیع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ: (١٧٠/١).

١
/قال الله لموسى^(١): «لن تراني حتى يراني، صاحب السبع المثاني»،
لئن^(٢) كان الله اصطفى موسى بالكلام فقد اصطفى^(٣) مُحَمَّدًا ﷺ بالكلام
والرؤية.

طلب موسى الرؤية ف قيل له: ﴿انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَفْرَّ مَكَانَهُ،
فَسَوْفَ تَرِيْنَهُ﴾، فموسى لم يقل: «لا أريد الجبل، إنما أريد أنت»، ولكنه
امتل ما أُمِر^(٤)، كما قالوا^(٥):

أريدُ وصاله ويريد هجري فأترك ما أريدُ لما يريدُ^(٦)

وَقَالَ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا مَا قَالَ، وَمَشَى هَكَذَا مَا مَشَى، إِلَى^(٧) الْفَجْرِ مِنْ^(٨)
الْعِشَاءِ، وَلَمْ أَقْدِرْ أَنْ أَحْتَمِلَ ذَلِكَ لَخُرُوجِهِ عَنْ حَدِّ الْقَانُونِ الشَّرْعِيِّ الَّذِي
مَهَّدَنَاهُ فِي «قَانُونِ التَّأْوِيلِ»^(٩).

(١) في (د) و(ص): يا موسى.

(٢) في (د) و(ص): قد.

(٣) في (د) و(ص): واصطفى.

(٤) لطائف الإشارات: (١/٥٦٧).

(٥) في (ص): قال، وبعدها في (د) كلمة غير واضحة تقرب أن تكون: وأنشد.

(٦) من الوافر، أنشده أبو القاسم القُشَيْرِي في اللطائف: (١/٥٦٧)، ونسبه الصفدي

في الوافي بالوفيات: (١٨/١٦٠)، وابن الكُثَيْبِي في فوات الوفيات: (٢/٣٠١)،

لعبد الرحمن بن مروان، المعروف بابن المُنَجِّم الواعظ.

(٧) في (ص): من، وسقطت من (س).

(٨) في (ص): إلى.

(٩) قانون التأويل: (ص١٩٦-١٩٧).

وكنْتُ أرى القاضي المذكور وجميع الحضور قد استولى عليهم البكاء والخشوع، والحنين والذَّنين^(١)، والتوجع والتفجع، والدعاء والتضرع، وأنا متفكر في هذه الألفاظ، متوقِّل^(٢) على هذه الأغراض، فما تلتئم لي^(٣)، فكنتُ أقول: هل حال بيني وبين هؤلاء قسوة مغربية أم غفلة شهوانية أم نية دينية؟ وتأمَّلْتُ عند تفقهي ذلك كلَّه، فعلمت أنه ليس على طريق من مضى، فأعرضتُ عنه وقلت: لا أرضى، وقد^(٤) بيَّنتُ خروجه عن التأويل في «القانون»^(٥)، وكلِّكم يرى خروجه، ويُدرِكُ مفارقتَه لما ينبغي، وسنشير في بقية الباب و«الأسماء» إلى هذا الغرض إن شاء الله.

[رُكُوبُ بعض الوعاظ مَثَنَ الكذب على رسول الله]:

ومنهم من يستجيزُ الكذب على النبي ﷺ صُراحًا، ولا يرى في ذلك جُنَاحًا، كما أخبرني محمد بن عبد الملك عن أبي الفضل الجوهري، قال: ذكر لنا يومًا أن النبي ﷺ مرض فعاده أبو بكر، فلَمَّا رآه أبو بكر^(٦) خاف^(٧) عليه، حتى خرج من عنده عليلاً، ووجد النبي ﷺ خَفَّةً فجاء يعود أبا

(١) في (ص): الأئين.

والذنين: المخاط يسيل من الأنف، ينظر: تاج العروس: (٦٦/٣٥).

(٢) في (ص): متوكل.

(٣) في (س): تليتم به.

(٤) سقطت من (س) و(ص).

(٥) قانون التأويل: (ص ١٩٦-١٩٧).

(٦) قوله: «فلما رآه أبو بكر» سقط من (د) و(ص).

(٧) في (د) و(ص): فخاف.

بكر، فلمَّا رآه أبو بكر قد برئ ثَابَتْ إليه نفسه وعادت إليه صحته، فقال أبو بكر رضي الله عنه^(١):

مرض الحبيب فعُدَّتْهُ فمرضتُ من حَذْرِي عليه
شُفِيَ الحبيبُ فعادني فَشُفِيتُ^(٢) من نظري إليه^(٣)

وهذا شيء ما أنزل الله به من سلطان، بل هو غاية البهتان، وقد قدَّمنا أن هذا الشيخ كان رجلاً^(٤) عفيفاً ولم يكن عالماً.

[تَوْطِيدُ الْقَوْلِ فِي الْقِصَصِ]:

ومن أحسن^(٥) الإيراد في القصص أن يُوطَّد^(٦) القول ويأتي به على قلوب حاضرة ووجوه مقبلة، وفي الحديث: «حَدَّثَ النَّاسَ مَا حَدَّجُوكَ^(٧) بِأَبْصَارِهِمْ»^(٨)، وإن رأى غفلة فليستدع الناس^(٩) حضورهم وإنصاتهم، قال:

(١) ذَكَرَ هذه الحكاية منسوبة إلى الإمام الشافعي أبو طالب المكي في قوت القلوب، ولم أقف عليها كما ذكرها ابنُ العربي عن أبي الفضل الجوهري، ينظر: القوت: (١٥٨٠/٣).

(٢) في (د) و(ص): فبريت، وأشار إليه في (س).

(٣) البيتان من مجزوء الكامل، وهي للشافعي في ديوانه: (ص ٤٠٣)، ونُسبت لغيره.

(٤) سقط من (س) و(ف).

(٥) في (د): حسن.

(٦) في (ص): يطرد، وفي (د): توطد.

(٧) في (س): جرحوك، وفي (ص): حدقوا إلي.

حدجوك بأبصارهم: رَمَوْكَ بها، أي: حَدَّثَهُمْ ما داموا يشتهون حديثك، فإذا أعرضوا عنك فاسكت، ينظر: شرح السنة: (٣١٤/١).

(٨) أورده البغوي في شرح السنة عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً: (٣١٤/١).

(٩) سقطت من (د) و(ص).

«إِنَّ^(١) النَّبِيَّ ﷺ فِي حِجَةِ الْوُدَاعِ، اسْتَنْصَتَ النَّاسَ ثُمَّ قَالَ: لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا؛ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(٢).

١ جلس يوماً أبو الفضل الجَوْهَرِيُّ على المنبر؛ فقرأ القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، / فقال: والله لا منعته من أحد^(٣) أبداً، وسكت، وعاد القارئ للاستعاذة، فلما أكملها قال أبو الفضل: والله لا منعته من أحد أبداً، وسكت^(٤)، وعاد القارئ إلى الاستعاذة، فلما أكملها قال أبو الفضل: والله لا منعته من أحد أبداً، وعاد القارئ إلى الاستعاذة^(٥)، فقال الناس: ما معنى هذا؟^(٦)

وأقبلت القلوب على كلامه مُتَعَجِّبَةً من قوله هذا، ولمَّا^(٧) استقبلته الوجوه قال: رُوي عن محمد بن واسع أنه قال: «خرجتُ يوماً إلى المسجد فلقيتُ الشيطان في طريقي، فقال لي: يا محمد بن واسع، إني كلما رُمْتُك وجدت حجاباً بيني وبينك؛ لا أستطيع أن أبلغ إليك معه، فقال له ابن واسع: إني أقول كل يوم إذا أصبحت: اللهم إنك سلَّطت علينا الشيطان

(١) سقطت من (د) و(س).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن جرير رضي الله عنه: كتاب المغازي، باب حجة الوداع، رقم: (٤٤٠٥ - طوق).

(٣) قوله: «من أحد» سقط من (ص).

(٤) سقطت من (د).

(٥) في (د): للاستعاذة.

(٦) قوله: «وسكت، وعاد القارئ للاستعاذة، فلما أكملها قال أبو الفضل: والله لا منعته من أحد أبداً، وسكت، فلما أكملها قال أبو الفضل: والله لا منعته من أحد أبداً، وعاد القارئ إلى الاستعاذة، فقال الناس: ما معنى هذا؟» سقط من (ص).

(٧) في (د) و(س): واستقبلته.

عدوًّا من أعدائنا؛ يرانا هو وقبيله من حيث لا نراه، اللهم أَيِّسْهُ^(١) مِنَّا كما أَيَّسْتَهُ^(٢) من عفوك، وقَنْطُهُ مِنَّا كما قَنْطْتَهُ من رحمتك، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك، إنك على كل شيء قدير، فقال له الشيطان: بالله لا تخبر بها أحداً أبداً، فقال: والله لا منعتهما من أحد أبداً^(٣).

فانظروا إلى حُسْنِ هذا السياق في جَمْعِ القلوب على السماع والإصغاء، حتى يقع القولُ موقعه؛ فيكون أوعى له وأثبت لتحصيله.

[من نوادر الوعاظ:]

ومن نوادرهم: ما سمعتُ بعضهم؛ وقرأ القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح: ٢٩]، إلى خاتمة الفتح، فقام وأنشد:

حُبُّ صَحْبِ النَّبِيِّ خَالِطٌ لِحَمِيٍّ وَجَرِيٌّ فِي مَفَاصِلِي فَأَعْذِرُونِي
أَنَا وَاللَّهُ مُغْرَمٌ بِهِوَاهِمِ^(٤) عَلَّلُونِي بِذِكْرِهِمْ عَلَّلُونِي^(٥)

ثم أخذ في ذِكْرِ الصحابة، وكان مجلساً عظيماً، فيه علوم جمَّة، من جملتها^(٦): «إن قوله: ﴿مَعَهُ﴾: أبو بكر، ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾: عُمَرُ، ﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾: عثمان، ﴿تَرْبِيَهُمْ زُكَّاءً سَجْدًا﴾: عَلِيٌّ^(٧).

(١) في (ص): آيسه.

(٢) في (ص): آيستته.

(٣) قوله: «فقال: والله لا منعتهما من أحد أبداً» سقط من (س).

(٤) في (د): في هواهم، وفي (ص): من هواهم.

(٥) من الخفيف، ونسبهما موفق الدين ابن الشيخ الشارعي في مرشد الزوار إلى قبور الأبرار: (٣٠١/١) إلى الشيخ أبي الفضل الجوهري الواعظ.

(٦) في (د) و(ص): جملتها. (٧) لطائف الإشارات: (٤٣٣/٣).

قال الإمام الحافظ أبو بكر^(١) رحمه الله: الآية عامة في المؤمنين، إلا أن هؤلاء الأول أوائل، وكل^(٢) من بعدهم أو آخر، وهذا ذكرهم في التوراة، وذكرهم في الإنجيل **﴿كَزَعَ﴾**: مُحَمَّدٌ، **﴿أَخْرَجَ شَطْطَهُ﴾**: أَصْحَابُهُ^(٣)، كان واحداً^(٤) ثم تنامت إليه الصحابة، فيقوى ويشتد، ويعظم ويكثر؛ حتى يستوي على سوقه، وتظهر ثمرته، وتعم منفعته، ليغيط بهم أجمعين الكفار، هم قُرَّةُ عين الولي، وعَيْظُ عين الحسود، فكل من قَرَّتْ عينه بهم فهو مؤمن، وكل من كَرِهَ منهم واحداً فهو كافر^(٥).

قال مالك: «لا أرى في الفيء حقاً لمن لم يكن على مقتضى قوله: **﴿رَبَّنَا اغْنِرْنَا لَنَا وَلَا إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾** [الحشر: ١٠]»^(٦) /.

[ب/١٣٤]

وقد أَحَسَّنَ القائل:

وَعَامِلٍ بِالذُّنُوبِ يَأْمُرُ بِالْبِرِّ كَهَادٍ يَخُوضُ فِي الظُّلُمِ
أَوْ كطبيبٍ قد شَفَّهَ سَقَمٌ وهو يُدَاوِي من ذلك السَّقَمِ
يَا واعظ الناس غير متعظ نَفْسُكَ عَاتِبٌ أَوْ لَا^(٧) فلا تَلُمُ^(٨)

(١) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر بن العربي.

(٢) في (س): كان.

(٣) في (س): أبو بكر وأصحابه، وفي (ص): **﴿أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَأَزْرَهُ﴾**.

(٤) في (س): واحداً منهم.

(٥) يُقَارَنُ بما في لطائف الإشارات: (٤٣٤/٣).

(٦) مسند الموطأ للجوهري: (ص ١١٢)، والانتقاء لابن عبد البر: (ص ٧٣).

(٧) في (د): أولى.

(٨) الأبيات من المنسرح، وهي لأحمد بن يوسف الكاتب، يعاتب جارية له، وهي

في الأغاني: (١٢٨/٢٣)، وزهر الآداب: (٤٨٧/٢).

قال الإمام الحافظ أبو بكر^(١) رحمته الله: وهذا كله يَنْتَضِدُّ^(٢) ويتأكد بالتفكر؛ فإنه من أَجَلِّ العبادات وأعظم الطاعات، ويختص بالقلب، ليس للجوارح فيه أثر، فيكون^(٣) مُتَّفَكِّرًا^(٤).



(١) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر بن العربي.

(٢) في (د): ينتصر، وفي (ص): يعتضد.

(٣) سقط من (د).

(٤) قوله: «فيكون مُتَّفَكِّرًا» سقط من (ص)، وفي (د): التفكر، ومرّضها.

وهو الاسم التاسع والعشرون: المتفكر^(١)

وحقيقته: تَرَدُّدُ العلوم في القلب، وترتيبها حتى تُثَمَّرَ أمثالها في أمثالها^(٢).

وهو الذِّكْرُ بعينه، وهو النَّظَرُ، وكل ناظر متفكر، وكل متفكر مُتَذَكِّرٌ؛ إذ حقيقة المتفعل طالب الفعل، وَسْتَرْوْنَ تَرْيِبَ ذلك في الأمثلة إن شاء الله؛ فَإِنَّ قَوْمًا^(٣) أرادوا الفرق بينهما^(٤)، وجعلوا لكل واحد حقيقة، ولو كان ذلك صحيحًا لما أجدى، أما إنهم أرادوا أن يجعلوا لمراتب الفكر أسماء ويفصلوا بينها بها^(٥)، وإذا أطلقنا الاسم على جميعها لم يضرنا ذلك.

ومما يجب أن تعرفوه مُقَدِّمَةٌ بين يدي النظر في هذا الاسم أنه ليس فيه حديث صحيح عن النبي ﷺ، ولا عن العشرة الأبرار، فلا تلتفتوا إليها، فجميع ما أورده^(٦) المصنفون باطل.

(١) سقط من (س) و(ص).

(٢) ينظر: أحكام القرآن: (٢/٨١٦).

(٣) يقصد شيخه الإمام أبا حامد، ينظر: الإحياء: (ص ١٨٠١).

(٤) في (س): في خ: أن يجعلوا بينهما فرقًا.

(٥) في (س): وبينها.

(٦) في (ص): أورده عليكم.

أما إن فيه آيات كثيرة، وإذا^(١) وجدتم في المسألة آية واحدة - فكيف آيات كثيرة^(٢)؟ - فلا تطلبوا عليها حديثاً - وإن كان صحيحاً - حتى تُحكّموا ما في القرآن، إلا أن تفتقر الآية إلى بيان، فحينئذ تطلبون الحديث، فكيف بأن تطلبوا مع كتاب الله أحاديث لا أصل لها عن رسول الله ﷺ ولا عن جَلَّةِ أصحابه^(٣)؟

ومن الآيات فيه قوله: ﴿وَيَتَّبِعُكُمْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقد ثبت «أن ابن عباس بات عند النبي ﷺ فاستيقظ وقرأ العشر الآيات خواتم آل عمران، ثم قام وتوضأ وصلى حتى أصبح»^(٤)، وليس في الحديث ذكرٌ للآية بحرف^(٥)، فأبى الشيطان إلا أن يزيد في الحديث ويأتي بطائفة فيه^(٦) ليس لها أصل، فلا تلتفتوا إليها.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ﴾ [سبا: ٤٦]^(٧).

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾

إلى قوله: ﴿لَا يَذُوقُ لِقَوْمٍ يَتَّبِعُونَ﴾ [النحل: ١٠ - ١١].

(١) في (س) و(ف): إن.

(٢) سقطت من (د).

(٣) في (ص): الصحابة، وأشار إليها في (د).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ عن عائشة رضي الله عنها: (١٢٠/٣)، وفيه: «ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر فيها»، وأخرجه ابن حبان في صحيحه: (٣٨٦/٢)، رقم: (٦٢٠-إحسان).

(٦) سقطت من (س) و(ص).

(٧) في (د) و(ص): «أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة».

وقال: ﴿وَأَوْحِي رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ إِلَى

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨ - ٦٩] .

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ

لَكَاهِرُونَ﴾ [الروم: ٧] .

وقال تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ فُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ
وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥١] .

وفائدة الفكر زيادة العلم به والإيمان واليقين والإسلام، ودوام الذكر

تثبيتاً للتوحيد في القلوب .

وقد روى ابنُ القاسم عن مالك: قيل لأم الدرداء: «ما كان عملُ أبي

الدرداء؟ قالت: كان شأنه التفكير»^(١) .

وقيل لمالك: «أترى التفكير عملاً؟ قال: نعم، هو اليقين»^(٢) .

وقيل لابن المسيب: «في الصلاة بين الظهر والعصر، فقال»^(٤): ليست

هذه عبادة، إنما العبادة الورعُ عما حَرَّمَ الله، والفِكرُ^(٥) في أمر الله»^(٦) .

(١) البيان والتحصيل: (٥٨٠/١٧) .

(٢) في (س): من العمل، وفي (ص) و(د): العمل، وضَبَّ عليه، وما أثبتناه
صَحَّحه ناسخ (د) في طرته .

(٣) البيان والتحصيل: (٥٨٠/١٧) .

(٤) في (ص) و(س) و(ف): قال .

(٥) في (ص): التفكير .

(٦) البيان والتحصيل: (٥٨١/١٧) .

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي^(١) رحمته الله: كان ابن عمر يصلي من الظهر إلى العصر، وكان يَرْعُ^(٢) عَمَّا حَرَّمَ الله، فأراد سعيد بن المسيب أن يُبَيِّنَ أن الِوَرَعَ عَمَّا حَرَّمَ الله والفِكْرَ في أمر الله خَيْرٌ من الصلاة دون وَرَعَ كما يفعلُه الناس، فإنهم يصلون ويصومون ولا يَرْعُونَ^(٣) عن حرام، ولا يتفكرون في أمر.

[مَجَالُ الْفِكْرِ وَمَحَالُهُ^(٤)]:

ومجال الفكر وَمَحَالُهُ أفعال الله، وهي منقسمة إلى قسمين:
عامّة: كالسَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، وما اشتملت عليه من صنوف الآيات
وعجائب المخلوقات.

وخاصّة: وهي: ذات الْمُتَفَكِّرِ وأفعاله^(٥).

فأمّا أفعال الله العامّة إذا تفكر الناظر فيها فإنها تفيده معرفةً بقُدْرِ كل فكرة، وإيماناً بإزاء كل عبرة، وتوحيداً عند كل نظرة، وذلك هو المطلوب الأكبر، والمقصود الأظهر؛ فإذا رأى السماء سقفاً مرفوعاً، والأرض مهّاداً موضوعاً، قد^(٦) زَيَّنَتْ تلكَ بشمسها^(٧) وقمرها وزُهرها، ورُتَّبَ طلوعُها وغروبُها، ودُبِّرَ مَسِيرُها ذاهبَةً وراجعةً، مَمْحُوءَةٌ وَنَيَّرَةٌ، وقد زُخِرَتْ هذه

(١) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر بن العربي.

(٢) في (ص): يتورع.

(٣) في (ص): يتورعون.

(٤) ينظر: أحكام القرآن: (٨١٧/٢).

(٥) قوله: «وهي: ذات المتفكر وأفعاله» بيّض له في (ص).

(٦) في (د): وقد.

(٧) في (س) و(ف) و(ص): شمسها.

بأشجارها، وشُقَّتْ بأنهارها، وصُيِّرَتْ خزانةٌ للأقوات، وقُدِّرَتْ معاشاً للحيوانات، وأُرْسِيَتْ بالجبال ودُحِيَتْ^(١)، وهَيَّيْتُ للنبات وأُكْرِمْتُ؛ تَحَقَّقَ أن في كل جزء من ذلك عِبْرَةً تستغرق الفِكْرَةَ.

والجمادات والحيوانات إذا نُظِرَ في أصنافها وأنواعها، ودُبِّرَ اختلافُها واتفاقُها، واشترَاكُها فيما تشترك فيه، وانفرادُها، وتسخيرُ بعضها لبعض، وتَقَلُّبُها في الأرض والبحار؛ عَذْبُها ومِلْحُها، صغِيرُها وكبِيرُها ومحيطُها^(٢)، كل ذلك مبتهٍ مفيد، عظيم الملك وسعة القدرة.

والهواء ترى أنه جسم محسوس، وهو غذاء النفس والروح لبعض الحيوانات، وهو قاتلُ الآخرين، أو قاتلُهم عَدَمُ غذائهم؛ وهو الماء، والأوَّلُ أصح؛ لأن الماء كما يقتل حيوان البر وإن كان من غذائه، كذلك^(٣) الهواء يقتل حيوان الماء.

ولتعجب^(٤) من ركوده ثم اضطرابه؛ وهي الريح، وإنزالُ الغيث من السماء أمرٌ معجز، ودليلٌ نير.

ونفسُ الإنسان وذاتُه أقربُها إليه نظرًا، / وأكثرُها عِبْرَةً^(٥) - إن فَتَّشَ - [١٣٥/ب]

عِبْرًا؛ فإنه لم يكن شيئًا مذكورًا، ثم كان نقطة من ماء دافق، ثم تردَّدَ - كما أخبر الله عنه - في أطوار الاجتنان^(٦)، حتى أخرجَه إلى صفة الإنسان

(١) بعده في (ص): الأرض.

(٢) بعدها في طرة بـ (د): في خ: وما لها.

(٣) في (س): كان.

(٤) في (د): ليعجب.

(٥) سقطت من (س).

(٦) في (ص): الاجتناء.

فأنشأه خلقاً سَوِيًّا ، ضعيفاً ثم قوياً ، جهولاً ثم عالماً ، مُخْلِئاً ثم مُقَيِّداً مُبْتَلًى بالأمر والنهي ، بعد أن كان معافى ، محفوفاً بآفات ، مشحوناً بدناءات من الصفات ، مدفوعاً^(١) إلى تطهيرها عما سَدِكَ^(٢) بها ، وإقبالها على ما حُدَّ لها .

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصْرِوْنَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٢] .

فهذا فضله عليه في ذاته ، وفضله علينا به^(٣) أن بلغ رسالات ربه ، وبيّن^(٤) عنه ما أمر به ، وأوعز إلينا^(٥) العمل النافع والضار ، وبيّن لنا النجدين ، وأوضح لنا^(٦) سبيل النجاة ، وحذّر من^(٧) طريق الهلكة ، فتعيّن علينا - والحالة هذه^(٨) - الفكرة في أنفسنا حتى نعرف قَدَرنا وقدر خالقنا ، وَلَزِمَتِ الْفِكْرَةُ والنظر فيما وَظَّفَ من أمرٍ ونهيٍ علينا ، فكان هذا رأس العبادة ، حتى إذا تقرر في النفس وجب العطف على العمل .

(١) في (د): مرفوعاً .

(٢) في (ص): ينزل .

(٣) سقطت من (س) ، وفي (ص): عليه أنه إن بلغ .

(٤) في (س): بلغ ، وما أثبتناه أشار إليه وصحّحه .

(٥) في (ص): النبي صل الله عليه وسلم .

(٦) سقطت من (د) و(ص) .

(٧) في (د) و(ص): عن .

(٨) في (د) و(ف): والحال له هذه .

[المفاضلة بين العمل والفكر^(١)]:

وقد اختلف في أي الحالين أفضل ؛ العمل أم الفكر ؟
فذهب قومٌ من السلف إلى أن الفكر أفضل ، منهم : أبو الدرداء ،
وسعيد بن المسيب ، والحسن ، وقد تقدّم .

وقال الحسن : « تفكر ساعة خير من قيام ليلة »^(٢) .

وقال مالك بن أنس - رحمه الله - كما بيّنّا : « الفكر عمل من
الأعمال ، وهو اليقين »^(٣) .

وقد تقدّم فعلُ ابن عمر .

وصَغَوْ الصوفية إلى أن الفكر أفضل من كل عمل .

وذهب^(٤) أكثر الفقهاء إلى أن العبادة أفضل .

وبه أقول .

والدليلُ عليه حالُ النبي ﷺ في كثرة صلاته بالليل ، وما كان يَقِفُ
على آية ليلة ، إنّما رُوي عنه ﷺ أنه كان إذا مرّ بآية رحمة سأل ، وإذا مرّ
بآية عذاب استعاذ^(٥) ، فلا يعدل بعمله شيء .

(١) ينظر: أحكام القرآن: (٢/٨١٨) .

(٢) الإحياء: (ص ١٧٩٩) ، وإنما يُعرَفُ هذا عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، وهو في
الحلية عنه: (١/٢٠٩) .

(٣) البيان والتحصيل: (١٧/٥٨٠) .

(٤) سقط من (س) و(ص) .

(٥) سبق تخريجه .

والفكر حسن لمن كان قوي النظر، شديد العارضة، مستمر المِرَر^(١) في الأدلة ومتعلقاتها؛ فالفكرة له أفضل في بعض الأوقات^(٢).

وأما عمومٌ بعموم؛ فلا يعدل العمل بالسنة شيء^(٣)، وانظروا^(٤) إلى الحديث الصحيح: عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ قام فمسح النوم عن وجهه، ثم قرأ الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم توضأ وصلى حتى طلع الفجر، فأخذ ساعة في العبرة، واستوفى / بقية الليل في التهجد للعبادة»^(٥).

[١/١٣٦]

[الفكر في الله عز وجل]^(٥):

فأما الفكر في الله فقد روى الضعفاء عن النبي ﷺ أنه قال: «تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في ذات الله»^(٦)، وهذا حديث باطل، وإنما حضَّ الله على الفكر في آياته، والاعتبار بمخلوقاته؛ لأن ذاته لا يتصور الفكر فيها؛ لأن الفكر والنظر إنما هو لما^(٧) له مثل^(٨)، ولما لم يكن لها مثل لم يتصور فيها فكر.

(١) في (ص): النظر.

(٢) في (س): في خ: الأحوال.

(٣) في (د) و(ص): انظر.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) من طرة ب (س)، وفوقه: بخطه، أي بخط ابن العربي.

(٦) أخرجه هناد في الزهد من طريق الأعمش مراسلاً: (٤٦٩/٢)، رقم: (٩٤٥)،

وكذلك عن الحسن مراسلاً: (٤٦٩/٢)، رقم: (٩٤٦)، وأبو نعيم في الحلية

عن ابن سلام ﷺ: (٦٧/٦)، وورد عند آخرين بأسانيد لا تخلو من ضعف،

وينظر: المقاصد الحسنة: (ص ١٥٩)، رقم: (٣٤٢).

(٧) في (س) و(ص): لها.

(٨) قوله: «له مثل» سقط من (س) و(ص).

وقد قالت طائفة من ^(١) الصُّوفِيَّة: «إِنَّ الْفِكْرَ فِي اللَّهِ إِنَّمَا امْتَنَعَ لِأَنَّ الْعُقُولَ تَتَحَيَّرُ فِيهِ، فَلَا يُطِيقُهُ إِلَّا الصَّدِيقُونَ، وَإِذَا أَطَاقُوهُ لَمْ يُطِيقُوا دَوَامَهُ، وَلَوْ تَعَرَّضُوا لَهُ لَأَفَادَهُمْ حَيْرَةٌ وَدَهْشًا» ^(٢).

وقد أخذه بعض ^(٣) المغاربة فقال في صفة أهل الإيمان: «يُعتبر المتفكرون» ^(٤) بآياته ^(٥)، ولا يتفكرون في مائية ذاته، وهذا كُلُّهُ نَوْعٌ مِنَ الْغَفْلَةِ؛ فَإِنَّ الصِّفَاتَ الَّتِي تَقُومُ بِذَاتِ الْعَبْدِ عَلَى ضَرْبَيْنِ:

منها: مَا لَا يَصِحُّ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِالْبَارِي سُبْحَانَهُ.

ومنها: مَا يَصِحُّ تَعَلُّقُهَا بِهِ.

وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ الْعِلْمَ يَتَعَلَّقُ بِالْبَارِي بِاتِّفَاقٍ، فَهُوَ لَنَا مَعْلُومٌ، وَلَا يُؤَثِّرُ عِلْمُنَا فِيهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يُؤَثِّرُ فِي الْمَعْلُومِ، وَلَمْ يَجْزُ أَنْ تَتَعَلَّقْ لَنَا ^(٦) بِالْبَارِي قُدْرَةٌ وَلَا إِرَادَةٌ؛ لِأَنَّهُمَا صِفَتَانِ تَوْثِرَانِ فِي الْمَقْدُورِ، وَالْبَارِي سُبْحَانَهُ يُؤَثِّرُ وَلَا يَتَأَثَّرُ.

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الرُّؤْيَا هَلْ تَتَعَلَّقُ بِهِ؟

وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَى أَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِهِ، وَلَا اسْتِحَالَةَ فِي ذَلِكَ وَلَا آفَةَ، وَالنَّظَرُ وَالْفِكْرُ عِلْمٌ مَجْمُوعَةٌ يَتَرَكَّبُ عَلَيْهَا عِلْمٌ، فَلَا اسْتِحَالَةَ فِي أَنْ يَتَعَلَّقَ

(١) قوله: «طائفة من» سقط من (ص).

(٢) الإحياء: (ص ١٨١٠).

(٣) هو الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، وذكره في الرسالة: (ص ٩- أصل ابن الأزرقي).

(٤) في (ف): المتفكر.

(٥) في (د) و(ص): يتفكرون في مخلوقاته.

(٦) سقطت من (س) و(ص).

بالباري، وليس في ذلك دَهَشٌ ولا حيرة، إنما في ذلك شُبُهٌ وبدعة، ولم يرد الباري سبحانه أن يُعَلِّمَ بصفاته ضرورة، وإنما قَدَّرَ أن يُدْرِكَ بالنظر، وبتحرير العلم من الشُّبُه.

فإذا قال المبتدع: كيف تؤمنون بوجود ليس داخل العالم ولا خارج العالم^(١)، وليس بجسم ولا عَرَضٍ؟

قلنا له: حقيقة الإيمان به أنه ليس كمثله شيء، ولا يحويه مكان، وهذه الألفاظ التي جُمِعت^(٢) فاسدة، لا يوصف الباري بأنه داخل ولا خارج، ولا أنه مؤلف، ولا أنه معدوم، ولا زائل، ولا يَحُولُ ولا يزول، ولا يتغيَّر بما خلق.

وألفاظ المبتدعة هي الفاسدة، فأما العِلْمُ بالباري وذاته وصفاته فصحيح، ونَفْيُ المِثْلِيَّةِ عنه أصحُّ شيء، وليس له مائيَّةٌ إلا ذلك، فأَيُّ نَهْيٍ عن هذا أو نفْيٍ له؟ وكلُّهُ بَيِّنٌ، وهو على المؤمن هَيِّنٌ.

[فُصُورُ الخَلْقِ عن معرفة الله عز وجل]^(٣):

ولا تعجبوا إلا ممَّنَ ينتمي إلى التحقيق، ويدَّعي قصور الخلق عن معرفة الله، مع أنه أظهر الموجودات، ولا يعلم السبب في قصور الخلق، فقال: «إنه»^(٤) إنما صار أظهر الموجودات لأنه مدلول عليه بكل وجه، شاهد له كل شيء،/ ليس في ملكوت السماوات والأرض ذرة إلا وهي عليه [١٣٦/ب]

(١) في (ص): منه.

(٢) في (د): جمعتم.

(٣) من طرة بـ (س)، وفوقها: بخطه، أي: بخط ابن العربي.

(٤) سقطت من (س).

دالة^(١)، فلعظيم^(٢) ظهوره خفي، كما يبهر ضوء الشمس الخفاش، فلا يرى بالنهار، فضعفت عقول الخلق عن إدراك حقيقة الحق، وما عمَّ وجوده حتى لا ضد له عَسَرَ دَرْكُهُ، ونورُ الشمس لم تكن تدرك حقائق المرئيات به لولا عَدَمُهُ، فبعده استبان حاله، ولو كان للباري^(٣) عَدَمٌ^(٤) لأدركنا التفرقة بين الحالين، أو^(٥) لو كان بعض الأشياء موجوداً به وبعضها موجوداً بغيره لأدركنا التفرقة بينهما في الدلالة، وَمَنْ قَوَّيْتُ بصيرته واعتدل أمره لم ير إلا الله، وعلم أن وجود الأشياء به، فلم ينظر إلا فيه^(٦).

قال الإمام الحافظ رحمته الله^(٧): هذا كلام هائل، وليس وراءه طائل، إذا ظهر الشيء علم، وإذا زاد ظهوراً^(٨) زاد علماً به^(٩)، ولو قدَّرت الظهور إلى غير غاية لكان العلم كذلك، ولم يرجع خفياً^(١٠) أبداً، وهذا معلوم ضرورة،

(١) في (د) و(ص): دلالة، وأشار إليها في (س).

(٢) في (ص): فلِعَظَمَ.

(٣) في (س) و(ف): الباري.

(٤) بعده في (ص) و(ف) و(س): لانهدت السماوات والأرض، وضرب عليها في (د).

(٥) في (ص) و(ف) و(س): و.

(٦) الإحياء: (ص ١٦٨٦)، وينظر في نقضه - أيضاً - الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٤٩٩/١ - ٥٠٣).

(٧) في (د): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر بن العربي.

(٨) مرَّضها في (د)، وفي الطرة: في خ: ظهر.

(٩) سقطت من (د) و(ص).

(١٠) فوقها في (د) - بخط مغاير -: ظاهراً.

ولا يصح^(١) لأحد أن يقول: إنَّ العلم إذا زاد يعود جهلاً، ولا إذا كثرت الحركة تعود سُكُونًا، هذه خرافات باردة، وتقديرُ عَدَمِ الإله محال، وفَرَضُ المحال لا يفيد شيئًا، ولو فرضنا أنَّ^(٢) مع الله فاعلاً غيره لما كان إلهًا^(٣) واحدًا^(٤) منهما، وذلك محال.

وإنَّما قَصَرَ الخَلْقُ عن معرفة الله تعالى لكثرة معارضة الشُّبْهِ للأدلة، ولو شاء ربك لجعله كله دليلاً، ولكن أراد أن يُضِلَّ من يشاء، ويهدي من يشاء، وكلما ازدادت في الله تعالى فِكْرَةٌ ازدادت له^(٥) معرفة.

وقد جعل بعضهم^(٦) من مَحَالِّ^(٧) الفكرة أفعال الإنسان، وإنَّها لموضعُ تَفَكُّرٍ، فإنَّها تدلُّ على الباري سبحانه من جهة وجودها، واختلافها في أنفسها، وانقسامها إلى موجودة بقلبه، وإلى قائمة بجوارحه، وقد تعلَّق بها الابتلاء، وأُمِرَ فيها ونُهِيَ، ووجب عليه منها^(٨) وحَرُمَ، وهذا كله محلٌّ للعبرة، ومحلٌّ للمعرفة، ومحلٌّ للسعي والنظر في امتثال الأوامر بها واجتناب النواهي عنها.

(١) ضَبَّبَ عليها في (د)، وفي الطرة: يصلح، وقال: هي من خ.

(٢) سقطت من (س) و(د).

(٣) في (ف): الله.

(٤) في (س) و(ف): إله واحد.

(٥) في (د) و(ص): به.

(٦) هو الإمام أبو حامد الطوسي، ينظر: الإحياء: (ص ١٨٠٣).

(٧) في (س): مجال.

(٨) ضرب عليها في (د).

وللعبد في ذلك شُغْلٌ عظيم، بحيث لو تفرَّغ لها لم يَقم بها^(١) إلا عن جهد، فإنها تستغرق العمر، بل اليوم، بل السَّاعة، فمن غفل عنها لم يعرفها، ومن تعاطاها فبالْحَرَى أن يستقلَّ بها، وهذه هي العبادة، وهي المنزلة.

وإذا لم يَقْدِرْ المرءُ على ذلك فليُحافظ على امتثال دعائم الإسلام، وليتحرَّز^(٢) من الكبائر السَّبع عشرة؛ فترجى^(٣) له مع ذلك العاقبة الجميلة إن شاء الله.

وركَّبَ الناسُ على هذا المقام فَضْلَ العالم على العابد، وروَّوا في ذلك عن النبي ﷺ آثاراً ليس منها حرف واحد يصح، فلا تلتفتوا إليها، وأشبهُ ما رُوي في ذلك عن ابن عباس، ولكنه حُرِّفَ، هو من باب آخر، وليس من هذا الباب في شيء.

سئل ابن عباس: عن رجل عنده فَضْلٌ معرفة وربما قَارَفَ، / وآخر [١/١٣٧] أقل منه معرفة ولم يُقَارَفْ؟ فقال: «لا أعدل بالسَّلامة شيئاً»^(٤).

والذي رُوي من الحديث الحَسَنِ فيما يقرب من هذا المعنى: عن جابر أن رجلاً ذَكَرَ عند النبي ﷺ بعبادة واجتهاد، وذَكَرَ الْآخَرَ^(٥) بِرَعَةٍ^(٦)، فقال النبي ﷺ: «لا أعدل بالرَّعَةِ^(٧) شيئاً»^(٨).

(١) في (د) - أيضاً - : به. (٢) في (س): ليحترز.

(٣) في (د): يرجى.

(٤) أخرجه ابن وهب في جامعه: (٥٠٠/٢)، رقم: (٣٨٦)، والبيهقي في شُعب الإيمان: (٤٢٧/٩)، رقم: (٦٩٢٨).

(٥) في (د) و(ص): آخر.

(٦) في (س) و(ف): الدعة. (٧) في (س) و(ف): الدعة.

(٨) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله =

وَيَجِبُ أَنْ تَعْلَمُوا مِمَّا قَدَّمْنَا لَكُمْ فِي اسْمِ «الْمُؤْمِنِ» و«العالم» من البيان؛ أَنَّ الْعَالِمَ الْمُؤْمِنَ لَا يَعْصِي، فَإِنْ أَلْفَيْتَ مِنْهُمَا^(١) مَعْصِيَةً فَمَا لَمْ يَحْصُلْ لَهُ^(٢) بِهِ عِلْمٌ، فَلْتَجِدْ بِهِ عَهْدًا هُنَاكَ.

وَلَمَّا كَانَ الْفِكْرُ فِي الْمَخْلُوقَاتِ وَالْعِبَرَةُ بِالْآيَاتِ^(٣) تَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ، وَهِيَ: الطَّرِيقُ إِلَى الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الشَّاهِدَ يَدُلُّ عَلَى الْغَائِبِ بِاتِّفَاقٍ مِنَ الْعُقَلَاءِ^(٤)، وَالْعَالِمُ صَاحِبُ مَعْرِفَةٍ وَحَقَائِقٍ، وَالْعَامِلُ صَاحِبُ خِدْمَةٍ وَطَرَائِقٍ، وَالْعَالِمُ لَا يَبْرَحُ عَنْ بَسَاطَةِ الْمَلِكِ، وَالْعَامِلُ يَتَصَرَّفُ فِي خِدْمَةِ الْمَلِكِ، وَالْكَلِّ فِي خِدْمَتِهِ، وَلَكِنْ لِلْحُضُورِ مَعْنًى، وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ، وَسَنَزِيدُهُ تَبَصُّرَةً، وَالْأَوَّلُ يَقْتَضِي الثَّانِي.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَفْتَ هَذَا بَطَلًا سُبْحَانَكَ قَبْلُنَا وَعَذَابُ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]^(٥)، إِذَا نَظَرُوا إِلَى السَّمَاوَاتِ وَمَا نَيطَ بِهَا مِنَ التَّدْبِيرَاتِ، وَالْأَرْضِ وَمَا اخْتَزَنَ فِيهَا مِنَ الْأَقْوَاتِ، وَتَعَارَضَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ عَلَى الْأَوْقَاتِ، وَمَا فِي اخْتِلَافِهَا مِنَ التَّدْبِيرِ وَالتَّقْدِيرَاتِ، وَتَعَارَضَ الْأُمُثَالُ^(٦) وَالْأَجَالُ عَلَيْهِمَا فِي الدُّورَاتِ؛

= ﷺ، بَابٌ مِنْهُ، رَقْمٌ: (٢٥١٩-بشار)، وَضَعَفَهُ أَبُو عِيْسَى، فَلَعَلَّ نَسْخَةَ ابْنِ الْعَرَبِيِّ مِنَ التِّرْمِذِيِّ فِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ، فَلِهَذَا صَرَّحَ بِتَحْسِينِهِ.

(١) فِي (ص): مِنْهُ، وَأَشَارَ إِلَيْهَا فِي (د).

(٢) سَقَطَ مِنْ (س).

(٣) فِي (ص): الْآتِ.

(٤) فِي (س) وَ(ف): الْعَمَلَاءُ.

(٥) فِي (ص): وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

(٦) فِي (د) وَ(س) وَ(ص): الْأَمَالُ، وَمَرَّضُهَا فِي (د)، وَمَا أَثْبَتْنَاهُ صَحِّحَهُ فِي طَرْتِهِ.

عَلِمُوا أَنَّ هَذَا فِي نَفْسِهِ لَيْسَ بِمَقْصُودٍ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مَا كَانَ إِلَّا بَاطِلًا لَا فَائِدَةَ فِيهِ ، وَتَحَقَّقُوا أَنَّ خَالِقَهَا وَمُدَبِّرَهَا أَوْجَدَهَا لِمَا وَرَاءَهَا .

وقد كان بعضُ فصحاء المتفكرين من أهل الفترة يقول: «ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهـر ، وسحاب تُسَخَّر ، وأرض تُمَطَّر ، وموجود ومعدوم ، وماض وآت ، وأحياء وأموات ، إن في السماء لخبراً ، وإن في الأرض لِعِبْرًا» ، وهذا ممَّا تَلَقَّفَهُ فَلَفَّقَهُ ، وَسَمِعَهُ ^(١) فوعاه وعَقَّلَهُ ، ونظر فيه فاستبصره ، وعلى هذا نبه بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥] ، فَبَادِرُوا بِالْإِيمَانِ ^(٢) به قبل الفوت ، وسرعة الأجل تُكَدِّرُ لذة الأمل ^(٣) .

وَأَمَّا الْفِكْرَةُ فِي نَزُولِ الْغَيْثِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ النَّبَاتِ ؛ فَقَدْ أَحْكَمَ اللَّهُ بَيَانَهُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ وَرَدَ مِنْ كِتَابِهِ ، وَأَوْضَحَ بِهِ أَنَّ ذَلِكَ بِقُدْرَةِ الْبَارِي وَإِرَادَتِهِ ، لَا بِطَبْعٍ ، حَسْبَمَا بَيَّنَّاهُ فِي «كُتُبِ الْأَصُولِ» ، وَأَمْلَيْنَاهُ عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ^(٤) فِي كِتَابِ «الْعَوَاصِمِ» ^(٥) .

وَالْفِكْرَةُ فِي النَّحْلِ أَبْدَعُ آيَةٍ ؛ فِي إِحْكَامِ بِنَاءِ بَيْوتِهَا ، وَلِلذَاذَةِ قِيَّتِهَا ، وَمَا تَقْذِفُهُ مِنْ بَطُونِهَا نَوْعًا بَعْدَ أَنْ قَطَعَتْهُ ^(٦) أَنْوَاعًا ، وَأَخَذَتْهُ طَعَامًا فَأَعْطَتْهُ شَرَابًا .

(١) قوله: «فلفقه ، وسمعه» سقط من (س) .

(٢) في (د): الإيمان .

(٣) في (ص): فبادروا به قبل سرعة الأجل وتكدر الأمل ، وفي (د): يكدر .

(٤) عام ٥٣٦ هـ ، ينظر: العواصم: (ص ٣١٤) .

(٥) العواصم: (ص ١٢٧-١٣١) .

(٦) في (ص): تطعمه .

١
[١٣٧/ب] ومن أعظم العبرة في النحل أنها ليس لها منزلة في القِيَمَةِ^(١)، ولا مرتبة^(٢) في القوة، ولا منظرة في الصورة^(٣)، وجعل ما يخرج منها لذيذ/ الكأس، شفاءً للنَّاسِ.

وانظروا^(٤) إلى الإنسان وقيمته، وقوته ومنظرته، وحسن صورته، وقذارة ما يخرج منه، فأين الطبع؟ قاتلهم الله أني يؤفكون، أي ذنب للإنسان؟ وأي فَضْلٍ^(٥) للنحل؟ وأي فضيلة للدُّودِ في جَعْلِ الإبريسم مُودَعًا فيها؟ وجَعْلِ الدَّرِّ في الصَّدَفِ؛ وهو أوحش الحيوان البحري^(٦)، وأودع الذَّهَبَ الرِّغَامَ، وأودع القلب معرفته، فإذا بالعبد قد دَنَسَهُ بالرِّيْبَةِ، ورَحَصَهُ^(٧) بالمخالفة.

[جَلَّالُ رسول الله عليه السَّلام]^(٨):

وإن تَفَكَّرَ الْمُتَفَكِّرُ في النبي ﷺ عَلِمَ بِشَاهِدِ حَالِهِ صِدْقَ مقالِهِ، وَسَخِرَ مِمَّنْ ينسبه إلى الشُّعْرِ، وليس كلامه على إقراءه، أو إلى الجنون، وليس على صفاته، كان النبي ﷺ يأخذه بُرْحَاءُ الوحي فيشتد عليه حتى يضطرب

(١) في (د): القيامة.

(٢) في (ص): منزلة.

(٣) في (س) و(ف): السورة.

(٤) في (د): انظر.

(٥) في (د) و(س) و(ص): فضيلة، وضرب عليها في (د)، والمثبت ممَّا صحَّحه بطرته.

(٦) في (د) و(ص): حيوان البحر.

(٧) في (ص): وخطه.

(٨) من طرة بـ (س)، وذكر أنها بخطه، أي: بخط ابن العربي.

وَيُعْشَى عَلَيْهِ^(١)، وَيَرْفُضُ عَرَقًا، ثُمَّ يُفِيْقُ أَزْهَرَ اللَّوْنِ، حَاضِرَ الْقَلْبِ، حَدِيدَ
الذَّهْنِ نَشِيطًا، وَالَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ بِعَكْسِهِ، فَجَعَلَهُ^(٢) اللهُ آيَةً
فِي فِتْنَةٍ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى^(٣): ﴿فَلِإِنَّمَا أَعْظَمَكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ
مِثْنِي وَفِرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ
يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبا: ٤٦]، وَلَكِنْهُمْ عَمُوا عَنِ الرَّشْدِ، وَصَمُّوا عَنِ الْحَقِّ،
وَلَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرَ.

وَكَمَا لَا يَتَمَثَّلُ الضُّوءُ وَالظَّلَامُ، كَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرَ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ
وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْخُرُورُ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢١]، وَكَمَا^(٤) لَا تَسْتَوِي هَذِهِ الْمَعَانِي، كَذَلِكَ
لَا يَسْتَوِي الْعَالَمُ وَالْجَاهِلُ، وَالْمُؤَالَفُ وَالْمُخَالَفُ، وَالْمُسَاعِدُ وَالْمُعَانِدُ،
وَالْمُوصُولُ وَالْمُقْطُوعُ، وَالْمَقْبُولُ وَالْمَرْدُودُ، وَالْمُقَرَّبُ وَالْمَحْجُوبُ،
وَالْمُصْطَفَى فِي الْبَدَايَةِ وَالْمُقْصَى فِي النِّهَايَةِ، وَلَا مِنْ أَشْهَدِنَاهُ خَلَقْنَا، وَلَا
مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا، وَإِذَا أَمَعَنَ فِي الْفِكْرَةِ، وَصَقَلَتْ قَلْبَهُ الْعِبْرَةُ،
وَوَقَّفَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَةِ؛ عَلِمَ أَنَّهُ فَقِيرٌ حَقِيرٌ^(٥)، وَأَنَّ خَالِقَهُ وَرَبَّهُ
الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ الْعَظِيمُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وَهُوَ:

(١) سبق تخريجه .

(٢) فِي (د) وَ(س) وَ(ص): جَعَلَهَا، وَمَرَّضَهَا فِي (د)، وَالْمَثْبُتُ صَحَّحَهُ بِطَرْتِهِ .

(٣) قَوْلُهُ: «اللَّهُ تَعَالَى: قُلْ» لَمْ يَرِدْ فِي (س) وَ(ص) وَ(ف) .

(٤) فِي (د): كَمَا .

(٥) فِي (د): حَقِيرٌ فَقِيرٌ .

الاسم المُوَفِّي ثلاثين: الْفَقِيرُ^(١)

قال علماؤنا: «ومن فَضِّلَ الفقر أنه قَدَّمَهُ على الهجرة، وأنه كان سَيِّدَهُم ﷺ»^(٢).

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢].
ومن الحديث الصحيح: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ»^(٣).

وقال الله تعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾^(٤) [طه: ١٢٩-١٣٠].

وقال تعالى في مَذْحِهِم: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنُكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(٥) [الكهف: ٢٨].

(١) سقط من (س) و(ص).

(٢) قوت القلوب: (١٤٩٣/٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين رضي الله عنه: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: (٣٢٤١-طوق).

(٤) تقدّمت الآية على التي قبلها في (س) و(ف).

(٥) في النسخ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنُكَ عَنْهُمْ﴾.

وفي الحديث الصحيح: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟/ كل ضعيف مُتَضَعِّفٍ»^(١).

وسئل أبو علي الدقاق: أي الوصفين أفضل؛ الغنى أو الفقر؟
قال^(٢): «الغنى؛ لأنه وَصِفُ الحق، والفقر وصف الخلق، ووصفُ الحق^(٣) أفضل من وصف الخلق»^(٤).

وثبت في الصحيح: أن الفقراء قالوا: «يا رسول الله، ذهب أهل الدُّثُور بالأجور؛ يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فُضُول أُمُوال يتصدَّقون بها، قال لهم: ألا أخبركم بأمر إذا فعلتموه تُدْرِكُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وتسبقون من جاء بعدكم، ولا يأتي أحدٌ بما^(٥) جئتم به إلا من جاء بمثله؛ تسبحون في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدون عشراً، وتكبرون عشراً - وفي رواية: ثلاثة^(٦) وثلاثين في كل واحدة -، فسمع ذلك الأغنياء ففعلوه، فذكر ذلك الفقراءُ لرسول الله ﷺ فقال لهم: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»^(٧).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه: كتاب التفسير، «ن والقلم»، رقم: (٤٩١٨-طوق).

(٢) في (د): فقال.

(٣) قوله: «والفقر وصف الخلق، ووصف الحق» سقط من (د).

(٤) رسالة القشيري: (ص ٣٠٦)، ويروى عن ابن عطاء، قوت القلوب: (٢/٨١٣).

(٥) في (د) و(ص): بمثل.

(٦) في (د) و(ص): ثلاثاً.

(٧) تقدّم تخريجه.

وقد أبدأ الناس في ذلك وأعادوا، وتكلمت في ذلك مع رجلين من أهل الطريقة؛ الطُّرُوشِي والطُّوسِي، ووقعت المفاوضة^(١) في ذلك مراراً، وكتب كل واحد منهم فيه^(٢) وأملى، وحمَلْتُهُ عنهما، ولم يكن في ذلك كله^(٣) شفاء، فَبَيْنَا أنا يوماً في «الشَّعْر»^(٤) المحروس، إذا برجل قد^(٥) دخل عليّ بمجلد صغير نحو «الإرشاد»، فقال لي: هذا كلام في التفضيل^(٦) بين الفقر والغنى غير مُتَرَجِّمٍ، فنظرته واحتبست^(٧) به، ثم طالعت؛ فإذا به فائدة الأيام^(٨)، وكلام إمام أي إمام، أتى فيه بالحقيقة، وكشف عن الطريقة، ولم أعلم من هو^(٩).

لُبَابُ قَوْلِهِ - في كلمات مختصرة على طريق التقريب -: أن الفقر عبارة عن العجز، والغنى عبارة عن القدرة، وهما صفتان من صفات الإنسان قائمتان به، فإنما يكون غنياً وفقيراً بصفاته الموجودة بذاته، قال النبي ﷺ^(١٠): «ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما^(١١) الغنى غِنَى النفس»،

-
- (١) في (ص): المعارضة.
 (٢) سقطت من (س).
 (٣) سقطت من (س).
 (٤) في (د): بالشَّعْر.
 (٥) سقط من (س).
 (٦) في (ص): الفضل.
 (٧) في (د): احتبسته، ومَرَضُهَا، وفي الطرة: في خ: احتبسه.
 (٨) قوله: «غير مُتَرَجِّمٍ، فنظرته واحتبست به، ثم طالعت؛ فإذا به فائدة الأيام» سقط من (ص).
 (٩) لعله للإمام أبي منصور البغدادي، ذكره له التاج في طبقاته: (١٤٠/٥).
 (١٠) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ؓ: كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، رقم: (١٠٥١-عبد الباقي).
 (١١) في (د) و(س): لكن.

ولذلك لم يكن الغنيّ بالحقيقة ولا^(١) على الإطلاق إلا الله وحده^(٢)؛ فإنه موصوف بالقدرة الواجبة له، مُنَزَّهٌ عن الحاجة، والعبد موصوف بالعجز، ملازم^(٣) بالحاجة، فهو فقير أصلاً ووصفاً وحالاً، وإنما يكون غنياً بالاكْتِسَاب، فالمخلوق مفتقر إلى خالقه في إيجاد، مفتقر إليه في إنعامه، فإنَّ عَدَمَ المال كان فقيراً إليه، وإنَّ وجده كان غنياً به، فإنَّ من افتقر إلى شيء كان غنياً بوجوده، فالفقير بالحقيقة العبد، وإنما يكون غنياً إذا عَوَّل على مولاه، ولم ينظر إلى أحد سواه؛ فإنَّ تعلُّقاً بالله بشيء من الدنيا ورأى في نفسه أنه فقير إليه فهو عَبْدُهُ، وإنما شَرَفُ العبد افتقاره إلى مولاه، وعِزُّه خضوعه له، وما أحسن ما قال بعضهم فيه:

وَإِذَا تَذَلَّلْتَ الرِّقَابُ تَقَرُّبًا مِنَّا إِلَيْكَ فَعِزُّهَا فِي ذُلِّهَا^(٤)

فالغنيّ المتعلق بالمال بالحريص عليه الراغب فيه؛ هو الفقير حقيقة، وعادته الذي يقول: ما أنا به، ولا رغبة لي^(٥) فيه، إنما هي ضرورة العيش، فإذا وجدتها فغيرها زيادة تشغل عن الإرادة؛ هو^(٦) الغنيّ حقيقة، وليس كل قلب يصفو هذا الصفاء.

(١) سقطت من (د).

(٢) في (ص): لم يكن الغنى على الحقيقة إلا الله وحده.

(٣) ضَبَّبَ عليها في (د)، وكأنه أراد أن يُمَرِّضَ حتى التي قبلها، فتكون العبارة: موصوف بالحاجة، فهو فقير، والله أعلم.

(٤) البيت من الكامل، وهو لأبي إسحاق الصابئ، من قصيدة له يمدح عَضُدَ الدولة، في التذكرة الحمدونية: (١٨٢/٤)، والمنتحل للثعالبي: (ص ٣٥)، واليتمية له: (٢٧٤/٢)، وأنشده أبو القاسم القُشَيْرِي في اللطائف: (١٩٩/٣).

(٥) في (د): ولا بي رغبة، وفي (ص): ولا حاجة لي.

(٦) في (د) و(ص): فهو.

ويقدرُ الفقير أن يقول بِنِيَّتِهِ^(١) - إذا رأى الغني يتصدق -: لو كان عندي مال مثله^(٢) لفعلتُ فعله ، فيُكتب له أجره ويُعطى منزلته ولم يُنْصَبْ في كَسْبٍ ، كما ورد في الحديث الصحيح ، ولذلك أعطى الله هذه المنزلة لمحمد^(٣) ﷺ ؛ فأغناه بصفاته لا بالأموال ، فهو الفقير إلى ربه ، الغني باعتقاده ونيته^(٤) ، المُعرض عن الدنيا بعد تمكنه منها وقدرته^(٥) ، وأبو بكر رضي الله عنه حين أعطى جميع ماله ولم يَلْتَفِتْ إليه^(٦) .

وإذا فتح الله على رجل في مال ، وفتح على آخر في نية وعمل ؛ فلا خلاف أن صاحب العمل والنية^(٧) أرجح وأربح ، وأهنأ عيشاً ، وأكثر اقتداءً بِمُحَمَّدٍ وَشَبَّهَا بِهِ^(٨) .

خَطَرُ الْفَقْرِ^(٩):

ولكن للفقير^(١٠) أخطار ، لا يقدر عليها ولا يخلص منها إلا الأبرار .
منها: أنه يميل إلى المال وكسبه ، ولكنه لا يقدر أو لا يدري كيف يطلبه ، وهو الحرص .

(١) في (ص): بنية .

(٢) في (د) و(ص): لو كان لي مثله .

(٣) في (د): مُحَمَّدًا .

(٤) في (ص): قلبه .

(٥) بعدها في (د) علامة اللحق ، ولا يظهر شيء يسرة الورقة .

(٦) تقدّم تخريجه .

(٧) في (د) و(ص): النية والعمل .

(٨) سقطت من (س) و(ص) .

(٩) في (س): الفقير .

(١٠) في (س) و(ص): للفقير .

ومنها: أن يحبه ولا يتعرض لطلبه، وهذا هو القانع، وهي خصلة محمودة، ومنزلة حسنة.

ومنها: أن لا يحبه، ولو جاءه لم يقبل عليه، وهذه حالة شريفة، ومنزلة رفيعة، ولكن لم يحمل الله ولا رسوله الخلق عليها، بل قال لهم: «ما أتاك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف نفس فخذْهُ، وما لا فلا تُتبِعْهُ نفسك»^(١)، ولا يشير النبي ﷺ ولا يدل في الرفق إلا على منزلة عالية، حتى إذا كان ثَمَنًا لدينك فدعْهُ، وهذه الحالة هي الزُّهْدُ، وصاحبُها هو «الزَّاهد».

(١) تقدّم تخريجه.

آخِرُ السَّفَرِ الثاني من كتاب «سراج المريدين في سبيل الدين»
للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي رحمته الله، ضبط
نصّه وخرّج أحاديثه ووثّق نقوله وترجم لأعلامه وصنع فهارسه وقَدَّم
له الدكتور عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن التَّهامي
المصمودي التَّورَاتي القَصْرِي، عفا الله عنه وعن آبائه، وذلك في
شهر ربيع الأنور من عام ١٤٣٧هـ، بِتِطَاوُن - حرسها الله تعالى -
قاعدة شمال المغرب الأقصى، وصَلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا
محمَّد، وعلى أزواجه وذريته، وصحابته المُعَدِّلِينَ، ومن تبعهم من
الصالحين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

٥	استطْرَادُ: وهو البابُ الثاني من الكتابِ
٨	الاسمُ الأوَّلُ: العَالِمُ
١٠	الاسمُ الثاني: العَاقِلُ
١٣	الاسمُ الثالث: الإنسانُ
١٦	الاسمُ الرَّابِعُ: المؤمنُ
١٧	الاسمُ الخامس: المسلم
٢٢	نكتة إسلامية:
٢٤	تحقيق:
٢٦	تبيين:
٣٢	[نكتة بدیعة]:
٣٤	[الدِّينُ]: وهو الاسمُ السَّادسُ
٣٨	تنبيهٌ على وَهْمٍ:
٣٩	تكملة:
٣٩	فضائلُ العِلْمِ وما يَرْتَبِطُ به من العَقْلِ والإِسْلَامِ والإيمانِ والدِّينِ:
٤٣	[كتابُ العقلِ لداود بن المحبَّر]:

- ٤٥ [المفاضلة بين الإيمان والإسلام]:
- ٤٦ تَنْبِيْهُ عَلَى وَهْمٍ: [طلب العلم فريضة]
- ٤٧..... [الوصاة بالأحاديث الصحيحة]:
- ٥٠ [كُتِبَ الزَّهْدُ]:
- ٥١..... أقسامُ العلوم:
- ٥٥ الاسمُ السَّابِعُ: المَوْحِدُ
- ٥٧..... [إسلامُ أبي سفيان وزوجه هند رضي الله عنهما]:
- ٦٢..... [حَقِيقَةُ الكَسْبِ]:
- ٦٣..... فائدة:
- ٦٥..... مُتَمِّمَةٌ: [في زيادة الإيمان ونقصانه]
- ٧٠ تكملة: [في قول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله]
- ٧٣..... القَارِئُ: وهو الاسمُ الثامن.
- ٧٣..... فضائله:
- ٧٧..... فاتحة الكتاب:
- ٧٨..... سورة البقرة:
- ٨١..... خاتمته:
- ٨٢..... آل عمران:
- ٨٢..... سورة الكهف:
- ٨٣..... سورة ألم السجدة:
- ٨٣..... حم الدخان:
- ٨٤..... سورة المُلْكِ:

- سورة إذا زلزلت والكافرون: ٨٤
- سورة الإخلاص: ٨٥
- [سورة الفلق والناس]: ٨٦
- [التحذير مما لم يصح في باب فضائل القرآن]: ٨٧
- حالُ القُرَّاء: ٨٨
- تَحْسِينُ القراءة: ٩٠
- [تَرْثِيْبُ القراءة وترتيلها]: ٩٦
- سَمَاعُهُ مِنَ الْغَيْرِ والبكاءُ عليه: ٩٨
- [شكوى ابن العربي من أحوال زمانه]: ١٠١
- [تِمَمَةُ الحديث عن البكاء]: ١٠٣
- الانتقاء للآيات بحسب الأغراض: ١٠٥
- حقيقة القراءة: ١٠٨
- صِفَةُ التَّعْلِيمِ: ١١٠
- العَابِدُ: وهو الاسمُ التَّاسِعُ ١١٤
- [صفاتُ عباد الرحمن]: ١٢١
- الصِّفَةُ الْأُولَى: قوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ ١٢١
- الثانية: إذا جُهِلَ عليه لا يَجْهَلُ مثل جَهْلِهِ ولا فوقه ١٢١
- الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَفِيلًا﴾ ١٢٣
- الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ ١٢٦
- الخامسة: قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْقَبُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يُفْتِرُوا﴾ ١٢٦

- السادسة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ١٢٨
- السابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَفْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ .. ١٢٨
- نكتة: ١٣١
- التاسعة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ ١٣١
- العاشر: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ ١٣٢
- الحادية عشرة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنَ﴾ ١٣٢
- الثانية عشر: قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ١٣٣
- تَكْمِلَةٌ: ١٣٣
- المُحْسِنُ: وهو الاسم العاشر ١٣٩
- المُخْلِصُ: وهو الاسم الحادي عشر ١٤٣
- تحقيق: [في حقيقة النية] ١٥٧
- مَجْهَلَةٌ: ١٦٠
- مَعْلَمَةٌ: ١٦٠
- تَوْكِيدٌ: ١٦١
- إيضاحه: ١٦٣
- [مسائل في الإخلاص من كتاب «النوادر» للمحاسبي]: ١٦٧

- الأولى: ١٦٨
- الثالثة: ١٦٨
- الرابعة: ١٦٨
- الخامسة: ١٦٨
- السادسة: ١٦٨
- السابعة: ١٦٩
- الثامنة: ١٦٩
- التاسعة: ١٦٩
- العاشرة: ١٦٩
- الحادية عشر: ١٦٩
- الثانية عشر: ١٦٩
- [الجواب عن هذه المسائل]: ١٦٩
- [الصَّادِقُ]: وهو الاسمُ الثاني عَشَرَ ١٧٥
- [الصَّالِحُ]: وهو الاسمُ الثالث عشر ١٨٣
- [الصِّدِّيقُ]: وهو الاسمُ الرَّابِع عَشَرَ ١٨٥
- [المُجَاهِدُ]: وهو الاسمُ الخامس عشر ١٨٦
- [نَزَغَاتُ الشَّيْطَانِ وَسُبُلُ الْعَصْمَةِ مِنْهَا]: ١٨٩
- [من فضائل عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ]: ١٩٥
- [منزلةُ علي عند ابن العربي]: ١٩٥
- [العصمةُ من الشَّيْطَانِ]: ١٩٦
- الْمَنْبُوءُ الْأَوَّلُ: الدُّنْيَا ١٩٩

- المنبؤ الثاني: الحَلَقُ ٢٠١
- [التعريف بالإمام نَصْرٍ بن إبراهيم المقدسي]: ٢٠٦
- [المجاورة بالمسجد الأقصى - طَهَّرَهُ اللهُ -]: ٢٠٨
- [الإقامة بالمُنَسْتِير]: ٢١٠
- [الدعواتُ الثلاث لابن العربي]: ٢١٤
- المنبؤ الثالث: النَّفْسُ ٢١٧
- [براءةُ يوسف عليه السَّلام]: ٢١٧
- [أسماءُ النفس وأحوالها]: ٢٢٥
- [منازلُ النفس المطمئنة]: ٢٢٨
- [المُصَلِّي]: وهو الاسمُ السَّادس عشر ٢٣٢
- [مراعاةُ أوقات الصلاة بالآلة الشمسية]: ٢٣٦
- [فرائضُ وسُننُ وفضائلُ الصلاة]: ٢٣٧
- صلاةُ الجماعة: ٢٤١
- [إمامةُ الفاسق]: ٢٤٢
- [الرفعُ قبل الإمام]: ٢٤٣
- صِفَةُ النِّيَّةِ: ٢٤٤
- [تَقْدُّ قول ابن رشد في تقديم النية على التكبير]: ٢٤٥
- صِفَةُ القِرَاءَةِ: ٢٤٦
- طهارةُ الصلاة: ٢٥٠
- زِينَةُ الصَّلَاةِ: ٢٥٧
- مَزِيدُ فَضْلِ: ٢٥٨

- مَوْعِظَةٌ: ٢٥٨
- الاستراحةُ إلى الصلاة من أنْكَاد الدنيا وشُغُوبِها: ٢٦١
- تَتْمِيمٌ: ٢٦٦
- [مَنَافِعُ الصَّلَاةِ]: ٢٦٧
- كَوْنُهُ فِي خُفَارَةِ اللَّهِ: ٢٦٨
- الوفاءُ بالعهد: ٢٦٨
- إِدْرَارُ الرِّزْقِ: ٢٦٨
- حِمَايَةُ الدَّمِ: ٢٦٨
- الارْغَوَاءُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمَنْكَرِ: ٢٦٩
- رَبْحُ الْعُمُرِ: ٢٧٢
- [فَضَائِلُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ]: ٢٧٧
- حِكَايَةٌ: ٢٧٩
- [تَشْدِيدُ الْوَعِيدِ عَلَى مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ]: ٢٨٠
- [الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ]: ٢٨٣
- ذِكْرُ الدُّعَاءِ: ٢٨٥
- الدَّاعِي: وَهُوَ الْاسْمُ السَّابِعُ عَشَرَ ٢٨٦
- وَالذَّاكِرُ: وَهُوَ الْاسْمُ الثَّامِنُ عَشَرَ ٢٨٦
- إِجَابَةُ الْمُضْطَرِّ: ٢٩٠
- [حَقِيقَةُ الْمُضْطَرِّ]: ٢٩٦
- [أَوَّلُ الْمُضْطَرِّينَ]: ٢٩٧
- [دُخُولُ ابْنِ الْعَرَبِيِّ الْمُنَسْتِيرِ عَامَ ٤٩٤ هـ]: ٢٩٩

- ٣٠١.....[رَفَّقَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام]:
 ٣٠١.....[من شروط الدعاء]:
 ٣٠٢.....[المفاضلة بين الذكر والدعاء]:
 ٣٠٩.....[نَقْدُ قول من فرَّق بين العبادة والعبودية]:
 ٣٠٩.....[تفسير قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾]:
 ٣١٩.....[الاعتداء في الدعاء]:
 ٣٢٠.....[نُكْتُ القرآن في الصلاة]:
 ٣٢٤.....[مسألة]:
 ٣٢٤.....[عَظَمَةُ الصلاة]:
 ٣٢٦.....[صَلَاةُ النَّافِلَةِ]:
 ٣٢٧.....[صَلَاةُ الْجَنَازَةِ]:
 ٣٣٣.....[الاسم التاسع عشر: الْمُصَدِّقُ]:
 ٣٣٤.....[الْمَزَكِيُّ]: وهو الاسمُ الْمُؤَقَّي عِشْرِينَ
 ٣٣٥.....[فوائدُ الصدقة]:
 ٣٣٩.....[الصَّائِمُ: وهو الاسمُ الحادي والعشرون]:
 ٣٤١.....[فضائلُ الصوم]:
 ٣٥٠.....[صِيَامُ سِتٍّ من شَوَّال]:
 ٣٥٢.....[من آداب الصيام]:
 ٣٥٣.....[صَوْمُ النَّفْلِ]:
 ٣٥٧.....[الاعتكاف]:
 ٣٥٩.....[المعتكفون]:

- [تفسيرُ قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ آذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾] ٣٦٠
- [نكتة]: ٣٦١
- [حكاية]: ٣٦٢
- [حقيقةُ الاعتكاف]: ٣٦٣
- المُهَاجِرُ: وهو الاسمُ الثاني والعشرون ٣٦٤
- [العِلَّةُ في بقاء الطرطوشي بمصر]: ٣٦٦
- [مناقبُ أبي القاسم السُّيُورِي]: ٣٦٧
- [من ضوابط الهجرة]: ٣٦٧
- [الباعثُ على رجوع ابن العربي إلى الأندلس]: ٣٦٨
- [أقسامُ الهجرة]: ٣٦٨
- [سَجْنُ الطرطوشي خمس سنين]: ٣٧٠
- [تتمة أقسام الهجرة]: ٣٧٠
- تَوَطُّعٌ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وتَأْسِيسُ الْحَالِ لَهُ: ٣٧٢
- [السَّرُّ في عدم استخلاف رسول الله]: ٣٧٥
- [تتمة أقسام الهجرة]: ٣٧٦
- حكاية: ٣٧٨
- الاسم الثالث والعشرون: الْحَاجُّ ٣٨٢
- [المجاورة بمكة]: ٣٨٥
- [أقسامُ الْحَاجِّ]: ٣٨٦
- [حَجَّةُ ابن العربي وما لقي فيها من الأهوال]: ٣٨٨
- [حقيقةُ الْحَاجِّ]: ٣٩٢

- ٤٠٢..... وهو الاسمُ الرَّابِعُ والعشرون: الْمُخْبِتُ
- ٤٠٤..... [منافعُ البُدنِ]:
- ٤٠٦..... [من علاماتِ المخبِتين]:
- ٤٠٧..... [معاني الحسنةِ المرجوةِ]:
- ٤٠٩..... [ذِكْرُ اللهِ في الأَيَّامِ المعدوداتِ]:
- ٤١٠..... تقسيم:
- ٤١١..... [الهجرةُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ]:
- ٤١٣..... [مناجاةُ ابنِ العربي لرسولِ اللهِ]:
- ٤١٥..... وهو الاسمُ الخامسُ والعشرون: المُذَكَّرُ
- ٤١٧..... [أحاديثُ القلوب]:
- ٤١٨..... [أَيَّامُ اللهِ]:
- ٤٢١..... [الحَكِيمُ]: وهو الاسمُ السَّادسُ والعشرون
- ٤٢٤..... [الوَاعِظُ]: وهو الاسمُ السَّابعُ والعشرون
- ٤٣١..... [التَّعْرِيفُ بأبي الفضلِ الجوهري ونوادره]:
- ٤٣٧..... [القَاصُّ]: وهو الاسمُ الثامنُ والعشرون
- ٤٤١..... [نَقْدُ إطلاقِ العشق على اللهِ تعالى]:
- ٤٤١..... [حكاية]:
- ٤٤٢..... [من آفاتِ الوُعَاطِ]:
- ٤٤٣..... [طرائقُ الوُعَاطِ]:
- ٤٤٤..... [مجلسُ الإمامِ أبي منصور الشيرازي]:
- ٤٤٥..... [الكلامُ على الخواطر]:

- ٤٤٧..... [اعتناء الوعَّاظ بالشعر]:
- ٤٤٩..... [من تفسير أهل الإشارة]:
- ٤٥٣..... [رُكُوبُ بعض الوعاظ مَثَنَ الكذب على رسول الله]:
- ٤٥٤..... [تَوْطِيدُ القول في القصص]:
- ٤٥٦..... [من نواذر الوعاظ]:
- ٤٥٩..... وهو الاسم التاسع والعشرون: الْمُتَفَكِّرُ
- ٤٦٢..... [مَجَالُ الْفِكْرِ وَمَحَالُّهُ]:
- ٤٦٥..... [المفاضلة بين العمل والفكر]:
- ٤٦٦..... [الفكر في الله عز وجل]:
- ٤٦٨..... [قُصُورُ الْخَلْقِ عن معرفة الله عز وجل]:
- ٤٧٤..... [جَلَالُ رسول الله عليه السَّلام]:
- ٤٧٦..... الاسمُ الْمُؤَفِّي ثلاثين: الْفَقِيرُ
- ٤٨٠..... خَطَرُ الْفَقْرِ:
- ٤٨٣..... فهرس الموضوعات

